هذا كتاب شرح الاربعين حديث
النووية للعلامة ابي مسعود
الحنفي على التمام والكمال

هذا الشرح اسمه الدر الرصين المستخرج من بحر الاربعين للعلامة ابي
عبد الله محمد بن شرف الدين احمد السعودي الحنفي من علماء القرن الثاني
عشر نبه عليه كاتبه محمد عمر الحمصاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بكل لسان • المخضوع لكلمته وعظمته في كل زمان ومكان • الموفق من يشا من عباده لاتباع السنة الشريفة والقران • الباعث البالمن اصطفاه سيد الانس والجان • محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب المنسوب الي عدنان • صلي الله عليه وعلي اله واصحابه ما اختلف الملوان وتعاقب الجديدان اما بعد فان الله تعالي وله الحمد وفق من يشا من عباده للاشتغال بالسنة الكريمة والبحث عن اسرار فوايدها العظيمة والعناية باستخراج دررها المكنونة وذلك من عناية تعالي بمن وفقه لذلك من عباده فافرغ كل من وفقه لذلك فيه سعيه واجتهاده

المكنونة

وان

وان من اجل الكتب فيه نفعا واعظمها خطرا ووقعا • كتاب الاربعين في اصول الاسلام وقواعد الدين تاليف الشيخ الامام ابي زكريا يحيى عمدة الحفاظ وحجة اهل الفتوي • احسن الله الكريم نزله وجعل مثواه جنة الفردوس واعلي بها منزله كتاب الاربعين فيه من الفوايد ما لا يحصي ومن المعاني الغريبة ما لا تستقصي وكيف لا وهو قطرات من بحار زاخرة من كلام من اوتي علي المراتب في الدنيا والاخرة صلوات الله تعالي عليه وزاده شرفا لديه • وقد كتبت عليها هذا التعليق وجمعت فيه ما رايته في الشروح وذريته من كتب الاسلام زيادة علي قدر الفتوح قد اشتمل علي نفايس الفوايد وفرايد القلايد فوايد سنيه • واسرار قدسية ومعني لغوية واعاريب نحويه ومهمات فقهية ونكت حديثية ولطايف صوفيه • فليتق الناظر فيه انه زفت اليه عرايس وليلتقط من درر نفايس • والله تعالي الموفق والمعين علي توفيه خاتمة بخيرامين • والشروح التي نقلت منها الموضوعة عليه شرح الطوفي الحنبلي • وهو امام عالم بالمنقول والمعقول • وشرح الشيخ تاج الدين بن الفاكهاني الاسكندري وهو ايضا امام مبرز في علم الحديث والاحكام • شرح ابن فرح الاندلسي وهو شرح نفيس ثم اضفت الي ذلك من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي المولف ومن كتاب المفهم لشرح مختصر مسلم للامام العلامة الحجة ابي العباس احمد بن عمر القرطبي الكبير شيخ ابن عبد الله محمد القرطبي المفسر وهو كتاب بحر درر وغرر

فمن غاص فيه اقتبس جواهر وانتقى فرايد ونوادر رحم الله
مولفه ونقلت في هذا الشرح ايضا من شعب البيهقي والحليمي
والقصري ومن الشفا للقاضي عياض اليحصبي ومن مناقب
الصحابة للحافظ ابي عمر ابن عبد البر المسمي بالاستيعاب ومن
كلام المتقدمين والمتاخرين ما تيسر جمعه وعظم نفعه والله اسال
ان ينفعني به والمسلمين انه الميسر والمعين قال المولف رضي الله عنه
الحمد لله رب العالمين قال بعض المفسرين الحمد هو الثنا بالجميل علي
جهة التفضيل فقوله بالجميل يخرج الثنا بغيره وقوله علي جهة
التفضيل يخرج الثنا بالجميل علي سبيل التهكم والاستهزا وقال
الكواشي الحمد الثنا بالفضيلة يعني المدح لكنه اخص منه لان الحمد
يكون بما في الانسان من الخصال الجميلة والمدح بما فيه ومنه باختيار
وبغير اختياره تقول حمدته لعلمه وشجاعته ومدحته لطول قامته
وسماحة وجهه كقوله تعالي وزاده بسطة في العلم والجسم قال والحمد
اعم من الشكر لان الشكر لا يقال الا في مقابلة النعمة والحمد يقال
في مقابلة النعمة وغيرها تقول حمدته لاحسانه الي وحمدته لعلمه
وشكرته لاحسانه الي فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا وكل حمد
مدح وليس كل مدح حمدا انتهي وقال ابن الانباري هو مقلوب
من المدح فالحمد ثنا علي ما هو به من اوصاف الجلال والكمال
والشكر ثنا علي ما هو منه من اوصاف الانعام والافضال
والحمد يشملهما انتهي وقال بعض المفسرين الحمد والشكر كل واحد
منهما اعم من الاخر من وجه وذلك لان الحمد هو ذكر الشخص

باوصافه

باوصافه الجميلة والشكر هو المكافاة علي الاحسان اما بذكره باوصافه
الجميلة والشكر او بفعل يقوم مقامه بالقلب او باعتقاد انه
المحسن فبعض انواع الشكر حمد وهو الثنا باللسان وبعض انواع
الحمد شكر وهو الثنا عليه باوصافه الجميلة لاحسان سبق
وبعض انواع الشكر ليس حمدا وهو المكافاة علي الاحسان بفعل
القلب والجوارح وهذا هو حقيقة الاعم من وجه واما الحمد
والمدح فهما مترادفان والثنا اعم منهما لانهما لا يكونان
الا في الخير اما اثبات صفات كمال او سلب صفة نقص والثنا قد
يكون في الخير والشر وقال الطبري الحمد والشكر بمعني واحد قال
ابن عطية وهو غير مرضي وقيل الشكر ثنا علي الله تعالي بافعاله
وانعامه والحمد ثنا علي الله تعالي باوصافه وهذا اصوب من الذي
قبله التنبيه علي فضيلة الحمد روي ابو محمد عبد الغني بن سعيد
الحافظ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وابي سعيد الخدري
عن النبي عليه السلام قال اذا قال العبد الحمد لله قال الله تعالي
صدق عبدي الحمد لي وروي مسلم عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي ليرضي عن العبد
ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها وروي
ابن ماجة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم ما انعم الله علي عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان الذي اعطي
افضل مما اخذ وفي نوادر الاصول للترمذي عن انس قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لو ان الدنيا كلها بحذافيرها في

يد رجل من امتي ثم قال الحمد لله كانت الحمد لله افضل من ذلك فسره
الترمذي قال لان الدنيا كلها فانية وهذه الكلمة من الباقيات
الصالحات وروى ابن ماجة عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حدثهم ان عبدا من عباد الله قال يا رب
لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت
بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا الى السما فقالا يا ربنا
ان عبدا من عبادك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال
الله وهو اعلم بما قال عبده ماذا قال عبدي قالا يا ربنا انه قد
قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك
فقال الله لهما اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فاجزيه بها
وفي الصحيح والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن
او تملأ ما بين السماء والارض قال ابن عطية واختلف العلما ايهما
افضل قول العبد الحمد لله رب العالمين او قول لا اله الا الله
فقالت طايفة قول العبد الحمد لله رب العالمين افضل لان في
ضمنه التوحيد الذي هو لا اله الا الله ففي قوله الحمد لله توحيد
وحمد وفي قوله لا اله الا الله توحيد فقط. واحتجوا بما روي
من حديث ابي هريرة وابي سعيد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله كتبت له عشرون حسنة
وحط عنه عشرون سيئة ومن قال الحمد لله رب العالمين
كتب له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة وقالت
طايفة لا اله الا الله افضل لانها تدفع الكفر والاشراك وعليها

يقاتل

يقاتل الخلق وقال عليه السلام مفتاح الجنة لا اله الا الله قال
ابن عطية بعد ان اختار هذا القول واكد ذلك قول النبي
صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي
لا اله الا الله وحده لا شريك له انتهى وقال ابن عباس
رضي الله عنهما الحمد لله كلمة كل شاكر وان آدم عليه السلام
قال حين عطس الحمد لله وقال الله تعالى لنوح فقل الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين وقال ابراهيم الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق وقال في قصة داود
وسليمان الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
وقال لنبيه وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى وقال اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال
شقيق بن ابراهيم تفسير الحمد لله على ثلاثة اوجه احدها اذا
اعطاك الله شيا تعرف من اعطاك والثاني ان ترضى بما
اعطاك والثالث ما دام قوته في جسدك ان لا تعصيه
فهذه شرايط الحمد الرب من التربية والتربية تبليغ الشي الى
كماله على التدريج وقال ابن عيسى المفسر الرب المالك المستحق من
كل وجه يصح تملكه منه ويستعمل لغير الله مضافا ولا يجوز
استعماله مطلقا الا لله والرب السيد والرب المالك ايضا
العالم عند الزجاج اسم لما خلقه الله تعالى في الدنيا والاخرة
وقيل العالم الدنيا وما فيها قال ابن عباس العالمون الملايكة

والجن والانس وقيل العالمون اسم للعقلاء وغيرهم من السموات
والارض وما فيهما جمع جمع السلامة للمشاركة وقيل العالم اسم
لاشياء مختلفة لا واحد له من لفظه واشتقاقه من العلم وقيل
من العلامة وقيل اهل كل زمان عالم قال الله تعالى وفضلناهم
على العالمين اى عالمي زمانهم كذا في تفسير تاج القراء وفي تفسير
الفاتحة للامام ابي العباس الاقليشي رحمه الله وقيل كل جنس
ونوع وقيل كل ما سوى الله فاذا جمعت الكل قلت عالمين ثم
اضفت ذلك الى الله تعالى فقلت رب العالمين او قالوا العالمين
فقد اتيت بكل موجود ابدعه الله تعالى في الوجود من ذروة
العرش الى قاعدة الثرى فاذا نظر العبد في العوالم المصنوعة
استدل على ان لها صانعا ومبدعا ابدعها وهو ربها والهها

وفي كل شيء له شاهد • يدل على انه واحد

وعوالم الله سبحانه لا تحصى كثرة ولا يعلم عدتها الا هو سبحانه
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله ثمانية عشر
الف عالم الدنيا منها عالم واحد والدنيا بالاضافة الى الاخرة
كنقطة في البحر • وقد قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة
الا كما يضع احدكم اصبعه السبابة في اليم فلينظر بما ترجع
وقد جعل الله سبحانه وتعالى الجنة على عظمها تحت العرش
والعرش سقفها والعرش من عوالم الله سبحانه وتعالى لعظمة
ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه العزيز فقال رب العرش العظيم
ورب العرش الكريم • وقد اخرج البزار في مسنده عن ابي ذر قال قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي الا
كحلقة ملقاة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة
على الحلقة وروى عطا عن ابن عباس قال خلق الله العرش
من لؤلؤة صفراء تتلون كل يوم الف مرة وخلق حول العرش ثمانية
الف سرادق من جوهرة كل سرادق مسيرة الف عام كل يسبح الله
تعالى ويقدسه وفي رواية مقاتل بن سليمان جعل الله جل
جلاله للعرش اربعة اركان وجعل بين كل ركن وركن وجوها
لا يعلم عددها الا الله سبحانه وتعالى اكثر من نجوم السماء وتراب
الارض وورق الشجر وليس لطول العرش ولا لعرضه منتهى يعلمه
احد الا الله جل جلاله وتحت العرش الماء الذي قال الله تعالى
فيه وكان عرشه على الماء وهو بحر عظيم لا يعلم مقدار عظمته
الا الله تعالى وقد اخرج ابو داود في سننه من حديث جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث
عن ملك من حملة العرش ما بين شحمتي اذنه الى عاتقه مسيرة
سبعمائة عام وقال عبد الله بن عمر حملة العرش ثمانية ما بين
مقدم عين احدهم الى مؤخره مائة سنة وبين ملائكة حملة الكرسي
وملائكة حملة العرش سبعون حجابا من ظلمة وسبعون
حجابا من ثلج وسبعون حجابا من نار غلظ كل حجاب خمسمائة عام
ولولا ذلك لاحترقت ملائكة الكرسي من نور ملائكة العرش
ومناكب الذين يحملون العرش ناشبة في العرش ولكل واحد منهم
اربعة اوجه وجه امامه ووجه خلفه ووجه عن يمينه ووجه عن

يساره ومابين الوجوه الى الاقدام عيون تطرف في الجسد كله والاقدام
ناشية في اسفل الارضين واخرج الترمذي عن ابي ذر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها قدر اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا لله تعالى لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات
تجأرون الى الله عز وجل انتهى ما نقله من كلام الاقليشي قال المولف
رحمه الله قيوم السموات والارضين القيوم قال ابو عبيدة القايم
الدايم الذي لا يزول وقال الزجاج القايم بامر الخلق وقيل
القايم بالاشياء كما تقول هذا يقوم بهذا الكتاب اي هو عالم
به ووزنه فيعول من قام وفيه اربع لغات قيوم بتشديد اليا
وقيوم بالهمز وقيم وقيام وفي قراة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الحي القيام وفي صحيح مسلم اللهم لك الحمد انت قيام السموات
قال القشيري ومعنى القيوم في وصفه انه المدبر والمتولي لجميع الامور
التي تجري في العالم قال الله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت
ثم قال فمن عرف انه القيوم بالامور استراح عن كد التدبير
وتعب الاشتغال وعاش براحة التفويض فلم يضن بكريمة
ولم يجعل للدنيا بقلبه كبير قيمة يحكى عن الطرماح انه قال
كنت مع الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهما اذ جاءه
سايل فسأله شيئا فاعطاه نعليه فقلت يا ابن بنت رسول
الله الله اولى بعباده فقال اسكت يا طرماح فانا استحي
من

من الله ان اساله فيعطيني ثم لا اعطي من لا يسالني وحكي عن
بعضهم انه قال من اهتم للخبز فليس له عند الله قدر وانما
قال ذلك لانه اذا علم ان القايم بتدبير الامور لا ينبغي له ان يهتم
للخبز ولا لغيره ولهذا قيل من صح توكله في نفسه صح توكله في
غيره وقال الاكابر ان جميع كرايم الدنيا والعقبى عند الله اقل
من تبنة عند سلطان ومن سال من سلطان الاوقات
يهب منه تبنة واحدة فقد صغرت همته وفي هذا المعنى
ما حكي عن الشيخ عمر البسطامي تلميذ الشيخ ابي يزيد انه قال كنت عند
ابي يزيد فقال لي ان وليا من اولياء الله تعالى ياتي يمر بنا
فقم بنا نستقبله فخرجنا فلما وافى باب بسطام اذا بابراهيم ا
بن شبة الهروي فسلم عليه ابو يزيد وقال له علمت انك تاتي فاستو هبتك
فوهبك مني فقال ابراهيم ولو شفعك في جميع الخلق ما كان
بكثير فانه شفاعة في قطعة طين قال فتحير ابو يزيد من قوله
قال المولف رحمه الله مدبر الخلايق اجمعين المدبر هو الذي
يدبر امر الخلق قال الكواشي يدبر الامر يقضي امر الخلايق برزقهم
في الدنيا وحسابهم في العقبى وقال في القاموس التدبير النظر
في عواقب الامور وفي تفسير ابن عبد السلام يدبر الامر اي يقضيه
وحده او يامر به ويمضيه واذا علم العبد ان له مدبرا يدبر عليه
اي قاض يقضي عليه وحده ويمضي عليه القضا وحده فلا توقدير
يطمع العبد بتدبير نفسه بل يسال الله حسن التدبير
اي حسن القضا كما قال

يا من يعول في المشكلات على ۝ ما يراه وما دبره

اذا اشكل الامر فارتاب الى ۝ من يري منه بلم نره

نكن بين عطف يقيك المخوف ۝ ولطف يهون ما قدره

اذا كنت تجهل عقبى الامور وما ۝ لك حول ولا مقدره

ففيم العنا وعلى ما الاسى ۝ وثم الحذار وفيم الشره

قال المولف رحمه الله باعث الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
الى المكلفين لهدايتهم وبيان شرايع الدين بالدلايل القطعية
وواضحات البراهين نبه الله تعالى على بعث الرسل بقوله كان
الناس امة واحدة اي على الكفر في احد التاويلات فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين اي مبشرين لمن اطاعه بالجنة
ومنذرين لمن عصاه بالنار وقال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لئلا يقول المكلفون
يوم القيامة انا ركبت فينا الشهوات وسلط علينا الهوى فلو
ذكرنا مذكرا و نبهنا منبه على حسن الطاعة وضرر المعصية لانقدنا
اليه فاراد الرب سبحانه وتعالى ان يقطع الاعذار ببعث الرسل
وانزال الكتب فبعث الرسل مبشرين ومنذرين وايدهم
بالمعجزات القطعية لئلا يدعي هذا المنصب الكريم كل مبطل
زعيم ولعلمه تعالى بانكار المنكرين وقولهم ما هذا الا بشر مثلكم
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فاتاهم بالمعجزات
فجعل لكل نبي معجزة باهرة لجنس ما يدعيه اهل زمانه كما اتى موسى
عليه السلام لما بعثه في زمن السحرة بالعصا التي تلقفت ما افكوا

فعلم

فعلم السحرة ان هذه معجزة ليست من جنس السحر وانت مع العالم
مستريح ومع الجاهل تعبان واول من امن به هم لعلمهم الجازم
المطابق ان هذا الذي جاء به ليس من جنس ما يعرفونه من السحر
والمخرقة فهولاء قد انتفعوا بعلم السحر فاياك وان تعادي شيا
من العلوم وبعث الله عبده المسيح عليه السلام في زمن
الغالب على اهله الطب فجاءهم بابراء الاكمه والابرص واحيا
الموتى فبهرهم بما جاء به وبعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
في زمان الغالب على اهله الفصاحة فاتاهم بالقران العظيم
المعجزة الكبرى الذي حير الالبا واخرس الفصحا وقهر البلغا
فلم يتصدر للاتيان بما يوازيه او يدانيه احد من فصحايهم ولم
ينهض بمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغايهم فعلمنا انه
قول خالق القوى والقدرة ولا يشبهه قول البشر الى غير ذلك
مما اتاه الله تعالى من الايات واين من المعجزات الباهرات
قال المولف رحمه الله احمد على جميع نعمه واسئله المزيد من
فضله وكرمه واشهد ان لا اله الا الله الواحد القهار
والكريم الغفار الواحد الذي لا قسمة لذاته وانه غير متبعض
القهار الذي هو قهر الخلق فهم مقهورون له لا يتصرفون
الا باذنه كما يصرفهم فيما يصرفهم فيه وقهرهم بالموت وبغير
ذلك من انواع القهر والكريم الذي هو شرف ذاته يقال
فرس كريم اي شريف والكريم ايضا الذي وصفه الكريم
وهو الاحسان والانعام قال الله تعالى الم تروا ان الله

سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة الغفار الغفر في اللغة هو الستر ومغفرة الله تعالى
للعبد ستره وعفوه ومن ايات الرجا قوله تعالى ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
كانه قال من امضى عمره في الزلات وافنى حياته في المخالفات
وابلى شبابه في البطالات ثم ندم قبل الوفاة وجد من الله العفو
عن السيئات لان قوله ثم تقتضي التراخي كانه قال من لم يتب في
الحال ولكن في اخر العمر وقيل ان رجلا كان يقول الهي ابطات
الهي ابطات فهتف به هاتف لم تبطا انما ابطا من مات ولم
يتب وقوله تعالى ومن يعمل سوءا اخبار عن الفعل وقوله ثم
يستغفر الله اخبار عن القول كانه قال الذين زلاتهم حاله
وتوبتهم قاله ولقد سهل عليك الامر رضي عنك بفعاله ولقد
علمت ثم انظر كيف قال في قوله يجد الله غفورا رحيما طلبوا
المغفرة فوجدوا الله قال المولف رحمه الله تعالى واشهد
ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله محمد مفعل من
الحمد يعني انه عليه السلام يحمد الله تعالى كثيرا كما في صفته
نحمده لاهل السما واهل الارض وقال حسان
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
والرسول ما كان من جاء بشرع مبتدا والنبي من جاء بشرع مقررا
والحبيب من احبه غيره فهو محب ومحبوب وحبيب فعيل بمعنى
مفعول والمحبة في الاصل من احب البعير اذا برك ولزم مكانه

فهو

ما عملت

فهو اذ يلزم قلب المحب فلا يبرح منه وقيل صفا بين المتحابين
ماخوذ من قولهم حباب الاسنان لبياضها وصفائها وقيل
غير ذلك ومحبة الله تعالى لعبده مجاز عن ارادته ايصال
الخير والنفع له والخليل هو الذي تخلل القلب كما قال
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا
واجمع اهل الطريق فيما ذكره القاضي ابو المعالي رحمه الله على ان
مقام المحبة اشرف من مقام الخلة فلهذا خص محمد بالحبيب
وذكروا بينهما فروقا منها ان الخليل يانس بذكر خليله وان
بعد كما قال الخليل الذي خلقني فهو يهدين والحبيب ثم
دنا فتدلى والخليل سال فقال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب
قيل له يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والخليل
طمع في المغفرة فقال والذي اطمع ان يغفر لي الاية والحبيب
قيل له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والخليل
طلب ان يذكر اسمه بعده فقال واجعل لي لسان صدق في
الاخرين والحبيب ابتدي بقوله ورفعنا لك ذكرك والخليل
طلب الجنة فقال واجعلني من ورثة جنة النعيم والحبيب
ابتدي بانا اعطيناك الكوثر والخليل اقسم بالله تعالى
فقال وتالله لاكيدن اصنامكم والحبيب اقسم الله به
فقال لعمرك والخليل استرزق فقال وارزق اهله من
الثمرات والحبيب كفي الطلب فقيل له نحن نرزقك وتمام
ذلك مستوفي في كتاب القاضي ابي المعالي رحمه الله تعالى

قال المؤلف رحمه الله تعالى لفضل المخلوقين هذا مذهب الجمهور لقوله
تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم والمسجود له افضل من
الساجد وعلم ادم الاسماء كلها والعالم افضل ممن لا يعلم ذلك واذا
ثبت فضل ادم على الملائكة ثبت فضل محمد صلى الله عليه وسلم لقوله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم وبسط هذا محله اصول الدين
قال المكرم بالقران العزيز المعجزة المستمرة على تعاقب السنين هذا
من خصائص هذا المعجز الكريم الذي استاثر بها على بقية الكتب
المنزلة قال وبالسنن المستمرة المستنيرة للمسترشدين قال عليه
الصلاة والسلام لعل احدكم يتكئ على اريكته ياتيه الامر من امري
فيقول لا ادري ما وجدت في كتاب الله اتبعه الا واني اوتيت القران
ومثله معه قال العلماء القران هو المنزل للاعجاز بسورة منه
او هو الكتاب المنزل على رسولنا المكتوب في المصاحف المنقول عنه
نقلا متواترا بلا شبهة والوحي على قسمين متلو وهو ما سبق ذكره
وغير متلو وهو السنة ثم هي متواترة ومشهورة واحاد وكلها
نور وهدى لمن فتح الله تعالى بصيرة قلبه ورزقه تدبرا فيها
وفهما في كتابه وسنة نبيه فانهما الحق المحض الذي لا شك
فيه فوا عجبا لمن غفلتنا عن النظر في احكام الكتاب والسنة
وشغلنا بما لا يعنينا قال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو
طهرت قلوبنا ما شبعت من كتاب الله تعالى انتهى والقران
والسنة من كلام الله تعالى قال المخصوص بجوامع الكلم وسماحة
الدين للناس كلام في جوامع الكلام وفي البخاري هو جمع المعاني الكثيرة

في

في اللفظ القليل وقوله وسماحة الدين يعني بعث بدين لا حرج فيه
ولا اصر ولا اغلال كما قال بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال
يسروا ولا تعسروا وقال ان هذا الدين يسر واذا نظرت ما كان
على الامم المتقدمة من الاصار والاغلال علمت سماحة هذا الدين
الحنيفي ويسره قال صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر
النبيين والكل وسائر الصالحين صلاة الله على محمد ثناؤه عليه
بين ملائكته وال النبي اتباعه على دينه في المختار وسائر الصالحين
من علم وعمل بعلمه جعلنا الله منهم بفضله فبادر الي لهم
قال النبي صلى الله عليه وسلم في قول المتشهدين في الصلاة والسلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا فعلتم ذلك فقد
سلمتم على كل عبد صالح في السماء والارض فاعل بها منزلة ان يكون
الشخص من قوم يسلم عليهم كل يوم من لا يحصيه الا الله تعالى
من مصل لله فرضا وواجبا ونفلا ومن غير مصل فما اسعد الصالحين
جعلنا الله منهم في الدنيا والاخرة وحشرنا معهم حيث انا لهم فان
المرء مع من احب ما احسن ما نسب الى بعض السلف

احب الصالحين ولست منهم ○ لعلي ان انال بهم شفاعة
واكره من بضاعته المعاصي ○ وان كنا سوا في البضاعة

قال المؤلف رحمه الله **اما بعد** هذه الكلمة قيل انها فصل
الخطاب الذي اوتيه داود عليه السلام ومعناها مهما يكن
من شيء فكذا ولا تستوفي الكلام عليها بمحل غير هذا قال فقد
روينا عن علي بن ابي طالب الى قوله وان كثرت طرقه هؤلاء الفقهاء

رضي الله عنهم ستاتي ترجمتهم متفرقة في اثناء الكتاب وظاهر
سياق المصنف له انه استشهد به على ثواب هذا المفصل الذي
قصده وقد نوزع في ذلك بان المراد بالرواية ان يرويها بالاسناد
وهذا مدفوع فان الشيخ وان ذكر هذه الاحاديث منقطعة
فله بها كلها اسانيد صحيحة متصلة فكل من وصل اربعين
حديثا الى مجمع سامع كان من المكلفين صدق عليه ان روى
له اذا كان له به اسانيد ودخل تحت قوله عليه السلام ليبلغ
الشاهد منكم الغايب قال المولف وقد صنف العلما رضي الله
عنهم في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات فاول من علمته
صنف فيه عبد الله بن المبارك الى اخره هولاء الايمة مناقبهم
مشهورة وفضايلهم ماثورة وقد كنت رايت ان اترجمهم فاذا
الوقت ضيق عن هذا وخشيت ان يصير الكتاب مملا للطول قال
المولف رحمه الله تعالى ثم التزم في هذه الاربعين ان تكون
صحيحة ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم قد يستشكل هذا مع قوله في
بعض الاحاديث حديث حسن والحسن دون الصحيح وقد يجاب
بانه احد قسمي الصحيح لانه حجة يعمل به في الشرع الا انه دون
الاول في الرتبة كالمشهور احد قسمي المتواتر الا انه دونه في الرتبة
وقوله فكل ذلك كل حديث منها قاعدة من قواعد الدين قد
وصفه العلما بان مدار الاسلام عليه او هو نصف الاسلام
او ثلثه يؤيد هذا الذي قلته فانه لولا صحة الحديث لم يكن
بهذه الصفة واشار المولف رحمه الله بهذا الى مثل حديث

انما

انما الاعمال بالنيات ونحوه كما قال بعض السلف

عمدة الدين عندنا كلمات ⁕ اربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ⁕ ليس يعنيك واعملن بنية

وهذا حين الشروع في الكلام على الاحاديث النبوية فالله يتمها بخير آمين

الحديث الاول

عن امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته
الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة
ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه **والكلام** على هذا الحديث من
وجوه الاول قال الشيخ تقي الدين القشيري رحمه الله ابو حفص
عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء المهملة
بعدها ياء ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بفتح الراء المهملة
بعدها زاي معجمة ابن عدي بن كعب القرشي العدوي يجتمع
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لوي اسلم قديما
وشهد المشاهد كلها انتهى قال ابن حزم روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم خمسماية وتسعة وثلاثين حديثا اتفقا
منها على ستة وعشرين وانفرد البخاري باربعة وثلاثين
ومسلم باحد وعشرين وقال الطوفي رحمه الله عمر بن الخطاب
اول من سمي امير المومنين من الخلفا لا مطلقا بل اول من سمي امير
المومنين من الخلفا المسلمين عبد الله بن جحش حين بعثه النبي

صلى الله عليه وسلم في سرية في اول مقدمه المدينة فقال له اصحابه
ما ندعوك فقال انتم المؤمنون وانا اميركم قالوا فانت
اذا امير المؤمنين وفي سيرتهم انزلت يسلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه الابيات وقال ابو الحسن رزين بن معاوية في
ايضاح المنهج لما انصرف المسلمون من جنازة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه صعد عمر رضي الله عنه المنبر فخطب فقال بعد
ما حمد الله بما هو اهله اما بعد ايها الناس فاني لا احملكم
من نفسي امرا تجهلونه انا عمر بن الخطاب قد علمتم انه ما كان
من احد اجسر مني على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامر
اراه والوحي حينئذ ينزل وقد قال نبي عليه السلام ان الله
قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه واني لم احرص على هذا الامر ولا
اردته لكن المتوفى طرحه في عنقي صونا ووددت بعد جهادي اني
اتخلص من جميع ذلك كفافا لا علي ولا لي ثم قال اما بعد فاني
لا احمل من امانتي شياه الى من ليس لها باهل ولو كان من اهلي
ولكن استعين على ما حملني الله منها بمن اعلم منه الرغبة في
التوقير للمسلمين والايثار لاهل الدين وان خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قد مضى وهو الذي استثنى
الله من جميع الخلق بالمدح اذ ذمهم بقوله تعالى الا تنصروه
فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في
الغار وقبض الله رسوله اذ انتهى اذ هما في الغار وقبض الله
ورسوله اذا انتهى اجله وهو عنه راض والله عنه رضي عنه بلغ مقابلة

رسوله

وقف لله تعالى بالجامع الازهر

رسوله راض وقد وصى الي بهذا الامر ولا احرص جهدي في تصديق
فراسته في تولاه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم تاويل شانه
في ثم قال الا وان الرعية مؤدية الى الامام ما ادى الامام
الى الله فاذا ارتع الامام رتعوا فعلم الناس امورا من امر دينهم
ما ياتون ويذرون ثم قال لنبيه وسماهم لا اعرفن احدكم
ياتي شيا مما نهيت عنه المسلمين الا ضعف له العذاب ضعفين
ثم استغفر الله ونزل محمد في امره ففتح العراق كله السواد
والجبال واذربيجان والجزيرة والموصل والشام ومصر والا سكندرية
ووضع الخراج على الارضين ووضع الجزية على جماجم اهل الذمة
فيما فتح من البلدان فبلغ خلافته خراج السواد والجبال
في العراق في العام الاول مائة الف الف وعشرين الف الف في ح
ومصر الامصار والكوفة والبصرة والجزيرة وخطمين لكفا
للقبايل واستقضى القضاة في الامصار ودون الدواوين
وفرض الاعطيات وهو اول من حمل الطعام في السفن من مصر
في البحر الى الجار ثم حمل من هناك الى المدينة وهو مع جميع
ذلك يتحر وقدم عليه ابو موسى في وفد من البصرة فكان
يقدم لهم خبز الشعير اما بسمن او بزيت او لبن او بقدايد
يابسة تدق وتغلى فما كان يطيب للوفد طعامه فقال والله لهم ح
اني لادري تقليلكم وكراهتكم لطعامي اتظنون اني لا احسن طيب
العيش لكني والله اخاف ان تنتقص حسناتي ولولا ذلك
لكنت اطيبكم طعاما وارفعكم عيشا اما والله ما اجهل عن

كراكروا سنة وعن صلاو وصلا يق مع صناب لكني اسمع الله يقول
لقد اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وا ستمتعتم بها فاليوم تجزون
عذاب الهون وقال عبد الله بن عمر اجتمع ناس من المسلمين
لما راوا من شدته وحصره علي نفسه فكلموا حفصة فقالوا
ابي ابوك الا الشدة وقد بسط الله في الرزق فما له لا يبسط
في هذا الفي لعياله ونفسه فاخبرته بذلك فقال لها نصحت
قومك وغششت اباك اما تذكرين ما كان رسول الله صلي
الله عليه وسلم بلغني من شدة العيش وانه ما شبع من خبز
بر ثلاثة ايام حتي لحق الله وانه ما كان ينبسط بالغدا الا
اضر بالعشا وانه كان يمر الشهر والاثنان وما توقد في ابياته
نار ثم تبعه ابو بكر علي منهاجه فما زال يكررها وهي تبكي حتي
كادت كبدها ينفطر فاقسمت عليه ان يسكت ثم قال اي والله
اي بنية ان استطعت لاشاركهما في حالهما الشديد لعلي ان
انال عيشهما الرخي ولعلمي انه انما خلق نفسي واهلي في ذمتي
ومالي الا في ديني وامانتي وكان يكتب الي عماله في البلدان
الله الله اكتبوا الي بما يبلغكم عني واستقصوا علي ذلك اذا
وافيتموني بالموسم فكتب اليه بعض امرايه بلغنا عنك انك اتخذت
ثوبين قميصا وجبة وانك اكلت بادامين خل وزيت فكتب
اليه اخزاكم الله عني خيرا اما الثوبان فليبرد بشديد
اعتزالي واما الادمان فوالله لاجمعتهما ابدا لنفسي وكان
يكتب للناس اني لم استعمل عليكم عمالي ليضربوا ابشاركم ويشتموا

اعراضكم

اعراضكم وياخذوا اموالكم ولكن ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم
فمن ظلمه عامله بمظلمة فليرفعها الي اقصه منه فرفع اليه رجل
في عمرو بن العاص فقال عمرو انما اذيته لتركه ادب الله افتقصه
مني فقال عمر وما لي لا اقصه منك وقد رايت رسول الله صلي
الله عليه وسلم يقص من نفسه قال فدعني افتدي منه لكل
ضربة ضربته بدينارين وهذا من تمام عدله رضي الله عنه
ونظير ذلك ما ذكره الحافظ ابو محمد ابن حزم في المحكي عن ابي زرعة
ابن جرير ابن عبد الله البجلي ان رجلا كان مع ابي موسي الاشعري
وكان ذا صوت ونكاية في العدو فغنموا فاعطاه ابو موسي
الاشعري بعض سهمه فابي ان ياخذه الا جميعا فضربه عشرين
صوتا وحلق راسه فجمع شعره ورحل الي عمر فدخل عليه قال
جرير ابن عبد الله وانا اقرب الناس مجلسا من عمر فاخرج
شعره فضرب به صدر عمر وقال اما والله لولا فقال عمر لولا
ماذا اصدق والله لولا النار فقال كنت ذا صوت ونكاية في
العدو ثم قص قصته علي عمر فكتب عمر الي ابي موسي ان فلانا
قدم علي فاخبرني بكذا وكذا فان كنت فعلت ذلك فعزمت عليك
ان كنت فعلته مثلاه من الناس فقص به وان كنت فعلت به في خلاء
لما جلست له في خلاء حتي يقتص منك فقال له الناس اعف عنه
فقال لا والله ولا ادعه لاحد فلما قعد ابو موسي للقصاص
رفع راسه للسما فقال اللهم قد عفوت عنه انتهي قال ابو محمد
يعني ابن معاوية رئي عمر يوما يهنا جربا الابل من الصدقة وقد

لبس نطعا واحتزم فيه ويدخل يده في دبرة البعير ويقول
والله اني لخايف ان اسال عنك وروي ان جماعة العشرة
ارسلوا ابن عوف الي عمر ليكلمه ان يلين جانبه شيا للناس
فاخبره فقال والله لقد الين للناس لينا حتي اني لاخشي
الله في اللين ولقد اشتد في امر الله حتي اخشي في الشدة فاين
المفر فاق لها يعني الامارة فقال عبد الرحمن بل والله اف
لنا بعدك مرتين وذهب وهو يكررها وعمر رضي الله عنه اول
من عس ليلا في الحضر في الاسلام علي عامة الناس وبينما هو
ليلة يعس اذ سمع امراة تقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه • وارقني اذ لا خليل الاعبه
فوالله لولا الله تخشي عواقبه • لحرك من هذا السرير جوانبه
ولكن تقوي الله عن ذا تصدني • وحفظا لبعلي ان تنال مراتبه

فرجع في الليل الي منزله وقد علم ان زوجها مكتتب في الجهاد فارسل
الي اولئك الجند فاتوا حجمهم وبينا هو ليلة اخري يعس اذ سمع
امراة تقول • هل من سبيل الي خمر فاشربها • ام هل سبيل الي نصر بن حجاج
فلما اصبح سال عنه فاذا هو من بني سليم فقال لا تكون في بلد انا بها
فارسله نعطا الي البصرة وقال لولا اني اعلم سلا منكما احلد نكما
وكانت الدرة لا تفارقه وكان اهيب في قلوب الناس
ممن كان بعده وبينا هو يعس ليلة اذ سمع صبية يبكون
وامهم قدادوقد تحت قدر وتقول لهم حتي ينضج ما في البرمة والبرمة
وفيها شي انما فيها ما فطمع عمر ان يسكتوا فما سكتوا وطمعت

هي

هي ان يناموا فما ناموا فاستاذن عمر رضي الله عنه عليها وقال
اما تفرغين وتطعميهم فقالت ما في البرمة الا الماء وانما اردت
عسي ان يناموا فخرج من عندها وجاء الي البيت وحمل في غرارة
دقيقا وشحما وشيا من ثياب ونفقة وجاء يحمله علي رقبته
ثم قال انحي عني فنفخ النار والدخان يتخلل لحيته فقالت
امهم انا اكفيك فقال والله لا ابرح حتي اسمعهم يضحكون
كما سمعتهم يبكون فاوقد وجعل لهم عصيدة واذاب من الدهن
وسطها واطعمهم منها حتي شبعوا ثم حول صوف فروته الي خارج
ولبسها ومشي بين ايديهم كانه شاة والصبية يتعلقون به
وحكي لهم صوت المعز الي ان ضحكوا الكل وخرج رضي الله تعالى
عنه وكان يحج كل عام في خلافته ويعتمر في رجب وقالت عائشة
رضي الله عنها وقد رات فتيانا يمشون رويدا ويتكلمون
رويدا فقالت ما هولاء فقيل لها هم نساك فقالت والله عمر
كان ناسكا حقا وكان اذا تكلم اسمع واذا مشي اسرع واذا ضرب
اوجع وانكر سائر الصحابة الائمة يتحلون الورع وكان لا يعرف
فيه البر حتي يفصل او يقول ما كان شيا وقالت لله در ابي
في فراسته فيه حتي انا ساس الدين فنعشه لله در ام حملت
به ودرت عليه لقد جادت به شيحا وحد ذبح الكفرة وفجها
وشره سبل الشيطان شد رد وقطعها وبعج الارض
فنجعها حتي فات كلها ولفظت خبيها ثم لم تزل تتصدي
له وتابي منها ما كان فكان كما قيل

اذا اردت شريف الناس كلهم • فانظر الى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حسنت في الناس سيرته • وذاك يصلح للدنيا وللدين
ومن مناقبه ان وافق الله عز وجل في كثير من القران وفي صفوة
الصفوة لابن الجوزي قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم
قبل ان تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا فانه اهون عليكم
في الحساب غدا ان تحاسبوا اليوم وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال للاحنف بن قيس يا احنف من
كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف
به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن
قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وقال وديعة الانصاري ركب
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول وهو يعظ رجلا لا تتكلم
فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا
امين الا من يخشى الله تعالى ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره
ولا تطلعه على سرك ولا تشاوره في امرك الا الذين يخشون ربهم
عز وجل ومن كلامه كثروا العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون
من لم يعرف الشر كان اجدر ان يقع فيه ما الخمر باذهب لعقول
الرجال من الطمع لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وامر
ذوي القرابات ان يتزاوروا ولا يتجاوروا الى الله اشكو ضعف
القوي وخيانة الامين ما عاقبت احدا عصى الله فيك بان تطيع الله
من طاعتك لله تعالى فيه واحمل امر اخيك على احسنه ولا تظن
بكلمة خرجت من مسلم شرا وانت تجد لها في الخير موضعا وقال اول

بسم

بسم اوله رحلة منه الموت وقال رضي الله عنه اللهم قد ضعفت
قوتي وكبر سني وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك غير مضيع ولا
مقصر فما جاوز له حتى قبض رضي الله تعالى عنه ذكره مالك
في الموطا وقال ابو محمد رزين لما دنى اجل عمر رضي الله عنه قام
وخطب ثم قال اني رايت كان ديكا نقرني واني لا اراه الا حضور
اجلي وان اقواما يامرونني ان استخلف وان الله تعالى لم
يكن ليضيع دينه ولا الذي بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم
فان عجل بي امر فالخلافة شورى بين ستة الذين توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وشهد لهم بالجنة
يريد عثمان وعليا وطلحة والزبير وسعد وابا عبيدة فقالوا
الله الله يا امير المومنين استخلف فقال اتحمل امركم حيا وميتا
لا افعل فلما ضربه غلام المغيرة بالسكين اجتمعوا اليه فقالوا
اوصنا فقال اوصيكم وتقي بتقوى الله العظيم وانه قد سنت
لكم السنن وفرضت لكم الفرايض وتركتم على الواضحة ليلها كنهارها
ودخل عليه رجل من شباب قريش فوجده يتمرغ كتمرغ الحية
وهو يقول لنفسه ويحك يا ابن الخطاب بماذا تجاوب ربك
اذا قال لك ماذا عملت فيما وليت فقال له الرجل ابشر يا امير
المومنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الاسلام وقد بشرك رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجنة وقال اللهم اجعل الحق على لسان عمر وقلبه وقد سمعناه
يقول اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي شم

وليت فعدلت ثم شهادة البشر يا امير المومنين فرفع راسه اليه
وقال كيف قلت يا ابن اخي فاعاد عليه مقالته فقال عمر رضي
الله عنه راغب وراهب المغرور من غررتموه والله لو ان لي
ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ثم قال لابن
عبد الله بن عمر فقال انظر ما علي من الدين فحسبوه فقال
ان وفى له مال آل عمر فاده من اموالهم وقيل ان ذلك الدين
استلفه من مال الله تعالى ليصلحه لضيافة الوافدين الذين
يقدمون اليه من البلدان ثم خرج الغلام الذي كان بشره
فراه يجر ثوبه فقال له يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك
وانقى لربك ثم قال يا عبد الله اذهب الى ام المومنين عايشة
رضي الله عنها فقل لها عمر يقرئك السلام ويقول لك اتاذنين
له ان يدفن مع صاحبه في بيتك ولا تقل امير المومنين فاني
لست لهم اليوم بامير فذهب فاذنت له فرجع فاخبره فقال
اذا مت فاستاذن ثانية فان اذنت والا فردني الى مقابر المسلمين
فانها لعلها ان تكون قد استحيت في حياتي وروي انه لما طعن
دخل الى بيته فدعي بقدح من لبن فشربه فنزل من جراحته فعلم
انه يموت لا محالة فدخل عليه عبد الرحمن فقال الصلاة يا امير
المومنين فقال نعم ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة
فقام وصلى وجرحه يثعب اي يقطر دما فلما توفي وجي به وكان
على الروضة فقيل فبينا عبد الله يريد ان يستاذن او هو يستاذن
اذ سمعوا انفتاح القفل من غير ان يفتحه احد وقايلا يقول

من

من الروضة ادخلوه فدفن وكانت عايشة رضي الله عنها
رات في المنام كان ثلاثة اقمار سقطن في حجرتها فقصتها
على ابي بكر فقال لها خير اريت وخير يكون ساخبرك بها
ولكن فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في حجرتها
قال لها اي بنية هذا احد اقمارك وهو خيرها فلما مات
هو قال لها وهذا الثاني والذي بعد ثالثهما فكان عمر
رضي الله عنهم اجمعين **ولي الخلافة** عشر سنين وخمسة اشهر
وقتل وهو ابن ثلاث وستين سنة وذلك سنة ثلاث وعشرين
ومناقبه كثيرة افردها ابو الفرج كتابا وانما ذكرت منها
هذه الزبدة ليقتدي بها اهل الفضل والتقوى والله تعالى
الموفق والمعين على الخير **الوجه الثاني** قال الاشبيلي هذا
الحديث مجمع على صحته وجلالته رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفرد به عن جميع الصحابة
ورواه عن عمر علقمة بن وقاص الليثي فتفرد به عن علقمة محمد — (في الهامش: غير وتفرد به)
ابن ابرهيم التيمي وتفرد به عنه يحيى بن سعيد الانصاري ومدار ه
عليه وهو تابعي صغير سمع انسا والسايب بن يزيد وغيرهما
وروى عنه جماعة من التابعين **واتفق** العلماء على جلالته
وعدالته وحفظه واتقانه وورعه ورواه عن يحيى اكثر من
مايتين اكثرهم ثقاة ائمة فهو حديث مشهور بالنسبة
الى اخره غريب بالنسبة الى اوله وبعض الناس زعم انه متواتر
وليس كذلك لفقد شروط التواتر في اوله ولكنه صحيح مشهور

وقال الطوفي اشتهر عن يحيي حتي رواه ايمة الحديث السبعة
البخاري ومسلم واحمد وابو داود والترمذي والنسايي وابن ماجة
وغيرهم من اصحاب الاسانيد حتي صار شبيها بالمتواتر
الوجه الثالث قدم المصنف هذا الحديث لتعلقه
بالطهارة ولعله امتثل قول من قال من المتقدمين
انه ينبغي ان يبتدي به في كل تصنيف ووقع موافقا لما
قال وقال الاشبيلي كان المتقدمون من المشايخ
يستحبون تقديم هذا الحديث امام كل شي ينشا ويبدا
من امور الدين لعموم الحاجة اليه وقال الامام الشافعي رحمه
الله تعالي يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه
وفي رواية اخري قال يدخل هذا الحديث ثلث العلم وقال
البيهقي رحمه الله تعالى معناه ان كسب العبد انما يكون
بقلبه ولسانه وجوارحه فالنية احد الاقسام الثلاثة
وهي ارجحها لانها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين
الاخيرين ولذلك كانت نية المومن خير من عمله ولان القول
والعمل قد يدخلهما الفساد بالريا بخلاف النية والله
تعالى اعلم **الوجه الرابع** قال الشيخ تقي الدين القشيري
رحمه الله تعالي كلمة انما للحصر علي ما تقرر في الاصول قال
ابن عباس رضي الله عنهما انهم الحصر من قوله عليه السلام
انما الربا في النسية وعورض بدليل اخر يقتضي تحريم ربا
الفضل ولم يعارض في فهمه الحصر وفي ذلك اتفاق على انها

الحصر

للحصر ومعني الحصر فيها اثبات الحكم في المذكور ونفيه عما
عداه وهل نفيه عما عداه مقتضي موضوع اللفظ او هو من
طريق المفهوم فيه بحث ثم قال الثالث اذا ثبت انها للحصر
فتارة تقتضي الحصر المطلق وتارة تقتضي حصرا مخصوصا
ويفهم ذلك بالقراين والسياق كقوله تعالي انما انت منذر
وظاهر ذلك الحصر للرسول عليه السلام في النذارة والرسول
صلي الله عليه وسلم لا ينحصر في ذلك بل له اوصاف جميلة
كثيرة كالبشارة وغيرها ولكن مفهوم الكلام يقتضي حصره في
النذارة لمن لا يومن ونفي كونه قادرا علي انزال ما يشا الكفار
وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر مثلكم يوحي
الي وانتم تختصمون الي معناه حصره في البشرية بالنسبة الي
الاطلاع علي بواطن الخصوم لا بالنسبة الي كل شي فان للرسول
صلي الله عليه وسلم اوصافا كثيرة وكذلك قوله تعالي انما الحياة
الدنيا لعب ولهو وهو يقتضي والله اعلم الحصر باعتبار من
اثرها واما بالنسبة الي ما هو في نفس الامر فقد تكون سبيلا الي
الخيرات او يكون ذلك من باب التغليب للاكثر في الحكم
علي الاقل فاذا وردت لفظة انما فاعتبرها فان دل السياق
والمقصود من الكلام علي الحصر في شي مخصوص فقل به وان لم
يدل علي الحصر في شي مخصوص فاحمل الحصر علي الاطلاق ومن هذا
قوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات والله اعلم
بالمراد انتهي وقال الطوفي انما تقتضي تاكيد الحكم الواقع بعد

اتفاقا فاما الحصر وهو اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه
ففيه للاصوليين اقوال ثالثها انها تقتضيه عرفا لا وضعا
حجة الحصر مطلقا من وجوه **احدها** انها وردت في كلامهم
والمراد بها الحصر فوجب ان تكون حقيقة فيه اذ الاصل في
الاطلاق الحقيقة **الثاني** انها وردت في غالب مواردها
للحصر فوجب ان تكون موضوعة له حملا لها على غالب مواردها
الثالث انها مركبة من ان التي هي للاثبات وما التي هي
للنفي فاقتضت انما نفي الحكم عما بعدها واثباته لغيره وهو
باطل اجماعا او اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عن غيره والمطلوب
واعترض على الاول بانها وردت لغير الحصر فوجب ان تكون
حقيقة فيه لغيرها ما ذكرتم وعلى الثاني بمنع انها في غالب مواردها
للحصر سلمناه لكن لا نسلم ان ذلك يوجب انها موضوعة
للحصر لجواز غلبة الاستعمال في غير ما وضعت له وعلى الثالث
بانا لا نسلم انها مركبة من ان وما بل هي كلمة موضوعة من اصلها
لذلك من غير تركيبه سلمناه لكن لا نسلم ان ما فيها المنفي
اذ لها معان غير ذلك فتخصيص النفي هنا تحكم سلمنا انها
النافية لكن لا نسلم ان معنى مفرديها اعني ان وما بعد التركيب
معناهما قبله لان التركيب يغير معاني المفردات نحو لولا فانها
مركبة من لو ولا وليس معناها معنى واحد حجة القائلين
بعدم الحصر من وجوه **احدها** انها وردت لغير الحصر كثيرا
فلتكن حقيقة فيه كما سبق **الثاني** انا اذا قلنا انما قام زيد

حسن

حسن ان يقال فهل قام عمرو ولو كانت للحصر لما حسن هذا الاستفها
لانه استعلام المعلوم وتحصيل الحاصل **الثالث** لو كانت للحصر
لاستوى قولنا انما قام زيد وقولنا ما قام الا زيد لكنهما
لا يستويان اذ الثاني اقوى من الاول **الرابع** ان اسامة ابن
زيد روى انما الربا في النسيئة ولم ينحصر الربا فيها بل هو ثابت
في التفاضل والجواب عن الاول بالمعارضة بما سبق
وعن الثاني بانه انما حسن الاستفهام لاحتمال انها
استعملت في غير الحصر مجازا لا لانها ليست لمقتضى الحصر
وعن الثالث بالتزام استواء الصيغتين في الحصر
ولئن سلمنا تفاوتهما فيه لكن لا نسلم انها ليست للحصر لجواز
ان للحصر قدرا مشتركا استويا فيه واختصت احداهما بمزيد
قوة فيه كما اشتركت السين وسوف في معنى التنفيس وكان سوف
اكثر تنفيسا لكثرة حروفها فكذلك ما قام الا زيد اكثر
حروفا من انما قام زيد ولان الحصر في انما قام زيد معنوي وفي
ما قام الا زيد لفظي للتصريح فيها بما والا جمعا بين النفي والاثبات
للمطابقة وعن الرابع ان ابن عباس من اهل اللسان
وقد فهم من حديث اسامة الحصر وقال به وانما ثبت الربا في
في التفاضل عند من ذهب اليه بادلة اخر ناسخة لمفهوم الحصر
في حديث اسامة كما نسخ حديث عائشة ونحوه في التقاء الختانين
مفهوم حديث انما الماء من الماء حجة القائلين
باقتضائها الحصر عرفا لا وضعا ان الواضع غائب عنا وعليه

من الشبهة ما سبق فلا يثبت بالشك اما في عرف الاستعمال
فنحن نجدهم يبادرون عن ارادة الحصر الى انما كما يبادرون
الى تصريح النفي والاثبات بما كان الا كذا نحو قوله
انما الذايد الحامي الذمار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي
كقوله ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر
وقوله عز وجل انما تجزون ما كنتم تعملون كما قال عز وجل
وما تجزون الا ما كنتم تعملون وانما الحكم لله كما قال وما من
اله الا الله وهو كثير فثبت انها للحصر بعرف الاستعمال قلت
الاشبه ان انما ليست للحصر مطلقا لقوله عليه السلام
ما من نبي من الانبيا الا وقد اوتي من الايات ما مثله امن
عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا فلو كانت انما للحصر
لانحصرت ايات النبي عليه الصلاة والسلام ومعجزاته
في الوحي وانتفى غيره باقوال النبي صلى الله عليه وسلم للحصر
ما في القران فكنا نحتاج في اثبات غيرها من المعجزات
بعد ذلك الى نقيضه لان الخصم يقول لنا انتم تثبتون
لنبيكم من الايات ما هو مصرح بنفيه ومن المعلوم ان من
نفى ما يثبته لم يسمع منه بعد ذلك اما اذا جعلت انما للاثبات
المؤكد لا يلزم هذا السوال لانا نقول انما اراد النبي صلى
الله عليه وسلم بهذا الكلام اثبات الوحي لا نفي ما عداه وقد
ثبت له غيره من الايات ما لا يحصى وهو عليه السلام غير
منكر له فيجب القول بثبوته انتهى وقال بعض المتاخرين بعده

اختار

اختار الامدي انها لا تفيد الحصر بل تفيد تاكيد الاثبات وهو الصحيح
عند اكثر النحويين ونقله الشيخ ابو حيان في شرح التسهيل
عن البصريين والله اعلم **الوجه الخامس** قال الشيخ تقي
الدين ما يتعلق بالجوارح وبالقلوب هل يطلق عليه عمل ولكن
الاسبق الى الفهم تخصيص العمل بافعال الجوارح وان كان ما يتعلق
بالقلوب فعل القلوب ايضا ورايت بعض المتاخرين من اهل
الخلاف خصص الاعمال بما لا يكون قولا واخرج الاقوال من ذلك
وفي هذا عندي بعد وينبغي ان تكون لفظ العمل يعم جميع
افعال الجوارح نعم لو كان تخصيص بذلك لفظة الفعل
كان اقرب فانهم استعملوها متقابلين فقالوا الافعال والاقوال
ولا تردد عندي في ان الحديث يتناول الاقوال ايضا انتهى ولعل
من خصص الاعمال بالافعال يستدل له بقوله عليه السلام حكاية
عن ربه عز وجل اخرجوا من النار من لا عمل خيرا قط واجمعوا
على انه لا يخرج من النار الا نفس نطقت بالتوحيد فدل ذلك
على ان العمل لا يتناول القول فتامله **الوجه السادس**
قال الشيخ تقي الدين قوله عليه السلام الاعمال بالنيات
لا بد فيه من حذف مضاف واختلف العلما في تقديره فالذين
اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال بالنيات او ما يقاربه
وقد رجح الاول بان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من الكمال
فالحمل عليها اولى لان ما كان الزم للشي كان اقرب الى خطوره
بالبال عند اطلاق اللفظ فكان الحمل عليه اولى وكذلك قد

يقدرونه انما اعتبار الاعمال بالنيات وقد قدر ذلك بعضهم
بنظاير من المثل كقولهم انما الملك بالرجال اي قوامه ووجوده
وانما الرجال بالمال وانما الرعية بالعدل كل ذلك يقدر فيه
يراد به ان قوام هذه الاشيا بهذه الامور انتهي وقال
الطوفي الاعمال مبتدا وبالنيات متعلق بالخبر المحذوف واختلف
فيه فمنهم من قدره بالصحة اي الاعمال صحيحة او جايزة بالنيات
فتنحصر صحتها وجوازها فيما اذا كانت منوية فيقتضي ان
لا يصح عمل الا بنية الا بدليل مخصص ومنهم من قدره بالكمال
اي الاعمال كاملة بالنيات فيكون المحصور بالنية كمالها لا
صحتها ولا يلزم من ذلك انتفا صحتها بدون النية وكلاهما مر بين
جايز الا ان الاول اظهر لقوله عليه السلام وانما لكل امري
ما نوي الي اخر الحديث مع ما روي قبله من قوله عليه السلام
ليس للمرء من عمله الا ما نواه ولا عمل الا بنية فان ذلك قوي
جدا في ارادة حصر صحة الاعمال بالنيات لا حصر الكمال فقط
الوجه التاسع قال الشيخ تقي الدين رحمه الله قوله
عليه الصلاة والسلام وانما لكل امري ما نوي يقتضي
ان من نوي شيا يحصل له ومن لم ينوه لم يحصل له فيدخل
تحت ذلك ما لا ينحصر من المسايل ومن هذا عظموا هذا
الحديث فقال بعضهم يدخل في حديث انما الاعمال بالنيات
ثلث العلم فكل مسيلة خلافية حصلت فيها نية فلك
ان تستدل بهذا علي عدم حصول ما وقع فيه النزاع فان
جاء

جاء دليل خارج يقتضي ان المنوي لا يحصل وان غير المنوي يحصل
وكان راجحا عمل به وخصص هذا العموم انتهي وقال
الطوفي وانما لكل امري ما نوي اي جزا ما نوي من خير او شر
فهو من باب حذف المضاف نحو واسيل القرية اي اهل القرية
ونحوه **حكي** عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال
يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه قلت يريد الانواع
الكلية كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والطلاق
ونحوها من الابواب اما المسايل الجزيية التفصيلية فاكثر
من ان تحصي ومن مشهور مسايل هذا الباب النية شرط
في الوضوء للحديث والقياس علي التيمم وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه لا يشترط واجاب عن الحديث بان معناه
كاملة بالنية ونحن نقول به ولا يلزم نفي الصحة كما سبق
وايضا فهو عام مخصوص كرد المغصوب والامانات ونحوها
فهي من الاعمال ولا تتوقف صحتها علي النية فتخصص محل النزاع
بالدليل وفرق بين الوضوء والتيمم بان الما يطهر بطبعه
فاستغني بقوته عن النية بخلاف التيمم وايضا فقوله عز وجل
فتيمموا صعيدا طيبا امر بالتيمم وهو القصد وهو حقيقة النية
بخلاف الوضوء فان الاية وهي اذا قمتم الي الصلاة فاغسلوا
ليس فيها تصريح بالنية ولا تعريض واجيب عن الاول
بانا قد بينا ان المحصور في النيات هي الصحة لا مجرد الكمال والحديث
عام في الوضوء وغيره ولا مخصص له منه ولا نسلم ان الما يطهر

بطبعه لان الطهارة عبادة لا تاثير فيها للطبع بخلاف المنوي
فانه ليس بعبادة والوضوء والتيمم طهارتان فكيف يفترقان
وهذا لفظ الشافعية في الزامهم النية للوضوء قياسا على
التيمم انتهى والحنفية رحمهم الله استدلوا بما ذكر الطوفي
وبقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي توضا كما امرك الله
تعالى فاحاله على الاية وليس فيها ذكر النية والاعرابي كان
جاهلا بالاحكام قريب عهد بالاسلام فلو كانت فرضا
لعلمها له وهو من اقوى الحجج لهم واما ما ذكره الطوفي من ان
الماء ليس مطهرا بطبعه فهو كانكار الري عند شرب الماء
والشبع عند التغذي وهو مشكل واما قوله ان الوضوء والتيمم
عبادتان فكيف يفترقان فممنوع ومستند المنع ان الوضوء
وسيلة الى العبادة وليس عبادة في نفسه ولهذا لا يصح النذر
به فلو كان عبادة لصح كالصلاة والله اعلم واختلف العلما
في اشتراط النية في الوضوء فاشترطها مالك والشافعي واحمد
ولم يشترطها ابو حنيفة واصحابه قال الطوفي
ومسايل النية انه لو وطي امراة اجنبية يظنها زوجته او
امته لا اثم عليه ولو وطيها يعتقدها اجنبية فاذا هي مباحة
له اثم ولو لا مصادفة المحل المباح لحد وكذا لو شرب مباحا
يعتقده حراما اثم وبالعكس لا ياثم ولو قال لامراته انت طالق
يظنها اجنبية طلقت زوجته لمصادفة الطلاق محله
ولو قال لاجنبية انت طالق وظنها زوجته اختلف فيه

والاشبه

والاشبه طلاق زوجته اعتبارا للنية وقيل لا تطلق لفوات
المحل ولو قال لرقيقة انت حر يظنه اجنبيا عتق لمصادفة العتق
محله وفي عكسه خلاف العتق للنية وعدمه لفوات المحل
وعلى هذا القياس في مسايل الشبهة والحقيقة والعلامات
الظاهرة والباطنة ولهذا افتتح البخاري كتابه به مع انه
لا يناسب ترجمة باب بدء الوحي انما اراد التنبيه على تصحيح
النية في الاعمال حتى قال بعضهم ينبغي لكل ذي عمل وتصنيف
كتاب ان يفتتح به وقد روى ابو يعلى الموصلي في مسنده عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل للحفظة
يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا
لم نحفظ ذلك عنه ولا هو في صحفنا فيقول الله تعالى انه
نواه قلت ولهذا المعنى ونحوه قيل نية المومن خير من
عمله وقد ذهب بعض العلما الى نحو وقوع الطلاق بالنية المجردة
ولزوم النذر بها اعتمادا على هذا الحديث ولا يرد عليه قوله
عليه السلام ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم
تعمل به لان المعفو عنه في هذا الحديث هو الخطرات والهمم
الضعيفة بخلاف ما عقدت عليه العزايم وهم انما يوقعون
الطلاق ونحوه بالنية اذا قويت وصارت عزيمة اكيدة انتهى
ويؤيد هذا ما نقله الشيخ محيي الدين النووي والشيخ ابو عبد
الله القرطبي ان مذهب المحققين ان الثواب والعقاب يقع
على العزايم وان لم يفعل واستدلوا بما رواه الترمذي وقال الشيخ

ابو الحسن رزين بن معاوية في ايضاح المنهج البيان جمع نية ومعني
النية قصد القلب بالعمل ومراده به واصله من نحو هذا في
اللغة لان العرب يسمي قصدهم في سيرهم نية وكذلك يسمون
البعد نية ونوي من اصل واحد لانهم ما كانوا يسيرون
في رحلهم وظعنهم الا الي مقصد ينوون قصده ثم
صارت النية عامة في جميع الاعمال ثم قال وانما لكل امرء ما نوي
اخبر ان كل امرء انما يجزي بنيته لا بظاهر عمله لانه قد يحسن
العمل عامله في الظاهر علي فساد من نيته فيه فلا يغني عنه
شيا ولا ينفعه عند الله تعالي بل يضره وقد روي في
الحديث ان الله تعالي لا ينظر الي صوركم والوانكم وانما
ينظر الي قلوبكم واعمالكم وهذا يحتمل ان يريد المعني الي قلوبكم
واعمالكم بها وانما اعمال القلوب النية والقصد كما قال
تعالي لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم
بما عقدتم الايمان وفي الاية الاخري ولكن يواخذكم بما كسبت
قلوبكم وقد روي في الحديث نية المومن ابلغ من عمله اي
هي قطب عمله ومداره لان بها يرتفع او يتضع علي قدر ما هي
عليه من صحة او سقم وقيل لبعض النساك كيف الناس عند
مليكهم فقال علي قدر نياتهم قال بعض العلما في قول النبي
صلي الله عليه وسلم نية المومن خير من عمله يعني نية بلا عمل
خير من عمل بلا نية وهذا علي معني الاتساع لان كل عمل بلا نية
لا خير فيه ونية الخير حالها قد يوجر صاحبها علي ذلك كما روي بلغ مقابلة

عن

عن بعض التابعين انه كان به الم فدخل عليه بعض اصحابه
يعودونه فقال لهم انووا ابنا حجا انووا ابنا غزوا انووا ابنا رباطا
قالوا علي هكذا من حالنا فاجابهم بان النية علي حال الاعجب
فانهم واياهم يوجرون بها وتاوله بعضهم علي معني ان المومن
ولو بلغ في عمل الخير ما بلغ فلا يقنع من نفسه بذلك وهو
ينوي ابدا انه يعمل من اعمال الخير اكثر من ذلك فاربي وقيل
بذلك استحق الخلود في الدارين لان المومن ينوي انه لو عاش
الدهر لكان عاملا بالطاعة وبما هو عليه من الايمان والكافر
ينوي انه لو عاش الدهر لكان عاملا بما هو عليه من الكفر
والطغيان في طاعة الشيطان كما روي ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال لاصحابه في منصرفه من غزوة تبوك ان
بالمدينة قوما ما صعدتم جبلا ولا هبطتم واديا الا وهم
معكم فيه قالوا كيف وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم
العذر او قال الضرر ومما يشهد لذلك قوله تعالي لا يستوي
القاعدون من المومنين غير اولي الضرر مع المجاهدين
الا صحاء الا بصدق النية قوله تعالي لا يستوي القاعدون
من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون فاستثني اولي
الضرر مما انتفي فيه استوا القاعدين والمجاهدين فاقتضي
ذلك انهم مع الضرر قد يستوي من قعد مع من جاهد اذا
صحت النية وهذا علم الله من القاعد انه لو قدر لكان ممن
ينصر وقد روي ان جماعة وقعت في بني اسرائيل في بعض

صاحبهم بكثيب رمل فقال ليت لي هذا الكثيب طعاما اشبع
به كبود جياع بني اسرايل فاوحي الله تعالي الي نبي زمانه ان
اعلمه ان الله تعالي قد اعطاه من الاجر بقدر ما نوي وقد
تاول الحديث بعض العلما علي ان معناه ان نية المومن في
تنوير قلبه لان النية محلها القلب فيكون ابلغ من عمله بالجوارح
الظاهرة لبعدها من القلب بقدر ما نوي وان كانت
الجوارح منوطة به وهو ايضا محتمل والاولي ان يحمل علي العموم علي ان
كل عمل من اعمال الدين لا بد فيه من نية فيكون عاما في الوضوء
والغسل من الجنابة والصلاة والسلام وجميع الاعمال التي للدين
وان ينوي ايضا في التي للدنيا ان يستعين بها علي امور دينه
ويكون ذلك بنية صادقة لا كاذبة ودليل صدقه فيها
ان يحاول في ذلك اباحة الشرع لا ما حظره عليه الوجه الثامن
قال الشيخ تقي الدين القشيري رحمه الله من كانت هجرته
الي الله ورسوله اسم الهجرة يقع علي امور الهجرة الاولي
الي الحبشة عندما اذي الكفار الصحابة الهجرة الثانية
من مكة الي المدينة الهجرة الثالثة هجرة القبايل الي
رسول الله صلي الله عليه وسلم لتعلم الشرايع ثم يرجعون
الي المواطن ويعلمون قومهم الهجرة الرابعة هجرة من اسلم
من اهل مكة لياتي الي النبي صلي الله عليه وسلم ثم يرجع الي
مكة الهجرة الخامسة هجرة ما نهي الله عنه ومعني الحديث
وحكمه يتناول الجميع غير ان السبب يقتضي ان المراد بالحديث

الهجرة

الهجرة من مكة الي المدينة لانهم نقلوا ان رجلا هاجر من مكة الي
المدينة لتزوج امراة تسمي ام قيس ولهذا اخص في الحديث ذكر المراة
دون ساير ما ينوي به الهجرة من افراد الاغراض انتهي وقال
الشيخ ابو محمد رزين بن معاوية في هذا الحديث تنبيه
علي فضيلة النية وانها الاساس الذي يبني عليه العاملون
وان من طلب العلم بنية خالصة كان متنعما علي سبيل نجاة
ثم قال وهذا في زماننا مما يقل وجوده بل قد غلب علي كثير
من الناس الا من عصمه الله تعالي طلب العلم علي غير اخلاص
بل للمباهاة والتزين به ولابتغاء الدنيا من جهته وكثر ذلك
وذاع في هذا العصر بل في عصور قبله وقد قال بعض المتقدمين
في ذلك شعرا

اني اري ذا الناس في عصرنا * لا يطلبون العلم للعمل
الا مباهاة لاشكالهم * وعدة للخصم والجدل

وقال ابن المبارك في ذلك

يا جاعل العلم له بازا * يصطاد به اموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها * بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما * كنت دواء للمجانين

وقد كان السلف من الصحابة والتابعين ينبهون علي ظهور
الفتنة من نحو هذا في زمانهم فضلا عن زماننا هذا في اخر
الادوار ويحضون العلما وطلبة العلم علي تصحيح النية والطوية
واخذه علي وجهه من الكتاب والسنة وذلك كله في زماننا

اعز من الكبريت علي وجه الارض من الكبريت الاحمر كما قيل
وقد كانوا اذا عدوا قليلا فقد صاروا اقل من القليل
قال فاذا قد ايسنا عن درجة العلما فينبغي ان نتعلم
العلم لطلب النجاة من عذاب الله في الاخرة والسلامة من فتنة
الدنيا وهلكاتها وشبهها وضلالتها فاذا اخلص النية في ذلك
رزقه الله تعالي النجاة وسلمه ثم قال وطلب العلم علي هذا الوجه
في زماننا اصعب مرامه متوعرة طرقه متعذرة اسبابه لقلة الادلة
وفقد العلما وتعذر القوت الحلال والاسباب المعينة علي الخير لاقترا
الزمان وفساد الاحوال الا علي من اراد الله تعالي نجاته وتيسير
الطلب عليه لخفة المونة وقلة العيال ورزقه الزهد في الدنيا
ورزقه منها الكفاف وقيض له من يعلمه الطريق انتهي وقال
الامام المحقق يحيي بن رزق رحمه الله تعالي نظرت في هذا الامر
فلم ار اتيتنا الا من قبل الغفلة عن النية لاني نظرت فوجدت
الانسان لا يخلوا من احد امرين اما حركة او سكون وكلاهما
عمل فاذا تحرك الانسان او سكن ساهيا او غافلا كان ذلك
عملا عاريا عن النية فيخرج عن ان يكون عملا شرعيا للحديث
انما الاعمال بالنيات فاذا تقرر هذا كله وعلم تحصل منه ان اعظم
الناس منزلة واكثرهم خيرا وبركة الواقف مع نيته في حركته
وسكونه ولهذا وقع الفرق بيننا وبين سلفنا وخيار من تقدم
منا رضوان الله عليهم لتحسين نياتهم وتحريرها فكانت حركاتهم
وسكناتهم كلها عبادة ونحن اليوم انما العبادة ما كان من الصلاة
والزكاة

والزكاة والصوم والحج والجهاد اصول الدين المعروفة وهذه
انما هي عند الموفقين منا اعني المحافظة علي هذه الافعال المذكورة
بواجبها ونديها وبقي ما عدا هذه الافعال عندنا علي اقسام فمنا
من يفعلها للدنيا ومنا من يفعلها غفلة ونسيانا الي غير ذلك
من الامور العارضة لنا في تصاريفنا فبان الفرق بيننا
وبين سلفنا انتهي وقال الشيخ ابو عبد الله بن الحاج
اجتهد ان تستكثر من النية في جميع اعمالك حتي تنوي لعمل
واحد نيات كثيرة فباجتماع النيات تزكوا الاعمال وتلحق باعمال
المقربين كما ان بنقيضها تلحق باعمال الشياطين كمن يقصد
من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه باعراض
الناس ومجالسة اخوات اللهو واللعب وملاحظة من
يجتاز به من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه
من الاقران علي سبيل المباهاة والمرايات باقتناص قلوب
المستمعين لكلامه وما يجري مجراه وكذلك لا ينبغي ان يغفل
في المباحات عن حسن النية ففي الخبران العبد يسئل يوم القيا
عن كل شي حتي عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه
وعن لمس ثوب اخيه فمثال ذلك من تطييبه يوم
الجمعة يمكنه ان يقصد التنعم والتفاخر والتزويق للنسا ويتصور
ان ينوي به اتباع السنة وتعظيم بيت الله تعالي واحترام
يوم الجمعة ودفع الضرر عن غيره بدفع الرائحة الكريهة وايصال
الراحة اليهم بالرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذ اشتموا منه

رايحة كريهة والي الفريقين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من تطيب
في الله جا يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير
الله جا يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة ثم ذكر ما ورد من وعيد
من تعلم القران لغير الله ونحوه وذلك مشهور نسال الله تعالى ان
يجعل طلبنا للعلم مما يقربنا اليه زلفى انه ولي ذلك والقادر عليه

الوجه التاسع قال الشيخ تقي الدين القشيري رحمه الله تعالى
المتقرر عند اهل العربية ان الشرط والجزا والمبتدا والخبر لا بد
ان يتغايرا وههنا وقع الاتحاد في قوله فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله وجوابه التقدير فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله
حكما وشرعا وقال الطوفي رحمه الله تعالى قوله ومن كانت
هجرته لدنيا يصيبها او الامراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه
قلت اللام في الدنيا يحتمل انها للتعليل على بابها اي من
كانت هجرته لعلة دنيا او لاجل دنيا ويحتمل انها بمعنى الى اي من
كانت هجرته الى دنيا بسببها لانه قابله بقوله فهجرته الى ما هاجر
اليه ولم يقل فهجرته لما هاجر اليه وهذا جيد والاول اشبه
وتقديره من كانت هجرته لاجل دنيا يحصلها انتهت هجرته
او كانت نهاية هجرته الى ذلك اي لا يحصل له غيره قوله
لدنيا يصيبها او امراة ينكحها يحتمل ان مهاجر ام قيس المذكور كان
يحبها لما لها وجمالها فجمعهما في التعريض به ويحتمل انه كان
يطلب نكاحها وغيره من الناس هاجر لتحصيل دنيا من جهة

تا فعرض بهما ويحتمل انه عليه السلام عرض بطالب نكاح المراة
وانشاد ذكر المال انشا تقرير القاعدة فقد خرج الناس عن قصدهم
بنية الهجرة كما انه لما سيل عن طهورية ماء البحر قال هو الطهور
ماؤه الحل ميتته فزاد على السبب تمهيد القاعدة اخرى وهذا
من باب زيادة النص على السبب

الوجه العاشر قال
الطوفي يقال لم اتحد الشرط والجزا في الجملة السابقة واختلفا
هاهنا وهلا قيل من كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة ينكحها
فهجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها كما قيل من كانت هجرته الى
الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والجواب ان
اتحاد الشرط والجزا خلاف الاصل وانما اتحدا في قوله فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله تبركا وتعظيما
لهما بتكرار ذكرهما او كونه ابلغ في حصول مقصود الهجرة اليهما
لان من سعى الى خدمة الملك تعظيما له اجزل عطا ممن يسعى لنيل
كسرة من سماطه بخلاف الدنيا والمراة فانهما لا يستحقان التعظيم
ولا يحصل بذكرهما تبرك والعدول عن ذكرهما ابلغ في الزجر عن
قصدهما كانه قال فهجرته الى ما هاجر اليه وهو حقير مهين لا يجزي
وايضا فان ذكر الدنيا ونكاح المراة مما يستحلى عند عامة الناس
فلو كرر ذكرهما ربما علق بقلب بعض السامعين فيقول قد رضيت
ان تكون هجرتي الى دنيا اصيبها او امراة اتزوجها وهل العيش
الا ذلك فكان قوله فهجرته الى ما هاجر اليه اجدر بان يدفع
هذا المحذور

الوجه الحادي عشر قال الشيخ تقي الدين رحمه

القشيري فرق بين قولنا من نوى شيئا لم يحصل له غيره وبين
قولنا من لم ينو الشيء لم يحصل له والحديث يحتمل الامرين اعني
قوله عليه السلام الاعمال بالنيات واخره يشير الى المعنى الاول
اعني قوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته
الى ما هاجر اليه **الوجه الثاني عشر** هذا الحديث اصل في الاخلاص
وله مرجع الى الكتاب والسنة اما مرجعه من الكتاب فكل اية
تضمنت مدح الاخلاص وذم الريا نحو وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين انه من عبادنا المخلصين فمن كان
يرجو لقاء ربه الاية كالذي ينفق ماله رياء الناس ايود
احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب الاية الذين ينفقون
اموالهم رياء الناس **واما** مرجعه من السنة فقوله عليه
السلام يقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل
عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو للذي اشرك **وفي**
رواية تركته وشركه وعن ابي موسى ان رجلا قال يا رسول الله
الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله رواه الستة الذين رووا
حديث الاعمال بالنيات انتهى **وروى** ابو داود و[illegible]
والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه
الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة

وعن

وعن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا
يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم
في كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله ومن يدخله قال القراء
المراؤون باعمالهم قال هذا حديث غريب ولذلك قال
مالك رحمه الله ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه
الله في القلب وقال ابراهيم الخواص رحمه الله
ليس العلم بكثرة الرواية انما العالم من اتبع العلم واستعمله
واقتدى بالسنة وان كان قليل العلم ويبين ذلك ويوضحه
ما ذكره الشيخ ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره
عن ابي بكر الانباري باسناده عن خلف بن هشام البزار
قال ما اظن القران الا عارية في ايدينا وذلك انا روينا ان
عمر بن الخطاب حفظ سورة البقرة في بضع عشرة سنة
فلما حفظها نحر جزورا شكرا لله تعالى قال القرطبي
في كتاب اداب النفوس باسناده الى ابن صدقة عن رجل من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم او من حدثه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخادعوا الله فانه
من يخادع الله يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر قالوا
يا رسول الله وكيف يخادع الله قال تعمل بما امرك الله به
وتطلب به غيره فاتقوا الرياء فانه الشرك وان المرائي
يدعى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد باربعة اسماء ينسب

اليها يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل اجرك
فلا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع
وحديث الثلاثة الذين اول ما تسعر بهم النار اعظم
من هذا كله نسال الله تعالى فاطر السموات والارض
باري قطرة الصورات يجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم
انه ولي ذلك والقادر عليه لا رب غيره ولا نرجوا الا خيره
الوجه الثالث عشر قال الطوفي قيل لم قال
انما الاعمال بالنيات لانه لو قال انما الافعال بالنيات
لتناول افعال القلوب ومنها النية ومعرفة الله عز وجل
فكان يلزم ان لا يصحان الا بالنية لكن النية فيهما محال اما في
النية فانها لو توقفت على نية اخرى لتوقفت الاخرى على نية
اخرى ولزم التسلسل في النيات والدور وهما محالان
واما معرفة الله تعالى فانها لو توقفت على النية مع ان
النية قصد المنوي بالقلب لزم ان يكون الانسان عارفا
بالله عز وجل قبل معرفته وان يكون الله تعالى معروفا
له وان يكون المكلف عارفا بالله عز وجل غير عارف به في
حالة واحدة وكل ذلك محال

الحديث الثاني

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ايضا قال بينما نحن
جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر
الحديث الكلام عليه من وجوه الاول قال صاحب المفهم

بينما

بينما هي بين الظرفية زيدت عليها الالف لتكفها عن عملها
الذي هو الخفض كما زيدت عليها ما لتكفها عن العمل وما
بعدها مرفوع بالابتداء في اللغة المشهورة ومنهم من قال
بخفضها بعد الالف على الاصل فقال

بينا معانقة الكماة وروغه ... يوما اتيح له جريء سلفع

يروى برفع معانقة وخفض فتكون الالف والميم لتهيئة الكف
ولكن لتمكين النطق انتهى الوجه الثاني قوله شديد
بياض الثياب فيه دليل على تحسين الهيئة ولبس ما يتجمل
به عند الدخول على العلماء والملوك فان جبريل صلى الله عليه
وسلم اتى معلما للناس بحاله وقاله وفيه دليل على ان
السنة النظافة وفي جامع الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله نظيف يحب النظافة وعن عايشة قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الثوب النظيف ويكره
الثوب الوسخ الوجه الثالث انما جاء في الثياب
البيض ولم يجي في غيرها وان كان غيرها مما يتجمل به ايضا لان
البياض من افضل الثياب لقوله عليه الصلاة والسلام
ان من خير ثيابكم البياض فالبسوه وكفنوا فيه موتاكم
الوجه الرابع قوله شديد سواد الشعر فيه
دليل على الحث على طلب العلم في زمن الشباب لفراغ قلب
الشاب من الشواغل غالبا وقد قيل العلم في الصغر كالنقش
في الحجر الوجه الخامس قال الطوفي قوله شديد بياض الثياب

شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر هو اشارة الى غرابة
هذه القضية لان الرجل هيئته حاضر لا يخفى عليه امر الدين هيئة
مع اجتهاده غالبا خصوصا في المدينة وسؤاله سؤال اعرابي
وارد غير عالم بالدين وهذا بخلاف حديث طلحة بن عبيد الله
قال جاء اعرابي ثائر الراس من اهل نجد نسمع دوي صوته الحديث
اذ وصفه بصفة الاعراب الواردين فلم يكن في سؤاله غرابة
ولا تعجب وقوله شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر فيه
مطابقة جيدة تامة وقوله ولا يعرفه منا احد فيه اشارة
الى غرابة القضية ايضا لان هيئته تقتضي انه من اهل المدينة
ولو كان منها لعرفناه او بعضنا فقد حصل فيه امارة معرفتنا
له مع عدم معرفتنا له وقوله لا يرى فيه اثر السفر المشهور في
الرواية انه مبني لما لم يسم فاعله وروي نرى بالنون قاله
الاشبيلي الوجه السادس قوله ولا يعرفه منا احد يعني منا
معشر الصحابة والا فالنبي صلى الله عليه وسلم قد عرفه الوجه
السابع قال الطوفي قوله فاسند ركبتيه الى ركبتيه يقتضي
انه جلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم والا لم يتصور اسنا د
ركبتيه الى ركبتيه لانه لو جلس الى جانبه لما امكنه الا اسناد
ركبة واحدة الى ركبة واحدة من النبي صلى الله عليه وسلم
وهذا جلوس المتعلمين بين يدي المشايخ للتعلم وفي الحديث
كنا نجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كانما على رؤوسنا
الطير وقوله ووضع كفيه على فخذيه قال الطوفي الضمير

في كفيه للرجل وفي فخذيه يحتمل انه له ايضا وانه وضع كفيه على
فخذي نفسه معتمدا عليهما وقت السؤال ويحتمل انه للنبي
صلى الله عليه وسلم وان الرجل وضع كفيه على فخذي النبي
صلى الله عليه وسلم استئناسا باعتبار ما بينهما من الانس
في الاصل حين ياتيه جبريل لتبليغ الوحي وهذا الاحتمال
ارجح انتهى وهذا الذي جعله ارجح هو المتعين لما رواه
النسائي من حديث ابي ذر وابي هريرة رضي الله عنهما قالا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني
اصحابه فيجي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسال فطلبنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نجعل له مجلسا يعرفه مجلسا
الغريب اذا اتاه فبنينا له دكانا من طين فجلس عليه انا لجلوس
عنده اذ اقبل رجل من احسن الناس وجها واطيب الناس
ريحا كان ثيابه لا يمسها دنس حتى سلم من طرف السماط
فردوا عليه السلام وقال ادنو يا محمد قال ادنه فما زال
يقول ادنو مرارا ويقول ادن حتى وضع يديه على ركبتي
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر نحو حديث مسلم ففيه من الفقه
ابتداء الرجل بالسلام على جميع من دخل عليه واقباله على كبيره
القوم فانه قال السلام عليكم فعم ثم قال يا محمد فخص وفيه
الاستئذان في القرب من الامام مرارا وان كان في موضع مأذون
في دخوله وفيه جواز اختصاص العالم بموضع مرتفع من
المسجد اذا دعت الحاجة الى ذلك لضرورة تعليم او غيره

وقد بين فيه ان جبريل صلى الله عليه وسلم وعلى الملائكة المقربين
وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين
فارتفع الاحتمال الذي في رواية مسلم قال الاشبيلي
وانما فعل جبريل ذلك والله اعلم تنبيهًا على ما ينبغي للسائل
من قوة النفس عند السوال وان كان المسئول ممن يحترم توقيًا
وعلى ما ينبغي للمسئول من التواضع والصفح عن السائل وان
تعدى ما ينبغي من الادب والاحترام الوجه الثامن
نداه يا محمد كما تناديه الاعراب منهي عنه شرفًا له قال الله
تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا
وقال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط
اعمالكم الاية فنهى الله تعالى عن ان يخاطب نبينا محمد فكيف
خاطبه الرجل بذلك فالجواب ان جبريل لا حرج
عليه في مخاطبته بذلك لان ذلك انما حظر على البشر فغالب
خطاب جبريل له انما وقع هكذا فيكون فيه دلالة على ان
الكبير له على ان يخاطب الكبير بما ليس للصغير ان يخاطب
به الكبير ويمكن ان يقال انه قصد التعمية والتستر قال الثاني
الاشبيلي الوجه التاسع قال الطوفي قوله يا محمد فيه
جواز تسمية المتعلم شيخه والمرؤس رئيسه باسمه لكن
قد غلب في العرف تسمية المشايخ والروسا بالاسما الشريفة
الشريفة المخصة فينبغي اتباعه ان لا يعلم ان لا ينتقص
من تسميته باسمه الاصلي ولا يكون ذلك على سبيل الوضع

فيكون

فيكون ذلك هو الاولى اتباعًا لهذه السنة وغيرها ولانه
اقرب الى التواضع واولى بالصدق الوجه العاشر قال
الطوفي فيه دليل على ان الاسم غير المسمى لان جبريل قال ما الاسلام
ما الايمان ما الاحسان فاتى باسمائها واجابه النبي صلى الله
عليه وسلم بمعانيها ولو كان الاسم هو المسمى لما احتاج الى
السوال عنه لعلمه به ولما اجابه النبي صلى الله عليه وسلم بل كان
يقول له انك عالم بمسمى ما سالت عنه لانك عالم باسمه
لتلفظك به واعلم ان للناس في هذه المسئلة اقوالًا احدها
ان الاسم غير المسمى كما قلنا والثاني انه هو المسمى لقوله
تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب عز وجل
فدل على ان اسمه هو وجوابه انه ضمن سبح معنى اذكر فكانه قال
اذكر اسم ربك لقوله عز وجل واذكر اسم ربك بكرة واصيلًا
وعكس ذلك قوله عز وجل واذكر ربك ضمن اذكر معنى سبح ونزه
اي نزه ربك عما لا يليق به واحتجوا ايضا بقوله عز وجل بغلام
اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب فدل على ان الاسم
هو المسمى وجوابه ان المعنى يا ايها الغلام
الذي اسمه يحيى والثالث ان الاسم للمسمى لا هو هو ولا
هو غيره وجوابه ان هذا لا يتحقق لان قولنا هذا لهذا الشي
اما بمعنى انه يملكه او يستحقه او يختص به اختصاص الموصوف
بالصفة ونحوه وعلى كل تقدير هو يقتضي المغايرة لان ملك
الشي نفسه واستحقاقه لها واختصاصه بها محال واعلم

ان المغايرة تارة تكون بالذات نحو زيد غير عمرو وتارة بالاحوال
والصفات نحو قولنا وجه زيد اليوم غير وجهه امس وقد دخل
عمرو بغير الوجه الذي خرج به اي حالته وصفته الان غير حالته
وصفته كان والمغايرة بين الاسم والمسمى بالذات لان الاسم
لفظ محل وجوده اللسان كلفظ زيد الذي هو الزاي والياء
والدال والمسمى ذات محل وجودها الاعيان كشخص زيد
الطويل المنتصب القامة الذي هو حيوان ناطق وهذه
مغايرة ذاتية بالضرورة ثم قال ومن شبه الخصم ان الله
عز وجل قال اعبدوا الله وان عبدتم المسمى خالفتم النص
وان عبدتم الاسم سلمتم انه المسمى **وجوابه** انا نعبد المسمى
وهو الذات التي اسمها الله والتقدير اعبدوا المسمى او
الذات التي اسمها الله واندفع الاشكال وليس اعبدوا الله
نصا في عبادة الاسم ولا ظاهرا فيه ولا له عليه دلالة اصلا
ومن شبههم ايضا انا لو كتبنا الجلالة على قرطاس او ارض
فان كانت هي المعبود كان ذلك اشراكا وان كان المعبود
غيرها كان كفرا لعبادة غير الله عز وجل **وجوابه**
ان الجلالة المكتوبة معظمة والمعبود غيرها وهو مدلولها
ومسماها وهو الذات القديمة الواجبة الوجود ولا نسلم ان
عبادة غيرها عبادة غير الله عز وجل حتى يكون كفرا
الوجه الحادي عشر قوله فاخبرني عن الاسلام
قال اهل اللغة الاسلام في اللغة الاستسلام والانقياد ومنه

الاية قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وفي الشرع
ما فسر به هذا الحديث وهو الاعمال الظاهرة كالشهادتين وباقي
العبادات **قال** الطوفي والايمان مصدر امن ايمانا وزن
اكرم اكراما فالهمزة الثانية في امن نظير الكاف في اكرم فاذن
امن افعل لا فاعل اذ لو كان فاعل لكان مصدره نحو قاتل قتالا
وضارب ضرابا ونحوه وهو قياس في مصدر فاعل الفعال
والمفاعلة **الوجه الثاني عشر** اختلف العلما في الاسلام والايمان
هل هما واحد او متغايران قال الشيخ نور الدين السمرقندي
الشهير بالصابوني رحمه الله في الكفاية من نظر الى ظاهر
اللفظين حكم بانهما متغايران وهو قول الحشوية واصحاب
الظواهر وشبهتهم قوله تعالى قالت الاعراب امنا الاية وكذا
النبي عليه السلام اجاب في سوال الايمان غير ما اجاب
في سوال الاسلام فدل على ان الاسلام غير الايمان ولكن ذهب
عامة اهل السنة الى ان الايمان والاسلام واحد من حيث الحقيقة
والمعنى فان حقيقة الاسلام لا تتصور الا بايمان ومعنى الايمان
لا يتحقق الا بالاسلام ودلالة ذلك ان الاسلام لما كان
عبارة عن الانقياد والخضوع فذلك لا يتصور بدون تصديق
الله تعالى في الوهيته وربوبيته **والايمان** لما كان عبارة
عن تصديق الله تعالى فيما اخبر على لسان رسله فانما
يتحقق ذلك بقبول اوامره ونواهيه فلم يتصور ان يكون
الانسان مؤمنا بالله تعالى ولا يكون مسلما وفي القران ما يدل

على اتحادهما قال الله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقال تعالى يا قوم ان كنتم
امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال فان امنوا بمثل
به فقد اهتدوا وقال فان اسلموا فقد اهتدوا وايضا فيقال
ما حكم من امن ولم يسلم او اسلم ولم يومن في الدنيا ولا في الاخرة
فان اثبت لاحدهما حكما ليس بثابت للاخر ظهر بطلان قوله
لان الناس كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث فرق مومن وكافر ومنافق ليس فيهم رابع فالمسلم من
اي الفرق كان لا يصح ان يقول من الكافرين فان قال من
المومنين قبل مذهبه وان قال من المنافقين فيكون
الاسلام هو النفاق عنده فينبغي ان لا يقبل غير النفاق
لقوله تعالى ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وكذا يجب ان يكون مرضيا لقوله تعالى ورضيت لكم الاسلام
دينا واما الجواب عما تعلقوا به قلنا لم يخبر الله
تعالى عن اسلامهم ولكن امرهم بان يقولوا اسلمنا اي
استسلمنا في الظاهر مع الانكار بقلوبنا فلو كان المراد
حقيقة الاسلام لكان ما اتوا به مرضيا ومقبولا عند الله
لما تلونا من الايات وبالاجماع ليس كذلك واما حديث
سوال جبريل ففي بعض الروايات انه سأله عن شرايع
الاسلام واجاب بما اجاب وذكر هذه الرواية
ابو عبد الله بن ابي حفص الكبير عن ابيه عن محمد بن الحسن
عن

عن ابي حنيفة عن علقمة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر ان جبريل
ساله عن شرايع الاسلام فتكون هذه الرواية تفسيرا
للرواية المطلقة الدليل عليه ان المنافقين كانوا ياتون
بجميع ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في جواب الاسلام ولم
يستحقوا ما وعد به المسلمون فعلم انه اراد بذلك شرايع
الاسلام اهـ وقال القاضي ابو بكر الباقلاني
رحمه الله زعم اصحابنا ان الايمان خصلة من خصال الدين
والملة والشريعة وان الدين والملة والشريعة اعم من الايمان
وزعم الخوارج وابو الهذيل العلاف ان الايمان هو الاسلام
والدين والملة والشريعة وان من ترك شيا من الدين
والشريعة فانه ليس بمومن على الاطلاق والدليل على صحة
ما قلنا ما قررناه ان الايمان هو تصديق ولا خلاف ان
دين النبي صلى الله عليه وسلم وملته وشريعته هي جميع ما امر
المكلفين بها ونهى عن تركها واذا كان ذلك كذلك على
ان الايمان خصلة من خصال الدين والملة والشريعة
وان الدين والشريعة اعم وقال الاشبيلي قد دل هذا
الحديث على ان الايمان والاسلام حقيقتان متباينتان
لغة وشرعا كما دل عليه هذا الحديث جبريل وغيره وهذا
هو الاصل في الاسماء المختلفة ان يدل كل واحد منها على خلاف
ما دل عليه الاخر غير ان الشرع قد توسع فيهما فاطلق اسم
الايمان على حقيقة الاسلام كما في حديث وفد عبد

الفيس اذ قال فامرهم بالايمان ثم قال اتدرون ما الايمان
قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله انتهى وهذا يؤيد قول من ذهب
الى ان الايمان هو الاسلام والله اعلم قال الاشبيلي
وقد اطلق اسم الاسلام مريدا به مسمى الاسلام والايمان
بمعنى التداخل لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وروي من حديث مرفوعا الايمان اعتقاد بالقلب واقرار
باللسان وعمل بالجوارح والاركان وهذه الاطلاقات من باب
التجوز والتوسع على عادة العرب وهذا فاحقق زال كثير من
الاشكال الناشي من ذلك الاستعمال اه كلامه وقال
الطوفي هذا الحديث يقتضي تغايرهما لان جبريل سال عنهما
بسؤالين واجيب عنهما بجوابين وفسر له الاسلام باعمال ل
الجوارح كالصلاة والزكاة والحج وفسر الايمان باعمال القلب
وهو التصديق ولو كانا واحدا لكان السؤال والجواب
عن احدهما كافيا عن السؤال عن الاخر لكان تفسير احدهما
هو عين تفسير الاخر كما لو سئل عن الخمر والعقار لكان جوابه
انهما جميعا الشراب المسكر انتهى وفيه نظر لانه اذا ثبت انه
سال عن شرايع الاسلام فهما غيران اتفاقا ولا يحتاج الى
هذا البحث والخلاف في ذلك والله اعلم ثم قال
الطوفي واحتجوا بحديث وفد عبد قيس ورد الاحتجاج بارجحية
وجوه يظهر للناظر فيه فسادها بادنى تامل فلا نطول بلغ مقابلة

بذلك

بذلك الوجه الثالث عشر قوله الايمان ان تؤمن بالله
قال الطوفي ان قيل هذا تعريف للشي بنفسه لان تؤمن مشتق
من الايمان فهو كقوله الاكل ان تاكل والشرب ان تشرب
والتصديق ان تصدق فجوابه لا نسلم انه هذا من باب تعريف
الشي بنفسه وانما هو من باب تعريف الشرعي باللغوي
وذلك ان الايمان في اللغة هو التصديق وفي الشرع تصديق
خاص وهو التصديق بالله تعالى ومما ذكر بعض فكانه
قال الايمان اللغوي شرعا هو التصديق بهذه الاشيا
والايمان الشرعي هو الايمان اللغوي بهذه الاشيا كما يقال
الصلاة شرعا هي الصلاة لغة وهي الدعا وزيادة امور اخر وهو
كلام صحيح ثم اعلم انه قد تبين من هذا الحديث ان مسمى الاسلام
والايمان لغة غير مسماها شرعا وفيه دليل على اثبات الحقايق
الشرعية وهي من مسايل الخلاف في اصول الفقه انتهى وهذه
المسيلة مسيلة حسنة فلا بد من تقريرها فقال الشيخ شمس
الدين الاصفهاني رحمه الله في شرح مختصر ابن الحاجب الحقيقة
الشرعية هي الكلمة المستعمل فيما وضع له اولا في الشرع وهي اللفظة
تناول المنقول الشرعي لما بيناه والموضوعات المبتدات
وهي الالفاظ التي وضعها الشارع بازا المعاني المخترعة
ابتدا من غير ان تنقل من اللغة اذا عرفت هذا فنقول اختلف
في وقوع الحقيقة الشرعية فقال القاضي انها غير واقعة
على معنى ان ما استعمله الشارع مجازات لغوية لم تبلغ رتبة

الحقايق والمختار عند المص انها واقعة على معنى انها كانت
مجازات في ابتداء النقل بسبب عدم اشتهارها ثم صارت
حقايق شرعية لغلبة الاستعمال واثبت المعتزلة الاسماء
الشرعية والدينية ايضا على معنى انها ليست متعلقة بالحقايق
اللغوية والفرق بين الاسما الشرعية الدينية وغير الدينية
عندهم ان الاسما الشرعية اذا اجريت على الافعال الشرعية
كالصلاة والصيام والزكاة والحج تسمى غير دينية ولا فرق
بين المذهب المختار ومذهب المعتزلة من حيث ان الحقايق
الشرعية واقعة وانما الفرق من حيث انهم قالوا انها موضوعات
مبتدات غير منقولة من الحقايق اللغوية والمذهب المختار
بخلافه انتهى قال بعضهم واعلم ان ثمرة الخلاف فيما اذا
وجدت هذه الالفاظ في كلام الشارع مجردة عن القرينة محتملة
للمعنى الشرعي واللغوي فعلى انها تحمل واما في استعمال اهل
الشرع بالاطلاق لكثرة دورانها على السنتهم فصارت
حقيقة عرفية وتقرير ذلك بدلايله في شرح المختصر والله اعلم
الوجه الرابع عشر الصلاة في اللغة الدعا قال الله تعالى
وصل عليهم وقال الاعشى
تقول بنتي وقد قربت مرتحلا * يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي * يوما فان لجنب المرء مضطجعا
اي دعوت وهي في الشرع اذكار معلومة وافعال مخصوصة
بشروط معلومة والاسم اللغوي جزء منها وهو الدعا

والزكاة

والزكوة في اللغة النما والزيادة يقال زكا الزرع والمال اذا كثر
ويسمى اخذ جزء من المال زكوة لانه انما يوخذ من الاموال
النامية لانها قد نمت وبلغت النصاب ولانها تنمي الاموال لما
يحصل فيها من البركة وما يحصل لصاحبها من الثواب
والصوم في اللغة الامساك مطلقا قال الله تعالى فقولي
اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وهو الامساك عن الكلام
وقال الشاعر
خيل صيام وخيل غير صايمة * تحت العجاج واخرى تعلك اللجما
اراد بالصيام الممسكة عن الحركة وهو في الشرع الامساك
عن المفطرات من الصبح الصادق الى غروب الشمس بنية من
اهله والحج في اللغة هو القصد قال
الم تعلمي يا ام اسعد انما * تخطاني ريب الزمان لاكبرا
واشهد من عوف حلولا كثيرة * يحجون سب الزبرقان المزعفرا
وقال الخليل بن احمد هو كثرة القصد الى من يعظمه وهذا
البيت شاهد كذا قيل وفيه نزاع في الاستدلال الى من يعظمه
وهذا البيت شاهد كذا قيل وفيه نزاع في الاستدلال
من جهة ان الكثرة استفيدت من صيغة يحجون لا من نيته
اذ المضارع كما قال النابلوني يفيد التكرار وهو في الشرع زيارة
بيت الله تعالى الذي بمكة لفعل عبادات مخصوصة وهو
بالفتح والكسر لغتان قاله النووي وقال الاشبيلي هو
بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وقرئ بهما في قوله تعالى ولله

تخطاني

على الناس حج البيت **الوجه الخامس عشر** قال الطوفي لم قيد
الحج بقوله لمن استطاع اليه سبيلا ولم يقيد بذلك الصلاة
والزكاة والصوم مع انها انما تجب مع الاستطاعة لقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وهذه العبادات من
التقوى وقوله عليه السلام اذا امرتكم بامر فاتوا ما استطعتم منه
فكان ينبغي ان يقيد الجميع بالاستطاعة او لا يقيد واحدا
منها والجواب ان الخطب في هذا يسير وانه عليه السلام
تابع القران في قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا ولم يقل ذلك في خصوص غيره من العبادات فان
قيل ينتقل السوال الى القران لم قيد الحج بالاستطاعة دون
غيره قلنا لانه يتعلق بقطع مسافة وفيه من المشقة ما ليس
في غيره فكان احق بالتقييد بالاستطاعة من غيره **الوجه
السادس عشر** قوله فعجبنا له يسأله ويصدقه لان سواله
يقتضي عدم العلم بما سال عنه وتصديقه للنبي صلى الله
عليه وسلم فيما اجابه به يقتضي انه عالم به فكان ظاهر حاله
انه عالم بذلك غير عالم به وهو محل التعجب وانما ازال التعجب
عنهم بقوله انه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم فبين انه كان عالما
في صورة متعلم لقصد التعليم والتبيين لهم وذلك لا يعجب
فيه **الوجه السابع عشر** سال بعضهم سوالا وهو ان
جبريل عليه السلام قال في اول الحديث في موضعين
صدقت وفي باقيه سكت ولم يقل صدقت فما الحكم في ذلك

وجوابه

وجوابه ان الترمذي رحمه الله رواه في جامعه وفيه صدقت
في كله فلعل الراوي هنا اختصرا ويقال انه لما صدقه في البعض
علموا تصديقه له في الباقي فلم يحوجهم ذلك الى التصديق سمعه
والله اعلم **الوجه الثامن عشر** قال الاشبيلي الايمان
بالله ان تصدق بوجوده والله موصوف بصفات الجلال
والكمال من العلم والقدرة والارادة والكلام والحياة والسمع
والبصر وانه تعالى منزه عن صفات النقص والعدم وانه
تعالى اله واحد فرد صمد خالق لجميع المخلوقات متصرف بما يشاء
من التصرفات وقال الامام ابو جعفر الطحاوي
رحمه الله نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله ان الله
تعالى واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا اله غيره
قديم بلا ابتداء دايم بلا انتهاء فلا يفنى ولا يبيد ولا يكون
الا ما يريد لا تدركه الافهام ولا تبلغه الاوهام ولا تشبهه
الانام حي لا يموت قيوم لا ينام خالق بلا حاجة رازق بلا
موونة مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة لم يزدد بخلقه شيا
لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته ازليا كذلك
لا يزال عليها ابديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق
ولا باحداثه البرية استفاد اسم الباري له معنى الربوبية
ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق وكما انه محيي الموتى قبل
ما احيى استحق هذا الاسم قبل احيايهم كذلك استحق اسم
الخالق قبل انشايهم ذلك بانه على كل شيء قدير وكل شيء اليه فقير

وكل امر عليه يسير لا يحتاج الي شي ليس كمثله شي وهو السميع البصير
خلق الخلق بعلمه وقدر لهم ارزاقا وضرب لهم اجالا لم يخف
عليه شي قبل ان يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل ان يخلقهم
وامرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شي يجري بقدرته
ومشيته تنفذ لا مشية للعباد الا ما شا لهم فما شا لهم
كان وما لم يشا لم يكن يهدي من يشا ويعافي فضلا ويضل
من يشا ويخذل ويبتلي عدلا وكلهم يتقلبون في مشيته
وعدله لا راد لقضايه ولا معقب لحكمه امنا بذلك كله
وايقنا ان كلا من عنده انتهي وقال الشيخ الامام
ابو نصر عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله وارضى
عنه في رسالته اعلموا رحمكم الله ان شيوخ هذه الطايفة
بنوا قواعد امرهم علي اصول صحيحة في التوحيد صانوا عقايدهم
عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف واهل السنة
من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القديم
وتحققوا بما نعت عقايدهم في مسايل التوحيد ذكرناها علي وجه
الترتيب قال شيوخ هذه الطريقة علي ما يدل عليه متفرقات
كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتهم في التوحيد ان الحق سبحانه
وتعالي موجود قديم واحد حكيم قادر عليهم ماجد رحيم مريد
سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حي احد باقي صمد
وانه عالم بعلم قادر بقدرته مريد بارادته سميع بسمع بصير
ببصر متكلم بكلام حي بحياة باق ببقايه وله يدان هما صفتان

يخلق

يخلق بهما من يشاء علي التخصيص وله الوجه وصفات ذاته مختصة
بذاته لا يقال هي هو ولا هي اغيار له بل هي صفات له ازلية
ونعوت سرمدية وانه احدي الذات ليس يشبه شيا من
المصنوعات ولا يشبهه شي من المخلوقات ليس بجسم ولا
جوهر ولا صفاته اعراض لا يتصور في الاوهام ولا يتقدر
في العقول ولا له جهة ومكان ولا يجري عليه وقت وزمان
ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان ولا تخصه هيئة
وقد ولا يقطعه نهاية وحد ولا يحله حادث ولا يحمله علي الفعل
باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون
ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور ولا
يعزب عن علمه معلوم ولا هو علي فعله كيف يصنع وما يصنع
ملوم لا يقال له اين ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود
فيقال متي كان ولا ينتهي له بقا فيقال استوفي الاجل والزمان
ولا يقال لم فعل ما فعل اذ لا علة لافعاله ولا يقال ما هو
اذ لا جنس له فيتميز بامارة عن اشكاله يري لا من مقابلة
ويري لا عن مماثلة ويصنع لا بمباشرة وله الاسماء
الحسني والصفات العلا يفعل ما يريد ويذل لحكمه العبيد
لا يجري في سلطانه الا ما يشا ولا يحصل في ملكه الا ما
سبق به القضا ما علم انه يكون من الحادثات اراد ان
يكون وما علم انه لا يكون مما جاز ان يكون اراد ان لا يكون
خالق اكساب العباد خيرها وشرها ومبدع ما في العالم من

الاعيان والاثار قليلها وكثيرها **وارسل** الرسل الي الامم من غير وجوب
عليه ومتعبد للانام علي لسان الانبيا عليهم السلام بما لا
سبيل لاحد باللوم والاعتراض عليه **وموبد** نبينا محمد صلي
الله عليه وسلم بالمعجزات الظاهرة والايات الباهرة بما ازاح
به العذر واوضح به اليقين والذكر وحافظ بنصرة الاسلام
بعد وفاته صلي الله عليه وسلم بخلفا به ثم حارس الحق وناصره
بما يوجعه من حجج الدين علي السنة اوليائه عصم الامة الحنيفية
عن الاجتماع علي الضلالة له وحسم مادة الباطل بما نصب من
الدلالة وانجز ما وعد من نصرة الدين بقوله تعالي ليظهره
علي الدين كله ولو كره المشركون **تمهيد** لتشير الي اصول المسائل
علي وجه الايجاز وبالله التوفيق انتهي كلامه وهو بديع جدا
رضي الله عنهم **الوجه التاسع عشر** الايمان بالملايكة
قال البيهقي الامام الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين
رحمه الله وذلك ينتظم في معنيين **احدهما** التصديق
بوجودهم **والثاني** انزالهم منازلهم باثبات انهم عباد
الله وخلقه كالانس والجن مكلفون لا يقدرون الا
علي ما يقدرهم الله تعالي عليه والموت جايز عليهم
ولكن الله تعالي جعل لهم امدا بعيدا فلا يتوفاهم حتي يبلغوه
وان منهم رسل الله يرسلهم الي من يشا من البشر وقد
يجوز ان يرسل بعضهم الي بعض قال الامام ابو عبد
الله الحليمي من الناس من ذهب الي ان الاحيا العقلا النا

طقيقي

فريقان

فريقان انس وجن وكل واحد من الفريقين صنفان اخيار واشرار
فاخيار الانس يدعون ابرارا ثم ينقسمون الي رسل وغير رسل
واشرارهم يدعون فجارا ثم ينقسمون الي كفار وغير كفار
واخيار الجن يسمون ملايكة ثم ينقسمون الي رسل وغير رسل
واشرارهم يدعون شياطين **وقد** يحتمل هذا التقسيم
وجها اخر وهو ان الجن منهم سكان الارض ومنهم سكان السما
فالذين هم سكان السما يدعون الملا الاعلي ويدعون الملايكة
والذين هم سكان الارض هم الجن بالاطلاق وينقسمون
الي اخيار واشرار ومومنين وكفار فلما امر الملايكة بالسجود
لادم دخل في الجملة الملك الاصلي والملحق بهم غير ان
مفارقته الملايكة في اصل جبلته علي مفارقتهم في الطاعات
فلذلك قال تعالي الا ابليس كان من الجن
قال البيهقي وليس في هذا كله ان الملايكة صنف
غير الجن لكن حديث عائشة رضي الله عنها قالت **قال**
رسول الله صلي الله عليه وسلم خلقت الملايكة من نور
وخلقت الجن من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم
رواه مسلم قال وفي فصله بينهما دليل علي انه اراد
نورا اخر غير نور النار قال الحليمي رحمه الله **ثم** ان
الملايكة يسمون روحانيين لفهم الدا وسمي الله تعالي
جبريل الروح الامين وروح القدس وقال يوم يقوم
الروح والملايكة صفا فقيل ان المراد جبريل **وقيل**

ملك عظيم سوى جبريل يقوم وحده صفًّا والملائكة ومن قال هذا
الروح جوهر وقد يجوز ان يولف الله ارواحا فيجعلها ويخلق منها
خلقا عاقلا وقد قيل ان الملائكة رحانيون بفتح الراء
يعني انهم ليسوا بمحصورين في الابنية ولكنهم في فسحة وبساطة
وقد قيل ان الملائكة الرحمة هم الروحانيون وملائكة
العذاب هم الكروبيون سكان السماء السابعة وبالجملة فهم
عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون والملائكة جواهر نورانية مقدسة عن المكدرات
الجسدانية والقواتي الشهوية والغضبية وهي وسائط
بين الله تعالى وبين البشر اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع
فمن قال ليس لله ملائكة فهو كافر ومن قال
الملائكة موجودون وهم بنات الله فهو كافر والملائكة
جمع ملك اصله الك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة
ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملاك ثم تركت همزته لكثرة
الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا
ملائك وملائكة والتا لتانيث الجمع المفسرون
قال البيهقي الايمان بالرسل انهم كانوا مرسلون الى الذين
ذكروا انهم ارسلوا اليهم وكانوا في ذلك صادقين
والايمان بالمصطفى هو التصديق بانه نبي الله ورسوله
الى الذين بعث اليهم والى من بعدهم من الجن والانس الى قيام
الساعة

الساعة والنبوة اسم مشتق من النبا وهو الخبر الا ان المراد به
في هذا الموضع خبر خاص وهو الذي يكرم الله تعالى به احدا من
عباده فيميزه عن غيره بالقاية اليه ويوقفه به على شريعته بما فيها
من امر ونهي ووعظ وارشاد ووعد ووعيد فيكون النبوة
على هذا الخبر والمعرفة بالمخبرات الموصوفة والنبي هو مخبر بها
فان اتصاف هذا التوقيف امر بتبليغه الناس ودعائهم
اليه كان نبيا ورسولا وان القي اليه ليعمل به في خاصته
ولم يومر بتبليغه والدعا اليه كان نبيا فكل رسول نبي
وليس كل نبي رسولا قطع الله بهم حجة العباد ان يقولوا
جهلنا كيف نعبد او يقولوا ركب فينا سهو وغفلة
وسلط علينا الهوى ووضعت فينا الشهوات فلو امددنا
بمن اذا سهونا نبهنا فاذا مال بنا الهوى قومنا لما كان منا
الا الطاعة او يقولوا قد كان في عقولنا حسن الايمان
والصدق والامانة ونحوها وقبح الكفر والظلم ولكنا لم
نعلم انا نثاب بالطاعة ونعاقب بالمعصية ثم
ان اول من يكلمه من البشر يكلمه عن تعليم ووحي قال
الله تعالى وعلم آدم الاسما كلها خلق الانسان علمه البيان
ثم ان كل رسول ايد بآيات وكل آية اتاها الله تعالى
رسولا فانه يفردها عند الرسول اولا انه رسول حقا ثم
عند غيره وقد يجوز ان يخصه باية يعلم بها نبوة نفسه
ثم يجعل له على قومه دلالة سواها ومعجزات الرسل

كانت اصنافا وقد اخبر الله تعالي انه اعطي موسي تسع ايات
بينات العصا واليد البيضا والدم والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والطمس وفلق البحر
فكانت المعاجزة علي السحرة لان السحر كان عاما
غالبا في زمانه فبعثه بما يعجز به السحرة والان الحديد لداود
وسخر له الجبال والطير فكانت تسبح معه بالعشي والاشراق ف
واقدر عيسي علي الكلام في المهد فكان يتكلم فيه كلام الحكما
وكان يحيي له الموتي ويبري بدعائه او بيده الاكمه
والابرص وجعل له ان يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله ورفعه من بين اليهود لما ارادوا
قتله وصلبه فعصمه بذلك من ان يصل الي القتل والصلب
اليه وكان الطب عاما غالبا في زمانه فاظهر الله ما اعجزه
علي يديه فعجز الحذاق من الاطبا عما هو اقل من ذلك بدرجات
كثيرة وان التعويل علي الطبايع وانكار ما خرج عنها باطل
وان للعالم خالقا مدبرا ودل باظهارها ودعايه علي صدقه
وذكر بعض اهل العلم ان اعلام نبوة سيدنا محمد صلي الله
عليه وسلم تبلغ الفا فاعظمها القران العظيم وحسبك بجانبه
ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالي في كتابه الشفا
الحادي والعشرون قوله واليوم الاخر قال الحليمي معناه
التصديق بان الدنيا منقضية وان هذا العالم منقض
يوما ما يحل تركيبه وان الله تعالي يعيد الرفات من ابدان

الاموات ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها حتي
تصير بهيئتها الاولي فيقوم الناس كلهم لربهم الله جل
ثناوه صغيرهم وكبيرهم حتي السقط الذي تم خلقه ونفخ
فيه الروح فاما الذي لم يتم خلقه ولم ينفخ فيه الروح اصلا
فهو وساير الموات بمنزلة واحدة وقوله تعالي في
صفة القيامة يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها الاية اراد الحوامل اللاتي متن باحمالهن
فاذا بعثن اسقطن تلك الاحمال من فزع يوم القيامة احيا
ولا يتكرر عليها الموت وان كانت الاحمال لم ينفخ فيها الروح
في الدنيا اسقطتها يوم القيامة امواتا كما كانت لان الاحيا
انما هو اعادة الحياة الي من كان حيا فاميت ومن لم يكن له من
الحياة نصيب في الدنيا فلا نصيب له في الحياة الاخرة واثبت
الله البعث في كتابه القران في غير اية فقال تعالي اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر علي ان يخلق مثلهم
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
بقادر علي ان يحيي الموتي بلي انه علي كل شي قدير فاحال قدرته
علي احياء الموتي علي قدرته علي خلق السموات والارض التي
هي اعظم جسما من الناس وقال وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام الي قوله عليم فجعل النشاة الاولي
دليلا علي النشاة الاخرة لانها في معناها ثم قال الذي
جعل لكم من الشجر الاخضر علي تلونه ورطوبته دليلا علي جواز

خلقه الحياة في الرمة البالية والعظام النخرة ونبهنا على احياء الموتى
بالارض تكون ميتة تنبت وتنمي ثم تموت فتصير الى ان لا تنبت
وتنمي وهو سبحانه الفاعل لحياتها وموتها ثم حياتها واذا
قدر على ذلك لم يعجزه ان يميت الانسان ويسلبه معاني
الحياة ثم يرد الحياة اليه ويجعله كما كان وقال تعالى
الم نخلقكم من ماء مهين اعلمهم انه اخرج النطفة من صلب
الاب وهي ميتة ثم انه يجعلها حية في رحم الام يخلق من
يخلق منها ويركب الحياة فيها فهذا احياء ميت في المشاهد
فمن يقدر على هذا لا يعجز ان يبعث هذا الخلق ثم يعيد
حياته ثم بسط هذا المعنى سبحانه وتعالى فقال الم يك نطفة
من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقد
نبهنا على ذلك بما اخبر به من اراءه الخليل صلوات الله
عليه وعلى ساير النبيين احياء الاموات وبقصة الذي
مر على قرية وهي خاوية على عروشها وبقصة الحاذرين
من الموت وبعصى موسى عليه السلام وبقصة اهل الكهف
وبغير ذلك من الايات كقوله تعالى ان كنتم في ريب
من البعث الاية ولا خلاف بين المسلمين في البعث بعد
الموت بعث الاجساد والارواح والله اعلم الثاني
والعشرون قوله ونؤمن بالقدر خيره وشره الشرح
القضاء والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر

فالقضا

فالقضا بمنزلة الاساس والقدر بمنزلة البنا والقدر تعلق
القضا بالاشيا في اوقاتها الخاصة وقيل هو اجرا القدرة
القديمة على محل القدرة الحادثة والقضا هو الارادة الازلية
والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص
وهو احسن النظام والايمان بالقدر ان نعتقد ان جميع
ما يجري في العالم من الخير والشر بتقدير الله وقضائه
ولكن للعباد اختيار مرتبط بالاسباب الواقعة في القدر
فالتقدير من الله والكسب من العباد يخلق الله الاختيار ر
في العبد ثم يرتب عليه الفعل في الوقت الذي قدره
في الازل والتقدير والفعل يجريان معا هذا الذي عليه
اهل السنة كافة وذهبت القدرية الى ان لا قدر وان
الامر انف وان العبد يخلق افعاله وذهبت الجبرية
الى ان لا كسب للعبد وان فعله مضاف الى الله تعالى
والكلام هنا مع القدرية خاصة واحتجوا بقوله تعالى فتبارك
الله احسن الخالقين وافعل يقتضي المشاركة في الاصل
والترجيح في الوصف وايضا فان الله امر عباده ونهاهم فلو
كان الافعال بايجاده تعالى لكان المطيع والعاصي
هو الله تعالى وايضا فان فعل العبد لا يخلوا اما ان يكون
كله من الله تعالى من غير تعلق بقدرة العبد واختيار
سوى القيام كما زعم اهل الجبرية او يكون كله من العبد
بايجاده واحداثه بلا اقدار الله تعالى اياه كما ادعينا ان يكون

من العبد بايجاده كسبا ومن الله خلقا كما هو مذهبكم لا وجه الى
الاول لانه يكون العبد مجبورا في افعاله وحينيذ يبطل الامر والنهي
كما التزمتم على الجبرية ولا وجه الى الثالث فانه يودي الى اثبات
الشركة بين الله وبين العبد فيكون الفعل مشتركا في الوجود
بين الله وبين عبده فتعين ما قلنا ونقول له اراد
الله تعالى ان يخلق فعلا في العبد على اصلكم فهل يمكن العبد
ان يمتنع من ذلك ام لا فان قلتم لا يمكنه ذلك فقد جعلتم
العبد مضطرا وان قلتم نعم فقد جعلتم الله تعالى عاجزا عن خلق
الفعل في العبد عند امتناعه من ذلك وانه محال ولان
من افعال العباد ما هو قبيح وسفه وايجاد القبيح قبيح
وايجاد السفه سفه اذ الايجاد فوق الاكتساب وقد اتفقنا
ان فعل ذلك من العبد سفه وقبيح وذلك لا يليق بالحكمة
ولان فعل العبد مقدور العبد عندكم واذا كان مقدور العبد
لا يكون مقدور الله تعالى لاستحالة مقدور واحد تحت
قدرة قادرين في الشاهد وما كان محالا في الشاهد فهو محال
في الغايب ايضا فالجمع بين الضدين وغير ذلك فهذه
معظم شبهاتهم في المسيلة واحتج اهل السنة بالكتاب والسنة
والمعقول اما الكتاب فقوله تعالى ذلكم الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شي فمقتضى الاية ان ينفرد هو سبحانه
بخلق الاشيا وان يكون كل ما يسمى مخلوقا بخلقه وافعاله
العباد من ذلك فتكون مخلوقة وتحقيقه ان الاية

سيقت

سيقت لمدح الله تعالى بما ينفرد هو به ولا يشاركه فيه غيره
بدلالة افتتاحه بالوحدانية فلو شاركه غيره لبطل سياق الاية
وكذا قوله تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه الاية
وكذا قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون نص في ان الله تعالى
خالقنا ودلالة انه خالق اعمالنا فانه قال وما تعملون وكلمة
ما مع الفعل اذا ذكرت يراد بها المصدر عند الاطلاق كما في
قولهم اعجبني ما صنعت اي صنعك وهذا مذهب جمهور اهل
اللغة نحو سيبويه وغيره من النحويين والدليل عليه قوله
تعالى جزاء بما كانوا يعملون اي باعمالهم وتاويل الخصم
ان المراد المعمول دون العمل والمعمول هو الصنم وانه مخلوق
الله تعالى فيقول هذا التاويل لا ينفعكم على اصلكم لان
الفعل عندكم والمفعول واحد والصنم ليس بعمل العبد
فلا يكون معمولا له ايضا واما الفعل في الصنم عمله فيكون
حجة على الخصم واما السنة فعن يحيى بن معمر قال كان اول
من قال في القدر معبد الجهني بالبصرة قال فانطلقنا حجاجا
انا وحميد بن حميد بن عبد الرحمن الحميري فلما قدمنا المدينة
وافينا عبد الله بن عمر وهو في المسجد فقلت يا ابا عبد
الرحمن ان قبلنا ناسا يقرون القران ويتفقدون العلم
ويقولون ان لا قدر وان الامر انف قال فاذا لقيت اوليك
فاخبرهم اني منهم بريء وانهم مني برا والذي يحلف به عبد
الله بن عمر لو كان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل

الله منه حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره حدثني ابي عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فذكر حديث الكتاب فان قيل تبري
ابن عمر منهم يدل على انهم غير مسلمين وكذلك لو انفق احدهم
الى اخره فان مثل ذلك انما جاء في حق الكفار والمنافقين
فالجواب اختلف العلماء في تكفيرهم فمن كفرهم تبع هذا
الاثر وهو ظاهر كلام ابن عمر وفي عقيدة الطحاوي رحمه الله قال
تبرا الى الله من كل من خالف ما ذكرنا ثم عد القدرية
وقال وهم عندنا ضلال اردياء وقال ابن الديلمي اتيت ابي
ابن كعب رضي الله عنه فقلت وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني
بشيء لعل الله ان يذهبه من قلبي فقال لو ان الله عذب
اهل سمواته واهل ارضه عذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم
كانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم ولو انفقت مثل احد
ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر
وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن
ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار قال ثم
اتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك ثم اتيت حذيفة فقال
مثل ذلك قال البيهقي هذا ذكره لهذا وقد دل الكتاب
والسنة على ان الله تعالى علم في الازل ما يكون من
عباده من خير وشر ثم امر القلم فجرى في اللوح المحفوظ بما
علم قال تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقال ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها

وقال

وقال تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا وروينا في صحيح
مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كان الله ولم يكن شيء غيره فكتب في الذكر كل
شيء ثم خلق السموات والارض ثم ان الله تعالى خلق
الخلق على ما علم منهم وعلى ما قدر عليهم انا كل شيء خلقناه
بقدر يعني بحسب ما قدرناه قبل ان نخلقه وفي الصحيحين
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تحاج ادم وموسى فقال موسى يا ادم انت
ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له ادم يا موسى
اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة اتلومني على امر
قدره الله علي قبل ان يخلقني قال فحج ادم موسى وعن
انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
سنين فما ارسلني في حاجة قط فلم تتهيا الا قال لو قضي كان
ولو قدر كان وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال الله تعالى من لم يرض بقضائي وقدري
فليطلب ربا سوائي وعن علي رضي الله عنه في قوله سبحانه
وكان تحته كنز لهما كان له لوحا من ذهب مكتوب فيه لا اله
الا الله محمد رسول الله عجبا لمن يذكر ان الموت حق كيف
يفرح وعجبا لمن يذكر ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يذكر
ان القدر حق كيف يحزن وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها والاحاديث في ذلك

كثيرة يأتي معظمها ان شاء الله تعالى واذا دل الكتاب
والسنة على ما قلنا بطلت شبههم المعقولة فانها لم تصادم
المنقول والاشتغال بردها تطويل بغير فايدة قال
الاشبيلي من صدق بهذه الاشياء تصديقا جازما لا تردد فيه
ولا توقف كان مومنا حقا وسواء كان ذلك عن براهين
قاطعة او عن اعتقادات جازمة على هذا كان السلف وعليه انقرضت
اعصار الصحابة والتابعين حتى حدثت المعتزلة فقالوا لا يصح
الايمان الشرعي الا بعد الاحاطة بالبراهين السمعية والعقلية
وحصول العلم بنتايجها ومطالبها فمن لم يحصل له ذلك فليس
بمومن وتبعهم على ذلك جماعة من المتكلمين كالباقلاني
والاسفرايني والجويني في احد قوليه والاول هو الصحيح لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حكموا بصحة ايمان كل
من صدق بما ذكرنا ولم يفرقوا بين من امن ببرهان او غيره
ولم يامروا اجلاف العرب بترديد النظر ولا سالوهم عن ادلة
تصديقهم ولا اخروا ايمانهم الى ان ينظروا في الادلة والبراهين
التي حررها المتكلمون بل سموهم المومنين والمسلمين واجروا
عليهم احكام الايمان والاسلام من الجاهل والمهذب ان
يشترط في صحة الايمان ما لم يكن معروفا ولا معمولا به عن الله
ولا عن رسوله ولا عن السلف الماضين رحمة الله عليهم
اجمعين **الثالث والعشرون** قوله فاخبرني
بلغ مقابلته عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه

وقف لله تعالى بالجامع الازهر

ب

تراه فانه يراك قال الاشبيلي الاحسان مصدر
احسن يحسن احسانا وهو على معنيين متعد بنفسه كقولك
احسنت كذا ومتعد بحرف الجر كقولك احسنت في كذا
اذا احسنته واكملته وهو منقول بالهمزة من حسن الشي
وهو في الحديث بالمعنى الاول اذ حاصله راجع الى اتقان
العبادة ومراعاة حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار
عظمته وجلاله وارباب القلوب في هذه المراقبة على حالين
احدهما غالب مشاهدة الحق فكانه يراه والاخر يغلب عليه
ان الحق مطلع عليه ومشاهد له وهو المراد بقوله فان لم
تكن تراه فانه يراك واليه الاشارة بقوله تعالى الذي
يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وما تكون في
شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا
عليكم شهودا اذ تفيضون فيه **وهاتان** الحالتان
ثمرة معرفة الله تعالى وخشيته ولذلك فسر الاحسان
في حديث ابي هريرة بقوله ان تخشى الله كانك تراه فعبر
عن السبب باسم المسبب توسعا والالف واللام في
الاحسان للعهد وهو الذي قال الله تعالى فيه للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وهل جزاء الاحسان الا الاحسان
واحسنوا ان الله يحب المحسنين **ولما** تكرر ذكر الاحسان
في القران وترتب عليه الثواب العظيم سال جبريل عليه
السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عنه فبينه ليعمل الناس

يرقبالون الثواب الجسيم والحظ العظيم هذا كلامه وقال
الطوفي اعلم ان العبادة تكون اما بالقلب كالايمان واما
بالبدن كالاسلام ولما كان الاسلام هو المراقبة في
العبادة كان الاحسان هو المراقبة بالاخلاص في الايمان
والاسلام فلا يظهر الايمان رياء اوخوفا فيكون منافقا
ولا يظهر اعمال الاسلام كالصلاة ونحوها لغير الله عز وجل
فيكون مرائيا مشركا بل يرى ان الله عز وجل معه ومطلع
عليه واقرب اليه مما سواه ولا يعبد الا اياه ولا يراقب
سواه وعلى هذا فالاحسان شرط في الاسلام والايمان او
كالشرط فيهما اذ بدون الاخلاص والمراقبة فيهما لا يقبلان
لقوله عليه السلام لا يقبل الا ما كان خالصا لوجهه ويدل
على ذلك قوله عز وجل بلى من اسلم وجهه وهو محسن فقد
استمسك بالعروة الوثقى فشرط الاحسان في الاسلام وقال عز
وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين فاشترط الاحسان
في التقوى والايمان فائدة حكي عن الشيخ محمد بن سكرا
وهو من مشاهير مشايخ بغداد المتاخرين رحمه الله تعالى
انه ذكر هذا الكلام يوما فقال اعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه ثم وقف ههنا وهو اشارة صوفية معناها
انك اذا افنيت نفسك فلم ترها شيئا شاهدت الله

عن

عز وجل فان النفس ورؤيتها لحجاب دون الله عز وجل
فان الغي الحجاب شاهد الجناب وهذا شبيه بما يحكى عن بعض
المشايخ انه قال رايت رب العزة في المنام فقلت يا رب كيف
الطريق اليك فقال خل نفسك وتعالى انتهى كلام الطوفي
وقال الاستاذ ابو النصر القشيري رحمه الله هذا
الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى حال المراقبة
لان المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه واستدامته
لهذا العلم مراقبته لربه وهذا اصل كل خير ولا يكاد يصل الى
هذه الرتبة الا بعد فراغه عن المحاسبة فاذا حاسب نفسه على
ما سلف واصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق واحسن ما بينه
وبين الله مراعاة القلب وحفظ مع الله الانفاس راقب
الله سبحانه وتعالى في عموم احواله فيعلم انه سبحانه وتعالى
عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم احواله ويرى افعاله ويسمع
اقواله وان تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية
الوصلة فكيف عن حقائق القربة سمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الجريري
يقول من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل الى
الكشف والمشاهدة سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق
يقول كان لبعض الامرا وزير فكان بين يديه يوما فالتفت
الى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفا لا لريبة ولكن لحركة
او صوت احس منهم فاتفق ان ذلك الامير نظر الى هذا

الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير ان يتوهم الامير انه نظر
اليهم فجعل ينظر اليه كذلك فبعد ذلك اليوم كان هذا
الوزير يدخل على الامير ابدا وهو ينظر الى الجانب حتى توهم
الامير ان ذلك خلقة وحول فيه وهذا مراقبة مخلوق
لمخلوق كيف مراقبة العبد لسيده وقال بعضهم
من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه وسيل
ابو الحسين ابن هند متى يهش الراعي غنمه بعصى الرعاية عن
مراتع الهلكة فقال اذا علم ان عليه رقيبا وقيل كان ابن
عمر في سفر فراى غلاما يرعى غنما فقال تبيع من هذا الغنم
واحد فقال انها ليست لي فقال قل لصاحبها ان الذيب
اخذ منها واحد فقال العبد فاين الله فكان ابن عمر يقول
بعد ذلك الى مدة قول ذلك العبد فاين الله وقال
الجنيد رحمه الله من تحقق في المراقبة خاف على فوات
حظه من ربه لا غير وقال ذو النون علامة المراقبة
ايثار ما اثر الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر
الله ثم قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
ابا العباس البغدادي يقول سالت جعفر ابن نصير
عن المراقبة فقال مراعاة السر لملاحظة الحق مع كل خطرة
وسيل ابن عطا ما افضل الطاعات فقال المراقبة
الحق على دوام الاوقات وقال ابراهيم الخواص المراعات
تورث المراقبة والمراقبة خلوص السر والعلانية لله

وقال

وقال ابو عبد الله الرازي سمعت ابا عثمان يقول قال
لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك
ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله
رقيب باطنك وقال الواسطي افضل الطاعات حفظ
الاوقات وهو ان لا يطالع العبد غير حده ولا يوافق
غير ربه ولا يقارن غير ربه الرابع والعشرون قوله
فاخبرني عن الساعة قال الاسبيلي هي في الاصل مقدار من
الزمان غير معين ولا محدود كقوله تعالى ما لبثوا غير ساعة
وفي عرف اهل الشرع عبارة عن يوم القيامة وفي عرف اخر من
جزء من اربعة وعشرين جزءا من اوقات الليل والنهار انتهى
وقال الطوفي في قوله فاخبرني عن الساعة يعني القيامة
اي عن زمن وجودها سميت ساعة وان طال زمنها اعتبارا
باول ازمنتها فانه تقوم بغتة في ساعة ومن الناس من
يكون يتناول اللقمة فلا يمهل حتى يبلعها فهل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها اه وقال
الشيخ ابو عبد الله الحليمي الساعة التي في القران على وجهين
احدهما الساعة الاخرة من ساعات الدنيا لو نذر عن
الساعة ايان مرساها ثم قال لا تاتيكم الا بغتة والاخر
الساعة الاولى من ساعات الاخرة قال تعالى ويوم تقوم
الساعة يعني يبعث من في القبور يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة
وثوبهما بينهما لا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته من تحتها ولا يطعمه وقد
رفع اكلته الى فيه لا يطعمها اهـ وسوال جبريل انما هو عن علم الساعة
الاولى فان الامارات والاشراط لها **الخامس والعشرون**
قوله ما المسئول عنها باعلم من السايل قال الطوفي اي
كلنا سوا في عدم العلم بزمن وقوعها ان الله عنده علم
الساعة ان الساعة اتية اكاد اخفيها يسئلونك عن
الساعة ايان مرسيها فاقل انما علمها عند ربي الايات وفي
الصحيح مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله وتلا ان الله عنده
علم الساعة الاية اهـ فان قيل فكيف قال النبي صلى الله عليه
وسلم بعثت انا والساعة كهاتين اهـ فهذا يدل على ان عنده
منها علما والايات تقتضي ان الله منفرد بعلمها واجاب
الحليمي عن هذا بان معناه انا النبي الاخير ولا يليني نبي اخر وانما
تليني القيامة وهي مع ذلك دانية لان اشراطها متتابعة
بيني وبينها غير ان ما بين اول اشراطها الى اخرها غير معلوم
الوجه السادس والعشرون قوله فاخبرني
عن اماراتها هو بفتح الهمزة اي علاماتها قال الطوفي
وربما روي اماراتها على الجمع يقال امارة وامارات نحو ضلالة
وضلالات من باب ما يفرق بين واحده وجمعه بحذف
الهاء من الجمع نحو تمرة وتمرات قوله ان تلد الامة اي الجارية

المسئولة ربها سيدها وجاء في رواية بعلها كما قال اتدعون
بعلا في قول ابن عباس **وغيره** لم ادر ما البعل حتى
قلت لاعرابي لمن هذه الناقة قال انا بعلها وقد يسمى
الزوج بعلا ويجمع على بعولة قال الله تعالى وبعولتهن
احق بردهن وهذا بعلي شيخا وربتها تانيث رب وفيه
اوجه **احدها** ان تكثر بيع السراري حتى تشتري المراة
تلد الامة بنتا لسيدها وبنت السيد في معنى السيد **الثاني**
ان يكثر بيع السراري حتى تشتري المراة امها وتستعبدها
جاهلة انها امها **الثالث** ان معناه ان الاما تلدن
الملوك فتلد الامة الملك وهي من رعيته فهو كربها وقيل
معناه كثرة العقوق في الاولاد فيعامل الولد امه معاملة
السيد امته من الاهانة والسب ويشهد له حديث ابي هريرة
رضي الله عنه ان تلد الامة ربها وقوله لا تقوم الساعة حتى
يكون الولد غيظا **الوجه السابع والعشرون** قوله وان
ترى الحفاة العراة العالة رعا الشا يتطاولون في البنيان
قال الاشبيلي الحفاة جمع حاف وهو الذي لا يلبس في
رجله شيا والعراة جمع عار وهو الذي لا يلبس على جسده
شيا والعالة جمع عايل وهو الفقير والعيلة الفقر
يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر واعال يعيل اذا كثر
عياله اهـ وقال الزمخشري والذي يحكى عن الشافعي
رضي الله عنه انه فسر قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ان

لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولهم اعال الرجل عياله
يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من
كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة
علي حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب انتهي
قال الاشبيلي وهذه الاوصاف غالبة علي اهل البادية
ثم قال ومقصود الحديث الاخبار بتغير الحال وتبدله بان
تستولي اهل هذه الصفات الذميمة علي اهل الحاضرة فيتملكوا
بالقهر والغلبة وتكثر اموالهم فيهمهم الابنية ويشيدون
المباني وقد شوهد ذلك عيانا فكان ذلك دليلا علي صدق
رسول الله صلي الله عليه وسلم وقرب الساعة وفيه دليل
علي كراهة ما لا تدعو الحاجة اليه من تطويل البنا وتشييده
وفي الحديث يوجر ابن ادم في كل شي الا ما يضعه في التراب
ومات رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يشيد بناء ولا
طوله انتهي وروي البيهقي في شعب الايمان عن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من بني
بناء اكثر مما يحتاج اليه كان عليه وبالا وفي مسند عبد بن
حميد عن النبي صلي الله عليه وسلم قال كل ما انفق العبد
من نفقة فعلي الله خلفها ضامنا عليه الا نفقة في بنيان
او معصية وعن عمر بن عبد العزيز انه كان لا يبني بيتا ويقول
سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم فانه لم يضع لبنة
علي لبنة ولا قصبة علي قصبة وعن ميسرة قال ما بني

عيسي

عيسي عليه السلام بنيانا قط فقيل له الا تبني بيتا قال لا اترك
بعدي شيا من الدنيا اذكر به وقيل ليحيي عليه السلام الا
تبني بيتا قال يكفينا خلقان من كان قبلنا ولبث
نوح عليه السلام في قومه الف سنة الا خمسين عاما في بيت
من شعر فقيل له يا نبي الله ابن بيتا فيقول غدا اموت بعد
غد اموت وعنه انه بني بيتا من قصب فقيل له لو بنيت
غير هذا قال هذا كثير لمن يموت وعن ابن مطيع انه نظر يوما
الي داره فاعجبه حسنها فبكي وقال والله لولا الموت لكنت
بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت
بالدنيا اعيننا ثم بكي حتي ارتفع صوته وانشد ولله
ومشيد دارا ليسكن داره · سكن القبور وداره لم يسكن
والرعا جمع راع واصله الحفظ والشا جمع شاة وهي من الجمع
الذي يفرق بينه وبين واحده بالها وهو كثير فيما كان خلقا
لله كشجرة وشجر وتمرة وتمر وانما خص الرعاء بالذكر لانهم
اضعف اهل البادية يعني اذا صار هولاء ملوكا مع بعدهم
عن اسباب ذلك فانتظر الساعة قال النووي
رحمه الله معناه ان اسافل الناس يصيرون اهل ثروة
ظاهرة اه قال الحوفي ولعل هذا ينظر الي قوله عليه السلام
اذا وسد الامر الي غير اهله فانتظر الساعة انتهي وقد
ذكر النبي صلي الله عليه وسلم من اشراط الساعة طلوع الشمس
من مغربها وخروج الدابة والدجال ويأجوج ومأجوج وكثرة

الهرج وهو القتل وفيض المال حتى لا يقبله احد وان يحسر
الفرات عن جبل من ذهب ونحو ذلك وذهاب القران
وهو ان يسرى عليه ليلا فيذهب من صدور الرجال وفساد
الامر بان يسند الامر الى غير اهله وذهاب العلم وكثرة
الجهل وتقارب الزمان قيل يا رسول الله وما تقارب
الزمان قال تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة
كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاضطراب السعفة
ومن اشراط الساعة انتفاخ الاهلة فعن الشعبي ان
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر من اشراط الساعة انتفاخ الاهلة
وهو ان يراه الرجل لليلة فيحسبه لليلتين ورفع الاشرار
ووضع الاخيار وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يسود
كل قبيلة منافقوها ولا تقوم الساعة حتى يكون اسعد
الناس بالدنيا لكع بن لكع ولا تقوم على احد يقول لا اله
الا الله وحتى يكون قيم خمسين امراة رجل واحد وحتى يتبع
الرجل ثلاثون امراة كلهن تقول انكحني انكحني وزخرفة
المساجد وعن حذيفة رضي الله عنه قال ليدرسن
الاسلام كما يدرس الثوب حتى لا تعرف صلاة ولا صيام
ولا نسك الا بقايا من شيخ كبير او عجوز يقول كنا نسمع
كلاما من اقوام ادركناهم من قبلنا يقولون لا اله الا الله
فنحن نقولها فقال له صدقة ابن زفر العبسي يا ابا عبد
الله فما تنفعهم لا اله الا الله وهم لا يعرفون صلاة ولا صياما

ولا

ولا نسكا قال تنجيهم من النار ولا تقوم الساعة حتى تعبد
اللات والعزى وقال رضي الله عنه اذا ا
مات الناس الصلاة واضاعوا الامانة واستحلوا الكذب
واكلوا الربا واخذوا الرشا وشيدوا البنا واتبعوا الاهوا وباعوا
الدين بالدنيا واستخفوا بالدما وقطعت الارحام وصار
الحكم ضعيفا والظلم فخرا والامرا فجرة والوزرا خونة
وعرفاوهم ظلمة وقراوهم فسقة وظهر الجور وكثر
الطلاق وموت الفجاة وقول البهتان وحليت المصاحف
وزخرفت المساجد وطول المنار وازدحمت الصفوف وتقطعت
الارحام وخربت القلوب وشاركت المراة زوجها في التجارة
حرصا على الدنيا وتركن النسا المبازر ويتشبهن بالرجال وتشبه
الرجال بالنسا واختص السلام بالمعرفة واستشهد قبل
ان يستشهد ولبسوا جلود الضان على قلوب الذياب
قلوبهم امر من الصبر وانتن من الجيفة والتمسوا الدنيا بعمل
الاخرة فالنجا فالنجا الوحا الوحا الحذر الحذر الجد الجد يا صعصعة
ابن صوحان نعم المسكن يومئذ بيت المقدس ومن اشراطها
ان يمر الرجل في المسجد من مساجد الله لا يركع فيه ركعة
وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يتمنى ابو الخمسة انهم
اربعة وابو الاربعة انهم ثلاثة وابو الثلاثة انهم اثنان
وابو الاثنين انه واحد وابو الواحد ليس له ولد وفي الحديث
لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من

ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وفيه ان بين يدي الدجال
لنيفا وسبعين دجالا ولا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي
وحتى تخرب المداين اللهم امنا قبل الفتن يا عالم السر والعلن
يا رب العالمين فهذه بعض اشراطها ولها اشراط كثيرة
غيرهذه وانما اقتصر في هذا الحديث على هاتين الامارتين
تحذيرا للحاضرين وغيرهم منها اعني كثرة اتخاذ السراري
وبيعهن والتطاول في البنيان وتوسد الامر الى غير اهله
لاقتضاء الحال ذلك لعلهم كانوا يتعاطون شيا من ذلك
فزجرهم عنه الثامن والعشرون قوله ثم انطلق فلبث
مليا قال الاشبيلي اي اقام بعد انصرافه حينا يعني النبي
صلى الله عليه وسلم ويروى فلبثت بتاء المتكلم فيكون عمر
اخبر بذلك عن نفسه كلاهما صحيح وجاء في تفسيره انه لبث
بعد ذلك ثلاثا التاسع والعشرون قوله قال يا عمر
اتدري من السايل قلت الله ورسوله اعلم فيه فايدتان
احدهما تخصيص عمر من بين الصحابة بالذكر يدل على جلالته
ورفعة مقامه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم الثانية
قول عمر رضي الله عنه الله ورسوله اعلم فيه من الادب
رد العلم الى عالمه واصل ذلك قول الملايكة لا علم لنا
الا ما علمتنا وسيل النبي صلى الله عليه وسلم اي بقاع الارض
افضل فقال لا ادري حتى اسال العالم ثم ذهب
فاتاه فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض

المساجد

المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار وسال النبي
صلى الله عليه وسلم جبريل عن قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين فقال لا ادري ثم ذهب فجاءه
فقال ان الله عز وجل يامرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفوا عمن ظلمك وهكذا يجب على العالم اذا
سيل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم فانها نصف العلم وسيل
مالك عن اربعين مسيلة فاجاب في اربعة وقال في ست
وثلاثين لا ادري وسيل ابو حنيفة عن ست مسايل
فتوقف فيها ولم يخل ذلك باجتهادهم رضي الله عنهم
وارضاهم الثلاثون قوله فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم
قال المفسرون جبريل اسم عجمي لا ينصرف وفيه لغات وقيل جبر هو
العبد بالسريانية وايل اسم الله وكذلك ميكايل قال
عكرمة جبريل وميكايل بمنزلة عبد الله وعبد الرحمن وجبريل
هو روح القدس ايد الله به انبياه وهو امين الله على وحيه
والحديث يدل على انه عرف جبريل وقد جاء في حديث
البخاري انه لم يعرفه الا في اخر الامر وجبريل لم يعلمهم شيا
انما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم لكن بواسطة سواله
فكان هو السبب فنسب التعليم اليه مجازا من باب اطلاق
اسم المسبب على السبب الحادي والثلاثون قال
الطوفي احتج الاتحادية والحلولية من هذا الحديث على مذهبهم
من وجهين احدهما ان جبريل روحاني وقد خلع في هذا

الحديث صورة الروحانية وظهر مظهر البشرية مع ان جبريل
احد مخلوقات الله عز وجل وكذلك كان يظهر في صورة
دحية الكلبي فيعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ملكا والناس
حوله يعتقدونه بشرا قالوا والله عز وجل اقدر على
الظهور في صورة الوجود الكلي او بعضه ونحو هذا احتج
ابن الفارض في نظم السلوك **الوجه الثاني** قوله عليه السلام
فان لم تكن تراه فانه يراك قالوا هذا يدل على انه عز وجل ماهيته
لطيفة في غاية اللطافة بحيث انه يرى ولا يُرى ويشهد لذلك
قوله عز وجل وهو معكم اينما كنتم ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب
اليه منكم ونعلم ما توسوس به نفسه لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير **وقوله** عليه السلام اربعوا
على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا
بصيرا قريبا انه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قالوا فهذه
النصوص من الكتاب والسنة تدل على انه عز وجل ساريا ثم
في الوجود والجواب ان البرهان قد قام على استحالة
الاتحاد مطلقا وعلى استحالة الحلول عليه جل جلاله وما ذكر نحو
تموه من الاستدلال بهذا الحديث وغيره ظواهر لا تعارض
البرهان القاطع وقد اجمع علما الكتاب والسنة على تاويلها
على خلاف ما ذكرتم فبطل ما ادعيتم والحمد لله رب العالمين
الثاني والثلاثون قال الطوفي اللام في الحفاة العراة

العالة

العالة يحتمل انها للعموم فيكون مخصوصا بقاطع العادة اذ العادة
تقتضي ان ليس جميع الفقرا يتطاولون في البنيان بل بعضهم
ويحتمل انها للمعهودين المخاطبين او لتعريف الماهية او لبعض
الجنس كما ذهب اليه بعضهم فلا عموم ولا تخصيص وكذلك
قوله ان تلد الامة ربتها يحتمل اللام للعموم اذ ليس كل امة يتفق
لها ذلك ففيها الوجهان كما في لام الحفاة وقوله عليه السلام
لم ادري من السايل الاخر فيه دليل على استحباب تنبيه
المعلم تلاميذه والرئيس من دونه على فوايد العلم وغرايب
الوقايع طلبا لنفعهم وفايدتهم **ثم قال** وههنا سوال
وهو انه عليه السلام سمى مجموع ما تضمنه هذا الحديث دينا
وهو الاسلام والايمان والاحسان بقوله ان جبريل اتاكم
يعلمكم دينكم وانما علمهم هذه الثلاثة مجموعها هو الدين
لكن هذا معارض لقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا اذ يقتضي ان الدين
هو الاسلام وحده وهو جزء الدين المذكور في حديث
جبريل **وهذا سوال** اوردته في درس بعض الفضلا
فلم يجب عنه بما يشفيني والذي استحضرته الان في الجواب
عنه ان الدين لفظ يطلق على الثلاثة التي سال عنها
جبريل وعلى الاول منها وحده واطلاقه على هذين المعنيين
اما بالاشتراك او بالحقيقة والمجاز او بالتواطي او غير ذلك
ففي الحديث اطلق الدين على مجموع الثلاثة وهو احد مدلوليه

وفي الاية اطلق علي الاسلام وحده وهو مسماه الاخر ويحتمل
ان يقال في الجواب ان قوله عز وجل ورضيت لكم
الاسلام دينا لا عموم فيه لان دينا نكرة ليس لها عموم وهو
نصب علي التمييز فالتقدير رضيت لكم الاسلام دينا من
الدين والمتيقن من ذلك ان الاسلام بعض الدين كله
وهو موافق للحديث لان الاسلام فيه بعض الدين وهو
خصلة من ثلاث خصال وهي الاسلام والايمان
والاحسان لكن هذا الجواب يعارضه قوله عز وجل ان الدين
عند الله الاسلام وقوله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه فانه يقتضي ان الاسلام جميع الدين
لا بعضه والاقرب اهو الجواب الاول انتهي كلامه وقال
النووي رحمه الله اسم الاسلام يتناول ما هو اصل
الايمان وهو التصديق ويتناول اصل الطاعات فان
ذلك كله استسلام انتهي وهذا يحل الاشكال الذي
اورده الطوفي والله اعلم **الثالث والثلاثون**
قال القاضي ابو بكر ذهب اصحابنا الي ان الايمان هو تصديق
القلب ويتضمن وجوب وجود المعرفة بالمصدق ويستحيل
وجوده مع عدمها وان الشرع لم يغير الايمان اللغوي
ثم حكي مذهب الخوارج والمعتزلة وذكر ذلك بطول
وحديث جبريل هذا يدل علي انه لمجرد التصديق والله اعلم
الرابع والثلاثون قال القاضي ابو بكر اعلموا انه لا خلاف

بين

بين المسلمين ان الشرع قد ورد بزيادة ايمان الخلق ونقصانه
قال الله عز وجل واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا وقال ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وغير ذلك من الاي واجمع المسلمون علي ان ايمان
الخلق يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وان المراد بذلك
زيادة ثوابه ونقصانه وان ثوابه يزيد بالطاعة وينقص
بالمعصية لان الايمان يزيد في نفسه وينقص والدلالة
علي ذلك ما قدمنا ان الايمان هو التصديق بالله وبجميع
صفاته وذلك لا يزيد ولا ينقص لان الانسان اذا امن
بالله عز وجل وهو غير عارف ولا مومن بصفة من صفاته
لم يكن مومنا ومتي عرف الله وعرف جميع صفاته وصدقه
في جميع ما اخبر به كان مومنا واذا كان ذلك كذلك علم
ان الزيادة ~~علي ان الزيادة~~ والنقصان لا يتصور علي
اصل المخالف لان الايمان اذا كان عندهم هو الطاعات
كلها مع اجتناب المعاصي علي مذهب ابي الهذيل او الطاعات
او الواجبات كلها مع اجتناب الكباير علي قول ساير المعتزلة
او اجتناب المعاصي كلها علي قول الخوارج وان من اخل
بشي من ذلك فانه ليس بمومن واذا اتي بجميع هذه الاشيا
يكون مومنا واذا كان الامر علي ما ذكرناه ثبت ان الزيادة
والنقصان لا يتصور في نفس الايمان علي قول ساير الامة
واذا لم يتصور ذلك في نفسه وجب ما قلناه من ان ثوابه

يزيد وينقص اه كلامه وقال النووي رحمه الله قال المحققون
من اصحابنا نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان
الشرعي يزيد بزيادة ثمراته وهي الاعمال وينقص بنقصا منها
وبذلك يجمع بين ظواهر النصوص وتاويل السلف
وبين اصل وضع اللغة وما عليه المتكلمون قال وان
هذا الذي قال هولاء وان كان ظاهرا حسنا فالاظهر والله
اعلم ان نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الادلة
ولهذا يكون ايمان الصديق اقوي من ايمان غيرهم بحيث
لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل ايمانهم بعارض بل لا تزال
قلوبهم منشرحة نيرة وان اختلفت عليهم الاحوال واما
غيرهم من المولفة قلوبهم ومن قاربهم فليس كذلك هذا
مما لا يمكن انكاره ولا يشك في ان تصديق ابي بكر الصديق
رضي الله عنه لا يساويه تصديق احاد الناس ولهذا قال
البخاري في صحيحه قال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين من
اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق
علي نفسه ما منهم احد يقول ان ايمانه علي ايمان جبريل وميكا يل
عليهما السلام واما اطلاق اسم الايمان علي الاعمال فمتفق
عليه عند اهل الحق ودلايله من الكتاب والسنة اكثر من
ان يحصر قال الله تعالي وما كان الله ليضيع ايمانكم
اجمعوا علي ان المراد به صلاتكم واما الاحاديث
فكثيرة واتفق اهل السنة من المحدثين والفقها والمتكلمين

علي ان المومن الذي حكم بانه من اهل القبلة ولا يخلد
في النار لا يكون الا من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقادا
جازما خاليا من الشكوك ونطق بالشهادتين فان
اقتصر علي احدهما لم يكن من اهل القبلة اصلا الا اذا عجز
عن النطق لخلل في لسانه او عدم التمكن منه لمعاجلة
المنية او غير ذلك فانه يكون مومنا اما اذا اتي بالشهادتين
فلا يشترط معهما ان يقول وانا بري من كل دين خالف
دين الاسلام الا اذا كان من الكفار الذين يعتقدون
اختصاص رسالة نبينا صلي الله عليه وسلم الي العرب
خاصة فانه لا يحكم باسلامه الا بان يتبرا ومن اصحابنا الشافعية
من شرط ذلك مطلقا وليس بشي اما اذا اقتصر علي قول
لا اله الا الله فالمشهور من مذهب العلما انه لا يكون مسلما
ومنهم من قال يكون مسلما ويطالب بالشهادة الاخري
فان ابي جعل مرتدا ويحتج لهذا بقوله صلي الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا
عصموا مني دماءهم واموالهم وهو محمول عند الجمهور علي
الشهادتين وانما استغني بذكر احداهما عن الاخري لارتباطهما
وشهرتهما اما اذا اقر بوجوب الصلاة او الزكاة او الصوم
او غيرها من اركان الاسلام وكان ذلك علي خلاف ملته
التي كان عليها فهل يكون مسلما فيه وجهان الصحيح
انه يصير مسلما قال واختلف العلما في اطلاق

قول انا مؤمن فقالت طايفة لا يقتصر علي قوله انا مومن بل يقول ان شاء الله وهو محكي عن اكثر اصحابنا المتكلمين وذهب اخرون الي جواز مطلقا وهو المختار وذهب الاوزاعي وغيره الي جواز الامرين والكل صحيح باعتبارات فمن اطلق نظر الي الحال فان احكام الايمان جارية عليه ومن قال بالمشية قال بالقول بها تبركا او باعتبار العاقبة فانه لا يدري بم يختم له والقول بالتخيير حسن نظرا الي ماخذ القولين انتهي وقال صاحب المفهم يصلح ان يقال في هذا الحديث انه ام السنة لما تضمنه من جمل علم السنة كما تضمنت الفاتحة جمل معاني القران فسميت ام القران وقال القاضي عياض انه اشتمل علي جميع وظايف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الايمان واعمال الجوارح واخلاص السراير والتحفظ من افات الاعمال حتي ان علوم الشريعة كلها راجعة اليه ومتشعبة منه والله اعلم

الحديث الثالث

عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول بني الاسلام علي خمس الحديث الكلام علي هذا الحديث من وجوه احدها عبد الله شقيق حفصة ام المومنين يكني ابا عبد الرحمن هاجر به ابوه الي المدينة واستصغر يوم احد وشهد الخندق وبيعة الرضوان وامه زينب بنت مظعون روي عن النبي صلي الله عليه وسلم الف حديث وثمانية

بلغ مقابلته

حديث

حديث وثلاثين حديثا اتفقا منها علي ماية وسبعين وانفرد البخاري باحد وثمانين ومسلم باحد وثلاثين وروي عن ابي بكر وعمر وبلال وصهيب وطائفة وروي عنه بنوه سالم وحمزة وعبد الله وبلال وزيد وعبيد الله وعمر وحفيده محمد بن زيد وابن المسيب وابن جبير ونافع مولاه وابو صالح السمان وخلايق ويكفي في مناقبه ما روته حفصة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان عبد الله رجل صالح وكان واسع العلم كثير الاتباع وافر الصلاح كثير الزهد في الدنيا ذكر للخلافة يوم التحكيم فقال بشرط ان لا يجري فيها محجم دم فروي عنه الا عمرو بن العاص لما راي انه لا يولبه تسباه ان استخلف ومات سنة ثلاث او اربع وسبعين وبقي الي ان بايع عبد الملك ابن مروان الوجه الثاني قال ابو العباس القرطبي رحمه الله معناه ان اساس دين الاسلام هذه الخمسة وعليها تنبني قواعده وبها تقوم وانما خصها بالذكر ولم يذكر الجهاد مع انه به ظهر الدين لان هذه الخمس فرض دايم علي الاعيان لا تسقط عمن اتصف بشروط ذلك والجهاد من فروض الكفايات وقد يسقط في بعض الاوقات بل قد صار جماعة كثيرة الي ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة ذكره انه مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين وسحنون من اصحاب مالك الا ان ينزل العدو بقوم او يامر الامام بالجهاد فيلزم عند ذلك انتهي وقد قال ابن عباس سهام الاسلام

ثمانية فصل الخمسة والجهاد والعتق ولا يعارض فان السهام غير
القواعد والله اعلم قال النووي رحمه الله وقد
روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بني الاسلام
على خمسة على ان يوحد الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة
وصوم رمضان والحج فقال رجل الحج وصوم رمضان قال
لا صيام رمضان والحج هكذا سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال وفي رواية اخرى بني الاسلام
على خمس ان نعبد الله ونكفر بما دونه واقام الصلاة
وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان وفي رواية ان رجلا
قال لابن عمر الا تغزو قال اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الاسلام بني على خمسة شهادة ان
لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام
رمضان وحج البيت قال فقوله على خمسة في بعض الطرق وفي
بعضها خمس كلاهما صحيح والمراد خمسة اركان او خمسة اشيا
ثم اختلف العلما في انكار ابن عمر على الرجل الذي قدم
الحج مع ان ابن عمر رواه كذلك فالاظهر والله اعلم ان ابن
عمر سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بتقديم
الحج ومرة بتقديم الصوم فرواه على الوجهين في وقتين فلما
رد عليه الرجل فقدم الحج قال لا ترد على ما لا علم لك به فقد سمعته
هكذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيه نفي لسماعه
على الوجه الاخر ويحتمل انه كان سمعه مرتين بالوجهين

فلما

فلما رد عليه الرجل نسي الوجه الذي رده ثم تذكره فرواه
وقال ابن الصلاح محافظة ابن عمر على ما سمعه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه عن عكسه محة
لكون الواو تقتضي الترتيب وهو مذهب كثير من الفقها الشا
فعيين وشذوذ من النحويين ومن قال لا تقتضي الترتيب
وهو المختار وقول الجمهور فله ان يقول لم يكن ذلك لكونها
تقتضي الترتيب بل لان فرض رمضان نزل في السنة الثانية
من الهجرة ونزلت فريضة الحج سنة ست او سنة تسع بالتا
المثناة فوق ومن حق الاول ان يقدم في الذكر على الثاني واما
رواية تقديم الحج فكانه وقع ممن يرى الرواية بالمعنى ويرى
ان تاخير الاول او الاهم في الذكر شايع في اللسان فتصرف
فيه بالتقديم والتاخير مع كونه لم يسمع نهي ابن عمر عن ذلك
قال النووي وهذا ضعيف من وجهين احدهما ان
الروايتين ثبتتا في الصحيحين وهما صحيحان في المعنى لا تنافي
بينهما فلا يجوز ابطال احدهما والثاني ان فتح باب احتمال
التقديم والتاخير في مثل هذا قدح في الرواة والروايات فانه
لو فتح ذلك لم يبق وثوق بشي من الروايات الا القليل ولا يخفى
ما يترتب عليه من المفاسد ثم انه وقع في رواية ابي عوانة
في كتابه المخرج على صحيح مسلم ونشطه عكس ما وقع في صحيح مسلم من
قول الرجل لابن عمر فقدم الحج فوقع فيه ان ابن عمر قال للرجل
اجعل رمضان اخرهن كما سمعته من رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ابن الصلاح ولا تقاوم هذه الرواية رواية مسلم قال النووي وهذا ايضا يحتمل صحته فيكون قد جرت القضية مرتين والله اعلم اه واما الرجل الذي رد عليه ابن عمر بتقديم الحج فهو يزيد بن بشر السكسكي ذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في الاسما المبهمة واما جواب ابن عمر للرجل الذي قال له الا تغزو بقوله بني الاسلام على خمس فالظاهر ان مراده ليس الغزو منها

الوجه الرابع قال الطوفي وظاهر هذا الحديث ان من ترك شيا من هذه الخمس يخرج عن كمال الاسلام بقدر ما ترك منها لكنه لا يدخل في الكفر الا ان يترك ذلك جاحدا لوجوبه اذ قد بينا ان الاسلام غير الايمان وانما يكفر من فارق الايمان بان كذب بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر او ببعضها اما من فارق الاسلام او بعضه فانما يدخل في الفسق لا في الكفر وظاهر هذا التفريق ان تارك الاسلام تهاونا لا يكفر خلافا للمشهور من قول الحنابلة وههنا تقسيم وهو ان الايمان والاسلام قد عرفت حقيقتهما ومعناهما فمن اتى بهما فهو مومن كامل ومن تركهما فهو كافر كامل ومن ترك الاسلام وحده فهو فاسق وهو مومن ناقص ومن ترك الايمان وحده فهو منافق بلسانه وفعله ويكفر باعتقاده وقلبه انتهى **وفيه نظر** وهو ان قوله ومن ترك الاسلام وحده فهو فاسق وهو مومن ناقص غلط منه لانهم اجمعوا على ان من لم يتلفظ بالشهادتين فهو كافر والله اعلم والدليل على ان المومن اذا ارتكب المعاصي كلها ما خلا الشرك

والكفر

والكفر فانه مومن على الحقيقة فاسق بذنوبه لان الايمان هو التصديق بالقلب المتضمن بالمعرفة بالله عز وجل واذا ثبت ذلك وعلم بالاتفاق ان فعل المعاصي لا ينافي وجود ذلك التصديق والمعرفة واذا لم ينافه صح وجود الايمان مع ساير المعاصي وترك جميع الطاعات فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن الحديث وهذا خبر تلقته الامة بالقبول فوجب القول بموجبه **فالجواب** ان هذا الخبر من اخبار الاحاد واخبار الاحاد لا توجب العلم بالاتفاق على انه لو سلم القول بموجبه كان معناه ان من استحل ذلك لا يكون مومنا واذا احتمل التاويل سقط التكفير به والله اعلم

الحديث الرابع

عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق الحديث **الكلام** عليه من اوجه **احدها** عبد الله بن مسعود احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد وكان يلي نعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه اياهما فاذا جلس ادخلهما في ذراعه وكان كثير اللزوم للنبي صلى الله عليه وسلم والدخول عليه وتلقن عليه سبعين سورة **وروي** عنه ثمان مائة واربعين حديثا اتفقا على اربعة وستين وانفرد البخاري باربعة وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين **توفي سنة ثنتين وثلاثين** وقيل ثلاث

وكان لطيفا قصيرا جدا احسن البزة نظيف الثوب طيب الرائحة
وافر العقل كثير العلم قال فيه عمر رضي الله عنه كنيف ملئ
علما وقال فيه ابو موسى لا تسألوني ما دام هذا الحبر
فيكم ووافق رايه قضا النبي صلى الله عليه وسلم في بروع
بنت واشق وقال فيه اقتدوا بابن ام عبد وصعد
يوما نخلة فانكشف ساقه وكان اسمر نحيفا فضحك بعض
القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتضحكون لساق عبد
الله انه اثقل في الميزان من احد دخل عليه عثمان بن
عفان رضي الله عنه في مرض موته فقال له ما تشتكي قال
ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمة ربي قال الا امر لك بطبيب
قال الطبيب امرضني قال ما تركت لاولادك قال اني لا اخشى
عليهم الفقر بعد ما علمتهم سورة الواقعة يقرؤنها كل ليلة
مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين وهو ابن بضع وستين
سنة الوجه الثاني قوله حدثنا هو اصل فيما يستعمله
المحدثون من قولهم حدثنا واخبرنا وانبانا ومعنى حدثنا
انشاء لخبر لحادثنا والصادق هو الآتي بالصدق وهو
الخبر المطابق والمصدوق الذي ياتيه غيره بالصدق
والنبي صلى الله عليه وسلم صادق في خبره مصدوق
فيما ياتيه من الوحي الكريم على لسان الروح الامين صلى الله
عليه وسلم وقوله يجمع خلقه في بطن امه اى مادة خلقه
وهو الماء الذى يخلق منه ويجمع اى بعضهم ويحفظ والعلقة

نسخة قطعة

قطعة دم والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ الوجه الثالث
في الروح قال الاستاذ ابو نصر القشيري الارواح مختلف
فيها عند اهل التحقيق من اهل السنة فمنهم من يقول انها
الحياة فقط ومنهم من قال انها اعيان مودعة في هذه القوالب
لطيفة اجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت
الارواح في الابدان فالانسان حي بالحياة ولكن الارواح مودعة
في القوالب ولها ترقي في حال النوم ومفارقة البدن ثم
رجوع اليها وان الانسان هو الروح والجسد لان الله سبحانه
وتعالى سخر هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة والمثاب
والمعاقب الجملة والارواح مخلوقة ومن قال بقدمها فهو مخطئ خطا
عظيما والاخبار تدل على انها اعيان لطيفة انتهى وقال ايضا
يحتمل ان تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل
الاخلاق المعلولة كما ان الروح لطيفة في هذا القالب هي محل
الاخلاق المحمودة انتهى وهذا يشير الى الفرق بين الروح والنفس
وفي تفسير الزمخشري قال وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس والنفس
هي التي لها العقل والتمييز والروح بها النفس والتحرك فاذا
نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وقال الزمخشري
في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح الاكثر على انه الروح الذي
في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر
به وعن ابي بريدة مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح

انتهى وفي التاويلات للماوردي قال بعض المتكلمين انه لو اجابهم
عنها وقال انه جسم رقيق يومن معه الحياة لخرج من شكل كلام
النبوة ودخل في شكل كلام الفلاسفة **الوجه الرابع** الرزق
قال القاضي ابو بكر الباقلاني ذهب اصحابنا الي ان الله تعالي
هو الرازق لساير الحيوان العاقل منهم وغير العاقل العاصي
منهم والمطيع ولا رازق سواه في الدارين وان الرزق ما
جعله الله عز وجل غذاء للابدان وقواما لها وقد يكون ذلك
حلالا وقد يكون حراما وقد لا يكون شيا من ذلك وزعمت
المعتزلة ان الله تعالي لا يرزق الحرام وانما هو رازق
الحلال فقط وان الرزق لا يكون الا بمعني الملك حتي قالوا
لو نشا صبي مع اللصوص ولم ياكل شيا يملكه ولم يطعمه احد سوي
اللصوص من الحرام الي ان بلغ فلما بلغ وقوي صار لصا قاطعا
للطريق ولم ياكل حلالا الي ان مات ولو عاش ماية سنة او الف
سنة فان الله تعالي ما رزقه قط ومات ولم ياكل من رزق
الله تعالي شيا **والدليل** علي صحة قولنا انه لو كان الرزق
لا يكون الا بمعني الملك لوجب ان لا يكون الطفل مرزوقا
ولا البهايم التي ترعي في الصحرا ولا السخال من البهايم لان لبنها
ملك لصاحبها دون سخالها ولما اجتمعت الامة علي ان
السخال والبهايم وجميع الحيوانات الذين ليسوا بعاقلين
مرزوقين وان الله تعالي رزقهم مع كونهم غير مالكين
لما رزقوا علم ان الرزق هو ما قلناه دون ما قاله المعتزلة

ويدل علي ذلك ان الامة مطبقة علي ان العبيد والاما مرزوقون
وان الله تعالي رزقهم ما ياكلون من اموال ساداتهم مع كونهم
غير مالكين لما ياكلونه لان المملوك عندنا لا يملك اصلا
ويدل علي انه لا رازق سوي الله تعالي قوله تعالي امن هذا
الذي يرزقكم ان امسك رزقه وقال سبحانه قل هل من
خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وقال ان الله
هو الرزاق وقال وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها
وقال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم
وقال الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
فلما كان لا مخلوق من الاجسام باتفاق الا والله خالقه
ولا ميت الا والله مميته ولا حي الا والله محييه كذلك
لا مرزوق الا والله رازقه **وقد رغبت** الامة الي الله
تعالي في ان لا يرزقها الحرام فقالوا في دعايهم اللهم لا ترزقنا
الحرام وان اخرجتنا عليه وارزقنا الحلال وبارك لنا فيه
ويجوز في صفة الامة ان يسالوا الله تعالي ويطلبوا منه
ان يفعل ما لا بد له من فعله وان لا يفعل ما يستحيل فعله
فان قيل اذا كان الله عز وجل هو الذي يرزقهم ويعطيهم
والاشيا كلها ملك له عز وجل وجب ان يكون الغصب والحرام
مباحا ولا يكون محظورا عليهم قيل لهم لا يجب ذلك لان
التحريم انما وقع في التماس ذلك واخذه علي غير الوجه المامور
واما كون ذلك غذاء لابدانهم وقواما لها فلا صنع للعبد

فيه فيهني عنه ولو جاز ان يكون الله تعالى غير رزاق لانه
كان عن معصية وتوسل اليها من جهة ممنوع منها لوجب
ان لا يكون الله تعالى خالقا لولد الحرام ولا لكل ما كان حراما
لكونه واقعا عن حرام ومعصية ولما بطل هذا بطل ما قالوه
وهذه المسالة من المسايل التي رجع عنها المعتزلة الى قول
اصحابنا وهي على التحقيق يرجع فيها الى عبارة لان المعنى متفق
عليه لانهم يقولون نريد بقولنا الحرام ليس برزق انه ليس
يملكه لمن حرم عليه تناوله فقط ونقول ان الله عز وجل جعل
ذلك غذا للابدان وقواما للاجسام ولا خلاف ان الحرام ليس
يملك لمن حرم عليه مع انه قد جعل الله تعالى فيه غذا لبدنه
وقواما له واذا كان الامر على ما ذكرناه وجب تحصيل هذا والوقوف
عليه **الوجه الخامس** اذا علم العبد ان الله تعالى يأمر الملك بكتب
رزقه وجب عليه الوثوق بذلك والركون اليه وان لا يتعب
بدنه في تحصيله فان الله تعالى قد تكفل به قال تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها قيل لبعضهم من اين تاكل
فقال الذي خلق الرحا ياتيها بالطحين والذي شدق الاشداق
هو خالق الارزاق وقيل لابي اسيد من اين تاكل فقال سبحان
الله والله اكبر يرزق الكلب افلا يرزق ابا اسيد وقيل
لحاتم الاصم من اين تاكل فقال من عند الله فقيل له الله ينزل
لك دنانير ودراهم من السما فقال ان كان ما له الا السماء
يا هذا الارض له والسما له فان لم ياتني رزقي من السما ساقه لي

من الارض وانشد

وكيف اخاف الفقر والله رازقي ❊ ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفل بالارزاق للخلق كلهم ❊ وللضب في البيدا والحوت في البحر

وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول باسناده عن زيد بن اسلم
ان الاشعريين ابا موسى وابا مالك وابا عامر في نفر منهم لما هاجروا
واقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارملوا من
الزاد فارسلوا رجلا منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسئله فلما انتهى الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعه يقرا هذه الاية وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين فقال
الرجل ما الاشعريون باهون الدواب على الله فرجع ولم يدخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه ابشروا اتاكم
الغوث ولا يظنون الا انه قد كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوعد فبينما هم كذلك اذا اتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما
مملوة خبزا ولحما فاكلوا منها ما شاؤا ثم قال بعضهم لبعض
لو انا رددنا هذا الطعام الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليقضي به حاجته فقالوا للرجلين اذهبا بهذا الطعام
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا قد اصبنا منه حاجتنا
ثم انهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
ما راينا اكثر ولا اطيب من طعام ارسلت به قال ما ارسلت
اليكم طعاما فاخبروه انهم ارسلوا صاحبهم فساله رسول الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ما صنع وما قال لهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شي رزقكموه الله والله
اعلم الوجه السادس الاجل قال القاضي ابو بكر اجل الانسان
هو الوقت الذي علم الله انه يموت فيه قال وذهب اصحابنا
الى ان الحيوان لا يموتون الا باجالهم مقتولا كان او غير مقتول
وان احدا من الخلق لا يقدر على قطع اجل احد من الحيوان وان
اجل المومن هو الوقت الذي علم الله تعالى انه يموت فيه وكذلك
كل شي وقت بوقت فانه اجل له ومنه قولهم اجل الدين وقت
حلوله فكذلك اجل الانسان هو الوقت الذي علم الله انه يموت
فيه لا محالة ولا يجوز تاخير موته عنه لا من حيث انه ليس مقدور
لله تعالى احياوه فيه وزعمت المعتزلة ان جميع المقتولين يموتون
بغير اجالهم وان القاتلين قطعوا عليهم اجالهم ولو لم
يقتلوا لعاشوا والدليل على صحة قولنا قول الله عز وجل فاذا
جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ويدل عليه
ايضا ذم الله تعالى قوما قالوا لاخوانهم اذا ضربوا في
الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وان
الله تعالى كذبهم في ذلك وذمهم على خطابهم فقال لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل يا محمد فادروا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين يعني فادفعوا عن انفسكم الموت ثم قال
عز وجل له عليه السلام قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم في ايات اخر فبطل ما قالوه والله اعلم

الوجه

الوجه السابع قال صاحب المفهم معنى قوله ان احدكم يجمع خلقه في
بطن امه اربعين يوما ان المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة
الشهوانية الدافقة متفرقا فيجمعه الله في محل الولادة في الرحم
في هذه المدة وجا في بعض الروايات كحديث ابن مسعود ان
النطفة اذا وقعت في الرحم فاراد الله ان يخلق منها بشرا طارت
في بشر المراة تحت كل ظفر وشعرة ثم تمكث اربعين يوما ثم
تصير دما في الرحم وذلك جمعها وهو وقت كونها علقة انتهى
الوجه الثامن قوله ثم يرسل الله الملك يعني الملك الموكل
بالرحم فينفخ فيه الروح كما قال في حديث انس ان الله وكل بالرحم
ملكا قيل وظاهر الحديث يقتضي ان الملك عند مجيئه ينفخ
الروح في المضغة وليس الامر كذلك انما ينفخ بعد ان تتشكل
المضغة بشكل ابن ادم وتتصور بصورته كما قال تعالى فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وكما قال في الاية الاخرى
من مضغة مخلقة وغير مخلقة والمخلقة المصورة وغير المخلقة
السقط قاله ابو العالية وغيره وهذا التخليق والتصوير في
مدة اربعين يوما وحينئذ ينفخ فيه الروح وهو المراد بقوله
ثم انشاناه خلقا اخر قاله الحسن وغيره قال القاضي
عياض رحمه الله لم يختلف في ان نفخ الروح فيه انما يكون بعد
مائة وعشرين يوما وذلك بعد تمام اربعة اشهر ودخوله
في الخامس وهذا موجود بالمشاهدة وعليه يعول فيما يحتاج
اليه من الاحكام والاستلحاق عند التنازع ووجوب النفقات

على حمل المطلقات وذلك للثقة بحركة الجنين وقد قيل انه
للحكمة في عدة الوفاة باربعة اشهر او بعد الدخول في الشهر
الخامس بتحقيق براة الرحم ببلوغ هذه المدة اذا لم يظهر حمل
قال ونفخ الملك في الصورة سبب يخلق الله عنده
فيها الروح والحياة لان النفخ المتعارف انما هو اخراج الريح
من النافخ يتصل بالمنفوخ فيه ولا يلزم منه عقلا ولا عادة
في حقنا تاثير في المنفوخ فيه فاذا حدث شي من ذلك النفخ
فانما هو باحداث الله عز وجل لا بالنفخ وغاية النفخ ان يكون
سببا عاديا لا موجبا عقليا وكذلك القول في الاسباب
المعتادة فتامل هذا الاصل وتمسك فيه ففيه النجاة من مذهب
اهل الضلال وغيرهم انتهي وقال الطوفي ذكر نفخ الملك
الروح في الجنين بعد مائة وعشرين يوما مضروب ثلاثة
في اربعين فاستفيد من ذلك انه لا يصلي على السقط حتى
يستكمل اربعة اشهر وهي مائة وعشرون يوما اذ قبل ذلك
لا روح فيه وما لا روح فيه فهو موات والصلاة انما تكون
على الميت ومن حلته الروح ثم فارقته لا على الموات بالاصالة
فان قيل قد تضمن هذا الحديث ان الجنين يصلي عليه
بعد ثلاثة اطوار وهي طور النطفة والعلقة والمضغة
فاذا صلي عليه ضمن بالجناية عليه ونقل عن علي رضي
الله عنه انه قال لا يضمن حتى ياتي عليه الاطوار السبعة
يعني المذكورة في اول سورة المومنين واعلم انه لا تعارض

بين

بين الحديث وقول علي لان الاطوار الثلاثة في الحديث متضمنة
للاطوار السبعة في الاية وهي السلالة والنطفة والعلقة
والمضغة ثم العظام ثم كسونها لحما ثم انشاوه خلقا
اخر وهو الصورة الانسانية الكاملة التي تضمن الحديث
انها تكون بعد مائة وعشرين يوما **الوجه التاسع** قال
الطوفي يستفاد من الحديث ان الامة لا تصير ام ولد الا بوضع
ما تجاوز اربعة اشهر من سيدها لان النبي صلي الله عليه
وسلم قال في ام الولد اعتقها ولدها فعلق العتق بالولد ومقتضى
حديث ابن مسعود انه لا يسمى ولدا قبل اربعة اشهر لانه سماه
قبلها نطفة وعلقة ومضغة ولا شي من ذلك يولد لغة ولا
عرفا وانما يسمى ولدا اذا نفخ فيه الروح بعد ذلك ثم ولد
فان قيل الشرع علق عتقها بالولد والولد مشتق من الولادة
وهي الخروج من الرحم قلنا يلزم على هذا ان تصير ام ولد بوضع
النطفة اذا اخرجت من الرحم وليس كذلك ولو قال به قائل
لكان بعيدا عن دليل الشرع وانما ذهب بعض الفقهاء الى
مصير ورتها ام ولد بدون ما ذكرناه حرصا على عتقها وتشوقا
اليه ولو بسبب ضعيف كالعتق بالسراية **الوجه العاشر**
قوله ويومر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي
او سعيد قيل ظاهره ان الملك يومر بكتب هذه الاشيا ابتدا
وليس كذلك انما يومر بذلك بعد ان يسال فيقول يا رب
ما الرزق ما الاجل كما تضمنته الاحاديث المذكورة في غير

هذا كما روى يحيى بن ابي يحيى بن زابن بهاد اوود عن عامر
عن علقمة عن ابن مسعود وابن عمر ان النطفة اذا استقرت
في الرحم اخذها ملك بكفه فيقول اي رب ذكر ام انثى اشقي
ام سعيد ما الاجل ما الاثر باي ارض تموت فيقال له انطلق
الى ام الكتاب فينطلق فيجد قصتها في ام الكتاب فيلحق
فتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا جاء اجلها قبضت فدفنت
في المكان الذي قدر لها وفي رواية عن ابن مسعود ان الملك
يقول يا رب مخلقة او غير مخلقة فان قيل غير مخلقة قذفها
الرحم فصارت دما وان قيل مخلقة قال يا رب اذكر ام انثى
وذكر نحو ما تقدم قال القاضي عياض قوله ان النطفة اذا
استقرت في الرحم اي صارت علقة ومضغة لانها قبل
ذلك غير مجتمعة كما تقدم فاذا اجتمعت وصارت ما واصل
علقة ومضغة امكن ان توخذ بالكف وسماها نطفة في حال
كونها علقة ومضغة باسم مبداها قال ويستفاد من هذا
ان المراة اذا القت نطفة لا يتعلق بها حكم الحمل اذ لم تجتمع فتبين
انها كانت حاملا اذ الرحم قد يدفع النطفة قبل استقرارها
فاذا طرحته علقة تحقق ان النطفة قد استقرت واجتمعت
واستحالت الى اول احوال ما يتحقق انه ولد فيكون وضع
العلقة فما فوقها من المضغة وضع حمل يبرا به الرحم وتنقضي
به العدة ويثبت لها به حكم ام ولد وهذا مذهب مالك
واصحابه وقال الشافعي لا اعتبار باسقاط العلقة انما

الاعتبار

الاعتبار بظهور الصورة والتخطيط وان خفي التخطيط فقولان
بالنقل والتخريج ويعتمد اصحابنا التمسك بالحديث المتقدم
وبان اسقاط العلقة او المضغة يصدق عليه انه حمل موضوع
فيدخل في قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
وقوله صلى الله عليه وسلم لسبيعة الاسلمية قد وضعتي
فانكحي من شئتي ولانها وضعت مبتدا الولد عن نطفة فتجسد
كالتخطيط اه كلامه ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان
السقط ان ظهر بعض خلقه ولد وذلك مثل يد او رجل
او اصبع او ظفر او شعر فتكون به نفسا وتنقضي به العدة
وتصير الامة ام ولد ويحنث به لو كان علق يمينه بالولادة
الوجه الحادي عشر ان نفخ الروح في هذا الحديث
بعد مائة وعشرين يوما وصح في حديث اخر انه بعد اربعين
او اثنين واربعين يوما قال الطوفي والاشبه ما يجمع به
بينهما حمله على ان بعض الاجنة ينفخ فيه الروح بعد مائة
وعشرين وبعضهم بعد اثنين واربعين تخصيصا لكل
واحد من الحديثين بالاخر انتهى وفيه نظر لانه خارق للاجماع
كما تقدم من قول القاضي عياض لم يختلف في ان نفخ الروح
انما يكون بعد مائة وعشرين والاشبه ان يحمل حديث
النفخ بعد الاربعين على الاربعين بعد الثمانين حتى لا يتضاد
الاحاديث والله اعلم **الثاني عشر** بين الله تعالى لنا على لسان
رسوله ما المناسبة بين ما كان نحيفا من تلك النطف التي جمعها

وما نحن عليه عند بلوغ الاحتلام والتكليف وما اجتمعت
هذه الصورة الحيوانية من عظم ومن مخ ولحم وعصب وعروق
وشعر وجلد ودم وكبد وقوى وعقل وفكرة وشهوة وتصرف
وبطش وجميع ما فيها من حسن الصنعة كما قال عز وجل لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم اين نسبة ذلك الحال
الاول من هذا الحال واين ذلك الخلق من هذه الخلقة كما قال
عز وجل في شان الثمر عند تناهي طيبه انظروا الى ثمره اذا اثمر
وينعه معنى ذلك انظروا الى حال الثمر اذا برز من الشجرة ثم
انظروه عند تناهي طيبه اين نسبته في هذا الحال من نسبته
اولا فاذا النسبة بين الحالتين متباينة فكانه عز وجل يقول
بعد لو قوة الكلام الا تعرفون ان ذلك بالقدرة لا بالاصل
ولا بالماء فاعتبروا بمن هذه قدرته وارغبوا اليه واسلموا
ثم بعد ذلك ياتي حال الكبر وينعكس تلك القوى ضعفا
ويدخل عليه النقص في جميع احواله مع ابقاء الخلقة على حالها
كما اخبر عز وجل ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة فاهل
الاعتبار اعتبروا واهل التذكار تذكروا وبقي اهل الغفلات
في عميات الجهالات لا يبصرون الا على قدر شهواتهم ولذلك
قال الحق جلاله وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون اي غافلون الثالث
عشر قال الشيخ ابو عبد الله بن ابي جمرة رضي الله عنه
فيه دليل على ان وجود الحق حق وادراكه غير ممكن يوخذ
من

من ذلك من ان الملايكة بالاجماع لجسا مونراهم يدخل النفر
منهم فينا ولا ندركهم ولا نشعر بهم وهم يتصرفون فينا ولا
نعلم فكيف خالقنا وخالقهم فان بقطعيات العقول لا تشبه
الصانع الصنعة الرابع عشر فيه دليل على تشريف
بني ادم وتسخير الملايكة الكرام لهم في كل الاحوال في حال
يعقل ولا يعقل وكما قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في
الارض جميعا منه على طريقة المن وهذا استدعاء لطيف في
طلب العبادة وانشراح الصدور لها فانه اذا راى العبد
قدر هذا اللطف به من هذا المولى الجليل الغني المستغني سهلت
عليه العبادة ورغب في الحظوة عند هذا الملك الذي قد كرمه
قبل ان يعرفه ويعبده فكيف بها اذا عبده وسمع قوله عز وجل ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك هم خير البرية زاد
حبا واشتياقا الخامس عشر قال الشيخ ابو عبد الله بن
ابي جمرة يترتب عليه من الاحكام الشرعية ان الحكم الحاكم
اذا نفذ ومضى لا يرد يوخذ ذلك من انه لا ينفخ الروح الا
بعد الكتب فيكون الحكم قد نفذ ومضى وهو في عالم امر فلا
يخرج لعالم الحياة الا على حكم قد تم ووقع ولا يطمع احد
في نقضه وهو موضع تحقيق للخوف والرجا مع العمل او تركه
جعلنا الله ممن سبقت له السعادة بمنه السادس عشر
قال الشيخ ابو عبد الله بن ابي جمرة اذا كان الامر قد تم فعلى
ماذا الحرص في طلب الرزق وقد تم الامر لا يزاد ولا ينقص

فيجمع الرزق والاجل والسعادة اوغيرها كالتذكير والتانيث
لايتبدل ولفهم هذا المعني فضل اهل الصوفية علي غيرهم
ولم يلتفتوا الي شي وبقوا اتفق لين علي من هو المنصرف فيهم
اللطيف بهم كما لوتطمع النفوس في انقلابه الذكورية الي
ضدها اوضمها اليها وكذلك لم تطمع نفوسهم في الرزق
ولافي الاجل ولافي السعادة في التبديل اصلا وما بقوا الا
مشتغلين بما امروا حتي ان بعضهم قال ان كنت اعبده خوف
نار او رغبة في جنة حشره الله مع فرعون وهامان بل اعبده
لانه اهل لان يعبد وهو الحق لمن فهم وكفي في ذلك قصة العا
في بني اسرايل الذي اخبره نبيه انه من اهل النار فزاد في عبادته
فاوحي الله لذلك النبي ان قل له يفعل ما يشاهو من اهل
الجنة لا زدرايه بنفسه واما من طريق الرزق فقال بعضهم
اذا كان الفقير ينظر في رزقه فالله يحسن عزاه في طريقه
وكفي في ذلك ما احتار سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم
ان قال اجوع يوما فاضرع واشبع يوما فاشكر وقال
يمن بن رزق رحمه الله اذا كان الماضي لايرجع والمقدور
لايتبدل فاطراح الهم سعادة وهو يشبه هذا قول الشاعر

اذا كان ما فات لايسترد • وما خط في اللوح لايمتحي •
فلا تقنطن ولا تسخطن • ولا تحزنن ولا تفرح •

التاسع عشر قال ابن ابي جمرة ههنا بحث هل الكتب
يكون قبل نفخ الروح او بعده لكن قبل خروجه من بطن امه

بلغ مقابلة

ليس

ث ٧

ليس في الموضع مايدل علي شي منها لكن قد جاء في حديث
اخر انه يكتب ثم ينفخ فيه الروح ويترتب علي هذه الاخبار
من الفقه ان السعادة والشقاوة قد تكون بلا عمل
ولاحياة في هذه الدار وضد ذلك من قوله ثم ينفخ فيه
الروح بعد كتب السعادة اوضدها وقد راينا من يموت في
البطن قبل الخروج الي هذه الدار وقد يخرج ولايبلغ زمان
العمل لاعلي طريق الوجوب وهو البلوغ ولاعلي طريق الندب
وهوما دون ذلك **ويعضد** هذا التاويل قوله عليه
السلام في الاطفال الله اعلم بما كانوا عاملين لان العلما
اختلفوا فيمن يموت قبل بلوغه التكليف علي اي قدر كان
من السن اختلافا كثيرا لان الاحاديث جات فيهم علي انواع
فمنها قوله عليه السلام فيهم عصفور من عصافير الجنة
ثم قال فيهم هم من ابايهم **ثم قوله** عليه السلام الله
اعلم بما كانوا عاملين وعلي هذه الاثار اكثر اهل السنة
لاسيما مع ما في هذا الحديث الذي نحن فيه مما يقوي هذا
المعني ويزيد تاكيد المذهب اليه اهل الصوفية جعلنا الله
ممن سعد فهم وحمي وعمل وقبل منه وكرمه لارب سواه **الثامن
عشر** قوله ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة الي اخره ظاهر ان
هذا العامل عمله صحيح وانه قرب من الجنة بسبب عمله
حتي اشرف علي دخولها المنعه من ذلك القدر السابق بانه
يختم له بغيره ذلك فاذا الاعمال بالسابق لكن لما كانت

السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله
عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم واما الفاضل المذكور في كتاب
الايمان في صحيح مسلم الذي قال فيه ان الرجل ليعمل بعمل
اهل الجنة فيما يبدو للناس فانه لم يكن عمله صحيحا في نفسه
وانما كان رياء وسمعة فيستفاد من ذلك الحديث الحث
في اخلاص العمل لله والتحذير من الريا ويستفاد من هذا
الحديث ترك العجب بالاعمال والركون اليها والتعويل على كرم
الله ورحمته لقوله لن ينجي احدا منكم عمله الحديث وقوله الشقي
من شقي في بطن امه معناه ان حاله حينئذ يظهر للملايكة
او لمن شاء الله من خلقه والا فقد سبق به العلم الازلي والقضا
الالهي لا يتبدل ولا يتغير الا ترى ان الملايكة تستخرج ما عند
الله من علم حال النطفة فتقول يا رب ما الرزق ما الاجل
شقي او سعيد فيقضي ربك ما يشا ويكتب الملك ثم ان
الملك يخرج بالصحيفة من حال الغيب عن هذا العالم الى
حال المشاهدة فيطلع الله عليها من شا من ملايكته وقوله
في بعض الروايات اذا مر بالنطفة ثنتان وثلاث واربعون
او خمسة واربعون هذا الشك من الرواة حاصله
ان بعث الملك انما هو في الاربعين الرابعة التي هي مدة
التصوير الانري لقوله بعث الله اليها ملكا فصورها
وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها فعطف بالفاء
المرتبة وذلك لا يكون حتى تنتهي النطفة الى كونها مضغة

وبهذا

وبهذا يزول الاشكال وتتفق الروايات ونسبة الخلق المنسوب
الى الملك نسبة مجازية فانه انما صدر عنه ما صدر من
التشكيل والتصوير بقدرة الله تعالى ولقد خلقناكم ثم
صورناكم ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فاضاف
اليه الخلقة الحقيقية وقد دلت البراهين القطعية على انه
لا خالق الا هو جل وعلا كما تقدم وقوله حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع تمثيل للقرب من موته ودخوله الى الدار التي
اعدت له وبدا بانقلاب الناس من الخير الى الشر لانه
نادر وان من لطف الله تعالى وسعة كرمه كثرة انقلاب
الناس من الشر الى الخير وعكسه نادر وهو نحو قوله تعالى
ورحمتي وسعت كل شيء ان رحمتي غلبت غضبي او سبقت
غضبي ويدخل في الحديث من انقلب الى عمل النار بكفر او
معصية فالعاصي غير مخلد كما تقدم والكافر مخلد وفي هذا
كله دلالات ظاهرة لمذهب اهل السنة في اثبات القدر
وان جميع الكاينات واقعة بقضايه وقدره والقدر
سر من اسراره محجوب عن عقول الخلق ومعارفهم لا يسال عما
يفعل وهم يسألون وقد دلت الدلايل على النهي عن
ترك العمل والاتكال على القدر قال الله تعالى وقل اعملوا
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقال صلى الله
عليه وسلم ما منكم من احد الا كتب له مقعده من النار ومقعده
من الجنة قالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل

قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له **اما من كان** من اهل السعادة
فسييسر لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة
فسييسر لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطي واتقي وصدق
بالحسني فسنيسره لليسري قال الطوفي واعلم
ان اهل التحقيق اختلفوا فمنهم من راعي حكم السابقة
وجعلها نصب عينه ومنهم من راعي حكم الخاتمة والاشبه
الاول لان الله سبحانه وتعالي سبق في علمه الازلي سعيد
العالم وشقيه ثم الخاتمة عند الموت مرتبة علي العلم الازلي
ومبنية عليه بحسب صلاح العمل عندها وفساده ثم
حقيقة السعادة والشقاوة في الدار الاخرة مبنية علي الخاتمة
والمبني علي الشي مبني علي ذلك الشي فحقيقة السعادة
والشقاوة مبنية علي سابق العلم بها فهي اذا اولي بالخوف
منها والمراعاة لها **الوجه التاسع عشر** قوله ان احدكم
ليعمل اهل الجنة كل هذا اشارة الي انه لابد من سببية الاعمال [بعمل]
للسعادة والشقاوة وتحقيق هذا المقام ان الله عز وجل
خلق الخلق وركب فيهم طباع الخير والشر فعلم ما يكون منهم
بحسب مقتضي طباعهم المركوزة فيهم فلو اسعدهم
واشقاهم بدون تكليف وعمل اعتمادا علي سابق علمه وحكمته
فيهم لكان في ذلك مامونا غير متهم لكنه سبحانه وتعالي
عادل في حكمه حكيم في عدله والحكمة تقتضي اجتناب مظان
التهم فلو عذب بعضهم بموجب علمه فيهم لاتهموه فدفع هذه

التهم

التهم بان كلفهم حتي ظهرت معصيتهم علي طباعهم المركوزة
فيهم من القوة الي الفعل وهذا هو سر قوله عز وجل لئلا يكون
للناس علي الله حجة بعد الرسل **وقوله** عليه السلام في اطفال
المشركين الله اعلم بما كانوا عاملين وفي هذا المقام بسط
وتحقيق وفيما ذكرناه تنبيه علي المقصود اه كلام
الطوفي **العشرون** قال ابو محمد عبد الحق واعلم ان سوء
الخاتمة اعاذنا الله منها لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح
باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله **وانما** يكون لمن كان
له فساد في العقيدة واصرار علي الكبائر واقدام علي العظائم
فربما غلب ذلك عليه حتي ينزل به الموت قبل التوبة منه
فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند
تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله او يكون ممن
كان مستقيما ثم يتغير عن حالته ويخرج عن سنته وياخذ
في غير طريقته فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وسوء
عاقبته كابليس الذي عبد الله فيما يروي ثمانين الف
سنة وبلعام ابن باعورا اتاه الله اياته فانسلخ منها
بخلوده الي الارض واتباع هواه وبرصيصا العابد الذي
قال الله تعالي في حقه كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر **ويروي** انه بمصر رجل ملتزم مسجدا للاذان
والصلاة وعليه بهاء الطاعة وانوار العبادة فرقي يوما
المنار علي عادته للاذان وكان تحت المنار دار لنصراني

فاطلع فيها فراى ابنة صاحب الدار فافتتن بها وترك الاذان
ونزل اليها فدخل الدار فقالت له ما شانك ما تريد فقال
انت اريد قالت لماذا قال لها قد سبيت لبي واخذت بمجامع
قلبي قالت لا اجيبك الى ريبة قال لها اتزوجك قالت
انت مسلم وانا نصرانية وابي لا يزوجني منك قال لها اتنصر
قالت ان فعلت افعل فتنصر ليتزوجها واقام معهم في الدار
فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقا الى سطح كان في الدار فسقط
منه فمات فلا هو بدينه ولا هو بها فنعوذ بالله من سوء
الخاتمة ثم نعوذ بالله من سوء الخاتمة **ويروى** ان
رجلا علق بشخص واحبه فتمنع عنه واشتد نفاره فاشتد
كلف البايس الى ان لزم الفراش فلم تزل الوسايط تمشي بينهما
حتى وعد بان يعوده فاخبر بذلك ففرح واشتد سروره
وانجلى عنه بعض ما كان يجده فلما كان في بعض الطريق
رجع وقال والله لا ادخل مداخل الريب ولا اعرض نفسي
لمواقع التهم فاخبر بذلك البايس المسكين فسقط في يده
ورجع الى اشد ما كان به وبدت عليه علامة الموت وامارته
قال فجعل يقول وهو في تلك الحالة

سلام يا راحة العليل • وبرد ذي المدنف النحيل
رضاك اشهى الى فوادي • من رحمة الخالق الجليل

ذي ح

قال فقلت له يا فلان اتق الله فقال قد كان
فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة

الموت فنعوذ بالله من سوء الخاتمة **وحكى** ابن الجوزي
رحمه الله في كتاب ذم الهوى قال كان رجل مسلم يهوى
امراة نصرانية فمرض مرض الموت فقال في نفسه انا اعشق
هذه ولم اجتمع بها في الدنيا وان مت على الاسلام لم اجتمع
بها في الاخرة فتنصر ومات على النصرانية وكانت المراة مريضة
فقالت ان فلانا كان يهواني ولم يجتمع بي في الدنيا واخشى
ان مت على دين النصرانية ان لا اجتمع به في الاخرة فاسلمت
وماتت في مرضها ذلك فانظر ما بين الخاتمتين وهذا سر
عظيم من اسرار هذا الحديث **وروى** البخاري عن سالم
ابن عبد الله عن ابيه قال كثيرا ما كان النبي صلى الله عليه
وسلم يحلف لا ومقلب القلوب ومعناه مصرفها اسرع
من مر الريح على اختلاف في القبول والرد والارادة والكراهة
وغير ذلك من الاوصاف وفي التنزيل واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه قال مجاهد المعنى يحول بين المرء وقلبه
حتى لا يدري ما يصنع به **واختار** الطبري ان يكون ذلك
اخبارا من الله عز وجل انه املك لقلوب العباد منهم
وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يدرك الانسان
من ذلك شيا الا بمشيئة الله عز وجل **وقالت**
عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك فقلت
يا رسول الله انك تكثر ان تدعو بهذا الدعا هل تخشى

فقال وما يؤمنني يا عايشة وقلوب العباد بين اصبعين
من اصابع الجبار اذا اراد ان يقلب قلب عبد قلبه
الحادي والعشرون قال القاضي عياض هذا
تصريح باثبات القدر وان التوبة تهدم الذنوب قبلها
وان من مات على شي حكم له به من خير او شر الا ان اصحاب
المعاصي غير الكفر في المشية اه قال الشيخ تاج الدين
ونقل عن الغزالي رحمه الله من التقسيم في معنى الخيرية
والشر الناس على قسمين مومن وكافر فالكافر في النار باجماع
العلما والمومن على قسمين عاص ومطيع فالمطيع في الجنة
باجماع العلما والعاصي على قسمين عاص بالصغاير وعاص
بالكباير فالعاصي بالصغاير يسال ولا يعاقب والعاصي
بالكباير على قسمين مستحل وغير مستحل فالمستحل في النار
باجماع العلما وغير المستحل على قسمين تايب وغير تايب
فالتايب في الجنة باجماع العلما وغير التايب في مشية الله تعا

الحديث الخامس

عن ام المومنين ام عبد الله عايشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا
هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه
امرنا فهو رد الكلام عليه من وجوه ٥ احدها عايشة
بنت ابي بكر الصديق واسمه عبد الله بن ابي قحافة واسم
ابي قحافة عثمان وامها ام رومان بضم الرا وسكون الواو

على

على المشهور وقال ابن عبد البر في الاستيعاب يقال
بفتح الرا وضمها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بثلاث
سنين وبعد زواجه بسودة بشهر وهي بنت ست سنين
ودخل بها وهي بنت تسع بالمدينة في شوال بعد منصرفه من
بدر وهي سنة اثنتين من الهجرة ووقعة بدر كانت في رمضان
وقيل انه دخل بها على راس ثمانية عشر شهرا وقيل على
راس ثمانية اشهر وتوفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي بنت ثمانية عشر سنة وعاشت بعده اربعين سنة
وتوفيت في شهر رمضان لثلاث عشرة بقيت منه بعد الوتر
ودفنت في تلك الليلة سنة تسع وخمسين وقيل
ثمان وخمسين وصلى عليها ابو هريرة وكان اميرا على المدينة
من قبل مروان وحضرها ابن عمر وغيره وكنيتها ام عبد الله
كناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن اختها ابن الزبير
روي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الفا
حديث ومايتا حديث وعشرة احاديث اتفقا منها على مائة
واربعة وسبعين حديثا وانفرد البخاري باربعة وخمسين
ومسلم بثمانية وستين روى عنها ابن عباس وابن الزبير
وابو موسى وعبد الله بن عامر بن ربيعة وابو هريرة
وروى عنها من التابعين نيف وستون رجلا وامراة
في الصحيح وفي غيره جماعة كثيرة ومناقبها كثيرة منها ان الله

تعالى انزل في براتها ثمان عشرة اية ولم يات النبي صلى الله
عليه وسلم الوحي في لحاف امراة من نسائه الا في لحافها وجاءه
جبريل بصورتها في خرقة من حرير قبل ان يتزوجها وكانت
احب ازواجه اليه لما فضلها الله به وشرفها وقال
النبي صلى الله عليه وسلم فضل عايشة على النسا كفضل الثريد
على الطعام وقيل له من احب النسا اليك قال عايشة قيل
من الرجال قال ابوها ولم يتزوج بكرا غيرها **الوجه الثاني**
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يقال لهن امهات المومنين
لقوله عز وجل النبي اولي بالمومنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم **ولهذا** حرم نكاحهن على غيره بدليل وما كان لكم
ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ولانه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم للناس كالاب
لرافته ورحمته بهم ولذلك قال انما انا لكم كالوالد اعلمكم
كان ازواجه كالامهات لهم **فاما** قوله عز وجل ما كان
محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين
فالمراد نفي ابوة النسب ولذلك لم يعش له ابن حتى يصير
من الرجال **الوجه الثالث** قوله من احدث في امرنا هذا
اي اتى بامر حادث وامرنا ديننا وشرعنا ويطلق الامر
ويراد به الشان كقوله تعالى وما امر فرعون برشيد
اي ما شانه ويطلق ويراد به مصدر امر وهذا يجمع على اوامر
والاول اعني الذي بمعنى الشان يجمع على امور والله اعلم

الوجه

الوجه الرابع قال الشيخ تاج الدين رحمه الله اسم الاشارة ن
قد استعمل في التعظيم نحو قول عايشة رضي الله عنها لابن
عمر يا عجبا لابن عمر هذا ويقول القايل في التعجب انظر الى
هذا الرجل ما صنع فهو في هذا الحديث للتعظيم ليس الا
الوجه الخامس قوله ما ليس منه قال الطوفي اي لا يستند الى
شي من ادلة الشرع وقال ابن الفاكهاني اي مما ينافيه فاما
تفريع الاصول التي فيه فان ذلك لا يتناوله هذا الرد
ككتابة القران في المصحف وكالمذاهب التي هي عن حسن نظر
الفقها المجتهدين الذين يردون الفروع الى الاصول التي
هي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وكالكتب الموضوعة
في النحو والحساب في الفرايض وغير ذلك من العلوم فيما
مرجعه ومنتهاه الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم وامره
فان ذلك لا يتناول هذا الحديث قاله صاحب الايضاح
الوجه السادس قال الشيخ تقي الدين القشيري رحمه
الله هذا الحديث احد الاركان من اركان الشريعة لكثرة
ما يدخل تحته من الاحكام قال وقوله فهو رد اي مردود
فاطلق اسم المصدر على اسم المفعول ويستدل به على ابطال
جميع العقود الممنوعة وعدم وجود ثمراتها واستدل به في
اصول الفقه على ان النهي يقتضي الفساد نعم قد يقع
الغلط في بعض المواضع لبعض الناس فيما يقتضيه الحديث
من الرد فانه قد يتعارض امران فينتقل من احدهما الى

الاخر ويكون العمل بالحديث في احدهما كافيا ويقع الحكم به في
الاخر في محل النزاع وللخصم ان يمنع دلالته عليه فتنبه لذلك
انتهى **وبسط** الطوفي هذا فقال هذا الحديث على ايجازه
واختصاره من اعظم قواعد الشرع واعمها نفعا من جهة منطوقه
ومفهومه اما من جهة منطوقه فلانه مقدمة كلية في كل دليل نافي
لحكم مثل ان يقال في الوضوء بماء مغصوب او مسروق او نجس
او بدون النية وفي الصلاة لغير القبلة او بغير سترة او
الصوم بلا نية من الليل وبيع الغايب او الحصا والغرر
او نكاح الشغار والمتعة بلا ولي او شهود ونحوها من
احكام لا تحصى يقال في كل واحد منها هذا عمل ليس عليه
امر الشرع وكلما كان كذلك فهو باطل مردود فهذا العمل
مردود باطل **فالمقدمة** الثانية ثابتة بهذا الحديث
الصحيح الصريح وانما يتجه النزاع في المقدمة الاولى فاذا
ثبتت تم الدليل وثبتت الدعوى وانتفى الحكم واما
من جهة مفهومه فهو مقدمة كلية في كل دليل مثبت للحكم
لان مفهوم قوله من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ان من
عمل عملا عليه امرنا ليس مردودا فيكون صحيحا فيقال في
الوضوء بدون المضمضة والاستنشاق والتسمية وغسل
اليدين من نوم الليل بدون النية والترتيب والموالاة
واستيعاب مسح الراس ونحوها كل واحد منها عمل عليه امر
الشرع وكلما كان عليه امر الشرع فهو صحيح فهذا العمل صحيح

والمقدمة

والمقدمة الثانية ثابتة بمفهوم هذا الحديث الصحيح عند من
يحتج بالمفهوم وانما النزاع في الاولى فيثبتها المستدل بدليلها
ان امكنه فيتم الدليل ويثبت الدعوى ويثبت الحكم **وهذه**
قاعدة كلية في اثبات الاحكام ونفيها وهذا الحديث يصلح
ان يسمى نصف ادلة الشرع لان الدليل انما يتركب من مقدمتين
صغرى وكبرى وان شئت فاولى واخرى ثم المطلوب
بالدليل اما اثبات الحكم او نفيه وهذا الحديث مقدمة كبرى
في اثبات كل حكم شرعي ونفيه وانما يقع الخلاف في المقدمة
الصغرى فلو وجد حديث يكون فيه مقدمة صغرى في اثبات
كل حكم شرعي ونفيه لاستقل الحديثان بادلة احكام الشرع
باعتبار ما ذكرنا فان قيل كثير من اوامر الشرع العامة خصت
بصور ليس عليها امر الشرع والا لما كان مخصوصا بها ومع
ذلك فهي صحيحة في الشرع فاذا قد صح في الشرع ما ليس عليه
امر الشرع قلنا تخصيص تلك الصور من اوامر الشرع ان
كان بغير دليل شرعي فهي باطلة ولا نسلم صحتها وان كان
بدليل شرعي فعليها امر الشرع فلا نسلم خروجها عن الشرع
انتهى كلام الطوفي **الوجه التاسع** في الرواية الثانية
زيادة فائدة وهي انه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق اليها فاذا
رد عليه احتج بالرواية الاخرى ويقول انا لم احدث شيئا
وانما احدثها غيري فيحتج عليه بالرواية الثانية الصحيحة
برد كل المحدثات سواء احدثها غيري الفاعل او سبق باحداثها

الوجه الثامن قال ابن الفاكهاني استدل اهل الاصول
بهذا الحديث علي ان النهي يقتضي فساد المنهي عنه ومن يخالف
في ذلك يقول هذا خبر واحد فلا يكفي في هذه القاعدة
المهمة وليس بشي انتهي

الحديث السادس

عن ابي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الحلال بين الحديث
الكلام عليه من وجوه احدها النعمان قال الواقدي
ولد علي راس اربعة عشر شهرا من الهجرة وهو اول مولود ولد
في الانصار بعد قدوم النبي صلي الله عليه وسلم وقيل بعد
سنة او اقل من سنة وقيل ولد قبل وفاة النبي صلي الله
عليه وسلم بثماني سنين وقيل بست سنين والاول اصح لان
الاكثر يقولون ولد هو وعبد الله بن الزبير عام اربعة عشر
من الهجرة قيل وكان عبد الله بن الزبير اول مولود بعد
الهجرة من المهاجرين والنعمان بن بشير اول مولود ولد
للانصار بعد الهجرة روي عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم مايه حديث واربعة عشر حديثا منها في الصحيحين
عشرة احاديث متفق عليها وانفرد البخاري بحديث ومسلم
باربعة روي عنه جماعة من التابعين قال الشيخ صلاح الدين
العلاي قال يحيى بن معين يقولون لم يسمع من النبي صلي
الله عليه وسلم واهل العراق يصححون سماعه منه وليس يقول

ولده

سمعت

سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الا في حديث
الشعبي الحلال بين والباقي يقول واستعمله معاوية علي الكوفة
ثم نقله سماك بن حرب ... قتل بالشام في اول سنة اربع
وستين بقرية من قري حمص يقال لها حرب نيسان روى له
الجماعة قال الطوفي التفهمي هذا هو الذي تنسب اليه
معرة النعمان لانه كان مقيما بها او واليا عليها الوجه
الثاني قال الطوفي رحمه الله الحرام ممنوع منه وشرعا
لا نحكمه اذ يجزئه الانسان اي يمنع حسا والحلال ضده
والمشتبهات ما تردد بينهما فقامت فيه شبهة الحل
وشبهة الحرمة واتقي اجتنب والشبهات جمع شبهة وهي
ما تخيل للناظر انه حجة وليس كذلك واستبراء لدينه مهموز
وقد يخفف ومعناه طلب البراة لدينه من النقص وحصلها
له وكذلك استبرا من البول حصل البراة منه وعرضه بكسر
العين محل المدح والذم منه والحمي الشي الممنوع منه وحمي الملك
ما يحجره لخيله ونحوها من الات مصالحه ومنع منه غيره ومنه
حمي كليب قال الشاعر

احمت حمي تهامة بعد نجد ... وما شي حميت بمستباح

ومحارم الله عز وجل ما حرم علي خلقه والقلب عضو باطن
في الجسد عليه مدار حال الانسان قيل سمي قلبا لتقلبه كما قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه ... ولا القلب الا انه يتقلب

ولذلك سماه مضغة الوجه الثالث قال الشيخ تقي الدين

هذا احد الاحاديث العظام التي عدت من اصول الدين وادخلت
في الاربعة الاحاديث التي جعلت اصلا في هذا الباب وهو
اصل كبير في الورع وترك المتشابهات في الدين انتهي ونقل
ابن الفاكهاني عن ابن بطال انه قال في شرح البخاري ما نص
الله تعالي علي تحليله فهو الحلال البين كقوله تعالي اليوم
احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
وطعامكم حل لهم واحل لكم ما وراء ذلكم وما نص علي تحريمه فهو
الحرام البين مثل قوله حرمت عليكم امهاتكم الي اخر الاية وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما وتحريم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن وكلما جعل الله تعالي فيه حدا او عقوبة او وعيدا
فهو الحرام البين كاكل اموال اليتامي واموال الناس بالباطل
وهذا باب يتسع فيه القول وهو واضح يغني عن تحديده
وطلبه قال ابن الفاكهاني وقد اختلف العلما في المراد
بالحلال من غيرها لم يطلق النص علي عينه علي قولين فقيل
الحلال ما علم اصله وهذا اشد القولين واصعبهما والثاني
ان ما لم يتبين انه حرام فهو حلال وهذا اسهلهما ان شاء
الله تعالي وهو مختار شيخنا ابي علي البخاري قدس الله روحه
وهذا كله من حديث الاجمال واما من حديث التفصيل فقال
الشيخ الامام شمس الدين المعروف بالانباري رحمه الله تعالي
في مسئلة الورع من تصنيفه الشي انما يحرم لمعني في عينه
وحل في جهة اكتسابه ومعني قولنا لمعني في عينه ان

الشرع

الشرع انما منعه لمفسدة فيه ومضرة للعباد اما منكسفة للخلق
كالسم والخمر واما ملتبسة كتحريم الربا وما ذكاه المجوسي
وتحريم بعض الحيوانات القسم الاول ما يعني لصفة
عينه ويتبين بتقسيم وتفصيل وهو ان جميع ما ينتفع به الخلق لا يعدو
ثلاثة اقسام معادن ونبات وحيوان فاما المعادن فجميع ما يخرج
منها لا يحرم الا ان يكون ضارا فيقتصر التحريم علي حالة النص
ولا اختصاص للمعادن بذلك بل لو ضر الخبز لحرم في حالة كونه
ضارا واما النبات فلا يحرم منه الا ما يزيل الحياة كالسم
او العقل كالخمر والبنج والضار علي ما سبق وحبيث المسكر حرام
وان تناول القليل منه قال ابن الفاكهاني يريد خلافا
لابي حنيفة ومن قال بقوله في حل القليل مما يسكر كثيره
واما الحيوان فينقسم الي ما يوكل والي ما لا يوكل والذي
لا يوكل قد يكون محرما كالخنزير وقد يكون مكروها كالخيل والبغال
والحمير وسباع الوحش وما لم يذبح ذبحا شرعيا فهو ميتة واذا
ذبح الحيوان الماكول ذبحا شرعيا فهو حلال الا الغرب والدم
وكلما يقضي بنجاسته بعد الذبح ولا يحل كل شي من النجاسات
غذا في حالة الاختيار ولا دوا ويختص النجاسات بالحيوانات
والمسكرات وان وقعت قطرة من النجاسة في الطعام فان
كان قليلا امتنع اكله وان كان كثيرا ففيه نظر قال ابن الفاكهاني
انظر قوله فيه نظر والمسئلة مسطورة قال الشيخ ابو عمرو ابن
الحاجب وفي قليل النجاسة في كثير من الطعام المايع قولان

وفي بعض الحواشي والصحيح التجبس **القسم الثاني** ما يمنع
من جهة خلل في وضع اليد عليه فنقول اخذ المال اما ان
يكون باختيار المكلف او بغير اختياره كالارث والذي
باختياره اما ان يكون من غير مالك كالاشيا المباحة
التي لم يسبق عليها ملك او يكون من مالك اما ان يوخذ
قهرا او تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط الواجبة
من الممتنعين والماخوذ تراضيا اما بعوض كالبيع والصداق
واما بغير عوض كالهبة والصدقة فجميع هذه الاقسام يصح
اسناد الملك اليها ويحل لمالكها الانتفاع بها اذا روعي
شروط الشرع في تحصيلها فهي حلال مطلقا ولا تطرق
للورع المطلوب في شيء منها اذا تحقق الحل فان اختلفت
هذه الشروط وفسدت العقود وامكن الرد على المالك ولم
يصح تقرير الملك لواضع اليد حرم عليه التصرف وامتنع على
غيره اذا كان حاله كحال الاول وهل يكون ورود العقد
الصحيح على العقد الفاسد مصيبا للرد وصاحبه التملك
للاول والثاني فيه نظر ولا يكون العقد الثاني مفوتا للمال
المغصوب عند الجميع هذا بيان ما نهي عنه بسبب الالتباس
وحاصله راجع الى اختلال الاسباب المملكة او كون
الاعيان لا تقبل الملك او الانتفاع **القسم الثالث**
ما نهي عنه بسبب الالتباس وهذا قسم الشبهات والشبهة
تطلق على ما لا حقيقة له ومن جنس الاوهام وهذا الذي

عصمة المالك كالغنايم والاستحقاق للاخذ كالزكواة واللقطا والنفقات الواجبة صح صح

يفهم

يفهم من الشبهة اذ اطلقت في مقابلة الدليل ومعناه انه
اشبه الامر على المستدل حتى تخيل ما ليس بدليل دليلا
وليس هذا مرادنا في هذا المكان وانما الشبهة ما اشتبه
على الناظر حكمه ولم ينكشف له حقيقة امره وقد قال صلى الله
عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات
الحديث والمشكل منها القسم المتوسط وهو الشبهة فلا بد من
بيانها وكشف الغطاء عنها فنقول الحلال المطلق هو الذي
انتفت عن ذاته الصفات المحرمة وانتفى عن اسبابه
ما لا يطرق اليه خللا والحرام ما فيه صفة محرمة كالخمر وحصل
بسبب لا يصلح للملك شرعا كالملك والربا ونظايره
فهذان طرفان ظاهران ويلتحق ما تحقق امره ولكن احتمل
طريان مغير ولم يدل على ذلك الاحتمال دليل ولا امارة
فان صيد البر حلال فمن اخذ ظبية واحتمل ان تكون
قد صيدت فانفلتت لم يصرف لك في الملك وكذلك من
يستعير دابة ثم يغيب المعير فيتنقل المستعير لاحتمال موت
المعير وانتقالها لورثته فهذا هوس وليس هذا من مواقع
الشبهات اذ الشبهات انما تنشا عن الشك والشك انما
ينشا عن تعارض الاسباب الذي لو انفرد كل واحد منها
لاثبت اعتقادا او ميلا فينشا من التعارض تردد واما
ما لا سبب له فلا يكون شكا بل احتمالا محضا فليتنبه للفرق
بين الشك والاحتمال وليقصر الورع على محل الشك دون مجرد

الاحتمالات وكذلك اذا تحققنا تحريم شي وامكن طريان
مبيح ولم يستند ذلك لامر يدل عليه كمن بيده مال مغصوب
وامكن ان يكون المالك قد اباحه له وملكه اياه اوكانت
عنده وديعة فتصرف فيها تصرف المالكين لاحتمال ان
يكون المالك قد ملكه اياها فهذا الاحتمال باطل قطعا
فاذا ثبت ذلك فنقول مثار الشبهات اربعة اقسام **القسم**
الاول الشك في المحرم والمحلل اما ان يتعادلا او يغلب
احدهما فان تعادلا فالحكم للسابق فيستصحب ولا يترك بالشك
فان غلب احد الاحتمالين لصدوره عن دلالة معتبرة في
العين لان الحكم للغالب مثاله ان يرمي صيدا فيجرحه فيقع في
ماء فيصادف ميتا ولا يدري انه مات في الرمية او من الغرق
فهذا حرام لان الاصل التحريم اذا مات بطريق معين وقد الاصح
وقع الشك في الطريق فلا يترك الاصل بالشك كما في الاحداث
والنجاسات وكذلك اذا ارسل كلبه وشركه فيه غيره فانه
لا ياكله اذ يحتمل ان يكون الكلب الاخير هو الذي قتله
القسم الثاني ان يعرف الحلال ويشك في التحريم
فالاصل الحلال كما اذا طار طاير فقال رجل امراته طالق
انه غراب وقال الاخر ضده والتبس امر الطاير فلا نقضي بالتحريم
في واحد منهما على الصحيح اذ كان كل واحد منهما على يقين
وليس ذلك كاختلاط ميتة بمذكاة فان المخاطب هناك
واحد وهنا شخصان ولا يكفي حكم شخص من شخصين ولا يتوقف بلغ مقابلة

له

له القضاء اجتماعه مع غيره ثم تظهر الميتة والمذكاة ان يكون
له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن
غرابا فعمرة طالق فههنا لا يجوز له وطي واحدة منهما حتى
ينكشف الامر اذ احداهما محرمة عليه ولم تتعين ولا اجتهاد
في هذا المكان اذ لا علامة فلو وطي واحدة منهما كان متغاضيا
اذ وطيهما جميعا لا يحل وتخصيص واحدة بحكم التحريم غير
جاير فلزم اجتنابهما حتى يتبين الامر فيهما ففي هذه واشباهها
يلحق حكم الشخص من الشخصين لان التحريم على الشخص
الواحد يتعين باستصحاب الحال منه فان استند الظن الى سبب
معتبر شرعا فهو حلال ولا التفات الى الاحتمال بعد ثبوت
السبب مثاله ان يرمي صيدا ولا يقصر في طلبه فيجده
ميتا وفيه اثر الرمية فهو حلال مطلقا لكن بشرط ان لا يبيت
ومقتضى القياس جواز اكله وان مات وهو قول
عندنا ولكن الظاهر من المذهب تحريمه لسنة ثابتة فيه
والدليل على وجود التمسك بالعلامة الظاهرة المفيدة ان المغلبة صح
من جرح ومات وجب القود على الجارح وان امكن ان يموت بغير
الجراحة وذلك لظهور السبب **القسم الثالث**
ان يكون الحل معلوما ولكن غلب على الظن طريان تحريم
بسبب معتبر في غلبة الظن فيرفع الاستصحاب ونقضي بالتحر يم
اذ الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غلبة الظن كما اذا
غلب على ظنه نجاسة اناء لعلامة معينة فلا يجوز التوضي به

ولا نشك في هذا اذا غلب على الظن بعلامة متعلقة بعين الشيء
فاما غلبة الظن الناشئة من الكثرة فهل تستقل عن حكم الاصل
فيه خلاف فمن الناس من يقدم الاصل الضعيف على الغلبة
الناشئة من الكثرة ويقول لنا نستقل عن الاصل بمجرد ميل
النفس الى الانتقال حتى يكمل السبب ويصح فانه لو شهد عدول
بان لزيد عند عمرو مالا لظننا الصدق والانتقال عن الاصل
فلا نحكم بالنقل بل نتمسك بالاصل فلزم من هذا تعيين الا
الا عند قلة عن الاصول ولا يقع الاكتفا بمطلق غلبات
الظنون وقال قايلون الغالب مقدم واستدلوا بامرين
احدهما كلي والامر جزئي فاما الكلي فهو انا اذا تعذر لنا تعلم
استحقاق زيد مثلا لمال وكانت المسئلة يكتفي فيها
بغلبات الظنون فانا اذا ظننا استحقاقه له او براته
منه بعد هدم ذمته فلا وجه لتعطيل الحكم وقد ظن ثبوته
والتمسك بالاصل لا يحصل الشك في الحال وان عري عن
المعارض ولكن اليه عند احتمال التعيين للضرورة اذ لا
يستطيع احد اقامة الدليل على ان الشيء ملكه في الحال ولا على
ان الزوجة باقية في ملكه حالة النزاع فاستصحب الاصل ل
عند الشك لهذه الضرورة وليس كذلك اذا ظن الانتقال
واما الامر الجزئي فالاعتبار بالعلامة المغلبة بالمعين وتحرير
القياس اصل ظننا الانتقال عنه فلا يتمسك به قياسا
على الامارة المختصة بالعين ويتعذر هولاء عن تلك المثل

بمنع

بمنع الاجماع عن الاكتفا بالظن المطلق واذا اقتضى القياس
حكما عاما فمنع مانع من اجرائه في بعض الصور وجب التمسك
به في غير محل المانع والصحيح عندنا التمسك بالغالب الا في
كل موضع يلزم من التمسك به حرج او اضاعة مال وبيان
ذلك بالفقه والنقل اما الفقه فما قررناه من ان الظن حاصل
بالانتقال عن الاصل فضعف التمسك بالاصول عند الشك
في الانتقال لما اقتضى القياس ذلك فاني احكم في الحال من غير
ظن ولا قطع ولكن قد بينا الشيء الذي لاجله اكتفى الشرع
باستصحاب الاصول فاذا ظننا الانتقال فليس هذا
موضع بالاجماع والمستندات مفقودة ومقتضى هذا التقرير
ان لا يتمسك بالاصل مطلقا الا انا نقول قد بينا ان
سبب التمسك بالاصل للضرورة ودعي الحاجة على ما قررنا
فاذا اقتضت الضرورة التمسك بالاصل والاعراض عن
الغالب فعلنا والدليل عليه كتاب الله تعالى وعمل السلف
الماضين من الصحابة والتابعين اما الكتاب فقوله
تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولا يخفى ان اهل
الكتاب لا يتوقون النجاسة ولا يقتصرون في التطهير بالماء
المطلق فاطعمتهم لا تنفك عن ذلك ولكن يلزم من
اجتنابها الحرج وضرر فتمسك بالاصل واما الاثار فقد
نقل عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القدوة في
والاسوة انهم كانوا يخوضون الماء اي طين المطر ويصلون

ولا يغسلونه كذلك لما نقل عن مالك رحمه الله تعالي انهم
كانوا يصلون فيما نسجه اهل الذمة وقال مضي الصالحون
علي ذلك وليس كذلك الصلاة فيما لبسوه لقلة
الحاجة الي ذلك واما المذهب فقال مالك رحمه الله يكره
سؤر النصراني في الماء دون الطعام واعتل بخفة الماء
وكبار امره ولو كان لا يريب عليه النجاسة لما كره فضله
من الماء ولولا ان يكون التفت الي الحاجة لما اباح سؤره
من الطعام والشراب وكذلك قال رحمه الله تعالي ان
الدجاج والاوز المخلاة وهي الجلالة التي يغلب عليها دنة اصابة
النجاسات ان شربت من ماء اريق وان شربت من لبن
واكلت من طعام اكل ولم يثبت فيه كراهيته ولم ير في تركه
ورعا وفي هذا تنبيه علي اصل عظيم وهو ان لا ينبني
الاحكام علي مجرد الخيال واختلاط الحلال بالحرام ولا بد
من التنبيه للادلة وادراك افتراق المسايل ومعرفة
نفس الشريعة في كل اصل وهذا لا يقدر عليه الا سماسرة
العلما وليعلم الموفق ان اصحاب رسول الله صلي الله عليه
وسلم هم اعلم خلق الله بالشريعة واشدهم ورعا وما كانوا
يضيقون كل هذا التضييق ولا يبنون امورهم علي الاوهام
وقد قال عمرو بن العاص لصاحب الحوض اترد حوضك
السباع فقال عمر رضي الله عنه لا تخبرنا يا صاحب الحوض
فانا نرد علي السباع وترد علينا وقال في حديث اخر انه

احتلم

احتلم فاقبل ينظر الي ثوبه ويغسل ما راه فقال له عمرو قد
اصبحت وعندنا ثياب فقال واها لك يا ابن العاص فان
كنت تجد ثيابا فكل الناس ثوب والله لو فعلتها لكانت سنة
اغسل ما رايت وانضح ما لم تره ولم ير عمر التورع عن ثوب امكن
ان تصادفه النجاسة وراي ان النضح كاف في ذلك وقد
يكون غيره من الموسوسين يعول الصلاة في ثوب لم
تصادفه جنابة الي من الصلاة في ثوب شك فيه فيكون
بزعمه اورع من عمر وذلك عين التجهل وغاية الضلال ولو كذلك
لو تورع انسان عن اكل اللبن والطعام الذي شربت فيه
الدجاج المخلاة وكان مقلدا لمالك كان غالطا لان مالك
رحمه الله تعالي لم ير باكله باسا فلا فلا يجوز بنا الورع علي
شيء من هذه الخيالات التي لا يقتضيها الادلة انتهي كلام
الابياري رحمه الله **الوجه الرابع** قال الشيخ تاج الدين
اختلف العلما في حكم هذه الشبهات فقالت طايفة المشتبهات
التي اشار اليها النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الحديث حرام
واستدلوا بقوله صلي الله عليه وسلم فمن اتقي الشبهات فقد
استبرا لدينه وعرضه قالوا ومن لم يستبر لدينه وعرضه
فقد واقع الحرام وقال اخرون هي حلال بدليل قوله
صلي الله عليه وسلم كالراعي يرعي حول الحمي يوشك ان يقع
فيه فدل ان ذلك حلال وان تركه ورع والورع عند ابن
عمر ترك قطعة من الحلال خوف مواقعة الحرام قال

آخرون لا نقول انها حلال ولا حرام لقوله صلي الله عليه وسلم
الحلال بين والحرام بين وبينهما شبهات غير الحرام البين وغير
الحلال البين فوجب ان يتوقف عنها وهذا من باب الورع
ويقتضي عليه قوله لا يعلمهن كثير من الناس فدل علي ان منهم
من يعلمها ممن هي عنده في احد الجزئين الحلال والحرام وقد
صوب الشيخ ابو العباس القرطبي رحمه الله تعالي في
مفهم القول بالكراهة فقال لان الشرع قد اخرجها من قسم
الحرام فلا توصف به وهي مما يرتاب منه وقد قال صلي الله عليه
وسلم دع ما يريبك الي ما لا يريبك وهذا هو الورع اه وقال
الاستاذ ابو نصر القشيري رضي الله عنه قال ابراهيم بن ادهم
الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين
بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام وقال صلي
الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وذكر
بسنده عن السري السقطي رضي الله عنه قال كان
اهل الورع في اوقاتهم اربعة حذيفة المرعشي ويوسف
بن اسباط وابراهيم بن ادهم وسليمان الخواص فنظروا في الورع
فلما ضاقت عليهم الامور فزعوا الي التقلل وقال
الشبلي الورع ان تتورع عن كل ما سوي الله تعالي وقال
اسحق بن خلف الورع في المنطق اشد منه في الذهب والفضة
والزهد في الرياسة اشد منه في الذهب والفضة

لانك

لانك تبذلهما في طلب الرياسة وقال ابو عبد الله بن
الجلاء اعرف من اقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء
زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام
جلب من مصر وقال يحيي بن معاذ من لم ينظر في دقيق من
الورع لم يصل الي الجليل من العطا وقال سفيان الثوري
ما رأيت اسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته وقيل
جاءت اخت بشر الحافي الي احمد بن حنبل فقالت انا
نغزل علي سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع
علينا فيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال من انت عافاك
الله قالت اخت بشر بن الحافي فبكي احمد وقال من بيتكم يخرج
الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها قال وسمعت ابا علي الدقاق
يقول كان الحارث المحاسبي اذا مد يده الي طعام فيه شبهة ضرب
علي رأس اصبعه عرق فيعلم انه غير حلال وقال قيل ان بشر
الحافي دعي الي دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد ان يمد يده
اليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك
منه ان يده لا تمتد الي طعام فيه شبهة ما كان اغني صاحب
الدعوة ان يدعو هذا الشيخ ودخل الحسن البصري رضي الله
عنه مكة فرأي غلاما من اولاد علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قد اسند ظهره الي الكعبة وهو يعظ الناس فوقف عليه الحسن
وقال ما ملاك الدين قال الورع فقال فما آفة الدين قال
الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع

خير من الف مثقال من الصوم والصلاة واوحي الله تعالي الي
موسي بن عمران لا يتقرب الي المتقربون بمثل الورع وقال ابو
هريرة رضي الله عنه جلساء الله غدا اهل الورع والزهد
وقال سهل بن عبد الله من لم يصحبه الورع اكل راس
الفيل ولم يشبع وقيل حمل الي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
مسك من الغنايم فقبض علي مشامه وقال انما ينتفع من
هذا بريحه وانا اكره ان اجد ريحه دون المسلمين وسئل
ابو عثمان الحيري عن الورع فقال كان ابو صالح حمدون
عند صديق له وهو في النزع فمات الرجل فنفث ابو صالح في
السراج فقيل له في ذلك فقال الان كان الدهن له في المرجة
ومن الان صار الدهن للورثة اطلبوا دهنا غيره وقال
كهمس اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه من اربعين سنة وذلك
انه زارني اخ لي فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ
اخذت قطعة طين من جدار جار لي حتى غسل يده ولم
استحله وكان رجل يكتب رقعة في بيت بكراء فاراد ان
يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكرا
ثم انه خطر بباله لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا
يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب
ورهن احمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة فلما
اراد فكاكه اخرج البقال اليه سطلين وقال خذ ايهما
لك فقال احمد اشكل عليك سطلي فهو لك والدراهم

لك فقال البقال سطلك هذا وانما اردت ان اجربك فقال
لا اخذ ومضي وترك السطل عنده وقيل سيب ابن
المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلي صلاة الظهر فرتعت
في قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها
وقيل رجع ابن المبارك من مرو الي الشام في قلم استعاره
ولم يرده علي صاحبه واستاجر النخعي دابة فسقط سوطه
من يده فنزل وربط الدابة ورجع فاخذ السوط فقيل له لو
حولت الدابة الي الموضع الذي سقط السوط فاخذته فقال
انما استاجرتها لامضي هكذا لا هكذا وقال ابو بكر الدقاق
تهت في تيه بني اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق
استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء فعادت قسوتها
علي قلبي ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة شقا في قميصها
في ضوء مشعلة سلطانية ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت
فشقت قميصها فوجدت قلبها ورؤي سفيان الثوري
في المنام وله جناحان يطير في الجنة من شجرة الي شجرة فقيل
له بما نلت هذا قال بالورع ومر عيسي عليه السلام بمقبرة
فنادي رجلا منهم فاحياه الله تعالي فقال من انت فقال
كنت حمالا انقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت
منه خلالا لاتخللت به فانا مطالب به منذ مت اه كلام
القشيري الوجه الخامس قوله لا يعلمهن كثير من الناس
قال الطوفي اي لست احكام تلك المشتبهات مفصلة

لا تعلم بل يعلمها بعض الناس وهم اولوا العلم والنظر في احكام
الشرع وفيه اشارة الى فضل العلما لعلمهم بما لا يعلمه
غيرهم وحلهم ما اشكل على غيرهم ثم الناس في المشتبهات
قسمان احدهما يتقيها ويجتنبها فذلك استبرا لدينه
وعرضه اي يصونهما عن النقص والخلل ووقوع الناس
فيه لاتهامهم اياه بمواقعة المحظورات وقد جاء الاثر
وقفوا مواقف التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ولهذا لما
راى النبي صلى الله عليه وسلم رجلين ومعه امراته صفية
قال لهما على رسلكما انها صفية بنت حيي خشية ان يتهماه
فياثما ولذلك قالا له يا رسول الله من كنا نتهمه فلا
نتهمك فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم
واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيا وكذلك لما راى تمرة
ملقاة قال لولا اني خشيت انها صدقة لاكلتها وذلك
من اتقاء الشبهات تورعا فان قيل لم يتورع عن لحم
بريرة والشبهة قائمة به قلنا لا نسلم ان الشبهة قائمة به
وقد نفى انتفاء الشبهة بقوله هو عليها صدقة ولنا هدية
ولئن سلمنا قيام الشبهة به لكنه عليه السلام كان مشرعا
فهو تارة يترك الشيء تورعا لئلا يتهمه الناس في
الشبهات وتارة يفعله توسعا لئلا يحرج الناس بضيق
مجال الشبهات والثاني من مواقع الشبهات فذلك
يعرض دينه للنقص وعرضه للغيبة ثم تفضي به مواقعة

الشبهات

الشبهات في مواقعة المحظورات بالتدريج والتسامح ولذلك
امثلة **احدها** ما ضربه النبي عليه السلام لذلك وهو
الراعي يرعى حول الحمى وهو المرعى الممنوع فيوشك اي
يقرب ان يقع فيه لان من قارب الشيء خالطه غالبا
ومنه تلك حدود الله فلا تقربوها اي عن المقاربة حذرا
من المواقعة **وثانيها** يسير الخمر ليس محذورا في نفسه
وانما حرم لئلا يتدرج منه الى الكثير المحذور **وثالثها**
الخلوة بالاجنبية لا محذور فيه الا كونه داعية بالتدريج
الى الوطي المحرم **ورابعها** قبلة الصايم اذا حركت شهوته
تكره لئلا يتدرج بها الى الوطي المفسد للصوم **وخامسها**
في التدريج قوله عليه السلام لعن الله السارق يسرق
البيضة فتقطع يده الحديث اي يتدرج من سرقة ما لا يقطع
به الى سرقة ما يقطع به وامثلة هذا كثيرة وقد اجاز
بعض اهل العلم وطي الزوجة والامة فيما بين الاليتين
وهذا الحديث يقتضي كراهيته لما فيه من التعريض للايلاج
المحرم والتعريض للحرام اقل احواله ان يكون مكروها واقل
ما يقال فيه ان الورع تركه انتهى كلامه وقال الاشبيلي
قوله لا يعلمهن كثير من الناس دل على ان منهم من يعلمها
فيكون عنده اما حلالا واما حراما وقد ثبت انه صلى الله
عليه وسلم حين تزوج عقبة بن الحارث ام يحيى بنت ابي
اهاب وجات امة سودا فقالت قد ارضعتكما فقال له

البني صلى الله عليه وسلم دعها عنك وفي رواية كيف وقد
قيل وقال لسودة بنت زمعة احتجبي منه يعني من الولد
الذي ولد على فراش ابيها وكان قد تنازع فيه سعد بن ابي
وقاص وعبد بن زمعة قال سعد هو ابن اخي عتبة ابن
ابي وقاص عهد الي انه ابنه وقال عبد بن زمعة هو اخي وابن
وليدة ابي ولد على فراشه فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الشبهة فراى شبها بعتبة فقال هو لك يا عبد
ابن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه يا سودة
فلم تره سودة قط فهي اخته اذ حكم النبي صلى الله عليه
وسلم انه لفراش ابيها وامرها بالاحتجاب منه لما راى من شبهه
بعتبة بن ابي وقاص ثم قال فهذا عقبة بن عمرو وافتا
النبي صلى الله عليه وسلم بالتحرز من الشبهة وامره بمجانبة
الريبة خوفا من الاقدام على فرج يخاف ان يكون حراما
لانه قد قام دليل التحريم بقول المراة السودا قد ارضعتكما
لكنه لم يكن قاطعا ولا قويا لقول اكثر العلما ان شهادة
امراة واحدة لا تقبل في مثل ذلك فاشار عليه النبي
صلى الله عليه وسلم بالاحوط وكذلك حكم بالولد لزمعة
لانه ولد على فراشه فهو اخو سودة على سبيل الظاهر
لا على القطع ثم امر سودة بالاحتجاب منه للشبهة الداخلة
عليه وذلك فعل انما يعني الله اذ لو كان ابن زمعة في علم
الله لما امر سودة بالاحتجاب منه كما لم يامرها بالاحتجاب

من

من ساير اخوتها **الوجه السادس** قال الشيخ تقي الدين
قوله فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه اصل في الورع
وقد كان في عصر شيوخ شيوخنا لهم خلاف في هذه المسئلة
وصنفوا فيها تصانيف وكان بعضهم سلك طريقا
من الورع مخالفة بعض اهل عصره وقال ان كان هذا
الشي مباحا والمباح ما استوى طرفاه فلا ورع فيه لان
الورع ترجيح جانب الترك والترجيح لاحد الجانبين
مع التساوي محال وجمع بين المتناقضين وبنى على ذلك
تصنيفا والجواب عن هذا عندي من وجهين احدهما
ان المباح قد يطلق على ما لا حرج في فعله وان لم يستو طرفاه
فهذا اعم من المباح المتساوي الطرفين فمحل النهي رد د
القول فيه وقال اما ان يكون مباحا او لا فان كان مباحا
فهو مستوي الطرفين نعم اذا حملنا على هذا المعنى
فان المباح قد صار مطلقا على ما هو اعم من المتساوي الطر فين
فلا يدل اللفظ على التساوي اذ الدال على العام لا يدل على
الخاص بعينه **الثاني** انه قد يكون متساوي الطرفين
باعتبار ذاته راجحا باعتبار امر خارج ولا تناقض حينئذ
الحكمان وعلى جهتين فلا يخلو هذا الموضع من نظر فانه ان لم يكن
فعل هذا الشي موجبا لضرر ما في الاخرة والا فيعسر
ترجيح تركه الا ان يقال ان تركه يحصل لثواب او
زيادة درجات وهو على خلاف ما يفهم من افعال الورعين

فانهم يتركون ذلك تحرجا وتخوفا وبه يشعر لفظ الحديث انتهى
الوجه التاسع قال الشيخ تاج الدين بن الفاكهاني وقوله
فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه فيه ايقاع الظاهر
موقع المضمر تفخيما لشان اجتناب الشبهات وهو كثير في
الكتاب العزيز وغيره ومنه قول الشاعر

لا ارى الموت يسبق الموت شيء ۞ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

اذ المشبهات هي الشبهات بعينها والمعنى من ترك ما اشتبه
عليه حكمه سلم دينه مما يفسده او ينقصه وعرضه مما يشينه
ويعيبه والعرض في اللغة اصله رائحة الجسد وغيره
طيبة كانت او خبيثة يقال طيب العرض ومنتن العرض
وسقا مخبث العرض اذا كان منتنا عند ابي عبيد والعرض
ايضا هو الجسد وفي صفة اهل الجنة انما هو عرق يسيل
من اعراضهم اي من اجسادهم والعرض ايضا
النفس يقال اكرمت عنه عرضي اي صنت عنه نفسي وفلان
نقي العرض اي بري من ان يشتم او يعاب وقد قيل
عرض الرجل حسبه قاله الجوهري واللايق بالحديث
هنا ان يراد به النفس استبراء لنفسه من ان يلام على ما اتى
انتهى وقد تقدم ان العرض محل المدح والذم ومنه قول الشاعر

صن العرض وابذل كل مال ملكته ۞ فان ابتذال المال للعرض اصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوءة ۞ فعندك عورات وللناس السن
وعينك ان ابدت اليك معايبا ۞ لقوم فقل يا عين للناس اعين

الوجه

الوجه الثامن قوله صلى الله عليه وسلم ومن وقع في الشبهات
وقع في الحرام قيل ان ذلك يكون بوجهين احدهما ان لم يتق
الله وتجرا على الشبهات افضت الى المحرمات بطريق اعتياد الجراة
والتساهل في امرها فيحمله ذلك على الجراة على الحرام المحض
ولهذا قال بعض المتقين الصغيرة تجر الى الكبيرة والكبيرة
تجر الى الكفر وهو معنى قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقيل اول ما يقع في القلب غفلة فان ايقظه
الله والا صارت خطرة فان ردها الله والا صارت فكرة
فان صرفها الله والا صارت عزمة فان حماه الله والا وقعت
المعصية فان انقذه الله بتوبة والا وقعت فسوق فان الاهما
الله والا صارت طبعا وربنا قال الله تعالى كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون وثانيهما ان من اكثر
من مواقعة الشبهات اظلم عليه قلبه لفقدان نور العلم ونور
الورع فيقع في الحرام وهو لا يشعر والى هذا النور الاشارة
بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الاية وفي
الحديث ان العبد اذا اذنب كانت نكتة سودا في قلبه
وكلما زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الذي ذكر الله في
كتابه كلا بل ران على قلوبهم الاية قال الحسن هو الذنب
على الذنب على يسودة القلب والى هذا وقعت الاشارة
النبوية ان هذه القلوب تصدا كما يصدا الحديد
قيل فما جلاؤها يا رسول الله قال ذكر الموت وتلاوة

القران وقال صلي الله عليه وسلم من ترك صلاة الجمعة
مرة من غير عذر اسود ثلث قلبه ومن ترك ثلاثا طبع علي
قلبه **الوجه التاسع** قوله صلي الله عليه وسلم كالراعي يرعي
حول الحمي يوشك ان يرتع فيه قال الاسكندراني هذا من
احسن التشبيه وادل علي التحذير في هذا المعني والحمي
المحظور علي غير مالكه وهو الذي لا يقرب احتراما لمالكه
وهو بمعني المحمي والمصدر فيه واقع موقع اسم المفعول وتثنيته
حميان وسمع الكسائي تثنيته حموان والصواب الاول
لانه من باب فتي ورحي مما لامه يا وفيه دليل علي سد الذرائع
والتباعد عما يحاذر وان ظن السلامة في مقاربته والاصل
في ذلك ان ملوك العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها الخاصة
بها وتحرج بالتوعد بالعقوبة علي من قربها فالخائف من
عقوبته ذلك يتحاماها ولا يقرب منها اذ لو قرب منها كان
الغالب وقوعه فيها وان وقع الحذر اذ الماشية لا يمكن ربها
ضبطها حينئذ عن المكان المحمي اذ لا بد من الشاذة والقا
الذي لا يمكن حصرها وضبطها لا سيما ان كانت الماشية
كثيرة منتشرة فالاحتياط ان يجعل بينه وبين ذلك
الحمي مسافة لا يمكن معها انفلات الشاذة والقاصي الي ذلك
الحمي لبعدها عنه فكذلك محارم الله عز وجل لا ينبغي
ان يحوم حولها مخافة الوقوع علي ما تقدم من الوجهين
ويوشك احد افعال المقاربة العشرة وهو بكسر الشين

ويرتع

ويرتع بفتح اليا والتاء معناه اكل الماشية من المرعي واصله
اقامتها فيه وتبسطها في الاكل منه ومعناه قوله تعالي
حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام نرتع ونلعب اي نتنعم
ونلهو ومن قرا نرتع بضم النون وكسر التاء معناه نرتع ابلنا
ومن قراه بكسر العين فهو نفتعل من الرعي انتهي **ومن هذا**
الوادي قول الشاعر
اري المرء في الدنيا كراع تنكرت ۝ مراعيه حتي ليس فيهن مرتع
فماء بلا مرعي ومرعي بغير ماء ۝ وحيث تري ماء ومرعي فمسبع
اي كثير السباع **وهذان** البيتان حكمة عظيمة لمن
تدبر معناهما **الوجه العاشر** قال الطوفي في قوله الا
وان حمي الله محارمه هذا من باب قياس الغائب علي الشاهد
والمعقول علي المحسوس ونظم القياس هكذا الله عز وجل ملك
وكل ملك له حمي فالله عز وجل له حمي ثم حمي كل ملك ما منعه
فكذلك حمي الله عز وجل ما منعه وهو الحرام **وروي** الطحاوي
بسنده عن نواس بن سمعان الكلابي عن رسول الله صلي
الله عليه وسلم انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما
وعلي جنبي الصراط سور فيه ابواب مفتحة وعلي الابواب
ستور مرخاة وعلي باب الصراط داع يقول يا ايها ادخلوا الناس ع
الصراط جميعا ولا تعوجوا **وداع** يدعو من فوق الصراط
فاذا اراد فتح شي من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك
ان تفتحه تلجه فالصراط الاسلام والستور حدود الله

والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي علي راس الصراط كتاب
الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم **الوجه**
الحادي عشر قوله الا وان في الجسد مضغة الا حرف
استفتاح تكسر بعدها ان لانها ابتدي بها الكلام والجسد
البدن يقال منه تجسد كما تقول من الجسم تجسم والجسد ايضا
الزعفران ونحوه من الصبغ وهو الدم ايضا قال النابغة
وما هريق علي الانصاب من جسد قاله الجوهري والمضغة
قد تقدم تفسيرها والمراد بها هنا القلب كما فسره النبي صلي
الله عليه وسلم والمراد صغير جرمها وعظم قدرها اوجرمها
وصلحت بفتح اللام في الماضي وضمها في المستقبل وكذلك لك
فسد يفسد وقد يقال صلح وفسد بضم اللام فيهما اذا صار
الصلاح له والفساد له سجية كشرف وظرف وليس المراد
بالصلاح والفساد ههنا هذه اللحمة الصنوبرية وانما
المراد المعني القايم بها الذي هو محل الخطاب والتكليف
وهذا مما يقوي ما ذهب اليه الجمهور من ان العقل محله
القلب لا الدماغ كما ذهب اليه اكثر الفلاسفة لترتيبه
عليه الصلاة والسلام الصلاح والفساد علي القلب
دون الدماغ والقلب محل الاعتقادات والعلوم
والافعال الاختيارية بل قد يعبر عنه بالعقل نفسه
قال تعالي ان في ذلك لذكري لمن كان له قلب اي عقل
قال بعض العلما وهو من الالفاظ المشتركة يقع علي
الكوكب

الكوكب المنير الذي بجانبيه كوكبان وعلي مصدر قلب وقالوا
عربي قلب اي خالص يستوي فيه المذكر والمونث والمفرد والجمع
قاله الجوهري **قال** ابن الفاكهاني ولتعلم ان الاصل في هذا
اللفظ انما هو مصدر قلبت الشي قلبا اذا رددته علي
وجهه وقلبت الرجل علي رايه اذا صرفته عنه وعن طريقه
لذلك ثم نقل وسمي به هذا العضو الشريف الذي هو اشرف
اعضاء الحيوان لسرعة الخواطر فيه ولترددها عليه كما قيل
ما سمي القلب الامن تقلبه • فاحذر علي القلب من قلب وتحويل
وخرج في المنتخب عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم مثل القلب
مثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح **وخرج** البزار
عن المقداد بن الاسود عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم انه سمعه يقول لقلب ابن ادم اشد انقلابا من القدر
اذا اغلت ثم ان الله تعالي اودع في القلب معني به ينتظم
المصالح المقصودة فيجلب بها ثم تدرك مصالحها
ومنافعها وتميز بين مفاسدها ومضارها مع اختلاف
اشكالها وصورها **وخص الله** النوع الانسان بان جعل
في قلبه سرا يعرف به الكليات والجزئيات ويفرق به بين الواجبات ت
والجايزات والمستحيلات وقد اضاف الله العقل الي القلب
كما اضاف السمع الي الاذن والابصار الي العين بقوله
افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها اواذان

يسمعون بها فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور
وهو رد علي من قال محله الدماغ فبهذه الخاصية المودعة كان اشرف
الاعضا ثم ان الجوارح كلها مسخرة له ومطيعة لدفما استقر
فيه ظهر عليها وعملت به ان خيرا فخير وان شرا فشر فان قلت
هذا يقتضي ان القلب هو اصل الفساد والصلاح وقد نري
الانسان اولا ينظر ثم يشتهي القلب كما قيل
كل الحوادث مبداها من النظر • ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا طرف يقلبه • في اوجه الغيد موقوف علي الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها • فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته • لا مرحبا بسرور عاد بالضرر
فهذه يدل علي ان الجارحة تفسد القلب فالجواب
ان الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد يتاثر القلب
باعمالها للارتباط الذي بين الظاهر والباطن والقلب
مع الجوارح كالملك مع الرعية ان صلح صلحت ثم يعود
صلاحها عليه بزيادة صلاح يرجع اليه ولذلك لما سال
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلا من رعيته كيف
حال اميركم فقال يا امير المؤمنين اذا طابت العين عذبت
الانهار وقالوا الملك سوق ما نفق عنده جلب اليه
وقد جا هذا المعني في قوله ان الرجل ليصدق فتنكت
في قلبه نكتة بيضا حتي يكتب عند الله صديقا وان
الرجل ليكذب فتنكت في قلبه نكتة سودا حتي يكتب عند

بلغ مقابلته

الله

الله كذابا وعن مجاهد قال القلب مثل الكف يقبض منه
بكل ذنب اصبع ثم يطبع وقد قيل ان صلاح القلب في
خمسة اشيا قراة القران بالتدبر وخلا الباطن وقيام الليل
والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين قال ابن الفاكهاني
ولهذه الخمسة سادس وهو لحمتها وهو اكل الحلال فان
اكل الحلال ينوره ويصلحه فتزكوا بذلك الجوارح فتنسد
المفاسد وتكثر المصالح واكل الحرام والشبهات تظلمه وتقسيه
وتقسيه وقد قيل اذا اصمت فانظر الي طعام من تفطر عليه
فان الرجل ليأكل الاكلة فيتقلب قلبه كالاديم فلا ينتفع به
ابدا وفي منهج القاصدين للغزالي الطعام بذر الافعال فان
دخل حلالا خرج حلالا وان دخل حراما خرج حراما وان
دخل شبهة خرج شبهة انتهي فالاصل المصحح للقلوب
انما هو اكل الحلال وكثرة الاعمال وقد قيل انه يخاف
علي اكل الحرام والشبهة ان لا يقبل له عمل ولا يسمع له دعا لاستماع
قوله تعالي انما يتقبل الله من المتقين واكل الحرام منه
والمسترسل في الشبهات ليس بمتق علي الاطلاق وقد
عضد ذلك قوله صلي الله عليه وسلم ان الله طيب
لا يقبل الا طيبا الحديث وانه لما شرب ابو بكر رضي الله
عنه جرعة من لبن استقاها وعن عايشة رضي الله
عنها قالت كان لابي بكر رضي الله عنه غلام يخرج
له الي الخراج فكان ابو بكر ياكل من خراجه فجا يوما بشي

فاكل منه ابو بكر فقال له الغلام تدري ما هذا فقال ابو بكر
وما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما احسن
الكهانة الا اني خدعته فلقيني فاعطاني بذلك فهذا الذي
اكلت منه قال فادخل ابو بكر يده فقا كل شي من بطنه
ثم قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول كل لحم
نبت من حرام فالنار اولي به قال البيهقي رواه البخاري
في الصحيح فقد علمت ان الاعتنا بامر القوت من اعظم ما يجب
ان يحافظ عليه طالب صلاح القلب فقد قال يوسف
ابن اسباط اذا تعبد الشاب يقول ابليس انظروا من اين مطعمه
فان كان مطعمه مطعم سوء قال دعوه لا تشتغلوا به دعوه
يجتهد وينصب فقد كفاكم نفسه وقد سال رجل سفيان
الثوري عن فضل الصف الاول فقال انظر كسرتك التي
تاكلها من اين تاكلها وقم في الصف الاخر وعند هذا يعلم
احدنا قدر المصيبة التي هو فيها اذ المكاسب في هذه الازمان
قد فسدت وانواع الحرام والشبهات فقد كثرت فاذا اجتهد
احدنا فيما يعمله فكيف بمن يعامله مع استرسال الناس
في المحرمات والشبهات وقلة من يتبغي ذلك من جميع الاصناف
والطبقات مع ضرورة المخالطة والاحتياج الي المعاملة
وعلي هذا فالخلاص بعيد والارشد بين والنظر الي اختلاطها
بالمكاسبة وكثرة المكوس والي قلة الحلال بل عدم حل اكثر
الدراهم والفلوس نسال الله من فضله مغفرة للذنوب

وتوبة

وتوبة من عنده حتي نتوب فان قلت الجنة غالية كما قال
صلي الله عليه وسلم الا ان سلعة الله غالية الا ان
سلعة الله الجنة وكيف لا وبايعها ذو العظمة والكبرياء والدلال
لها محمد المصطفي والسفير بينهما روح الله ذو المقام
الاعلي فلم جعل الله بدلها النفوس ولم يجعل ثمنها القلوب
التي هي اشرف الاعضا فالجواب ان ما ذكر من
الثمن وهو الجنة مخصوص بالنفوس اما القلوب فثمنها
نظرها الي الملك القدوس واذا حققت الامر علمت ان القلب
حر واتفق الايمة علي عدم صحة بيع الحر وحرية القلب
عبارة عن صيانة الله تعالي له من ان تلمسه وساوس
الشيطان فهو كفو لا بكار الاسرار لم ترق الاغيار وقال بمسه
الشيخ ابو علي الدقاق رحمه الله لم يقل اشتري قلوبهم لان
القلب وقف علي محبته والوقف لا يشتري وقيل اشتري
سبحانه وتعالي نفوسهم فوهبوا قلوبهم تشكرا علي شرائه
لنفوسهم وقيل ان النفس لما كان من شانها ان تشرد حسنه
ارجعها اليه بالشرا واما القلب فان سعوا بق العناية لحاطت
به ولو لحق الرعاية ساقته الي ربه خطفته نسمات الاسحار
وخطفته نفحات الابرار وجذبته اكف الاقبال وسبته سجف
الجمال فاصبح الطالب يبحث عن القلب فلم يشهد له
مقيلا ويبحث عن مقامه فلم يجد له سبيلا وقيل
كان لي قلب اعيش به ۞ ضاع مني في تقلبه

ربما رده علي فقد • عبل صبري في نطلبه
واعني ماذا امري برني • يا عبات المستغيب به

وقيل لم يغل اشترك قلوبهم لانها غير مقدور علي تسليمها الاتري الي قوله تعالي واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه الاية وقال الطوفي القلب مبدا الحركات البدنية والارادة النفسانية فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك الجسد حركة صالحة وان صدرت عنه ارادة فاسدة تحرك الجسد حركة فاسدة ثم قال وشاهد ما ذكرناه ان النبي صلي الله عليه وسلم شق عن قلبه مرتين واستخرج منه علقة سوداء قيل هذه حظ الشيطان منك ثم غسل بالماء المبارك الطهور فلما طاب قلبه طاب جسده ثم صار اماما للمتقين ورحمة للعالمين صلي الله عليه وسلم

الحديث السابع

عن ابي رقية تميم بن اوس الداري ان النبي صلي الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم الشرح الكلام عليه من وجوه احدها الداري نسبة الي جد الدار وقيل غيره لذلك ويقال فيه الديري نسبة الي دير كان يتعبد فيه وهو بالمدينة ثم انتقل الي الشام ونزل بيت المقدس بعد قتل عثمان بن عفان وكان اسلامه سنة تسع من الهجرة وروي له عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثا

روي

روي له مسلم حديثا واحدا من رواية عطا بن يزيد الليثي وقد روي عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم قصة الجساسة وهي منقبة شريفة له وهذه من غرايب مسايل علم الحديث يقال اي الصحابة روي عنه النبي صلي الله عليه وسلم فيقال تميم الداري ورقية بضم الراء وفتح القاف وتشديد الياء ابنة له الوجه الثاني الدين يطلق باراء معان ثمانية الملة والعادة والطاعة والجزاء وسيرة الملك والسياسة والحال والدار والمراد هنا الملة وهي دين الاسلام الوجه الثالث النصيحة الاسم والنصح المصدر وكذلك النصاحة يقال نصحته ونصحت له وهو افصح قال الله تعالي وانصح لكم والنصيح الناصح واما النصح بفتح النون فمصدر نصحت الثوب خطته قال الجوهري ومنه التوبة النصوح اعتبارا بقوله عليه السلام من اغتاب خرق ومن استغفر رقا والناصح الخياط والنصاح السلك يخاط به والمنصحة الابرة قالوا والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح له ويقال انها من وجيز الاسما ومختصر الكلام وانه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي العبادة علي معني هذه الكلمة كما قالوا في الفلاح ليس في كلام العرب كلمة اجمع لخير الدنيا والاخرة منها وهي ماخوذة من نصح الرجل ثوبه اذا خاطه شبه فعل الناصح فيما يتحراه للمنصوح له بسد الخياط خلل الثوب واخلاقه وقيل انها من نصحت العسل اذا صفيته

من الشمع شبه تخليص العمل من الغش بتخليص العسل من الخلط
وقال الطوفي النصيحة اخلاص القول والعمل وهي في العرف
اخلاص الراي من الغش المستتر ونحوه وايثار مصلحته ثم قال
تنبيه ان قيل هل الدين محصور في النصيحة علي قاعدة
حصر المبتدا في الخبر وراء النصيحة من الدين شي ويكون
قوله الدين النصيحة من باب قوله الحج عرفة اي معظم الدين
النصيحة قلنا بل الدين محصور في النصيحة لان من جملة النصيحة
طاعة الله ورسوله والايمان والعمل بالافعال من كتاب
وسنة وليس وراء ذلك من الدين شي اذ قد بين في حديث
جبريل ان الدين هو الاسلام والايمان والاحسان وجميع ذلك
مندرج تحت ما ذكرناه من النصيحة اه كلامه وقال ابن
الفاكهاني معني الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة لقوله
عليه السلام الحج عرفة اي عماده وقوامه وقوله عليه السلام
الدين النصيحة هو من الحصر المجازي دون الحقيقي اعني انه لما
اريد المبالغة في النصيحة جعلت كل الدين وان كان الدين
مشتملا علي خصال كثيرة غير النصيحة وكذلك الحج عرفة
بخلاف الحقيقي نحو الله ربنا ومحمد نبينا وعالم البلد زيد اذا
لم يكن فيه عالم غيره فقد علمت ان الحصر تارة يكون مطلقا
وتارة يكون مخصوصا فالاول نحو انما الله اله واحد
والثاني نحو انما انت نذير اي بالنسبة الي من لا يؤمن والا
فصفاته عليه السلام لا تحصر من البيان والشجاعة والكرم

وغير

وغير ذلك الوجه الرابع فيه تلويح ان العالم لا يلزمه
استقصا المبالغة للمتعلم بل المتعلم يستمع فان فهم والا سال
فكان ذلك اوقع في نفسه مما اذا هجم من اول وهلة الوجه
الخامس قال الخطابي اما النصيحة لله فمنها ما هو منصرف
الي الايمان به ونفي الشريك عنه وترك الالحاد في صفاته ووصفه
بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعالي عن
جميع انواع النقايص والقيام بطاعته واجتناب معصيته
والحب فيه والبغض فيه والموالاة من اطاعه ومعاداة من
عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمه وشكره عليها
والاخلاص في جميع الامور والدعا الي جميع الاوصاف المذكورة
والحث عليها والتلطف بالناس ومن امكن منهم عليها
قال الخطابي وحقيقة هذه الاوصاف المذكورة راجعة
الي العبد في نصحه نفسه فالله تعالي غني عن نصح الناصح
واما النصيحة لكتاب الله فقال العلما الايمان بانه
كلام الله وتنزيله لا يشبهه شي من كلام الخلق ولا يقدر
علي مثله احد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته
وتحسينها والخشوع عندها واقامة حروفه في التلاوة
والذب عنه لتاويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق
بما فيه والوقوف مع احكامه وتفهم علومه وامثاله والاعتبار
بمواعظه والتفكر في عجايبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه
والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه

والدعا اليه والي ما ذكرنا من نفحته وقال الحليمي رحمه الله تعظيم
القران ينقسم الي وجوه منها تعلمه ومنها ادمان تلاوته
بعد تعلمه ومنها احضار القلب اياه عند قراته والتفكر فيه
وتكرير اياته وترديدها واستشعار ما يهيج البكا من مواعظ
الله تعالي ووعيده فيها ومنها افتتاح القراة بالاستعاذة
ومنها قطع القراة في وقته بالحمد والتصديق به والصلاة علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالتبليغ فاذا
ختم القران وقراه كله فذلك لذا داب منها ان يعود الي
اوله فيقراه شيا منه ثم يقطع ومنها ان يجمع اهله وولده
عند الختم ومنها ان يتحرى للختم اول النهار او اول الليل الختم ح
ومنها التكبير قبل الدعا ومنها الدعا بما يراه من امر الدين والدنيا
ومن تعظيمه الوقوف عند ذكر الجنه والنار والرغبة الي الله عز
وجل في الجنة والاستعاذة من النار ومنها الاعتراف لله
تعالي بما يقربه عبادة في ايات القران ومنها السجود في ايات
السجود ومنها ان لا يقرا في حال الجنابة ولا الحيض ومنها
ان لا يحمل المصحف ولا يمس في غير حال الطهارة ومنها تنظيف
الفم لاجل القراة بالسواك والمضمضة ومنها تحسين اللباس
عند القراة والتطيب وان كان الطيب دايما الي الفراغ من
القراة فهو احسن وافضل ومنها ان يجهر في القراة بالليل
ويسر بها في النهار الا ان يكون في موضع لا لغو فيه ولا صخب
ومنها ان لا يقطع السورة لمكالمة الناس ويقبل علي قراته

حتى

حتى يفرغ منها ومنها ان يحسن صوته بالقراة اقصي ما يقدر عليه
ومنها ان يرتل القران ولا يهذه هذا ومنها ان لا يقرا القران
كله في اقل من ثلاث ومنها ان يعلم القران من رغب اليه فيه
ولا يترفع عنه بل يحتسب الاجر فيه ويغتنمه ومنها ان يقراه
بالقراات السبع المستفيضة المجمع عليها ولا يتعداها الي الشواذ
والغرايب ومنها ان لا يقبل القراة الا من العدول العلما
بما اخذوا ومنها ان لا يعطل مصحفا ان كان عنده ولا ياتي
عليه يوم لا ينظر فيه ولا يقرا منه فان كان يحفظ القران
قراه من المصحف وقتا وغير ناظر فيه وقتا ولا يهملهما لا
ومنها ان يقطع قراة اية اية ولا يدرجها ادراجا ومنها ان
يتحرى لقراته وختمه الصلاة فتكون قراته فيها ما استطاع
ولم يمنعه مانع ومنها ان يعرض القران في كل سنة علي من هو ابين
فضلا في القران منه واولي الاوقات بذلك شهر رمضان
ومنها ان يزداد من القراة في شهر رمضان علي ما يقرا في
غيره ومنها ترك المماراة في القران ومنها ان لا يفسر
القران بالظن ولا يقال في معني هذه الاية هكذا الا بدلالة
لايحة تقوم عليه ومنها ان لا يساوم بالقران الي عرض العمق
ومنها ان يعرب القران ويقراه بالتفخيم ولا يتجوز فيه ومنها
ان من اخذ في سورة منه لم يتجاوزها الي غيرها قبل ان يستكملها
ومنها انه اذا اراد ان يتم الختم له باطلاق استوفي الحروف
المختلف فيها فلا يبقي عليه حرف يشبه قارئ من اعلام

القران لم يقراه ومنها ان يقرا في اول كل سورة ما خلا سورة
التوبة بسم الله الرحمن الرحيم ويحافظ على ذلك في فاتحة
الكتاب اشد من محافظته عليه في غيرها بان لا يخل بها
فيكون قد ترك الاية الاولى منها ومنها ان يعرف في كل سورة
جاء في فضلها اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم حقها ولا يترك
قراتها في وقت ورد الخبر بفضل قراتها فيه ومنها ان
يستشفي قارئ القران بما يحسنه منه ويتبرك بقراته
على نفسه وعلى غيره مريضا وخربا وخايفا مغتما او مسافرا رفقة
وغير رفقة ويتبعه بالدعا والمسالة ومنها ان يفرح بما
اتاه الله من القران فرح الغني بغناه وذي السلطان
بسلطانه ويستعظم نعمة الله عليه به ويحمده عليه ومنها
ان لا يباهي بقراءة القران قاريا غيره ومنها ان لا يقرا في الاسواق
والمجالس ليعطى فيستاكل الاموال بالقران ومنها ان لا يقرا في
الحمام والمواضع القذرة ولا في حال قضاء الحاجتين ومنها
ان لا يتعمق في القران فيقومه تقويم القدح ويتحرى ان لا يترك
مدة مدة ولا همزة وان لا يخرج الحرف الا من جميع مخرجه همزة صح
فيلوك الالفاظ عند ذلك بلسانه كما يلاك الطعام ومنها
ان الجماعة اذا اجتمعوا في مسجد وغيره يقرون القران
لم يجهر بعضهم على بعض بما يكون به متلجلجين متنازعين
وهذا في غير الصلاة والخطبة واما فيهما فالامام يقراه
وينصت القوم فلا يجهر به منه وان قراه والخلفه لم يجهروا

واما

والم يزيدوا على ان يسمعوا انفسهم ولا يقرا احد في حال
الخطبة اذا كان يسمعها شيا وان قراه احد الجماعة لا في
صلاة جهرا نصت له الباقون الا ان يكون فيهم مصل
لا ينصت ومنها ان لا يحمل على مصحف كتابا اخر ولا
ثوبا ولا شيا الا ان يكون مصحفان ويكتبه مفردا باحسن
خط يقدر عليه ولا يصغر مقداره ولا يقرمط حروفه
ومنها ان لا يخلط في المصحف ما ليس من القران بالقران
كعدد الايات والسجدات والوقوف والعشرات واختلاف
القراات ومعاني الايات ومنها ان ينور البيت الذي يقرا فيه
بتعليق القناديل ونصب الشموع فيه ويزاد في شهر رمضان
في انوار المساجد وتخليقها ومنها تعظيم اهل القران وتوقيرهم
كتعظيم العلما بالاحكام واكثر والله اعلم واما النصيحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصديق نبوته على الرسالة والايمان
ونصرته صح بجميع ما جاء به وطاعته في امره ونهيه حيا وميتا ومعاداة
من عاداه وموالاة من والاه واعظام حقه وتوقيره واحيا
طريقته وسنته وبث دعوته ونشر سنته ونفي التهمة
عنها واستثارة علومها والتفقه في معانيها والدعا اليها
والتلطف في تعلمها واعظامها واجلالها والتادب عند
قراتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم واجلال اهلها
اليها صح لانتسابهم والتخلق باخلاقه والتادب بادابه ومحبة اهل
بيته واصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته او تعرض لاحد من

من اصحابه ونحو ذلك قال البيهقي رحمه الله معلوم ان حقوق
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل واعظم والزم لنا واوجب
علينا من حقوق السادات على مماليكهم والاباء على اولادهم
لان الله تعالى انقذنا به من النار في الاخرة وعصم لنا
به ارواحنا وابداننا واعراضنا واموالنا واهلينا واولادنا في
العاجلة وهدانا به هدى اذا اطعناه فيه ادانا الى جنات
النعيم فاي نعمة توازي هذه النعمة واي منة تداني هذه
المنن وجعل الايمان مقرونا بتعظيمه فقال والذين امنوا به
وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك
هم المفلحون فاخبر ان الفلاح انما يكون لمن جمع الى الايمان به
تعزيره ولا خلاف ان التعزير ههنا التعظيم وقد كان
اصحابه يعظمونه كما روي عن المسور بن مخرمة ان عروة بن
مسعود الثقفي رمق صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فوالله
ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت
في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا
امره واذا توضا كادوا ان يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا
اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال فرجع
عروة الى اصحابه فقال يا قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت
على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه
اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة
الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده الحديث

قال

قال فهذا من الذين شاهدوه فاما اليوم فمن تعظيمه زيارته
وتعظيم حرمه وهو المدينة واكرام اهله وقطع الكلام اذا جرى
ذكره وروي بعض ما جاء به وصرف السمع والقلب اليه
ثم الاذعان له والنزول اليه والتوقي من معارضته
وضرب الامثال له ومن النصيحة له ان لا يقابل قوله بحكي
عنه او فعل يوصف به او حال اهله يذكر بما يكون الخلفا ازراء
له ولا يسمى بشيء من الاسما التي هي في متعارف الناس من اسما
الضعفة فلا يقال كان النبي فقيرا ولا يقال اذا ذكرت
له مجاعته او شدة لقيها مسكين كما يقال مثل ذلك في
هذه الحالة لغيره تعطفا وترفقا واذا قيل كان النبي صلى
الله عليه وسلم يحب كذا لا يقابلها احد بان يقول اما انا
فلا احبه وتعظيم آله وصحبه وحب العرب لاجل نسبه صلى
الله عليه وسلم واما النصيحة لائمة المسلمين فمعاونتهم
على الحق وطاعتهم وامرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق
ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين
وترك الخروج عليهم وتالف قلوب الناس لطاعتهم قال
الخطابي ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم
واداء الصدقات اليهم وقال البيهقي قال ابو عثمان انصح
السلطان واكثر له من الدعا بالصلاح والرشاد بالقول
والعمل والحكم فانهم اذا صلحوا صلح العباد والبلاد بصلاحهم
واياك ان تدعوا عليهم باللعنة فيزدادوا شرا ويزداد البلا

علي المسلمين ولكن ادع لهم بالتوبة فيتركوا الشر وينفع
البلاء علي المومنين قال الفضيل لما قدم الرشيد بعث الي
فاتيته فقال عظنا بشي من علم فاقبلت عليه
وقلت يا حسن الوجه حساب هذا الخلق كلهم عليك
فجعل يبكي ويشهق قال فرددتها عليه قال فاخذني الخدم
فاخرجوني من الحجرة وعنه انه قال لما بلغني ان عمر بن عبد
العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب
القرظي ورجاء بن حياة فقال لهم اني ابتليت بهذا البلا فاشيروا
علي فعد الخلافة بلاء وعددتها انت واصحابك نعمة
فقال محمد بن كعب القرظي ان اردت النجاة غدا من عذاب الله
فليكن كبير المسلمين عندك ابا واوسطهم عندك اخا
واصغرهم عندك ولدا فوقر اباك واكرم اخاك وتحنن
علي ولدك فقال له سالم بن عبد الله ان اردت النجاة
من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك منها الموت
وقال له رجاء بن حياة ان اردت النجاة غدا من عذاب الله
فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك
واني لاقول هذا واني لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل فيه
الاقدام فهل معك من يامرك بمثل هذا فبكا عمر بكاء شديدا
حتي غشي عليه **وعن محمد** ابن السماك انه دخل
علي هارون فقال يا امير المومنين ان الله عز وجل لم
يجعل احدا فوقك فلا ينبغي ان يكون احد اطوع لله منك

هذا ما ورد في بعض الروايات [illegible]

وعن

وعن احمد ابن يوسف القاضي قال قلت للمامون يا امير
المومنين ان رجلا ليس بينه وبين الله احد يحاسبه لحقيق
ان يتقي الله عز وجل فقال المامون صدقت وكتب عمر بن
عبد العزيز الي عامل له اما بعد فاذا دعتك قدرتك علي الناس
الي الظلم فاذكر قدرة الله عليك **تنبيه** قال
ابن فرح الاندلسي المراد من ايمة المسلمين الخلفا وغيرهم
ممن يقوم بامور المسلمين من اصحاب الولايات وهذا هو المشهور
وحكاه ايضا الخطابي ثم قال وقد يتناول ذلك الايمة
الذين هم علماء الدين وان من نصيحتهم قبول ما رووه
وتقليدهم في الاحكام واحسان الظن بهم انتهي وقال
الشيخ صلاح الدين العلائي ان القول الاول هو الذي فهمه
جمهور العلما من الحديث وتابعهم قال به جماعة من المفسرين
في قوله تعالي اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم ان المراد باولي الامر العلما ثم قال ولكن حمل ايمة
المسلمين علي المجموع من الامرا والعلما بناء علي القول بحمل المشترك
علي معنييه اه **واما نصيحة** عامة المسلمين وهم من عدا
ولاة الامور فارشادهم لمصالحهم في امور اخرتهم ودنياهم
واعانتهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وامرهم بالمعروف
ونهيهم عن المنكر برفق واخلاص والشفقة عليهم
وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة

وترك غشهم وحسدهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير
ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عنهم وعن
اموالهم واعراضهم وغير ذلك من الاحوال بالقول والفعل
وستر عوراتهم وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه وقد كان
في السلف من تبلغ به النصيحة الى الاضرار بدنياه هذا كلام
الخطابي وفي كلام البيهقي ان الله قسم بينهم اخلاقهم كما قسم
بينهم ارزاقهم ولو شاء لجعلهم على خلق واحد فلا تغفل
عن النظر في تدبير الله فيهم فاذا رايت معصية فاحمد الله
اذ صرفها عنك في وقتك وتلطف في الامر والنهي برفق
وصبر وسكينة فان قبل منك فاحمد الله وان رد عليك
فاستغفر الله لتقصير كان منك في امرك ونهيك واصبر
على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور انتهى وعن
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال انظروا في ذنوبكم
كانكم عبيد ولا تنظروا في ذنوب الناس كانكم ارباب فانما
الناس معافا ومبتلا فارحموا اهل البلا واحمدوا الله على
العافية قال ابن بطال وهذا الحديث يدل على ان النصيحة
تسمى دينا واسلاما وان الدين يقع على العمل كما يقع على
القول والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به ويسقط عن
الباقين وهي لازمة على قدر الحاجة اذا علم الناصح انه يقبل
نصحه ويطاع امره وامن على نفسه المكروه فان خشي
اذًا فهو في سعة اه قال العلائي بعضه فرض عين

وبعضه

وبعضه فرض كفاية وبعضه سنة كما هو الذي يشتمل على جميع ذلك والله
تعالى اعلم

الحديث الثامن

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني
دماهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى
الكلام عليه من وجوه الاول قال الشيخ تاج الدين اختلفت رواية
هذا الحديث فرواه ابن عمر كما تقدم ورواه ابو هريرة مختصرا به
مقتصرا على قوله امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماهم واموالهم الحديث
وفي رواية انس امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان يستقبلوا قبلتنا
وان ياكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك
حرمت علينا دماهم واموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين
وعليهم ما على المسلمين وفي رواية ابي هريرة ايضا امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بما
جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماهم واموالهم
الا بحقها واما رواية ابن عمر فظاهر اذ ذكر فيها كلمة الشهادة
واما رواية ابي هريرة فاقتصر فيها على التوحيد لان كلمة
الرسالة مرادة كقولك قرات الحمد لله رب العالمين والمراد

جميع السورة قال الخطابي وليس باختلاف تناقض انما هو اختلاف
ترتيب اذا اعتبر به الزمان والتوقيت لان الفرايض كانت تنزل
تباعا في ازمنة مختلفة كحديث ابي هريرة حكاية مبتدا الاسلام
والدعوة ثم حديث انس وابن عمر متاخران ثم اخر الاخبار
الذي فيها ذكر الاشيا المزيدة انتهى وقد ذكر اهل الاخبار
والسير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توفاه الله عز وجل
واستخلف الصديق رضي الله تعالى عنه بعده وكفر من كفر
من العرب عزم ابو بكر رضي الله تعالى عنه على قتالهم وكان
منهم من منع الزكاة ولم يكفر وتاول في ذلك انه كان خاصا
بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
فلما عزم ابو بكر على قتالهم قال له عمر كيف تقاتل الناس
وقد قالوا لا اله الا الله وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماهم واموالهم الا بحقها
فقال الصديق رضي الله تعالى عنه والله لو منعوني
عناقا وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فان الزكاة حق المال
فكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل ان ينظر الى اخره
ويتامل شرطه فقال له الصديق الزكاة حق المال والحكم
المعلق بشرطين لا يحصل باحدهما ثم قاسه بالصلاة ورد
الزكوة اليها وكان في ذلك دليل على ان قتال الممتنع من

الصلاة

الصلاة كان اجماعا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولذلك
رد المختلف فيه الى المتفق عليه فاجتمع في هذه القضية الاحتجاج ح
من عمر بالعموم ومن ابي بكر بالقياس رضي الله عنهما ودل ذلك
على ان العموم يخص بالقياس وان ما تضمنه الخطاب الوارد
في الحكم الواحد من شرط واستثنا معتبر فلما تبين ذلك
لعمر تابع ابا بكر وهو معنى قوله فلما رايت الله قد شرح صدر
ابي بكر للقتال عرفت انه الحق يشير الى انشراح صدره بالحجة
التي ادلى بها والبرهان الذي اقامه وقد زعم بعض الرافضة
ان ابا بكر اول من سبى المسلمين وانهم كانوا متاولين في منع
الزكاة يزعمون ان الخطاب في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه مقيد بشرايط لا توجد
في سواه فانه ليس لاحد من التطهير والتزكية والصلاة
على المتصدق بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول قوم لا خلاق
لهم ولا علم لان اهل الردة كانوا اصنافا منهم من ارتد
عن الملة ودعا الى نبوة مسيلمة وغيره ومنهم من ترك الصلاة
والزكاة وانكر الشرايع كلها وهولاء الذين سماهم الصحابة
كفارا ولذلك راى ابو بكر رضي الله تعالى عنه سبي ذراريهم
وساعده على ذلك جماعة من الصحابة واستولد علي رضي
الله تعالى عنه جارية من سبي بني حنيفة فولدت محمد الذي
يدعى ابن الحنفية ثم لم ينقض عصر الصحابة حتى اجمعوا على
ان المرتد لا يسبى واما مانعوا الزكاة منهم مع اقامتهم

على اصل الدين فانهم اهل بغي وان كانت الردة قد اضيفت اليهم
لما تركتهم المرتدين في بعض ما منعوه من حقوق الدين
وما ادعوه من خصوص الخطاب ليس كما قالوا فان خطاب
الله تعالى في كتاب الله على ثلاثة اوجه عام كقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام يا ايها الذين امنوا اذا
قمتم الى الصلاة وخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ما افرد
به بيان التخصيص كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وخطاب
مواجهة له هو وجميع امته فيه سوا كقوله تعالى اقم الصلاة
لدلوك الشمس الى غسق الليل فاذا قرات القران فاستعذ
بالله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فكل ذلك غير
مختص به بل تشاركه فيه الامة ولذلك قوله تعالى خذ من
اموالهم صدقة فعلى القايم بعده ان يحتذي حذوه وانما
الفايدة في مواجهته صلى الله عليه وسلم بالخطاب ليكون
سلوك امته في شرايع الدين على حسب سلوكه وتبيينه
وعلى هذا المعنى قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
فطلقوهن لعدتهن وربما كان الخطاب له والمراد غيره
كقوله تعالى فان كنت في شك الاية ولا يجوز عليه ذلك
ولا ان يكون من الممترين واما التطهير والتزكية ودعا الامام
لصاحب الصدقة فقد يحصل بطاعة الله تعالى وطاعة
رسوله وكل ثواب وعد على عمل في كتابه فانه غير منقطع ولذلك

وقال ع

بلغ مقابلته

يستحب

يستحب للامام والعامل على الصدقة الدعا للمتصدق
باليمن والبركة والطهارة وترجى من الله تعالى الاجابة
فان قيل فاذا انكرت طايفة من المسلمين في زماننا فرض
الزكوة وامتنعوا من ادايها فهل يكون حكمهم حكم البغاة
فالجواب انه من انكر ذلك في هذا الزمان فهو
كافر باجماع المسلمين والفرق ان اوليك انما عذروا باسباب
وامور لا يوجد في غيرهم مثلها في هذا الزمان منها
قرب العهد في زمان الشريعة التي كانت تنسخ فيها
الاحكام ومنها ان القوم كانوا جهالا بامور الدين
وعهدهم بالاسلام قريب فداخلتهم الشبهة فعذروا
واما اليوم فقد شاع الاسلام واستفاض حكمه بوجوب
الزكاة حتى علمه الخاص والعام فلا يعذر احد بتاويل
في شي مما انتشر علمه وتواتر حكمه كالصيام والاغتسال من الجنابة
وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم الا ان يكون حديث عهد
بالاسلام فيكون سبيله سبيل اوليك في بقاء اسم الدين عليه
واما ما كان الاجماع فيه معلوما للخاصة كتحريم نكاح المراة على
عمتها وخالتها وان القاتل عمدا لا يرث وان للجدة السدس
وما اشبه ذلك فمنكره معذور لعدم استفاضة علمه في العامة
وفي استدلال الصديق واعتراض عمر عليه دليل على انهما لم
يحفظا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه في مجلس اخر فان
عمر لو سمع ذلك لم يخالف ابو بكر ولما كان احتج بالحديث فانه

علمه صح

ابن عمر وانس وابو هريرة
في احد سياقاته وكان
هولا سمعوا هذه الزيادة صح

بهذه الزيادة اعني قوله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة حجة عليه
ولو سمع ابو القاضي عياض اختصاص عصمة المال والنفس بمن
قال لا اله الا الله تعبيرا عن الاجابة الي الايمان وان المراد بهذا
مشركوا العرب واهل الاوثان واما غيرهم ممن يقر بالتوحيد
فلا يكفي في عصمته قول لا اله الا الله اذا كان يقولها ويعتقدها
في كفره فلذلك جا في الحديث الاخر واني رسول الله ويقيموا
الصلاة ويوتوا الزكوة قال النووي ولا بد مع هذا
من الايمان بجميع ما جا به رسول الله صلي الله عليه وسلم كما جاء في
رواية ابي هريرة في صحيح مسلم حتي يشهدوا ان لا اله الا الله
ويومنوا بي وبما جيت به قال القاضي عياض كان اهل الردة ثلاثة
اصناف صنف كفر بعد اسلامه وعاد لجاهليته واتبع مسيلمة
والعنسي وصدق بهما وصنف اقر بالاسلام الا الزكاة فجحدها
وتاول بعضهم ان ذلك كان خاصا برسول الله صلي الله عليه
وسلم لقوله تعالي خذ من اموالهم صدقة الاية وصنف اعترفوا
بوجوبها لكن امتنعوا من دفعها الي ابي بكر وقالوا انما كان
قبضها للنبي صلي الله عليه وسلم وفرقوا صدقاتهم بايديهم فراي
ابو بكر والصحابة قتالهم والصنفان الاولان لكفرهم والثالث
لامتناعهم قال القرطبي وهذا الصنف الذي اشكل امرهم
علي عمر رضي الله عنه فباحث ابا بكر حتي ظهر له الحق فوافق وحصل
له من انشراح الصدر ما حصل لابي بكر لما ظهر له من الدليل لا انه
قلده واتبعه من غير دليل لان التقليد لا ينشرح له الصدر ولا يجوز

المجتهد

المجتهد ان يقلد مجتهدا اخر مع تمكينه من الاجتهاد ثم ان
الصديق قاتل جميع المرتدين وسبي ذراريهم قال الباجي
وحكم فيهم بحكم الناقضين العهد فلما توفي ابو بكر وولي عمر رد
عليهم سبيهم وحكم فيهم بحكم المرتدين فكان ابو بكر رضي الله
تعالي عنه يري سبي اولاد المرتدين وبذلك قال اصبغ بن الفرج
من اصحابنا وكان عمر يري انهم لا يسبون ولذلك رد سبيهم
وهو قول جمهور العلما وايمة الفتيا ويستفاد من حكم عمر وفعله
ان الامام المجتهد العدل اذا امر بامر او حكم بحكم وجب موافقته
علي الجميع وان كان فيهم من يري خلاف رايه بل يجب عليه
العمل والفتيا بما عنده وان اعتقد صحته فاذا عاد الامر اليه
عمل بما يعتقد صوابا ويحصل من قصة ابي بكر وعمر ان سبي اولاد
المرتدين لم يكن مجمعا عليه وان عمر انما وافق علي قتالهم واما سبي
ذراريهم فلم يوافق عليه باطنا بل ترك العمل بما ظهر له والفتيا به
لما يجب عليه من طاعة الامام وموافقته فلما ولي عمل بما كان
عنده هذا هو الظاهر ولا يجوز ان يقال كان ظهر له جواز السبي
ثم تغير اجتهاده لانه يلزم منه خرق اجماع الصحابة السابق
فانهم كانوا قد اجمعوا عليه من غير انكار منهم من ظهر له جوازه
فسكت ومنهم من ظهر له خلاف ذلك فرجح قول الامام المجتهد
علي قوله واذا فعل ذلك الامام تعين علي ذلك المجتهد ان يعمل
بما ظهر له لكن بعد تجديد النظر الوجه الثاني قوله امرت ان
اقاتل الناس اي امرني الله اذ ليس فوق نبيه صلي الله عليه وسلم

من يأمره الا الله عز وجل ولا يأتي ههنا الاحتمال الذي في قول
الصحابة امرنا ونهينا لانه في قول الصحابي من يحتمل اضافة الامر
اليه والاحالة به عليه من خليفة ومعلم ووالي ورئيس ونحوه وليس
فوق الرسول صلى الله عليه وسلم من يضاف امره اليه الا الله
عز وجل وجبريل وهو انما يأتي بامر الله عز وجل وانما حذف
صلى الله عليه وسلم الفاعل تعظيما **الوجه الثالث**
قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس اي بان
اقاتل الناس لان امر انما يتعدى غالبا بالباء وامرتك الخير
ونحوه قليل جاء في الشعر على انهم جعلوا امر مما يتعدى بنفسه
وغيره **الوجه الرابع** قال ابن الفاكهاني الناس قد يكون
من الانس ومن الجن قاله الجوهري والمراد ههنا الانس بل الاعم
من الانس عبدة الاوثان دون اهل الكتاب فانهم يقولون
لا اله الا الله فان قلت لم لا يدخل في ذلك الجن كما صرح به اهل
اللغة ورسالته صلى الله عليه وسلم عامة قلت لانه لم يرد
انه صلى الله عليه وسلم قاتل نوعا من الجن دعيا لهم للتوحيد
كما فعل ذلك بالانس بل جاء ان الجن نصيبين اسلموا على يديه
صلى الله عليه وسلم ابتداء منهم من غير قتال وهذا لا اعلم فيه
خلافا بين الائمة **الوجه الخامس** قال الطوفي في قوله صلى الله
عليه وسلم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله الى اخره دليل على قتل
تارك الصلاة والزكوة غير جاحد لها لان غاية الامر بالقتال
فعل الصلاة والزكاة فما لم يفعلا ذلك لم يبلغ القتال غايته

فيكون

بلغ

فيكون تاركهما جائز القتل واجبا بموجب الامر الالهي ثم القتال
ينتهي الى القتل غالبا ولو لم يكن الا جواز افضائه اليه وذلك
يدل على جواز بل وجوب قتل تاركهما فان قيل الحديث انما دل على
قتال الكافر الاصلي حتى يؤمن ويصلي ويزكي فلم قلتم ان المسلم
اذا تركها يجوز قتله قلنا لوجهين احدهما ان الكافر الاصلي
اذا قوتل على تركها مع انه لا يعتقد وجوبها فالمسلم المعتقد
لوجوبها اولى بالقتال عليها ولمثل هذا قال اهل العلم ان
المرتد يقضي بعد اسلامه ما تركه حال ردته بخلاف الكافر
الاصلي الثاني قوله صلى الله عليه وسلم حتى يشهدوا الى اخره
وان كان غاية ففيه معنى الشرط ولهذا قيل ان حكم ما بعد
الغاية مخالف لما قبلها فصار كف القتال عنهم مشروطا به
بالشهادتين والصلوة والزكوة واذا انتفى فعل الصلوة والزكوة
انتفى كف القتال والقتل وصار التقدير ان صلوا وزكوا كف عنهم
القتال ويشهد لهم قوله عز وجل فان تابوا واقاموا الصلاة
واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين انتهى كلامه وللمناقش في ذلك
ان يقول هذا البحث الذي ذكرته مبناه من مفهوم الغاية
فليس ذلك بحجة وكذا مفهوم الشرط سلمنا تسليم جدل انه
حجة لكن لا نسلم دلالته على قتل المسلم التارك لذلك لانه انما ورد
في الكافر الاصلي وقوله اذا قوتل على تركهما مع انه لا يعتقد وجوبهما
فالمسلم اولى ممنوع لان المسلم معصوم الدم بقوله عليه الصلاة
والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الحديث والاصل عصمته الى ان

يرتكب احدى الثلاثة المذكورة في الحديث وليس ترك الصلاة
فيها وقوله ان المرتد اذا اسلم يقضي ممنوع بل مذهبنا انه لا يقضي
والله تعالى اعلم ثم قال الطوفي اذا ثبت ان الحديث
دليل على قتله فيشبه ان في ذلك دليلا على كفره لقوله عليه
الصلاة والسلام فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحق الاسلام مفهومه انهم لم يفعلوا ذلك لم يعصموا مني دماءهم
واموالهم يعني بحق الكفر لا بحق الاسلام فقد ذكر بعد الا وما بعدها
مخالف لما قبلها والذي قبلها وهو عدم العصمة لعدم الفعل
يكون بحق الكفر ومعنى عصموا امتنعوا انتهى وفيه نظر لانه مبني
على المفهوم كما تقدم انه مناف لما قرره هو بنفسه في حديث جبريل
من قوله اما من فارق الاسلام او بعضه فانما يدخل في الفسق
لا الكفر وظاهر هذا التقدير ان تارك الصلاة تهاونا لا يكفر
خلافا المشهور قول الحنابلة انتهى الوجه السادس قوله
صلى الله عليه وسلم حتى يشهدوا مضمنه ان من قال لا اله الا
الله محمد رسول الله كان مؤمنا حقا له ما للمسلمين وعليه
ما عليهم ما لم يظهر منه ما ينافي ذلك من كفر ونفاق والعياذ بالله
بل اعتقد ذلك جزما وهذا ينصف القول بوجوب معرفة الله
تعالى بالبراهين القاطعة والا لم يكن مؤمنا وهو غير مذاهب
السلف وايمة الهدى الذين اقام الله بهم الدين الوجه
السابع اقامة الصلاة المداومة والمحافظة عليها في مواقيتها
بحدودها واركانها وهيئاتها يقال قام الامر واقام الامر اذا

الي

اتي به موفى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس ذكرت بلفظ الواحد
كقوله تعالى وانزل معهم الكتاب يعني الكتب الوجه الثامن
قوله صلى الله عليه وسلم ويؤتوا الزكوة لا بد فيه من تقدير محذوف
التقدير ويؤتون الفقرا الزكوة او يؤتون الامام ونحو ذلك
قال ابن الفاكهاني اذا كان الامام عدلا لم يجز لاحد ان يعدل بها
عنه وان لم يكن عدلا صرفها هو لمستحقها دون الامام قاله
مالك رحمه الله تعالى فان دفعها للامام غير العدل طوعا لم
يجزه فان اجبر على اخذها اجزاته على المشهور من مذهب مالك
كما اذا اجبره على اخذها اجزاته على المشهور من مذهب مالك كما اذا
اجبره عليها الخوارج فانها تجزيه ايضا وفرق اصحابنا رحمهم الله
تعالى بين الاموال الظاهرة فاوجبوا دفعها الى الامام وبين الاموال
الباطنة فاجازوا للمالك ان يدفعها بنفسه وورد ذلك عن
عثمان ابن عفان وكفى به قدوة الوجه التاسع قوله صلى الله
عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم قال
ابن الفاكهاني عصموا يعني منعوا والعصمة المنع والحفظ يقال
اعتصمت بالله اي امتنعت بلطفه من المعصية وعصمه يعصمه
عصما بالفتح والعصام رباط القربة وسيرها التي تحمل به
قال الجوهري والمال يقع على العين وغيرها من ماشية وعرض
وغير ذلك وذلك اشارة الى كل ما تقدم من الشهادة واقام
الصلاة وايتاء الزكوة وكانه غلب الفعل على القول اذ الشهادة
قول لا فعل او لا القول معا بل للفعل حتى يقال اقوال وافعال

انتهى قال الطوفي فان قلت لم يذكر الصوم والحج في الحديث
الثاني والثالث وهو من رواية ابن عمر ايضا ولم يذكرهما هنا
قلنا لانه عليه الصلاة والسلام قال هذا الحديث قبل فرضهما
بخلاف الحديثين الاخرين فانه قالهما بعد فرض الحج والصوم
فروى الراوي كل حديث ما سمعه والحديثان الاولان مع هذا من
باب الزيادة في الاحكام وليس من باب التعارض ولا النسخ انتهى
قال ابن الفاكهاني تنبيه جاء الشرط هنا باذا اعني
قوله عليه الصلاة والسلام فاذا فعلوا ذلك واذا للمحقق
وان للمشكوك فيه وفعلهم متوقع قد يكون وقد لا يكون الا ترى
ان جماعة من المقاتلين قتلوا كافرين غير عالمين وكانه والله تعالى
اعلم جاء على طريق التفاؤل بتحقق الفعل منهم فاشبه الدعاء في
الماضي نحو غفر الله لزيد اذ المراد التفاؤل الوجه العاشر
قوله صلى الله عليه وسلم الا بحقها قد جاء هذا مفسرا في الحديث
الاخر في قوله عليه الصلاة والسلام زنا بعد احصان او كفر
بعد ايمان او قتل النفس التي حرم الله تعالى الوجه الحادي
عشر قوله عليه الصلاة والسلام وحسابهم على الله يريد
حساب سرايرهم وخفايا بواطنهم على الله لانه تعالى المطلع
على ما فيها من ايمان وكفر ونفاق وغير ذلك فانه تعالى يعلم
السر واخفى فمن كان مخلصا في ايمانه جازاه جزاء المخلصين
ومن لم يخلص في ذلك كان من المنافقين نسال الله
رب العالمين ان يجعلنا من عباده الصالحين

الحديث

الحديث التاسع

عن ابي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله تعالى عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه
فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم فانما اهلك
الذين من قبلكم كثرة مسايلهم واختلافهم على انبيايهم رواه
البخاري ومسلم الكلام عليه من وجوه الاول في سنده ابو
هريرة كنيته واختلف في اسمه على خمسة وثلاثين قولا وقد افرد
بعض الحفاظ له جزا قال النووي واصح ما قيل فيه عبد الرحمن
ابن صخر قال الفاكهاني وهو دوسي النسب ودوس بفتح الدال قبيلة
في الاسد قال ابن اسحق حدثني بعض اصحابنا عن ابي هريرة قال
كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسميت في الاسلام عبد الرحمن
وانما كنيت بابي هريرة لاني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي ما هذه
فقلت هرة فقيل لي انت ابو هريرة قال ابو عمر ابن عبد البر وقد
روينا عنه قال كنت احمل هرة يوما في كمي فراني النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا ابا هريرة قال ابو عمر الشبه
ما عندي ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم كناه بذلك والله
اعلم قال ابو عمر اسلم ابو هريرة عام خيبر وشهدها مع النبي صلى
الله عليه وسلم ثم لزمه وواظبه رغبة في العلم راضيا بشبع
بطنه كانت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور معه
حيث ما دار وكان من احفظ الصحابة وقد شهد له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بانه حريص على العلم والحديث وقال

له يا رسول الله اني سمعت منك حديثا كثيرا واني اخشي ان
انساه فقال له ابسط رداك فبسطه فغرف بيده فيه ثم قال
ضمه فضممته فما نسيت شيا بعد **وقال البخاري** روي عنه
اكثر من ثمان ماية رجل ما بين صحابي وتابعي استعمله عمر رضي
الله عنه علي البحرين ثم عزله ثم ردّه علي العمل فابي ولم يزل
يسكن بالمدينة حتي كانت وفاته بها وقيل مات بالعقيق
روي له عن رسول الله صلي الله عليه وسلم خمسة الاف حديثا
وثمانية حديثا واربعة وسبعون حديثا اتفقا علي ثلاثماية
وخمسة وعشرين حديثا وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين
ومسلم بثمانية وتسعين قال خليفة توفي ابو هريرة سنة سبع
وخمسين وقال الهيثم بن عدي توفي سنة ثمان وخمسين وقال
الواقدي سنة تسع وخمسين ودفن بالبقيع وصلي عليه الوليد بن
عقبة بن سفيان وكان يوميذ اميرا علي المدينة ويروي انه
معزول روي له الجماعة **الوجه الثاني** قوله عليه الصلاة
والسلام ما نهيتكم عنه فاجتنبوه هو خطاب مشافهة
وخطاب المشافهة عند العرب يختص بالموجودين وقد قال اهل
الاصول ان خطاب المشافهة لا يتناول من يحدث بعد الا بدليل
لا تقول العرب امرتكم او الزمتكم او نهيتكم او قوموا او اقعدوا
او نقاتلوا الا لمن هو موجود فالوا فعلي هذا قوله تعالي كتب
عليكم الصيام وعليكم انفسكم واجتنبوا كثيرا من الظن ونحوه
يختص بالموجودين عند نزول هذا الخطاب وتناوله اهل الفروع

بعدهم

بعدهم ليس من جهة اللغة بل ذلك اما لانه معلوم من الدين
بالضرورة او ان الشريعة عامة بالخلايق الي يوم القيامة او بالاجماع
في ذلك طريقان وكلاهما حق وعلي هذا ينزل الحديث
فاعرفه وقوله عليه الصلاة والسلام فاجتنبوه علي اطلاقه
فان وجد عند بعضه كاكل الميتة عند الضرورة او شرب الخمر
عند الغصة او الاكراه او التلفظ بكلمة الكفر والقلب مطمئن بالايمان بالله
تعالي اذا اكره علي ذلك لم يكن منهيا عنه والحالة هذه ثم
ان النهي تارة يكون مع المانع من النقيض وهو المحرم وتارة
يكون لا مانع من النقيض وهو المكروه هذا كلام ابن
الفاكهاني وقال الطوفي فيه وجوب فعل المستطاع من
المامورات لقوله فأتوا او فافعلوا منه ما استطعتم والامر يقتضي
الوجوب وهذا راجع الي قوله تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فان قيل الاية دلت علي وجوب
امتثال امره عليه الصلاة والسلام مطلقا ولم يستثن المستطاع
من غيره والحديث المذكور خص المستطاع من ذلك دون غيره
وهذا الحديث مخصص الاية او مبين لها قلنا يحتمل ان
يقال هذا ويحتمل ان يقال الاية المذكورة خصت بقوله تعالي
فاتقوا الله ما استطعتم والتقوي تشتمل علي جميع المامورات
فصار ذلك في قوة قوله ما امرتكم به فافعلوا ما استطعتم
ثم جاء هذا الحديث موافقا لهذه الاية كما جاء في حديث جبريل
وحج البيت ان استطعت اليه سبيلا موافقا لقوله تعالي من

استطاع اليه سبيلا فان قيل ما الفرق بين المامور به والمنهي
عنه حتي سقط التكليف بما لا يستطاع من الاول دون الثاني
قلنا لان ترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه او
الاستمرار علي عدمه وليس في ذلك ما لا يستطاع حتي يسقط التكليف
به بخلاف فعل المامور به فانه عبارة عن اخراجه من العدم الي
الوجود وذلك يتوقف علي شروطه واسباب كالقدرة ونحوها
وبعض ذلك يستطاع وبعضه لا يستطاع فلا جرم سقط التكليف
به لان الله عز وجل اخبر انه لا يكلف نفسا الا وسعها وهذه
رخصة عظيمة في كثير من الاحكام مثل من لم يجد الا ما يكفي
الوضوء او الغسل او وجد ترابا يكفي بعض التيمم او لم يقدر الا
علي غسل بعض محل الحدث او لم يجد الا بعض الفطرة او لم يقدر
ان يصلي الا جالسا او نائما ولا يطوف الا راكبا او لا يكفي
من الاي الا بالقول وهي فسحة المقدور ونحو ذلك كله ياتي
فيه بالمقدور المستطاع ويسقط غيره هدرا او الي بدله
فان قيل لو وجد بعض الرقبة في الكفارة هل يلزمه عتقه
ويسقط ما لم يجد قلنا لا لان الرقبة لها بدل وهو الاطعام
والصيام بخلاف الفطرة اذا وجد بعضها اذ لا بدل لها
الوجه الثالث قال ابن الفاكهاني في قوله عليه الصلاة
والسلام انما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسايلهم
علي انبيايهم جاء مبينا في كتاب مسلم عن ابي هريرة رضي
الله تعالي عنه قال خطبنا رسول الله صلي الله عليه

وسلم

وسلم فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل
اكل يوم عام يا رسول الله فسكت حتي قالها مرارا فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ثم
قال ذروني ما تركتكم فذكره وهذا الرجل هو الاقرع بن حابس
كذا جاء مبينا في غير هذه الرواية ففي قوله صلي الله عليه
وسلم لو قلت نعم لوجبت دليل علي انه كان عليه الصلاة والسلام
يجتهد في الاحكام دون وحي وقد اختلف الاصوليون
في هذه المسالة علي اربعة اقوال فقالوا يجوز اجتهاده عليه
الصلاة والسلام قاله الشافعي وابو ثور وقال ابو علي
وابو هاشم لم يكن متعبدا به وقال بعضهم كان له عليه الصلاة
والسلام ان يجتهد في الحروب والاراء دون الاحكام قال
وتوقف فيه اكثر المتكلمين واستيعاب هذه المسالة
في كتب الاصول اه واختلف الاصوليون في ان الامر هل
يقتضي التكرار ام لا والصحيح انه لا يقتضيه والقول الثالث
انه ما زاد علي مرة يتوقف علي البيان وهذا الحديث
قد يستدل به من يقول بالتوقف لانه سال فقال اكل عام
ولو كان مطلقه يقتضي التكرار او عدمه لم يسال ولقال
له رسول الله صلي الله عليه وسلم لا حاجة الي السوال
مطلقه محمول علي كذا وقد يجيب الاخرون بانه سال استظهارا
او احتياطا وقوله عليه الصلاة والسلام ذروني ما تركتكم
ظاهره انه لا يقتضي التكرار قال المازري رحمه الله تعالي

ويحتمل انه انما احتمل التكرار عنده من وجه آخر لان الحج في
اللغة قصد بنية التكرار فاحتمل عنده التكرار من وجه الاشتقاق
لا من مطلق الامر قال وقد تعلق بما ذكرناه بحكم اللغة ههنا
من قال بايجاب العمرة وقال لما كان قوله تعالى ولله على الناس
حج البيت يقتضي تكرار قصد البيت بحكم اللغة والاشتقاق وقد
اجمعوا على ان الحج لا يجب الا مرة كانت العودة الاخرى الى البيت
تقتضي كونها عمرة فانه لا يجب قصده بغير حج وعمرة باصل
الشرع انتهى وفيه نظر لانه مبني على اصل مختلف فيه كما تقدم
من اختلافهم في الحج هل هو مطلق القصد او كثرته على ان
العمرة في لسان الشرع مغايرة للحج ولهذا عطفت عليه ولا
يصح استنباط حكم شرعي من امر لغوي الا بدليل شرعي واما قوله
صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ففيه دليل للمذهب
الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يجتهد في الاحكام ولا يشترط
في حكمه ان يكون بوحي ومن قال يشترط يجيب عن هذا بانه لعله
اوحي اليه الوجه الرابع قوله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم
فيه دليل على ان الاصل عدم الوجوب وانه لا حكم قبل ورود الشرع
وهو الصحيح عند المحققين لقوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا قال ابن الفاكهاني انما غاير صلى الله
عليه وسلم بين لفظي ذروني وتركت ولم يقل ذروني ما ذرتكم
لان العرب لم تستعمل ماضي يذر ويدع في الامر ويدع العام
بل اماتوه واستغنوا عنه بترك وقولي في الامر العام نحو مما

جاء

جاء في الشعر حيث قال
من غدبري من خليلي ما الذي ∘ غاله في الحب حتى ودعه
وفي بعض الاحاديث لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعة الحديث
واستعمل المصدر دون الفعل وقد وقع في الشمايل للترمذي
ودعهم وقال فقد استعمل الفعل ايضا والله تعالى اعلم
قال ابن الفاكهاني ومعنى هذا لا تكثروا علي في المسئلة او لا
تبالغوا في الاستقصا ولا تشددوا على انفسكم فيشدد عليكم
كما شدد على بني اسرائيل بسبب الحاحهم في المسئلة ولو عمدوا الى
ادنى بقرة فذبحوها كانوا ممتثلين امر الله تعالى ولكن
شددوا فشدد الله عليهم وقد اشار الى ذلك بقوله
فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسايلهم قال الطوفي في الحديث
تحريم الاختلاف وكثرة المسايل عن غير ضرورة لانه توعد
عليه بالهلاك والوعيد على الشيء يقتضي تحريمه اما الاختلاف
فلانه سبب تفرق القلوب ووهن الدين كما جرى للخوارج حين
تبرى بعضهم من بعض ووهن امرهم وانهضموا وذلك حرام
وسبب الحرام حرام واما كثرة السوال عن غير ضرورة فلانه
مشعر بالاعنات ومفضي اليه وهو ايضا حرام وقد نهى عن قيل
وقال وكثرة السوال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاغلوطات وهي صعاب المسايل وكان ابي بن كعب وزيد
ابن ثابت وغيرهما من افاضل الصحابة اذا سئل احدهم عن
حادثة يقول اوقعت هذه فان قيل نعم قال فيها بعلمه او حال

علي غير وان قيل لا قال فدعها حتي تقع انتهي وقال الشيخ تقي
الدين رحمه الله تعالي كانوا يكرهون تكلف المسايل التي لا تدع
الحاجة اليها وقال صلي الله عليه وسلم اعظم الناس جرما
من سال عن شيء لم يحرم علي الناس فحرم عليهم من اجل مسالته
وفي حديث اللعان لما سُيل عن الرجل يجد مع امراته رجلاً
فكره رسول الله صلي الله عليه وسلم المسايل وعابها وفي
حديث معاوية انه نهي عن الاغلوطات وهي شداد المسايل
وصعابها وهذا لما يتضمن كثير منه التكلف في الدين والرجم
بالظن من غير ضرورة تدعوا اليه مع عدم الامن من العثار
وخطا الظن والاصل المنع من الحكم بالظن الا حيث تدعوا الضرورة
اليه **تنبيه** قال الطوفي واختلافهم مضموما الفا لاهلكهم
عطفا علي كثرة لا علي مسايلهم اي اهلكهم كثرة سوالهم
وكثرة اختلافهم ابلغ لان الهلاك بمطلق الاختلاف ابلغ في
الزجر من الهلاك بكثرة الاختلاف وهذا الحديث من جوامع الكلم
والله تعالي اعلم

الحديث العاشر

**عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر**
المومنين بما امر به المرسلين فقال تعالي يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه

الي

الي السما يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام
فاني يستجاب لذلك رواه مسلم **الكلام** عليه من وجوه **احدها**
قال الجوهري الطيب خلاف الخبيث وطاب الشيء يطيب طيبة
وتطابا وما اطيبه وقال القاضي عياض الطيب في صفات
الله تعالي بمعني المنزه عن النقايص وهو بمعني القدوس واصل
الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث وقال الطوفي
اعلم ان الطيب يطلق بمعان **احدها** المستلذ طبعا
نحو هذا الطعام طيب فانكحوا ما طاب لكم من النسا **والثاني**
الطيب بمعني الحلال ويقابله الخبيث نحو قل لا يستوي الخبيث
والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث **الثالث** الطيب بمعني
الطاهر نحو فتيمموا صعيدا طيبا ومنه الطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات اي الطاهرون من العيوب للطاهرات والله عز
وجل طيب بهذا المعني اي هو طاهر منزه عن جميع النقايص
ولا يقبل من الاعمال الا طاهرها المفسدات كالريا والعجب ونحوه
ولا من الاموال الا طاهرها من الحرام وفي الحديث من عمل عملا
اشرك فيه غيري تركته وشركه وفيه من صلي في ثوب ثمنه
عشرة دراهم فيه درهم حرام لم تقبل صلاته انتهي وهذا
الحديث رواه احمد بن حنبل في المسند وفي الحديث من اكل حراما
لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فقيل الصرف الفريضة والعدل
النافلة وفيه من اكتسب مالا حراما فان تصدق به لم يقبل
منه وان مات وتركه وراءه كان زاده الي جهنم قال ابن الفاكهاني

والكلام هنا في معني القبول فان هذا ظاهره ان المتصدق بغير
الطيب لا ينتفع بصدقته بوجه اصلاً لعدم قبولها ومثل هذا
الحديث قوله صلي الله عليه وسلم في الصحيحين لا يقبل الله
صلاة احدكم اذا احدث حتي يتوضا فظاهره انتفا الصحة
عند انتفاء القبول ولا يقوم الدليل علي وجوب الوضوء من
هذا الحديث الا بذلك قال شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد
وقد حرك بعض المتاخرين في هذا بحثا لان انتفاء القبول ورد
فيمن اتي عرافا وفي شارب الخمر فاذا اراد ان يقوي الدليل
علي انتفاء الصحة بانتفاء القبول فلابد من تفسير معني
القبول وقد فسر بانه ترتب الغرض المطلوب من الشي علي
الشي فاذا ثبت ذلك فيقال مثلاً في هذا المكان الغرض
من الصلاة وقوعها مجزية لمطابقتها للامر فاذا حصل
هذا الغرض ثبت القبول علي ما ذكر من التفسير واذا ثبت
القبول علي هذا التفسير ثبتت الصحة فاذا انتفي انتفت
ونقل عن بعض المتاخرين ان القبول كون العبادة بحيث
يثاب عليها والاجزا كونها مطابقة للامر والمعنيان
اذا تغايرا وكان احدهما اخص من الاخر لم يلزم من نفي الاخص
نفي الاعم والقبول علي هذا التفسير اخص من الصحة فان
كل مقبول صحيح وليس كل صحيح مقبولا وهذا ان وقع في تلك
الاحاديث التي نفي عنها القبول مع بقاء الصحة فانه يضر
في الاستدلال بنفي القبول علي نفي الصحة كما حكيناه عن

الاقدمين

الاقدمين اللهم الا ان يقال دل الدليل علي كون القبول
من لوازم الصحة فاذا انتفي انتفت فيصح الاستدلال بنفي
القبول علي نفي الصحة ويحتاج في تلك الاحاديث التي نفي
عنها القبول مع بقاء الصحة الي تاويل او تخريج جواب علي
انه يرد علي من فسر القبول بكون العبادة مثابا عليها او مرضية
او ما اشبه ذلك اذا كان مقصوده بذلك اذ لا يلزم من
نفي القبول نفي الصحة ان يقال القواعد الشرعية تقتضي
ان العبادة اذا اتي بها مطابقة للامر كانت سبب الثواب
والظاهر في ذلك لا يخفي قال ابن الفاكهاني وحاصل
هذا ان الاشكال باقي حتي يتاول تلك الاحاديث التي نفي
فيها القبول مع بقاء الصحة بما يكون بينها وبين هذا
الحديث ويحتمل ان يقال في ذلك والله الموفق ان الاصل
فيمن اتي بالعبادة المامور بها ناقصة عما امر به كترك
شرط من شروطها ونحو ذلك ان تكون غير صحيحة اذا لم
يات ما امر به صح لنا ذلك في هذا الحديث وخالفناه في
تلك الاحاديث دليل دل علي ذلك فيبقي ما كان علي ما كان
فثبت بذلك انتفاء الصحة عند انتفاء القبول فاذا علمت
هذا علمت ان حديث ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ينبني
علي هذا البحث فان قلنا انه لا يلزم من نفي القبول نفي الصحة
كما قال هذا المتاخر كان في الصدقة بالخبيث ثواب دون
من تصدق بالطيب وان قلنا ان القبول من لوازم الصحة

فاذا انتفي انتفت لم يكن له ثواب البته فاطرد هذا البحث في
كل مايرد عليك من مثل هذه الاحاديث وبالله التوفيق
الوجه الثاني قوله صلي الله عليه وسلم وان الله امر المومنين
بما امر به المرسلين الي آخره قال الطوفي فيه دليل علي ان
الرسل واممهم سوا في عبادة الله تعالي والدخول تحت
خطابه الا ما قام عليه الدليل من اختصاصهم علي الامم ببعض
الاحكام لان لجميع عباد الله تعالي مامورين بعبادته عز وجل
والظاهر ان المراد بالطيبات في الايتين الحلال بدليل ما سبق
قبله وما بعده من ذم المطعم الحرام انتهي وقال ابن الفاكهاني
والطيبات جمع طيب والطيب هو الطاهر من كل شبهة قاله
ابن بزيزة في تفسيره ونقل عن الشافعي ان الطيب هو المستلذ
ولذلك منع اكل الحيوانات المستقذرة كالفار والوزغ ونحوه
قال وعندي فيه نظر لان الخنزير قيل انه الذ اللحوم علي الاطلاق
وهو حرام باجماع وان الصبر وما في معناه من الادوية وغيرها
مباح وقال السجاوندي في قوله يايها الناس كلوا مما في
الارض حلالا طيبا حلالا لا مطلق الشرع طيبا مستلذ الطبع
ويرد عليه ايضا ما ذكرناه آنفا الوجه الثالث قوله فذكر
الرجل يطيل السفر اشعث اغبر قال ابن الفاكهاني هو من
وادي ولقد امر علي اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني
فوصفه بالنكرة وان كان فيه الالف واللام حيث لم يرد رجلا
بعينه والاشعث هو المغبر الراس قاله الجوهري والمغبر لون

بلغ مقابلته

الاغبر وهو تشبيه بالغبار قال بعض من تكلم علي هذا الحديث
معناه والله تعالي اعلم يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة
مستحبة وصلة رحم وجهاد وغير ذلك من وجوه البر ومع
هذا فلا يستجاب له للحالة المذكورة فكيف حال من هو منهمك
في الدنيا او في مظالم العباد وهو من الغافلين عن انواع
العبادات قال وفي هذا الحديث ان الطيب ما يطيبه الشرع
بالاباحة والحل وان كان ليس طيبا في العرف وان اللذيذ الطعام
من غير المباح يكون وبالا علي اكله وحسرة وندامة وطعاما
ذا غصة وعذابا اليما انتهي وقال ابن الفاكهاني قولهم
ذكر الرجل يطيل السفر هذا من كلام ابي هريرة يعني ان النبي صلي
الله عليه وسلم بعد ما سبق ذكره استطرد الكلام حتي ذكر الرجل
يطيل السفر الي اخره وفيه امران احدهما قوله يمد يديه الي السما يدل
علي ان من اداب الدعا رفع اليدين الي السما وكان صلي الله
عليه وسلم يرفع يديه في الاستسقا حتي يري بياض ابطيه او
كما روي انس وجا في الحديث ان الله عز وجل حيي كريم
يستحي من عبده ان يرفع اليه كفيه ثم يردهما صفرا والثاني
ان تناول الحلال في المطعم والمشرب والملبس وبالجملة
فاجتناب الحرام من شي شرط في اجابة الدعا وتناوله الحرام
مانع منه لقوله فاني يستجاب لذلك ووجه ذلك ان
مبدا الدعا القلب ثم تفيض تلك الارادة علي اللسان
فينطق به والقلب يفسد بتناول الحرام وهو مدرك

بالنظر والوجه واذا فسد القلب فسد الجسد وجوارحه والدعا
نتيجة الجسد الفاسد ونتيجة الفاسد فاسد والدعا الفاسد
والفاسد ليس بطيب والله عز وجل لا يقبل الا الطيب والله
عز وجل لا يقبل دعا من اكل الحرام وغذي به انتهى وقال
الحليمي رحمه الله ان للدعا اركان وآدابا فمن اركانه ان يكون
المرغوب فيه مما يبلغ قدر السايل ان يساله وتفسيره انه ليس
لاحد ان يتشبه بابراهيم عليه السلام في دعوا ربه ان يريه
كيف يحيي الموتى ولا ان يتشبه بموسى عليه السلام فيقول
رب ارني انظر اليك ولا ان يتشبه بعيسى عليه السلام
فيقول ربنا انزل علينا مايدة من السما ومنها ان لا يكون
عليه في سواله ما سال حرج ومنها ان يكون له في السوال غرض صحيح
ومنها ان يكون حسن الظن بالله عز وجل فتكون الاجابة
اغلب على قلبه من الرد ومنها ان يدعو الله باسمايه الحسنى
وصفاته العليا وهو ان يسال ما يسال جدا وحقيقة ولا
ياخذ دعا بالقافية رده سردا وهو عن حقايقه غافل ومنها
ان لا يشغله الدعا عن فريضة حاضرة فيفوتها ومنها
ان يكون دعاوه سوالا بالحقيقة لا اختيارا للرب سبحانه
وتعالى ومنها ان يصلح لسانه اذا دعا ولا يخاطب ربه تعالى
بما لو خاطب به كفوه وقرينه نسبه الى قلة الحيا او سوء الادب
او ركاكة العقل ومنها ان لا يدعوا متحيرا مستعجلا لكن يثق انه
اذا اجيب في الوقت الذي يريد وان لا ييأس ويترك بل يدعوا

متعبدا

متعبدا خاشعا لصفر انه لا يزال يدعوا ويتضرع الى ان يجاب
وكلما زادت الاجابة عنه تراخيا زاد في الدعا تتابعا وتواكيا
ومنها ان حاجته اذا عظمت لو ربا لها الله عز وجل مستعظما
اياها في ذات الله تعالى بل يساله الصغيرة والكبيرة سوا لا
واحدا ويرى منة الله في اجابته عظيمة واما ادابه
فمنها ان تقدم التوبة امام الدعا ومنها المحافظة الجد
في الطلب والالحاح ومنها المحافظة على الدعا في الرخا دون
تخصيص حال الشدة والبلا ومنها ان يعزم اذا سال ربه
ومنها ان يدعو ثلاثا ومنها ان يقتصر على جوامع الدعا
ما لم تعرض له حاجة بعينها فيقتصر عليها ومنها افتتاح الدعا
وختمه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها
ان يدعو وهو طاهر ومنها ان يستقبل القبلة ومنها ان يدعو
في دبر كل صلاة ومنها ان يرفع اليدين حتى يحاذي بهما
المنكبين اذا دعا ومنها ان يخفض صوته بالدعا ومنها ان
يمسح بيديه وجهه اذا فرغ من الدعا ومنها ان يحمد الله تعالى
اذا عرف الاجابة ومنها ان لا يخلي يوما وليلة من الدعا قال
ويتحرى للدعا الاوقات والاحوال والمواطن التي يرجى فيها
الاجابة فاما الاوقات فمنها ما بين الظهر والعصر
من يوم الاربعا ومنها ما بين زوال الشمس من الجمعة الى ان
تغرب ومنها الدعا في الاسحار ومنها الدعا يوم عرفة
واما الاحوال فمنها حال الندا للصلوة ومنها حين

فطر الصايم ومنها عند نزول الغيث ومنها عند التقا الصفين
ومنها عند اجتماع المسلمين علي الدعا ومنها ادبار المكتوبات
ومنها عند القيام من المجلس واما المواطن فالموقفات
والجمرات وعند البيت والملتزم خاصة وعلي الصفا والمروة
وقد ذكر الحليمي تفسير كل فصل من هذه الفصول واشار الي
دلالته من الكتاب والسنة والاثر وفي ذكر ذلك طول والله
اعلم ومن آدابه فيما ذكره الامام ابو حامد الغزالي ان يمسح
الداعي يديه علي وجهه اذا فرغ من الدعا روي ابو داود
عن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسالوه بظهورها فاذا فرغتم
فامسحوا بها وجوهكم قال الغزالي ويكره ان يرفع الداعي
بصره الي السما قال صلي الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن
رفع ابصارهم الي السما او لتخطفن ابصارهم قال ومن آدابه
ان يخفض صوته بالدعا ومنها ان يتضرع ويخشع ويرهب في
الدعا قال الله تعالي ويدعوننا رغبا ورهبا ومنها ان يفتتح
بالحمد والصلاة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن
آداب الدعا الادب الباطن فهو الاصل في الاجابة بالتوبة
ورد المظالم والاقبال علي الله بكنه الهمة فذلك هو السبب
القريب في الاجابة يروي عن كعب الاحبار انه قال اصاب
الناس قحط شديد علي عهد موسي عليه السلام فخرج موسي
ببني اسرائيل يستسقي فلم يسقوا فاوحي الله عز وجل الي موسي

اني

اني لا استجيب لك ولمن معك لان فيكم رجلا نماما يمشي بالنميمة
بين الناس فقال موسي يا رب ومن هو حتي نخرجه من بيننا
فاوحي الله اليه يا موسي انا انهاكم عن النميمة واكون نماما
فقال موسي لبني اسرائيل توبوا عن النميمة باجمعكم فتابوا فارسل
الله عليهم الغيث وقال سفيان الثوري بلغني ان
بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتي اكلوا الميتة من المزابل واكلوا
الاطفال وكانوا يخرجون الي الجبال ويتضرعون فاوحي الله
تعالي الي انبيايهم لو مشيتم الي باقدامكم حتي تحفي ركبكم وتبلغ
ايديكم عنان السما وتكل السنتكم من الدعا فاني لا اجيب لكم
داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتي تردوا المظالم الي اهلها ففعلوا
فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس
قحط فخرجوا مرارا فاوحي الله الي نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون
الي بابدان نجسة وترفعون الي ايدي قد سفكتم بها الدما وملاتم
بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا
مني الا بعدا وقال وهب ابن منبه بلغني ان موسي عليه
السلام مر برجل قايم يدعو ويتضرع طويلا وهو ينظر اليه
فقال موسي يا رب اما تستجيب لعبدك فاوحي الله اليه
يا موسي انه لو بكي حتي تلفت نفسه ورفع يديه
حتي بلغت عنان السما ما استجبت له قال يا رب ولم ذلك
قال لان في بطنه الحرام وعلي ظهره الحرام وفي بيته الحرام
وقال الطوفي رحمه الله اعلم ان هذا الحديث كثير النفع

لانه تضمن بيان حكم الدعا وشرطه وما نفعه والدعا كما ورد في
السنة مخ العبادة قال الله عز وجل وقال ربكم ادعوني استجب
لكم ان الذين يستكبرون الاية الدعا عبادة ولان الداعي انما
يدعو الله عند انقطاع امله مما سواه وذلك حقيقة التوحيد
والاخلاص ولا عبادة فوقها فالدعا مخ العبادة من هذا
الوجه انتهي **فان قلت** ظاهر هذا الحديث يقتضي
ان من اكل حراما لا يستجاب له وظاهر قوله تعالي وقال ربكم
ادعوني استجب لكم وقوله واذا سالك عبادي عني فاني
قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان يقتضي الاستجابة
للداعي علي اي وصف كان وكذا ظاهر قوله صلي الله عليه وسلم
ما علي وجه الارض مسلم يدعو الله تعالي بدعوة الا اتاه الله
تعالي اياها او صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم
او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر فقال الله اكثر
يدل علي ذلك قلت قد اجيب عن الايتين بجوابين **احدهما**
ان معني الدعا هنا الطاعة ومعني الاجابة الثواب **الثاني**
ان معني الايتين خاص وان كان لفظهما عام تقديرها اجيب
دعوة الداعي ان شيت كما قال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
او اجيب دعوة الداعي ان كانت الاجابة خيرا له وكذا الجواب
عن الحديث فاذا تقرر ذلك فاعلم ان حمل الايتين والحديث
علي ظاهرهما غير مراد لاختصاص ذلك بامور **منها** ان لا ياكل
الحرام كما تقدم وان لا يدعو بجارف نحو ربنا انزل علينا مايدة

من

من السماء فاذا لم يكن الحمل علي العموم خصصنا بالسنة والله اعلم
وقد قيل لابراهيم بن ادهم ما لنا ندعو فلا يستجاب
لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة اشيا **الاول** عرفتم الله ولم
تودوا حقه **الثاني** زعمتم انكم تحبون رسوله وتركتم سنته
والثالث قراتم القران ولم تعملوا به **والرابع** اكلتم نعم الله
ولم تودوا شكرها **والخامس** قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه
والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها **والسابع** قلتم
ان النار حق ولم تهربوا منها **والثامن** قلتم ان الموت حق ولم
تستعدوا له **والتاسع** انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب
الناس ونسيتم عيوبكم **والعاشر** دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم
قال الشبلي في قوله تعالي ادعوني استجب لكم فالا ادعوني
بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة وهذا قول حسن تؤيده ما رواه
الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه **تنبيه**
اعلم انا متي قلنا ان الله لا يستجيب دعا اكل الحرام مطلقا
قنطنا الناس من خالقهم وقطعناهم عن دعايهم ومن لم
يسال الله يغضب عليه لكنا نقول من واظب دايما علي اكل الحرام
وشرب الحرام ولبس الحرام فحينيذ يظلم قلبه ويسود فلا تنبعث
عنه الهمة فيقول بلسانه ما لا يفيض من قلبه والقول
باللسان لا يفيد ما لم يكن مبدؤه من القلب فحينيذ يكون

سبع نفع الدعا من العبد لا من الله ثم انا نقول اذا كان
الرجل مخالطا في [illegible]ـه للحلال والحرام والشبهة وهو ياكل
من ذلك فهذا نرجوا ان يستجاب له قال الله تعالى واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان
يتوب عليهم وغاية قوله صلى الله عليه وسلم فانى يستجاب
لذلك استبعاد الاجابة مع ما ذكر من الحال التي هو عليها
لكن يجوز ان يستجيب الله له لطفا منه وتفضلا وتكرما
اذا بدت عين الجود الحقت المسي بالمحسن قال ابن الفاكهاني
بل قد يستجيب للكافر امن يجيب المضطر اذا دعاه وقد
حكى القاضي ابو بكر ابن العربي في سراج المريدين ما تلخيصه
ان مراكب الافرنج جاءت الى المستنير تطلب الماء تشتريه من
المسلمين فمنعوهم فلما اشرفوا على الهلاك فتحوا اناجيلهم
ونشروا انطاعهم وقربهم وضجوا الى الله سبحانه وتعالى
بالدعا فلما راى عباد المستنير حالهم نشروا مصاحفهم ودعوا
عليهم فارسل الله عليهم ريحا فكسرت مراكبهم واهلكتهم وغنم
المسلمون ومنها بني باب المستنير وكلاما ذا معناه انتهى وقيل
ان ما يستجاب له لان النوع التي بيديه بها تشتات عن
مخالفة وعصيان قال ابن الفاكهاني وفيه مشروعية رفع
اليدين في الدعا فان قلت فما السر في ذلك قلت لعل الجواب
عن ذلك من ثلاثة اوجه الاول ان عادة العرب اذا استعظمت
امرا رفعت يديها والداعي جدير بذلك لتوجهه بين يدي

اعظم

اعظم العظما ومثله رفع اليدين عند التكبير للصلاة لان
المصلي يستعظم وقوف من هو متوقف [illegible] بين يدي من
ليس في جهة سبحانه وتعالى الثاني ان العباد في سوال
المخلوق ذلك ليضع في يديه ما يساله منه فكانه الداعي
شبه المعقول بالمحسوس مع ما يوذن به من التواضع وخفض
الجناح بين يدي الملك الفتاح الثالث قال الغزالي
رحمه الله تعالى واما رفع اليدين عند السوال الى جهة السماء
فهو لانها قبلة الدعا وفيها ايضا اشارة الى ما وصف للمدعو
من الجلال والكبريا تنبيها بقصد جهة العلو على صفة
المجد والعلا فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلا
وغذي بضم الغين المعجمة وكسر الذال المعجمة والله اعلم

الحديث الحادي عشر

عن ابي محمد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما سبط رسول
الله صلى الله عليه وسلم وريحانته قال حفظت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك رواه
الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح
الكلام عليه من وجوه احدها الحسن روى عن جده ووالده
وخالته هند بنت ابي هالة ولد في شعبان سنة ثلاث
وقيل بعد ذلك وهو اكبر من الحسين بعام وقيل بعام
وعشرة اشهر قال ابو احمد العسكري سماه النبي صلى الله
عليه وسلم الحسن وكناه ابا محمد قال ولم يكن هذا الاسم

كان في الجاهلية لم روي عن ابن الاعرابي عن المفضل قال ان
الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى سمّا بهما النبي صلى الله عليه
وسلم ابنيه الحسن والحسين قال قلت فالذان باليمن
قال ذلك حسن باسكان السين وحسين بفتح واسكان السين
اه وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة
وعن معاوية قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يمص لسانه
اوقال شفتيه يعني الحسن فانه لن يعذب لسان اوشفتان
مصهما النبي صلى الله عليه وسلم وروى الحسن البصري عن
ابي بكرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب اذ جاء الحسن
حتى صعد المنبر فقال ان ابني هذا سيد وان الله سبحانه
سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وكان الحسن
رضي الله عنه جوادا ربما اجاز الواحد مائة الف روي عنه
انه حج خمس عشرة حجة ماشيا والنجايب تنقاد بين يديه وخرج
من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات وروي عنه
انه احصن سبعين امراة وكان قلما يفارقه اربع حراير
وهوابن سيرين قال تزوج الحسن امراة بمائة جارية مع كل جارية
الف درهم ولما بايعه الناس بعد ابيه ولي الخلافة ستة
اشهر واحد عشر يوما ثم تركها خشية سفك الدما قال
الواقدي وجماعة توفي سنة تسع واربعين وقيل سنة
خمسين وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع روت

عنه

للحسن اللهم اني احبه فاحبه وروى ابو سعيد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم صح

عنه عايشة وجماعة من التابعين وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا روى له الاربعة الثاني قال
الطوفي سبط الرجل هو ابن بنته وقوله ريحانتي اشارة الى قوله
عليه السلام في الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا
اي ابشر بهما واروح وقوله يريبك بفتح اليا وضمها الفتا
والفتح افصح تقال رابه يريبه ثلاثيا واراب يريب رباعيا
من الريبة وهي الشك والتردد انتهى وقال ابن الفاكهاني
الظاهر ان هذا الحديث امر ندب وارشاد وحض على ملازمة الا
بالتورع عن الشبهات لا امر ايجاب وفرض بحيث يكون من لم
ينصف بذلك عاصيا آثما كيف وقد تقدم في الحديث السادس
الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشبهات فكانت
الشبهات غير الحرام وحديث عمر رضي الله عنه مكسبة
فيها بعض الريبة خير من المسئلة ومعناه كسب فيه بعض
الشك احلال هو ام حرام خير من سوال الناس انتهى وقال
الطوفي واما معناه فاترك ما فيه شك من الافعال الى ما لا شك
فيه منها وهذا اصل في الورع وهو موافق لقوله الحلال
بين والحرام بين الى قوله فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه
ويروى عن زيد بن ثابت انه قال ما شيء اسهل من الورع
اذا رابك شيء فدعه قال الطوفي هذا سهل على من سهله الله
تعالى عليه وهو على كثير من الناس اصعب من نقل الجبال وانما
هذا شبيه بقول بعض سليم الصدور لا شيء اسهل من صيد

خلاف

الاستغفار وكيف ذلك قال واحد يفتح راس الجوالق وآخر يكنكش
والله اعلم قال بعض العلماء ان كانت الشبهة مما يحسن التحقت بالحرام
وان لم تكن فاحشة فهي علي الاصل فمن باع سلعة بعشرة الي
اجل ثم اشتراها ممن باعها منه بخمسة نقدا فهو حلال محض
وعمل صحيح ولكن يشبه من اعطي خمسة بعشرة الي اجل فلما
خاف الناس ولم يخف الله جاء بهذه الصورة فصاحب
الدين صورها بهذه الصورة لئلا ينكر الغريم والغريم
استسهلها النفس لقلة دين او ضرورة فقال كثير من
العلماء ذلك جائز وقال كثير منهم حرام والاقرب التحريم لان
الله تعالي لا يخفي عليه خافية والاعمال بالنيات فان علم الله
بنيتهما انهما بريئة من المدلسة والحيلة وان قلوبهم لم تنطبق
علي حرام لا عاقبه ان شاء الله ولا عقاب ولكن مرتكبها لم يستبرئ
لعرضه فقد يقال انه ارتكب ما لا يجوز واقدم علي الربا وساء
به الظن فيقال لهذا وامثاله دع ما يريبك الي ما لا يريبك واياك
وما يعتذر منه اه قلت ومن ذلك ما يفعله بعض الناس
من قناطر الربا وهو ان يبيع المتسلف من المسلف قباء او [illegible] بلد
بخمسة ثم يشتريه منه بعشرة ونحو ذلك مما يفعله اهل الربا
الذين سحت قلوبهم فيه الملعونون علي لسان محمد صلي الله
عليه وسلم وهم يعلمون ان شرا ما باع باقل مما باع لا يجوز عند
مالك اصلا وعند ابي حنيفة ان كان قبل نقد الثمن لا يجوز
وان كان بعده صح وكفي بالله شهيدا رقيبا علي قلب من يفعل

وكفي

وكفي به عليما بنيته وقصده لقد زل في قنطرته وغرق في بحر الربا
ولا اقول ابتلت قدماه منه واين هو من قوله عليه الصلاة
والسلام لا يكون الرجل من المتقين حتي يدع ما لا باس به حذرا
مما به باس وقول الحسن رضي الله عنه كانوا يعني الصحابة
رضي الله عنهم يتركون سبعين بابا من الحلال لمخافة الوقوع
في الحرام فليتنبه النائم نعم والله انه ليعلم ذلك ولكن
الانسان ليطغي ان رآه استغني نسال الله السلامة
في الدنيا انه علي ما يشاء قدير

الحديث الثاني عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه حديث حسن صحيح رواه
الترمذي وغيره وهكذا قال المصنف وقد رواه مالك في
الموطا عن الزهري مرسلا قال ابن عبد البر الزهري فيه
اسنادان احدهما مرسل كما رواه مالك والاخر عن الزهري
عن ابي سلمة عن ابي هريرة ثم بين طرقه وصححه وقال هذا
الحديث من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في
الالفاظ اليسيرة وهو مما لم يقله احد قبله صلي الله
عليه وسلم الا انه قد روي عنه صلي الله عليه وسلم انه قال
في صحف ابراهيم علي نبينا وعليه وعلي سائر الانبياء افضل
الصلاة والتسليم من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما
يعنيه وروي ابو ادريس الخولاني قال قلت يا رسول

الله ما كان صحف ابراهيم قال كانت مثالا كلها فذكر الحديث
قال وكان فيها وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا
على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه
الا فيما يعنيه اه قال ابن الفاكهاني هذا خاص بالكلام
واما من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فهو اعم من الكلام
لان ما لا يعنيه التوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب
المحمدة والثنا وغير ذلك مختصا بترك بعض الكلام ففيه
ما في قوله من عد كلامه من عمله قل كلامه وزيادة على ما
تقرر هذا من حيث مدلول اللفظ والله اعلم وروى ابو
عبيدة عن الحسن قال من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل
شغله فيما لا يعنيه وفي الحديث الا انبيكم بامرين خفيف
مؤنتهما عظيم اجرهما لم يلق الله بمثلهما الصمت وحسن
الخلق انتهى وقيل للقمان الحكيم وهو في حلقة عظيمة
بم بلغت الحكمة قال قدر الله وصدق الحديث وترك
ما لا يعنيني وفي رواية صدق الحديث واداء الامانة
وتركي ما لا يعنيني وهذا الحديث ربع الشريعة كما تقدم عن
ابي داود وقال الطوفي يقال عناه الامر يعنيه اذا
تعلقت عنايته به وكان من غرضه وارادته والذي يعني
الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه
وسلامته في معاده وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه
فاذا اقتصر الانسان على ما يعنيه من الامور سلم من شر

عظيم

عظيم وذلك يعد من حسن الاسلام لان السلامة من الشر
خير عظيم والسلامة من الشر من حسن الاسلام قال فان
قيل لم قال من حسن اسلام المرء ولم يقل من حسن ايمانه
قلنا لانه قد سبق ان الاسلام هو الاعمال الظاهرة والترك
والفعل ضدان انما يتعاقبان على الاعمال الظاهرة دون
الباطنة لان الظاهرة حركات اختيارية فيها الترك
والفعل اختيارا و الباطنة اضطرارية تابعة لما يخلقه
الله عز وجل في النفوس من العلوم ويوقعه فيها من الشبه
فان قيل لم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
على التبعيض ولم يقل حسن اسلام المرء قلنا لان ترك
ما لا يعني ليس هو نفس الاسلام ولا جزءا منه بل هو وصفه
وهو حسنه وحسن الشي ليس ذاته ولا جزؤه واما الاسلام
نفسه هو الانقياد لغة والاركان الخمسة فهو كالجسم وترك
ما لا يعني كالشكل واللون له ثم قال والذي يعني
الانسان من امر معاشه ما يشبعه من جوع ويرويه من
عطش ويستره من ظهور عورته ويعفه من زناه وما
يتعلق بذلك من جهة دفع الضرورة لا جهة التلذذ والتمتع
والاستكثار والله اعلم

الحديث الثالث عشر

عن ابي حمزة انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه رواه البخاري ومسلم الكلام عليه من وجوه

احدها انس بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي النجاري
يكنى ابا حمزة كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة
كان يحبها قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو
ابن عشر سنين فاتت به امه ام سليم الانصارية امراة ابي طلحة
واسمها الرميصا ويقال الغميصا بنت ملحان فعرضت عليه
خدمته فقبلها فقالت يا رسول الله هذا انس كاتب لبيب
يخدمك فخرج معه في خدمته الى بدر وتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة وبقي بعده نحوا من
ثمانين سنة وكانت وفاته سنة احدى وقيل سنة اثنين
وقيل سنة ثلاث وتسعين وهو ابن مائة وثلاث سنين وقيل
وعشر سنين وقيل وتسع ومات بقصره بالطف على فرسخين
من البصرة وقيل فرسخ ونصف وصلى عليه قطن بن مدرك
وهو اخر من مات بالبصرة من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم سوى ابي الطفيل عامر بن واثلة الليثي
كنانة وهو الذي يقول

وبقيت سهما في الكنانة واحدا ... سيرمى به او يكسر السهم ناصله

وكانت وفاته سنة مائة وتوفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابن ثمانية اعوام ولد عام احد وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا لانس بالبركة
في ماله وولده وكان يقول اني لمن اكثر الانصار مالا
وولدا وحدثتني ابنتي امينة انه دفن لصلبي الى مقدم

الحجاج

الحجاج البصرة بضعا وعشرين ومائة ويقال انه ولد له
ثمانون ولدا ليس فيهم انثى سوى ثنتين حفصة وام عمرو
وثمانية وسبعون ذكرا روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم
الفا حديث ومائتا حديث وستة وثلاثون حديثا اتفقا
لها على مائة وثمانية وستين وانفرد البخاري بثلاثة
وثمانين وانفرد مسلم باحدى وسبعين روى عنه ابو امامة
سعد بن سهل وغيره روى له الجماعة وعن ثابت عن
انس قال جاءت بي امي ام سليم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله انيس ادع له فقال اللهم اكثر
ماله وولده وادخله الجنة فانا رايت اثنين وانا ارجو
الثالثة وفي رواية دعا لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته فاكثر الله
مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبي
مائة وستة اولاد وكان يصلي فيطيل القيام حتى تقطرت
واتاه قهرمانه يوما فقال يا ابا حمزة عطشت ارضنا قدماه دما
فقام وتوضا وخرج الى البرية فصلى ركعتين ثم دعا فرايت
السحاب يلتئم ثم مطرت حتى ملات كل شي ولما سكنت
المطر بعث بعض اهله فقال انظر اين بلغت السما فنظر فلم
تعد ارضه الا يسيرا وكان ذلك في الصيف الوجه
الثاني المراد بالايمان هنا الكامل التام والا فاصل
الايمان حاصل بدون ذلك بدليل ما سبق في حديث

جبريل ان الايمان هو التصديق بالله تعالى الي آخره وليس
فيه ذكر هذا ونظيره قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا
الاية والمعني حتي يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه قال
الشيخ ابو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى وهذا قد يعد
من الصعب الممتنع وليس كذلك اذ معناه لا يكمل ايمان
احدكم حتي يحب لاخيه في الاسلام ما يحب لنفسه والقيام
بذلك تحصل بان يحب لحصول مثل ذلك من جهة لا يزا حـ
فيها بحيث لا ينقص عليه شيا من النعمة عليه وذلك سهل
علي القلب السليم وانما يعسر علي القلب الدغل عافانا الله
تعالى واخواننا اجمعين قاله ابن الفاكهاني واما الغاش
وغير الناصح والحاسد ونحو ذلك فناقص الايمان بالنسبة
الي الاول فكم من مريد لاخيه الخير الدنيوي والاخروي
ومن يريد زوال نعمة الله عن عبده او نقصها لم يحب
حسده او غشه وعدم النصيحة له **الوجه الثالث**
في هذا الحديث من الفقه ان المومن ينبغي ان يكون كالنفس
الواحدة فينبغي له ان يحب له ما يحب لنفسه من حيث
انها نفس واحدة ومصداقه الحديث الصحيح المومنون
كالجسد الواحد اذا اشتكي منه عضو تداعي له ساير الجسد
بالحمي والسهر ومن افحش الاحوال ان يبخل علي اخيه بالمال
الخير اذا لم يوفق هو لها فيكون كابن ادم الذي قتل اخاه

من

من اجل ان الله لم يتقبل قربانه وتقبل قربان اخيه **وقال**
ابو الزناد ظاهر هذا الحديث التساوي وحقيقته التفضيل
لان الانسان يحب ان يكون افضل الناس واذا احب
لاخيه مثله فقد دخل هو في جملة المفضولين الا ترى ان
الانسان يحب ان ينتصف من حقه ومظلمته فاذا كمل ايمانه
وكان لاخيه عنده مظلمة او حق بادر الي انصافه من نفسه
واثر الحق وان كان عليه فيه مشقة **الوجه الرابع** احد
هنا بمعني واحد وهي تستعمل في الاثبات والنفي واما الاحد
الذي للعموم فلا تستعمل الا في النفي نحو ما في الدار من احد
ونحوه **الوجه الخامس** النفس تذكر وتونث في التذكير
قوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتي الي قوله تعالى قد
جاءتك اياتي فاول الاية يدل علي التانيث واخرها يدل
علي التذكير ومن التانيث قوله تعالى ونفس وما سواها
الاية **الوجه السادس** مقصود الشارع صلي الله عليه
وسلم ائتلاف النفوس وقلوب الناس وانتظام احوالهم
وهو قاعدة الاسلام الكبري التي اوصي بها بقوله تعالى
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وبيان ذلك انه
اذا احب واحد من الناس لباقيهم ما يحب لنفسه احسن
اليهم ولا يوذي واذا احسن اليهم ولم يوذهم احبوه
فتسري بذلك المحبة بين الناس وبتسريان المحبة بينهم
يسري الخير ويرتفع الشر وبذلك ينتظم امر المعاش والمعاد

وتصلح احوال العباد ومحبة الانسان لغيره ما يحب لنفسه
انما هو باعتبار عقله اي يحب له ذلك ويؤثره من جهة
عقله اما التكليف بذلك من جهة الطبع فيصعب
اذ الانسان مطبوع على الاستكثار على غيره بالمصالح بل
على الغبطة والحسد لاخوانه فلو كلف ان يحب لاخيه ما يحب
لنفسه بطبعه لافضى ذلك الى ان لا يكمل ايمان احد الا نادرا
قال الطوفي وهذا الحديث عام مخصوص بان الانسان
يحب لنفسه وطء زوجته وامته ولا يجوز ان يحب لاخيه حال
كون المراة في عصمته لان ذلك حرام وليس له ان يحب ذلك
لاخيه فعل الحرام وما اشبه ذلك من الصور والله اعلم

الحديث الرابع عشر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا
باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة رواه البخاري ومسلم قال الطوفي
المقصود بهذا الحديث بيان عصمة الدماء وما يباح منها
وما لا يباح والاصل في الدماء العصمة عقلا وشرعا
اما عقلا فلان في القتل افساد الصورة الانسانية
المخلوقة في احسن تقويم والعقل ينكر ذلك واما
شرعا فلقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية وقوله صلى الله

بلغ مقابلة

عليه

عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وقوله عليه الصلاة والسلام لا يحولن احدكم ان
يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم يهريقه بغير حق
وقوله عليه الصلاة والسلام من اعان على قتل مسلم
ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من
رحمة الله ثم استثنى من ذلك ثلاثة يجوز قتلهم
لتعلق المصلحة به بل يجب على الامام ذلك احدهم
الثيب الزاني يقتل رجما وهل يجلد قبل الرجم فيه خلاف اوجبه
احمد ونفاه الشافعي اعني الجلد ودليل قتله ما ثبت
من القران المنسوخ لفظا الثابت حكما الشيخ والشيخة اذا
زنيا فارجموهما البتة ولان النبي صلى الله عليه وسلم رجم
ماعزا والغامدية والجهينية التي اعترفت بالزنا ورجمها
انيس لان الزنا مفسدة عظيمة فكانت الحكمة في درئها
الحد والثيب احترازا عن البكر فانه يجلد ويغرب ولا يرجم
وتفاصيل ذلك في الفقه والثاني القاتل يقتل قصاصا
لقوله عز وجل ان النفس بالنفس ولكم في القصاص حياة
ورضخ النبي صلى الله عليه وسلم راس يهودي بين حجرين
قصاصا لجارية فعل بها واقتص الخلفاء بعده واجمع عليه
الناس ولان في القتل العدوان مفسدة عظيمة وفي القصاص
مصلحة عظيمة جسيمة دافعة لها فوجب لذلك والثالث
التارك لدينه المفارق للجماعة يعني المرتد يقتل لان في

اقرارہ حلا لنظام عقد الاسلام فوجب قتله دفعا لذلك
واختلف في المراة المرتدة هل تقتل ام لا فقال الشافعي واحمد
تقتل لقوله عليه الصلاة والسلام من بدل دينه فاقتلوه
وهو عام في قتلها كالرجل ولان اناط الحديث المذكورة
الي ان العلة تبديل الدين وهي موجودة في المراة فوجب
قتلها كالرجل **وقال ابو حنيفة** لا تقتل لنهيه عليه الصلاة
والسلام عن قتل النسا وهو خاص فيهن فيقدم علي عموم من بدل
دينه فاقتلوه وكان العلة في قتل الرجال في الردة انه لو ترك
لحق بالكفار وكثر سوادهم وحارب المسلمين وكف عاداتهم
بالقتل وهذا مفقود في المراة فانها ليست من اهل الحرب
والنكاية فلا يخاف منها والاول اجود لسلامة علته
من التخصيص فيمن لا نكاية له كالاعمي والزمن والاعرج ونحوهم
وقوله المفارق للجماعة اي بقلبه واعتقاده بخلاف
قوله المتبعان بالخيار ما لم يتفرقا فان المراد التفرق
بابدانهما **فان قيل** النبي صلي الله عليه وسلم استثني
الزاني والقاتل والمرتد من المسلم واستثناء الزاني والقاتل
منهم ظاهر لان الزنا والقتل لا يخرجانهما عن الاسلام واما
المرتد فاستثناؤه من المسلم مشكل لانه بالردة يصير
كافرا واستثناء الكافر من المسلم لا يجوز **فالجواب**
انه استثني من المسلم باعتبار ما كان قبل ردته خصوصا
وعلاقة الاسلام مرتبطة به بدليل انه لا يقبل حتي يستتاب

ثلاثا ولهذا قال بعضهم لا يجوز ان يسترق الكافر لبقاء
علقة الاسلام واكثر ما في هذا الحديث الجمع بين حقيقة المسلم
ومجازه في مسئلة واحدة وهي مسئلة خلاف والظاهر جوازه خصوصا
اذا اقتضاه دليل هذا كلام الطوفي **ثم قوله لا يحل دم امري**
مسلم هو علي حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير
لا يحل اراقة دم امري مسلم والدم اصله دمي ولذلك ظهرت
في اللام التثنية قال الشاعر
فلو انا علي حجر ذبحنا * جري الدميان بالخبر اليقين
ويقال امرئ ومرؤ قال الله تعالي واعلموا ان الله يحول بين
المرء وقلبه وفي الانثي امراة ومراة ومرة بغير همز في الاخير ويقال
ايضا رجل ولا فرق في هذا الحديث بين الذكر والانثي من حيث
الحكم الشرعي وانما خص الذكر لانه الاصل ولانه اشرف في اللفظ
من ذكر الانثي وهو كقوله عليه الصلاة والسلام من اعتق
شركا له في عبد الحديث وكقوله عليه الصلاة والسلام
من قام رمضان ايمانا واحتسابا وغير ذلك من الاحاديث
التي لا يشك فيها ان القصد المساواة بين الرجل والمراة فيهما
والثيب هو المحصن وهو اسم جنس يدخل فيه الذكر والانثي
وللاحصان شروط ستة جمعها القاضي زين الدين بن رشيق
في قوله * شروط الاحصان ست اتت * فخذها علي النص مستفهما
بلوغ وعقل وحرية * ورابعها كونه مسلما
وعقد صحيح ووطي مباح * متي اختل شرط فلن يرجما

ثم ههنا مسايل الاولى ان الله عز وجل قال انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله الاية اوجب قتلهم وليسوا زناة ولا
قاتلين ولا مرتدين فبطل حصر من يجوز قتله في الثلاثة
المستثنين في الحديث والجواب ان العلما اختلفوا
في قطاع الطريق فقال بعضهم ان قتلوا واخذوا الاموال
قتلوا وصلبوا وان قتلوا قتلوا وان اخذوا المال فقط قطعوا
وهولا دورد السوال عليهم لانهم لم يقتلوا منهم الا قاتلا
كما في الحديث وذهب بعضهم الى تخيير الامام فيهم بين القتل
والقطع والنفي وهو ظاهر الاية لكن يلزمهم الجواب عن
السوال المذكور وجوابهم عنه بان قتل قطاع الطريق ولو لم يقتلوا
قتلوا ثبت بدليل وارد على الحديث المذكور وهي هذه الاية
ويحمل الحديث على انه صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول
الاية فلا تنافيه زيادتها عليه بخلاف ما لو كان صدوره بعدها
فانه يصير مضادا ما المسيلة الثانية وهذا دليل على ان للعابث صح
اللايط لا يقتل لانه ليس واحد من هذين المذكورين ولا يسمى زانيا
في اللغة فان الزنا هو عبارة عن ايلاج فرج آدمي محرم مشتهى
طبعا خال عن ملك وشبهة وهي مسيلة خلاف وهذا مذهبنا
المسيلة الثالثة قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ
مسلم مفهومه حل دم الكافر حربيا كان او ذميا لعموم المفهوم فيهما
لكن خرج منه الذمي بدليل منفصل عن الحديث فلا يجوز قتله
في الذمة فبقي الحربي على مقتضى المفهوم يقتل المسيلة الرابعة

قوله

قوله عليه الصلاة والسلام النفس بالنفس موافق للاية
الكريمة فيقتضيان بعمومهما قتل الحر بالعبد والمسلم
بالذمي وروي في مسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل
مسلما بذمي وقال انا احق من وفى بذمته ولقوله صلى الله
عليه وسلم المسلمون تتكافى دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم
ولقوله صلى الله عليه وسلم العمد قود الا ان يعفو ولي المقتول
وخالف مالك والشافعي واحمد لقوله عز وجل الحر بالحر والعبد
بالعبد مفهومه ان الحر لا يقتل بالعبد ولان العبد ناقص
فلا يوخذ به كامل لان ذلك خلاف ما يقتضيه لفظ القصاص
ومعناه ورد هذا بانه لا مساواة في الانفس كما لو قتل عشرة
واحدا او قتل صحيح سليم كبيرا ضعيفا او رجل امراة مع نقصان
عقلها ودينها ونقصان ديتها عن دية الرجل فثبت
ان لا اعتبار بالمساواة في ايجاب القصاص في الانفس وان الكامل
يقاد منه للناقص وروى ابن ابي شيبة حدثنا ابن ادريس
عن ليث عن الحكم عن علي كرم الله وجهه وعبد الله رضي
الله عنه قال اذا قتل المسلم يهوديا قتل به وروى الطحاوي
عن النزال بن سبرة ان رجلا من المسلمين قتل رجلا من العباد
قال فقدم اخوه الى عمر بن الخطاب فكتب عمر ان يقتل فجعلوا
يقولون يا حنين اقتل فجعل يقول حتى يا تي الغيظ قال فكتب
عمر ان لا يقتل ويودى وروي ان الكتاب ورد بعد ان قتل
وانه انما كتب بان سبيل الصلح على الدية حتى كتب اليه من فرهان

المسلمين فهؤلاء من اعلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولا
نعلم لهم مخالفا من نظرائهم واحتجوا ايضا بقوله عليه الصلاة
والسلام لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده ولتحرير
الدلايل موضع غير هذا **المسيلة الخامسة** قال الطوفي عموم
قوله النفس بالنفس يقتضي وجوب القصاص في القتل بالمثقل
كالخشبة والحجر وهو قول الشافعي واحمد ولانه اخذ نفس بنفس
فاوجب القصاص كالقتل بالمحددة وقال ابو حنيفة
لا قصاص فيه ولو رماه بابي قبيس هذا لفظه بابي قبيس
وهو لغة في ابا مثل عصي لان القتل بالمثقل ليس بكامل فلا يواخذ
به قتل كامل وذلك يلزمهم في مثل قتل الحر بالعبد انتهى
قلت قوله وذلك يلزمهم في قتل الحر بالعبد فيه نظر لان قتل
الحر بالعبد كامل من حيث انه قتل انما النقصان في المقتول
لا في القتل واما القتل بالمثقل فانه فعل ناقص فلا يوخذ به
قتل بالسيف وهو كامل فنا سلمه ولان القصاص مبني على المساواة
والمماثلة وقتل القاتل بالمثقل كما فعل ممتنع لعدم كيفية المماثلة
وقتله بالسيف غيرها ثم **المسيلة السادسة** قال
الطوفي عموم قول التارك لدينه يقتضي انه اذا تهود نصر [ني]
او تنصر يهودي انه يقتل لانه تارك لدينه وللقائل ان يقول
التارك لدينه مستثنى من المسلم كالزاني والقاتل وحينئذ
لا يدل على ما ذكرتم وهو سوال صحيح **المسيلة السابعة**
قوله الثيب والقاتل والمرتد هي بيان لقوله الا باحدى ثلاث

يعني

يعني خصال ثلاث وبدل منه والثلاثة المذكورون لا يصح ابدا
لهم من الخصال لان المذكر لا يبدل من المونث **والجواب**
ان هذه تدل على المعنى والتقدير الا باحدى ثلاث خصال الزاني
والقاتل والمرتد او خصلة الزاني وخصلة ذي النفس
اي قاتل النفس ونحو هذا من التقدير والله تعالى اعلم
المسيلة الثامنة اذا قتل الرجل عبده قال النخعي والثوري
في احد قوليه يقتل به وقال عامة العلماء لا يقتل به
احتج الاولون بما رواه النسائي من حديث الحسن عن سمرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه
ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه وقال البخاري
وانا اذهب اليه واحتج الجمهور بان الله تعالى جعل ذلك
للولي بقوله فقد جعلنا لوليه سلطانا وولي العبد مولاه
في حياته وبعد وفاته ولا يملك العبد شيا لقوله تعالى
عبدا مملوكا لا يقدر على شي نفى ملكه نفيا عاما عن كل شي فلم
يجز ان يثبت له بذلك القود على احد وحديث سمرة معارض
لما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا قتل عبده
متعمدا فجلده النبي صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ومحى اسمه
من المسلمين ولم يقده به فنفى هذا الخبر ما اثبته خبر سمرة مع
احتمال خبر سمرة لان يكون رجل اعتق عبده ثم قتله
او جدعه او لم يقدم على ذلك ولكنه هدده فبلغ الشارع [ذلك]
فقال ذلك مع ان اهل الحديث يقولون ان الحسن لم يسمع

من ثمرة الاحاديث العقيقة فهو منقطع به **المسيلة التاسعة** اختلف الفقها في قتل الوالد بولده فقال عامتهم لا يقتل وعليه الدية في ماله وقال بذلك اصحابنا والاوزاعي والشافعي وسووا بين الجد والاب وقال مالك يقتل به وقد حكي عنه انه اذا ذبحه قتل به وان حذفه بالسيف لم يقتل به **وحجة العامة** حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقتل والد بولده وهذا خبر مستفيض مشهور وقد حكم به عمر بن الخطاب بحضرة الصحابة من غير خلاف من واحد منهم عليه وهذا يخص اي القصاص ويدل على ان الوالد غير مراد بها **المسيلة العاشرة** قال الشيخ تقي الدين قد يؤخذ من قوله المخالف للجماعة يعني المخالف لاهل الاجماع فيكون مستمسكا لمن يقول مخالف الاجماع كافر وقد نسب ذلك الى بعض الناس وليس ذلك بالهين وقد قدمنا الطريق في التكفير بالمسايل الاجماعية تارة يصحبها التواتر بالنقل عن صاحب الشرع كوجوب الصلوة مثلا وتارة لا يصحبها التواتر **فالقسم الاول** يكفر جاحده لمخالفة التواتر لا لمخالفة الاجماع **والقسم الثاني** لا يكفر به وقد وقع في هذا المكان من يدعي الحذق في المعقولات ويميل الى الفلسفة فظن ان المخالف في حدوث العالم من قبيل مخالفة الاجماع واخذ من قوله انه من قال انه لا يكفر مخالف الاجماع وان لا يكفر هذا

المخالف

المخالف في هذه المسيلة وهذا كلام ساقط اما عن عمى في البصيرة او تعام لان حدوث العالم من قبيل ما اجتمع فيه الاجماع والتواتر بالنقل عن صاحب الشرع فيكفر المخالف بسبب مخالفة النقل المتواتر لا بسبب مخالفة الاجماع اهـ **المسيلة الحادية عشر** قال الاشبيلي وقد اختلف العلما في تارك الصلاة متعمدا غير جاحد لوجوبها فمنهم من قال يكفر بتركها وان كان مقرا بوجوبها لقوله صلى الله عليه وسلم لمحجن الديلي ما منعك ان تصلي الست برجل مسلم ومعناه ان من لم يصل فليس بمسلم وانما تركه لقوله اني كنت صليت في اهلي فصل فمن ترك الصلاة متعمدا وهو قادر على فعلها فقد روي تكفيره عن علي وابن عباس وجابر وابي الدردا رضي الله عنهم وعن عمر رضي الله عنه لا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه من لم يصل فلا دين له وقال ابراهيم النخعي وايوب السختياني وابن المبارك واحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه من ترك صلاة واحدة متعمدا حتى يخرج وقتها من غير عذر وابى من قضايها وقال لا اصلي فهو كافر ودمه وماله حلال ولا يرثه ورثته من المسلمين ويستتاب فان تاب والا قتل وحكم ماله حكم مال المرتد قال اسحق وذهاب الوقت ان يوخر الظهر الى غروب الشمس والمغرب الى طلوع الفجر قال وقد اجمع العلما على ان من سب الله ورسوله او دفع شيا مما انزل الله او انكره فهو كافر وكذلك تارك

الصلاة حتي يخرج وقتها عامدا قال ولقد اجمعوا في الصلاة
علي شي لم يجمعوا عليه في غيرها لانهم قالوا من عُرِفَ بالكفر ثم
رأوه يصلي الصلاة في وقتها وتكرر ذلك منه ولم يعلم منه اقرار
باللسان انه يحكم له بالايمان ولم يحكموا له في الصوم والحج بمثل
ذلك قال فلما لم يجعل تارك الصلاة كافرا فقد ناقض وخالف
اصل قوله وقول غيره ولقد كفر ابليس اذ لم يسجد السجدة
التي امر بسجودها فكذلك تارك الصلاة حتي يخرج وقتها
وقال احمد بن حنبل لا اكفر احدا بذنب الا تارك الصلاة
ثم ذكر استتابته وقتله وحجة من قال بذلك حديث جابر
عن النبي صلي الله عليه وسلم بين العبد وبين الشرك والكفر
ترك الصلاة وحديث بريدة عن النبي صلي الله عليه وسلم
العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر وقوله
صلي الله عليه وسلم من ترك صلاة العصر حبط عمله يعني متعمدا
وقد احتجوا ايضا بانه صلي الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما
لم يغز عليهم حتي يصبح فاذا اصبح فان سمع اذانا امسك وان لم
يسمع اذانا اغار ووضع السيف واحتجوا ايضا بقوله تعالي اقيموا
الصلاة ولا تكونوا من المشركين وبحديث ابي هريرة من ترك
الصلاة حشر مع فرعون وهامان وابي بن خلف وبحديث
انس من صلي صلاتنا واستقبل قبلتنا فذلك من المسلمين وقال
الشافعي رحمه الله يقول الامام لتارك الصلاة صل فان
ذكر علة بجسمه امر بالصلاة علي قدر طاقته فان ابي حتي

خرج وقتها قتل وانما يستتاب ما دام وقت الصلاة فان ابي
قتل وورثته ورثته من المسلمين وهو قول اصحاب مالك وبعضهم
يرويه عن مالك وبه قال ابو ثور وهو قول مكحول وحماد بن
زيد ووكيع وحجتهم ان ابا بكر رضي الله عنه استحل دما مانعي
الزكاة وقال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة
فقاتلهم علي ذلك واراق دماءهم ومعه جمهور الصحابة فمن
امتنع من اقامة الصلاة كان احري لان الصديق جعلها اصلا
وشبه بها الزكاة ومعلوم انهم كانوا مقرين بالاسلام يوضحه قول
عمر رضي الله عنه كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر
هذا من حقها وكفر والقتال ابو بكر قد تركوا قول لا اله الا الله
وصاروا مشركين وقد روي انهم قالوا لابي بكر ما كفرنا بعد
ايماننا ولكن شححنا علي اموالنا وقال قائلهم اطعنا رسول الله
صلي الله عليه وسلم ما كان بيننا فيا عجبا ما بال ملك ابي بكر
فسار اليهم ومعه عمر وساير الصحابة وبعث خالد بن الوليد
الي قتال من ارتد وهذا كله مما احتج به الشافعي وقال فيه
دلالة علي ان من امتنع مما افترض الله عليه كان حقا علي الامام
اخذه به وقتاله عليه وان ابي ذلك علي نفسه واما تورث
ورثته فلان عمر لم يرد علي ورثة مانعي الزكاة ما وجد من
اموالهم في ايدي الناس وقد كان ابو بكر رضي الله عنه سباهم

كما سبي اهل الردة فخالفه عمر رضي الله عنه في ذلك لصلاتهم
وتوحيدهم ورد الي ورثتهم اموالهم من جماعة من الفقها
ولم ينكر ذلك عليه احد واحتج الشافعي رحمه الله بحديث
ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سيكون بعدي امراء فيعرفون وينكرون فمن انكر فقد
برئ ومن كره فقد سلم لكن من رضي وتابع قالوا يا رسول الله
الا نقاتلهم قال لا ما صلوا وفيه دليل على انهم ان لم يصلوا الخمس
قوتلوا ومن حججهم ايضا قوله صلى الله عليه وسلم نهيت
عن قتل المصلين فمن لم يصل لم ينه عن قتله وقال للذين
ارادوا قتل رجل اليس يصلي قالوا بلى ولا صلاة له فنهاهم
عن قتله لصلاته وقال اولئك الذين نهاهم الله عن
قتلهم وقال اني لم اومر ان اشق عن قلوب الناس ولا بطونهم
واعتل الشافعي رحمه الله ومن قال بقوله في دفع الآثار المروية
في تكفير تارك الصلاة بان قالوا المراد من تركها جاحدا
منكرا لفرضيتها وقالوا قد يراد بالكفر كفر النعمة كما قال من
يرغب عن نسب ابيه فقد كفر وكقوله سباب المسلم فسوق وقتاله
كفر ولا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وتاولوا قوله لا يزني
الزاني حين يزني وهو مومن على انه لا يفعل ذلك وهو مستكمل
الايمان وكذلك قول عمر لا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة
اي لا كبير حظ له او لا حظ له كامل وكذلك ما اشبهه وما يدل
على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن

الله على العباد فمن اتى بهن لم يضيع منهن شيا كان له عند عهدا
ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان
شاء عذبه وان شاء غفر له ومذهب رضي الله عنه ان تارك
الصلاة فاسق وهو مومن لتصديقه ويضرب ضربا مبرحا
ويسجن حتي يتوب وهو قول ابن شهاب وطائفة من اهل الحجاز
والعراق واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل
الناس حتي يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها قالوا وحقها الثلاث التي ذكرها صلى
الله عليه وسلم في هذا الحديث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان
وقتل نفس بغير نفس قالوا والكافر جاحد وتارك الصلوة والمقر
بالاسلام غير جاحد ولا كافر وليس بمستكبر ولا معاند وانما يكفر
من جحدها واستكبر عن ادائها قالوا وقد كان مومنا قبل
تركها بيقين فاذا تركها فلا يجب قتله الا بيقين ولا يقين
مع الاختلاف فالواجب القول باقل ما قيل في ذلك وهو الضرب
والسجن انتهي كلامه وقال الشيخ تقي الدين قد استدل
بهذا الحديث على ان تارك الصلاة يقتل بتركها فان ترك
الصلاة ليس من هذه الاسباب اعني زنا المحصن وقتل
النفس والردة وقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم اباحة
الدم في هذه الثلاثة بلفظ النفي العام والاستثناء منه
لهذه الثلاثة وبذلك استدل شيخ والدي الامام الحافظ
ابو الحسن علي بن المفضل المقدسي في ابياته التي نظمها في حكم

تارك الصلوة انشدنا الحافظ ابو الحسن علي بن المفضل
المقدسي لنفسه

خسر الذي ترك الصلوة وخابا * وابى معادا صالحا ومآبا
ان كان يجحدها فحسبك انه * امسى بربك كافرا مرتابا
او كان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعي ومالك رايا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
وابو حنيفة قال يترك مرة * هملا ويحبس مرة ايجابا
والظاهر المشهور من اقواله * تعزيره زجرا له وعقابا
والراي عندي ان يؤدبه الامام * بكل تاديب يراه صوابا
ويكف عنه القتل طول حياته * حتى يلاقي في المآب حسابا
فالاصل عصمته الى ان يمتطي * احدى الثلاث الى الهلاك ركابا
الكفر او قتل المكافي عامدا * او محصن طلب الزنا فاصابا

فهو من المنسوبين الى اتباع مالك اختار خلاف مذهبه
في مسئلة ترك قتله وامام الحرمين ابو المعالي الجويني
استشكل قتله من مذهب الشافعي ايضا وجا بعض
المتاخرين ممن ادركنا زمنه فاراد ان يزيل الاشكال فاستدل
بقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله واني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا
الزكاة ووجه الدليل منه انه وقف العصمة على مجموع
الشهادتين واقامة الصلاة وايتاء الزكاة والمرتب
على اشياء لا يحصل الا بحصول مجموعها وينتفي بانتفاء

بعضها

بعضها وهذا ان قصد به الاستدلال بالمنطوق وهو قوله
عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى الى اخره فانه يقتضي
بمنطوقه الامر بالقتال الى هذه الغاية فقد ذهل وسهى
لانه فرق بين المقاتلة على الشيء والقتل عليه فان المقاتلة
مفاعلة تقتضي الحصول من الجانبين ولا يلزم من اباحة
المقاتلة على الصلاة اذا قوتلوا عليها اباحة القتل عليها
ممن الممتنع عن فعلها اذا لم يقاتل ولا اشكال بان قوما لو
تركوا الصلاة ونصبوا القتال عليها انهم يقاتلون انما
النظر والخلاف فيما اذا تركها انسان من غير نصب قتال هل
يقتل ام لا فتامل الفرق بين المقاتلة على الصلاة والقتل
عليها وانه لا يلزم من اباحة المقاتلة عليها اباحة القتل
عليها وان كان هذا من لفظ اخر الحديث وهو ترتيب العصمة اخذهم
على فعل ذلك فانه يدل بمفهومه على انها لا ترتب على فعل
بعضه هان الخطب لانها دلالة مفهوم والخلاف فيها معروف
مشهور وبعض من ينازعه في هذه المسئلة لا يقول بدلالة
المفهوم ولو قال بها فقد ترجح عليها دلالة المنطوق
في هذا الحديث انتهى كلامه **تنبيه** قال ابن
الفاكهاني اللام في قوله عليه السلام التارك لدينه وفي
المفارق للجماعة الظاهر انها زايدة كما زيدت في قوله
تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم وفي قوله تعالى واذ بوأنا
لابراهيم مكان البيت ونحو ذلك فان ترك وفارق متعديا

لانفسهما واسم الفاعل من الفعل المتعدي متعد كفعله كما
ان القاصر كذلك فزيدت في اسم الفاعل كما زيدت في الفعل
والا فالاصل التارك لدينه والمفارق للجماعة كما نقول الضارب
زيدًا ولا تقول الضارب لزيد وكان زيادتها لتوكيد المعنى
والله تعالى اعلم

الحديث الخامس عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرًا او ليصمت
ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان
يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه رواه البخاري ومسلم
قال الطوفي اللام في ليقل او ليصمت وليكرم لام
الامر ويصمت قال الشيخ بضم الميم قال الطوفي وقد سمعناه بكسرها
مضارعًا نحو ضرب يضرب ويفعل بضم العين فيه مشكل
دخل نص عليه ابن جني في الخصايص والصمت السكوت
مع القدرة علي الكلام فان كان عن العجز عنه فاما الفساد آلة
النطق فهو الخرس او لتوقفها وهو العي انتهى وقال الجوهري
يقال صمت يصمت صمتًا وصموتًا اذا سكت واصمت مثله — وصماتا
وظاهر هذا انه مجرد السكوت وكلام الطوفي يشعر بانه
السكوت مع القدرة علي الكلام قال الطوفي وقوله
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرًا او ليصمت
ظاهره توقف الايمان علي هذه الاشيا المذكورة اكرام

الجار

الجار والضيف وقول الخير او الصمت وليس كذلك انما هو علي
المبالغة في الاستجلاب علي هذه الافعال كما يقول القايل
ان كنت ابني فاطعني ونحوه تحريضًا وتهييجًا له علي الطاعة
لا علي ان بانتفاد طاعته ينتفي انه ابنه او علي ان المعنى من كان
كامل الايمان بالله واليوم الاخر فليقل خيرًا او ليصمت
وليكرم جاره فيكون متوقفا علي هذه الافعال كمال الايمان
لا حقيقته وكلا التاويلين جيد ثم في الحديث ثلاثة
احكام احدها امر المومن اما ان يقول خيرًا او ليصمت
لان قول الخير غنيمة والسكوت عن الشر سلامة وفوات
الغنيمة والسلامة ينافي حال المومن وما يقتضيه شرف
الايمان لان الايمان مشتق من الامان ولا امان لمن فاتته
الغنيمة والسلامة وضبط هذا الموضع ان الانسان اما ان
يتكلم او يسكت فان تكلم فاما بخير وهو ربح او بشر وهو خسارة
وان سكت فاما عن شر فهو ربح او عن خير فهو خسارة
فللانسان في كلامه وسكوته ربحان ينبغي ان يحصلهما
وخسارتان يتخلص منهما اه ومعنى الحديث ان المومن اذا
اراد ان يتكلم فليفكر قبل كلامه فان علم وتحقق ان ما يتكلم
به خير متحقق لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر الي كلام محرم
او مكروه فليتكلم وان كان مباحًا فالسنة السكوت
علي ما قاله العلماء رحمهم الله تعالى قالوا لانه ربما ادي
الكلام المباح الي المكروه او المحرم وقد قال تعالى ما يلفظ من

قول الا لديه رقيب عتيد وظاهر الاية انهما يكتبان المباح
وان كان فقد قيل انهما لا يكتبان الا ما كان فيه ثواب او عقاب
قال محمد ابن الحسن رحمه الله اخبرني هشام بن عروة عن
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الملائكة
لا تكتب الا ما فيه اجر او وزر وقيل يكتب ويستنسخ يوم
القيامة لانه يوم الحساب والجزاء وفي المحيط الكلام على ثلاثة
اقسام منها ما يكتسب به اجر كالتحميد والتمجيد والتسبيح ونحوه
وقد لا يوجر عليه ويأثم به في حال كما ذكر الله او سبح في مجلس الفسق
على انه يعمل عمل الفسق فهو حرام وكذا التاجر لو فتح متاعه لمشتر
وسبح الله تعالى او صلى على النبي صلى الله عليه وسلم واراد
بذلك اعلام المشتري جودة متاعه يكره وكذا قول الفقاع
عند فتح الفقاع لا اله الا الله او يقول صلى الله على محمد يأثم
لانه يأخذ لذلك ثمنا بخلاف العالم والغازي ولو سبح الله
في مجلس الفسق على وجه الاعتبار يعني اذا اشتغل بالتسبيح واشتغلوا
بالفسق يوجر عليه وكذا من قال لا اله الا الله في السوق
يوجر اكثر من قوله وحده والترجيع بقراءة القران قيل لا باس
به لانه عليه الصلاة والسلام قال زينوا القران باصواتكم
وقال ليس منا من لم يتغن بالقران وقال عامة مشايخنا
انه مكروه لا يحل الاستماع اليه لان فيه تشبها بفعل
الفسقة في حال فسقهم وهو التغني وكره ابو حنيفة
قراءة القران عند القبر وعند محمد لا يكره ومشايخنا

اخذوا

اخذوا بقول محمد وينتفع به وينبغي ان يمنع الصوفية مما
يعتادون من رفع الصوت وتخريق الثياب عند سماع التغني
فان ذلك مكروه في الدين عند سماع القران فما ظنك بالتغني
ومنه ما يكتسب به وهو الغيبة والنميمة والشبهة والكذب
محظور الا في مواضع في القتال مع العدو والخدعة وفي الصلح
بين اثنين وفي ارضا الرجل اهله وفي دفع المظالم عن المظلوم
لقوله عليه الصلاة والسلام لا يصلح الكذب الا في ثلاث
الصلح بين اثنين وفي القتال وفي ارضا الرجل اهله ثم قال
بعضهم يرخص الكذب في هذه المواضع بلا تعريض لهذا الحديث
وقال بعضهم يرخص بالتعريض دون الكذب المحض
والتعريض ان يريد المتكلم باللفظ غير ما وضع له اللفظ ولكنه
يحتمل كما اذا قيل للاخر كل هذا الطعام فقال اكلت يريد به
الاكل بالامس لا الاكل الحال والتعريض بالكذب لغير حاجة
وضرورة وقيل يكره لان اللفظ ظاهره الكذب وان
كان يحتمل الصدق فان السامع يفهم منه الكذب فيكون
في ذلك نوع تغرير وخداع والكذب انما يكره للتغرير
والخداع فيكره وكذا الغيبة حرام الا في حال وهو ان يكون
رجل يضر الناس باليد واللسان فلا غيبة في ذكراه لقوله
عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه وان اعلم السلطان
ليزجره فلا اثم عليه ولو اغتاب اهل قرية لم تكن غيبة
حتى يسمي قوما معروفين لان الغيبة انما تكون غيبة للمعلوم

قال عليه السلام ان في اعين الانصار شيا انتهي ملخصا
وروي البيهقي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
ما رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم نايما فسل
الصفا ولا اعيا بعدها اما ذاكرا فيغنم واما نايما فيسلم
وعن انس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من
سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن انس ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم لقي ابا ذر فقال يا ابا ذر الا ادلك
علي خصلتين هما اخف علي الظهر واثقل في الميزان من غيرهما
قال بلي يا رسول الله قال عليك بحسن الخلق وطول الصمت
والذي نفس محمد بيده ما عمل الخلايق بمثلهما وقال الخصلة
الصالحة تكون في الرجل فيصلح الله بها عمله كله وطهور
الرجل وصلاته يكفر الله بطهوره ذنوبه وتبقي صلاته
له نافلة وعن انس ان لقمان كان عند داوود وهو يسرد
الدرع فجعل يفتله هكذا بيده فجعل لقمان يتعجب ويريد
ان يساله فتمنعه الحكمة ان يساله فلما فرغ منها صبها
علي نفسه وقال نعم درع الحرب هذه فقال لقمان ان
الصمت من الحكمة وقليل فاعله كنت اردت ان اسالك
فسكت حتي كفيتني وقال ابو العتاهية

ان كان يعجبك السكوت فانه •	قد كان قبلك يعجب الاخيارا
ولئن ندمت علي سكوتك مرة •	فلقد ندمت علي الكلام مرارا
ان السكوت سلامة ولربما •	زرع الكلام عداوة وضرارا

بلغ مقابلته

واذا قرنت بجانب من خاسر • زاد بذاك خسارة وتبارا
انتهي كلام البيهقي وقال الاستاذ ابو نصر القشيري رحمه
الله فاما ايثار ارباب المجاهدة السكوت فلما علموا ما في
الكلام من الافات ثم ما فيه من حظ النفس في اظهار صفات
المدح والميل الي ان يتميز بين اشكاله بحسن النطق وغير
هذا من افات الخلق وذلك نعت ارباب الرياضة وهذا
احد اركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق وقيل
ان داود الطائي لما اراد ان يقعد في بيته اعتقد ان يحضر
مجالس ابي حنيفة اذ كان تلميذا له ويقعد بين اضرابه من
العلما ولا يتكلم في مسيلة فلما قوي نفسه علي ممارسة
هذه الخصلة سنة كاملة قعد في بيته عند ذلك واثر
العزلة وكان عمر ابن عبد العزيز اذا كتب كتابا فاستحسن
لفظه مزق الكتاب وغيره وقال بشر ابن الحارث
اذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم
وقال سهل بن عبد الله لا يصح لاحد الصمت حتي
يلزم نفسه الخلوة ولا يصح له التوبة حتي يلزم نفسه الصمت
وقال ابو بكر الفارسي اذا كان العبد ناطقا فيما يعنيه
وما لا بد له منه فهو في حد الصمت ويروي عن معاذ ابن
ابن جبل انه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا لعل
قلبك يري الله وقيل لذي النون المصري من اصون
الناس لنفسه قال املكهم للسانه وقال ابن مسعود

ما شيء احق بطول السجن احق من اللسان **وقيل** ان ابا
بكر الصديق رضي الله عنه كان يمسك في فيه حجارة لـيقل
كلامه وربما يكون السكوت يقع علي المتكلم تاديبا له لانه
اساء ادبه في شيء **كان** الشبلي اذا قعد في حلقته ولا يسالونه
يقول ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون وربما
يقع السكوت لمعني في الحاضرين وهو انه يكون هناك من
ليس باهل السماع لذلك الكلام فيصون الله لسان
المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام عن غير اهله وربما
كان سبب السكوت الذي يقع علي المتكلم ان بعض
الحاضرين كان يعلم الله سبحانه من حاله ان يسمع ذلك
الكلام فيكون فتنة له اما التوهمه انه وقته او لانه يكون
ولانه يحمل نفسه ما لا يطيق فيرحمه الله عز وجل بان يحفظ
سمعه عن ذلك الكلام اما صيانة له او عصمة عن غلطه
وقال مشايخ هذه الطريقة ربما يكون السبب فيه
حضور من ليس باهل السماعه من الجن اذ لا يخلو المجالس
القوم من حضور جماعة من الجن وقال بعض الحكما
انما خلق للانسان لسان واحد وعينان واذنان
ليسمع ويبصر اكثر مما يقول انتهي **وروي** ان رجلا
سال مالك بن انس رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقال
اوصني فقال ان شئت جمعت لك علم العلما وحكم الحكما
وطب الاطبا في ثلاث كلمات **اما** علم العلما فاذا سئلت

عما

عما لا تعلم فقل لا اعلم **واما** حكم الحكما فاذا كنت جليس قوم
فكن اسكتهم فان اصابوا كنت من جملتهم وان اخطأوا وأ
سلمت من خطايهم **واما** طب الاطبا فاذا اكلت طعاما
فلا تقم الا ونفسك تشتهيه فانه لا يسلم جسدك غير من
الموت ويقال لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من
ذهب واشد والعبد الملك الشرابي
شعر اذا ما اضطررت الي كلمة • فدعها وباب السكوت اقصد
فلو كان نطقك من فضة • لكان سكوتك من عسجد
وبالجملة فالاولي بالانسان التقليل من الكلام ما
استطاع ما لم يتعلق به له مصلحة دينية او دنيوية
وخصوصا بعد العشا الاخيرة خشية ان ينام عن الصبح
بسبب سهره اول الليل واما خشية ان يقع في الحديث
من اللغو واللغط مما لا ينبغي ان يختم به اليقظة وقد
استثني العلما من ذلك اربعة انواع العلم وجميع القربات
والكلام مع العروس والضيف والمسافر واما ما تدعو الحاجة
اليه من ضرورات الانسان ومصالحه نحو خذ وقم وكل
وغير ذلك فخارج عن هذا والله اعلم **قوله**
عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم
عي جاره **قال** ابن الفاكهاني اختلف في حد الجيرة فقال الاوزاعي
اربعون دارا من كل ناحية جيرة وقالت فرقة من سمع الاقامة
فهو جار ذلك المسجد ويقدر ذلك في الدور وقالت فرقة

بلغ

من سمع الاذان وقالت فرقة من ساكن رجلا في محلة او مدينة
فهو جار والمجاورة مراتب بعضها الصق من بعض ادناها
الزوجة قال الاعشى
اجارتنا بيني فانك طالقة وبعد ذلك لجيرة الخلط
بضم الخا واللام جمع خليط واختلف اهل التفسير في قوله
تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب فقال ابن عباس
ومجاهد وعكرمة وغيرهم الجار ذي القربى هو الجار القريب
النسب والجار الجنب الذي لا قرابة بينك وبينه وقال
نوف الشامي الجار ذو القربى هو الجار المسلم والجار الجنب
هو اليهودي والنصراني وقالت فرقة الجار ذو القربى هو
الجار القريب المسكن منك والجار الجنب هو البعيد المسكن منك
قال ابن عطية وكان هذا القول منتزع من الحديث قالت
عايشة رضي الله عنها يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما
اهدي قال عليه السلام اقربهما منك بابا وقيل الجار
الجنب الزوجة قال القاضي عياض رحمه الله تعالى معنى
الحديث ان من التزم شرايع الاسلام لزمه اكرام جاره
وضيفه وبرهما وكل ذلك تعريف بحق الجار وحث على حفظه
وقد اوصى الله عز وجل بالاحسان اليه في كتابه وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه انتهى وقد قال اصحابنا ان الجار الملاصق
له الشفعة اذا بيعت دار ليس لها شريك لقوله عليه السلام

جار

جار الدار احق بدار الجار وهذا من رعاية حقوقه والله أعلم
وقال الطوفي رحمه الله الجيران ثلاثة كافر فله حق
واحد بالجوار ومسلم اجنبي فله حقان بالجوار والاسلام
ومسلم قريب فله ثلاثة حقوق بالجوار والاسلام والقرابة
كذا قال بعض العلما قلت وفي البخاري عن ابن شريح
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يومن والله لا يومن
والله لا يومن ثلاثا قالوا ومن ذلك يا رسول الله قال
الجار لا يومن جاره بوايقه قالوا وما بوايقه قال شره
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوايقه وفي
البيهقي من احب ان يحبه الله ورسوله فليصدق
الحديث وليؤد الامانة ولا يوذي جاره وفيه عن المقداد
ابن الاسود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان يزني الرجل بعشر نسوة ايسر عليه من ان يزني بامراة
جاره ولان يسرق الرجل من عشرة ابيات ايسر عليه من
ان يسرق من بيت جاره وفي حديث عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما حق
الجار اذا استعانك اعنته واذا استقرضك اقرضته واذا
افتقر عدت عليه واذا مرض عدته واذا اصابه خير هنيته
واذا اصابه مصيبة عزيته واذا مات اتبعت جنازته
ولا تستطيل عليه بالبنا تحجب عنه الريح الا باذنه

ولا تؤذيه بريح قدرتك واذا اشتريت فاكهة فاهد له منها
فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها
ولده اتدرون ما حق الجار على الجار والذي نفسي بيده ما يبلغ
حق الجار الا قليل ممن رحمه الله فما زال يوصيهم بالجار
حتى ظنوا انه سيورثه ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له ثلاثة حقوق وجار له حقان
وجار له حق فاما الذي له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب
له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة واما الذي له حقان
فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق
واحد فالجار الكافر له حق الجوار **قلنا** يا رسول الله نطعمهم
من نسكنا قال لا تطعموا المشركين شيا من النسك **وعن**
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مسلم يموت فيشهد له اربعة من اهل ابيات جيرانه
الادنين انهم لا يعلمون منه الا خيرا الا قال الله عز وجل
قبلت قولكم او قال شهادتكم وغفرت له ما لا تعلمون انتهى ولده
النقل من البيهقي **وقوله** عليه السلام ومن كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه قال اهل اللغة الضيف
يكون واحدا وجمعا ودليله قوله تعالى هؤلاء ضيفي
ويجمع على الاضياف في القلة والضيف والضيفان في
الكثرة والمراة ضيف وضيفة واما الفعل فيقال ضفت
الرجل وضيفته اذا انزلته بك ضيفا وضفت الرجل

ضيافة اذا انزلت عليه ضيفا والضيافة من مكارم
واخلاق المؤمنين ومن محاسن الدين وسنن النبيين **يروى**
ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام
كان يسمى ابا الضيفان وكان له قصر له اربعة ابواب وكان
يمشي الميل والميلين في طلب من يتغدى معه ذكره البيهقي
وابو الليث السمرقندي وروى البيهقي عن عبد الله بن
عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل
لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد
قال ابن الفاكهاني والجمهور على عدم وجوبها وقال الليث
ابن سعد هي واجبة ليلة واحدة محتجا بقوله صلى الله
عليه وسلم ليلة الضيف واجبة على كل مسلم ويحتمل ان صح الحديث
ان يكون الوجوب هنا وجوب السنن كقوله صلى الله عليه
وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم وهو سنة عند الجمهور
ويقوي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الضيافة جائزته يوم
وليلة والجائزة والصلة والعطية التي اصلها الندب ثم
كانت في ابتداء الاسلام واجبة اذا كانت المواساة واجبة
واما من يخاطب بالضيافة فذهب مالك وسحنون
الى انها على اهل البادية لتعذر ما يحتاج اليه المسافر في
البادية غالبا وتيسر ذلك على اهل البادية غالبا وتعذره
على اهل الحاضرة ومشقته عليهم غالبا وذهب الشافعي
وابن عبد الحكم من اصحابنا الى ان المخاطب بها اهل الحضر والبا

قال صاحب الافصاح في هذا الحديث من الفقه ان اكرام الضيف
عبادة لا ينقصها ان يضيف الانسان غنيا ولا يغيرها ان
يقدم الى ضيفه اليسير مما عنده فاكرامه ان يسارع الى البشر
في وجهه وتطييب الحديث له وعماد الضيافة هو اطعام
الطعام فينبغي له ان يبادروا الى ما فتح الله به من غير كلفة
الا ان يتبعهم ببذل الوسع من غير اضرار باهله على انه اذا
اثره ورغب البالغون من اهله في الايثار ايضا فانه من
الكرم فاما الاصاغر فليس له ان يحملهم على ذلك واما
حديث الانصاري الذي قال لامرأته اطفي المصباح ونومي
الصبيان فانه فعل ذلك العادة في تصبير عن العشا
ليلة انتهى قال ابن الفاكهاني وفيه نظر فان ذلك الطعام
كان متعينا نفسيا واجبا حتما للصبيان ولامهم اذ لم
يكن عندهم حينئذ الا هو الا ترى قول المرأة ليس عندي
الا قوت الصبيان فكيف يجوز ان تجيعهم وتنومهم
طاوين ساغبين حتى يطعم الضيف الذي لم يجب عليه
اطعامه فيفعل المندوب ويترك الواجب بل لا يسمى ذلك
مندوبا الا يجوز بل هو بالمحرم اشبه فتامله فانه مشكل
جدا وقد اقره عليه السلام على ذلك وقال عجب الله من
ليلتكما واني لا اعلم خلافا في وجوب نفقة الولد الصغير
غير البالغ على الاب القادر وقد اجاب الشيخ
محيي الدين عن ذلك في شرح المهذب بان قال انه محمول

على ان الصبيان لم يكونوا محتاجين حينئذ بل كانوا قد اكلوا
حاجتهم واما الرجل وامرأته فتبرعا بحقهما وكانا صابرين
فرحين بذلك ولهذا جاء في الاية والحديث الثنا عليهم
قال فان قيل قوله نومي صبيانك وغير هذا اللفظ مما
جاء في الحديث يدل على ان الصبيان لا يتركون الاكل عند
حضور الطعام ولو كانوا شباعا فخاف ان تنبهوا
مستيقظين ان يطلبوا الاكل على العادة فينكدوا عليهما
وعلى الضيف لقلة الطعام والله اعلم وفي اداب
المريدين قال بعض المشايخ واجب على الضيف ثلاثة اشيا
ان يجلس حيث يجلس وان يرضى بما قدم اليه وان لا يخرج الا
بعد الاستيذان وواجب على المضيف ثلاثة اشيا ان
يطعمه من الحلال ويحفظ عليه مواقيت الصلاة ولا يحبس
عنه ما قدر عليه من الطعام روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من السنة تشييع الضيف
الى باب الدار اه وقد ورد في الترغيب في الضيافة
احاديث كثيرة ابلغها ما رواه البيهقي في شعب الايمان
عن الحجاج بن فرافصة عن ابي العلا عن قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اطعم اخا
في الله لقمة احب الي من ان اتصدق بدرهم ولان
اعطي اخا في الله درهما احب الي من ان اتصدق بعشرة
دراهم ولان اعطي اخا في الله عشرة دراهم احب الي

من ان اعتق رقبة انتهى قال الطوفي واعلم ان الحكم الاول
وهو قول الخير او الصمت عام مخصوص بما لو اكره على قول
شر او سكوت عن خير او نسي او خاف على نفسه من قول الخير
ونحوه ممن خاف انكار منكر ونحوه لقوله عليه السلام رفع
عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقوله
عليه السلام اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم ونحوه من
المخصصات اما اكرام الجار والضيف فيحتمل تخصيصهما
بغير الجار الفاسق والمبتدع والموذي ونحوهم فلا يكرمون
بل يهانون ردعا لهم من فجورهم ويحتمل جعلهم حقي ذات
الجهتين فيكرمون من حيث هم جيران ويهانون
من حيث هم فجار كل منهما بما يستحق ولان الكافر يدعى
حق جوار فالمسلم على اسلامه اولى وكما قيل في كل كبد حار اجر
قال بعضهم حتى الحية والكلب العقور ونحوه يطعم ويسقى
اذا اضطر الى ذلك ثم يقتل انتهى **فائدة** قال ابن
العماد اسماء الضيافات ثمان **الوليمة** للعرس **والخرس** بضم
الخاء وبالسين والصاد للولادة **والاعذار والعذيرة**
للختان **والوكيرة** للبناء **والنقيعة** لقدوم المسافر ماخوذة
من النقع وهو الغبار ثم قيل ان المسافر يصنع الطعام
وقيل يصنعه غيره له **والعقيقة** يوم سابع الولادة فان
فات ففي السابع الثاني والثالث خلاف عندنا **والوضيمة**
بفتح الواو طعام المصيبة **والمادبة** بفتح الدال وضمها الطعام

المتخذ

المتخذ ضيافة بلا سبب وقيل زيادة على ذلك طعام الزائر
يسمى التحفة وطعام المتعلل قبل الغذا السلفة والكريمة
طعام المستعجل بالطعام قبل ادراك الغذا انتهى

الحديث السادس عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب رواه البخا ري
قال الطوفي الغضب في حق الادمي قيل هو فوران دم القلب
وغليانه وقيل عرض يتبعه غليان دم القلب لارادة
الانتقام اه قلت وفي الحديث عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة تتوقد في
قلب ابن ادم اما ترون الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه
فمن احس من ذلك شيئا فان كان قائما فليقعد وان
كان قاعدا فليضطجع وعن ابي وائل المرادي قال كنا
عند عروة بن محمد بن عطية فاغضبه في شيء فدخل فتوضأ
ثم خرج فقال حدثني ابي عن جدي عطية السعدي
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان
والشيطان خلق من النار والنار تطفى بالماء فاذا غضب
احدكم فليتوضا **وفي الحديث** ان الغضب ليفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل ذكر ذلك البيهقي قال العلماء واما
غضب الله عز وجل اعاذنا الله منه فقيل هو ارادة الانتقام
وقيل غير ذلك **وقال** الطحاوي رحمه الله تعالى الغضب

ويرضي لاكاحد من الورى اه قيل وهذا الحديث من جوامع الكلم فان
الغضب لا يكاد يحصي ما يترتب عليه من المفاسد الدنيوية والاخروية
بعد ان يعلم ان الله تعالي خلق الغضب من النار وغرزها
في الانسان وعجنها بطينته فمهما قصد او نوزع في غرض من
اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت
ثورانا يغلي منه دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الي اعالي
البدن ارتفاع الماء في القدر فينصب الي الوجه فيحمر الوجه
والعينان فان البشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها
من لون الدم كما تحكي الزجاجة ما فيها وهذا اذا غضب
علي من دونه واستشعر القدرة عليه وان كان ممن فوقه
وييئس من الانتقام منه تولد انقباض الدم من ظاهر الجلد
الي جوف القلب وصار حزنا فاصفر اللون وان كان الغضب
علي المماثل والنظير الذي يشك في القدرة عليه تردد
الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر فاما ما يترتب
علي الغضب من المفاسد فتغير ظاهر الغضبان وباطنه
اما الظاهر فتغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج
الافعال علي غير الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام
حتي يظهر الزبد علي الاشداق وتحمر الاحداق وينخسف
الخلقة ولو راى الغضبان نفسه في حال غضبه لسكن
غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه
اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت

صور

صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الي الظاهر ثانيا فتغير
الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمر فهذا اثره في الجسد
واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش والقبائح
في الكلام الذي يستحي منه ذو العقول ويستحي منه قائله عند
فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما
اثره علي الاعضاء فالضرب والتهجم والتخريق والجرح والقتل
عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه
او فاته وعجز عن التشفي رجع الغضب علي صاحبه فيمزق ثوب
نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده علي الارض ويعدو عدو
الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق
العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما
كسر الاواني وضرب الحيوانات وتعاطي افعال المجانين واما
اثره في القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة
بالمساءات والحزن بالمسرات والعزم علي افشاء السر وهتك
الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح وذلك كله حرام
يستوجب عليه العقوبة فانظر كم تحت اللفظة النبوية
لا تغضب من حكمة واستجلاب مصلحة ودرء مفسدة مما لا يمكن
عده ولا ينتهي حده الله اعلم حيث يجعل رسالاته تنبيه
وهذا كله في الغضب الدنيوي المذموم واما الغضب لله
عز وجل فمطلوب حتما كان صلي الله عليه وسلم يغضب اذا
انتهكت حرمة الله عز وجل لا يقوم لغضبه شي حتي ينتصر للحق

واذا غضب اعرض واشاح وكان بين عينيه عرق يدره
الغضب ولا يكاد يحصر ما روي عنه صلي الله عليه وسلم من
الغضب لله تعالي مع الاتفاق علي انه كان احلم الناس واكثرهم
صفحا واحتمالا وهذا هو بداية الكمال الغضب في موضعه والحلم
في موضعه وينبغي ان يعلم ان الذي يسكن الغضب عند هيجانه
امران علم وعمل اما العلم فاستحضار ما جاء في فضل كظم الغيظ
مثل قوله تعالي والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين الاية **وقوله** تعالي وليعفوا وليصفحوا
الاية وقوله صلي الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة
قالوا فمن الشديد يا رسول الله قال الذي يملك نفسه
عند الغضب رواه مسلم **وعن سهل** ابن معاذ عن ابيه
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو
يستطيع ان ينفذه دعاه الله علي رءوس الخلائق يوم القيامة
حتي يخيره في اي الحور شاء **وعن انس** عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال ينادي منادي يوم القيامة من كان اجره علي الله
فليدخل الجنة مرتين فيقوم من عفي عن اخيه قال الله تعالي
فمن عفي واصلح فاجره علي الله **وعن** عبد الرزاق قال
سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه الماء ليتهيأ للصلاة
فسقط الابريق من يد الجارية علي وجهه فشجه فرفع علي
ابن الحسين راسه اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل
يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فقال لها قد

كظمت

كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال لها قد عفي الله
عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة
لوجه الله تعالي **وعن عمر** بن عبد العزيز رضي الله عنه
انه قال احب الاعمال الي الله عز وجل العفو عند القدرة وتسكين
الغضب عند الحدة والرفق بعباد الله **وفي الحديث**
للنار باب لا يدخل منه الا من شفي غيظه بسخط الله تعالي
وفيه سياتي علي الناس زمان يخير الرجل بين العجز والفجور فاذا
ادركت ذلك فاختر العجز علي الفجور **وعن** ابن عباس في قوله
عز وجل فاصفح الصفح الجميل قال الرضي بغير عتاب وعن وكيع
قال اعتل سفيان الثوري فتاخرت عن عيادته ثم عدته
فاعتذرت اليه فقال لي يا اخي لا تعتذر فقل من اعتذر
الا كذب واعلم ان الصديق لا يحاسب علي شيء والعدو لا يحسب
له بشيء **وعن** حفص بن حميد قال اذا عرفت الرجل بالمودة
فسيئاته كلها مغفورة واذا عرفته بالعداوة فحسناته كلها
مردودة عليه وانشد ابن طاهر لبعضهم
اكرم يكون الصد في كل ساعة ۰ وكم لا تملين القطيعة والهجرا
رويدك ان الدهر فيه كفاية ۰ لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا
ولغيره اذا كنت في كل الامور معاتبا ۰ صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا وصل اخاك فانه ۰ مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا علي القذا ۰ ظمئت واي الناس تصفو مشاربه
وعن عطا قال ما استقضي حكيم قط الم تسمع الي قول الله عز وجل

عرف بعضه واعرض عن بعض وانشدوا

اذا ما اخي يوما تولي بوده • وانكرت منه بعض ما كنت اعرف
عطفت عليه بالمودة ابتغي • علي مذهب الاخوان بالود اعطف
ولست اجازيه بقبح الذي اتي • ولا راكبا منه الذي يتخوف
واغماضك العينين عن عيب صاحب • لعمرك ابقي للاخاء واشرف

وعن الشعبي انه قال للاعمش يا اعمش كرام الناس اسرعهم مودة وابطاهم عداوة مثل الكوز من الفضة بطي الانكسار وسريع الانجبار ولئام الناس ابطاهم مودة واسرعهم عداوة مثل الكوز من الفخار سريع الانكسار وبطي الانجبار وانشد

اغمض عيني عن صديقي تكرما • كاني بما ياتي من الجهل جاهل
وما بي من جهل ولكن خليقتي • تطيق احتمال الاكرم فيما يحاول
وان اقطع الاخوان في كل عثرة • بقيت وحيدا لم اجد من اواصل

واعلم ان الانسان اذا غضب فليخوف نفسه عقاب الله تعالي ويحذرها عاقبة العداوة والانتقام والايام دول وان لا يصغي الي وسوسة الشيطان بان يقول لم ان لم تنتقم استهين بحرمتك ونحو ذلك فانها منزلة منه لك والانفة من حر يوم القيامة احري من انفة الاحتمال وليستحضر ان الذي وقع به مراد الله تعالي فلا يوثر مراده علي مراد الله تعالي وليصبر ان لم يرض ويحلم واما العمل فان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم كما جاء في الحديث

وحسن

وحسن ان يقول اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وطهر قلبي واجرني من مضلات الفتن بذلك امر النبي صلي الله عليه وسلم عايشة عند الغضب فان لم يزل ذلك فاجلس ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا فان لم يزل ذلك فتوضا بالماء البارد واغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء وفيه قال عليه الصلاة والسلام اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فانما الغضب من النار وانما تطفي النار بالماء وقال ايضا اذا غضبت فاسكت قال الغزالي رحمه الله وقد قال عمر رضي الله عنه من اتقي الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالي لم يفعل ما يريد وقال لقمان لابنه يا بني ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك ينفعك في معيشتك وقال ابو حاتم حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا علي ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتي عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين الم تسمع ان الله تعالي يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وهذا رجل من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فطفيت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه فقد استكمل حقيقة الايمان بالله تعالي

اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه
من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له انتهى وحكي عن بعض
الملوك انه كتب ورقة فيها ارحم من في الارض يرحمك من في
السما، ويل لسلطان الارض من سلطان السما وويل لحاكم الارض
من حاكم السما اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب
ثم دفعها الي وزيره فجعل الوزير كلما غضب الملك دفعها
اليه فينظر فيها فيسكن غضبه وليعلم الحكيم انه في الشر مغلوب
وان كان غالبا لانه اما ان يغلب عليه دينه او اخرويه قال
الاحنف بن قيس ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حكيم من احمق
وبر من فاجر وشريف من دني وعن سهل بن عبد الله قال
لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباد الله كالارض
اذا هم عليها ومنافعهم منها وعن محمد بن يحيي قال سمعت
ابي يقول كان ابو عثمان يميل الي الاثواب الفاخرة فانفذ اليه
ابو بكر من العراق فرسة من السنين وقد سوي له دست ثياب
من احسن ما قدر عليه وسال ان يلبسه يوم مجلسه ففعل
ذلك ابو عثمان فقام في اخر مجلسه سايل قال فزجره الناس
وقالوا له اجلس حتى يفرغ من الدعا فاقبل السايل علي ابي
عثمان وقال ايها اللص القاطع الطريق المرايي تلبس مثل هذه
الاثواب وتاوي الي مسكن وكفاية وانت تنظر الي فقرنا وضعفنا
قال فمد ابو عثمان يده الي عمامته فنزعها عن راسه ثم رمي
بها اليه ثم مد يده الي ردايه فدفعه اليه ونزع الدراعة

فدفعها

فدفعها اليه ثم قال لاهل المجلس يسالكم بحرمة الاسلام ان تحسنوا
الي هذا الرجل بكل ما امكنكم قال فاجتمع بين يديه من الاثواب
والخواتيم والحلي والدنانير والدراهم شي كثير ثم قال للرجل
يا هذا ان كنت انا كما ذكرته فاني اسال الله ان يتوب علي وان
لم اكن كذلك فاني اسأله ان يتوب عليك وقد نويت
ان شفعني ربي في غيري ان اشفع لك وعن انس ابن مالك
رضي الله عنه قال كنت امشي مع رسول الله صلي الله عليه
وسلم وعليه برد نجاري غليظ الحاشية فادركه اعرابي
فجذبه من خلفه جذبة حتى رايت صفحة عنق رسول الله صلي
الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جذبه
فقال يا محمد اعطني من مال الله الذي عندك فالتفت
النبي صلي الله عليه وسلم فضحك ثم امر له بعطاء رواه مسلم
قال القونوي والتحقيق ان الناس في الغضب علي ضربين الاول
مغلوب للطبع الحيواني فلا يمكنه دفعه وهو الغالب للناس
والثاني غالب للطبع بالرياضة فيمكنه لا يطاق واقوي الاشيا
في منع الغضب ورفعه التوحيد الحقيقي العام وهو اعتقاد
الانسان ان لا فاعل في الوجود الا الله عز وجل وان الخلق
الات لفعله فاذا توجه اليه مكروه من جهة غيره يري
فاعله الله عز وجل لا غير وان ذلك الغير الة للفعل
الالهي كالسيف للضارب والقوس للرامي والرمح للطاعن
والقدوم للنجار والسكين للجزار وحينيذ يندفع عنه الغضب

بالاصل بحذفهما

جمعه ولكن هذا والا كان قوله عليه السلام لا تغضب تكليفا بامر لم يطاق

لانه لو غضب والحالة هذه لكان غضبه اما علي الخالق وهو جرأة
تنافي العبودية او علي المخلوق وهو اشراك ينافي التوحيد
ولهذا جاء في حديث انس قال خدمت رسول الله صلي [الله عليه وسلم] عشر سنين
فما قال لشيء فعلته ولا لشيء لم افعله لم لم تفعله ولكن
يقول قدر الله وما شاء فعل او لو قدر لكان قال الطوفي
وما ذاك الا لكمال معرفته صلي الله عليه وسلم بان لا فاعل
ولا معطي ولا مانع الا الله عز وجل بخلاف غيره من الناس
فان غلامه اذا لم يقض شغله غضب عليه وضربه فعلي هذا
الفاعل في الوجود هو الله عز وجل وحده وله آلات كبري
وصغري ووسطي فالكبري من له قصد واختيار كالانسان
الضارب بالعصي والصغري من لا قصد له ولا اختيار كالعصي
المضروب بها والوسطي من لا قصد ولا عقل له كالدابة ترفس
ونحوها فان قلت فقد صح في الحديث ان موسي اغتسل
عريانا ووضع ثوبه علي حجر ففر الحجر فجمح موسي في اثره يقول ثوبي
يا حجر ثوبي يا حجر ثم طفق يضربه بعصا وان اثر عصاه في
الحجر ليدب ستة او سبعة وانما ذلك غضب علي الحجر مع ان موسي
عليه السلام كان من اعرف الخلق بالله وتوحيده وان لا فاعل
غيره فالجواب ان الحجر انما فر بثوب موسي بحياة
خلقها الله فيها فصار كالدابة تجمح براكبها او تفر بصاحبها
فله ان يضربها تاديبا لها او زجرا ويحتمل ان يجعل غضبه
علي الحجر من باب غلبة الطباع كما غلب الطبع البشري لما

كم

بلغ مقابلته

كم علي بين عند اخذ العصي وقد ثبت ان موسي كان حديدا حتي
كان اذا غضب خرج شعره من مدرعته كسلي النخل ولهذا
لما علم ما احدث قومه بعده اخذ براس اخيه ولحيته يجره اليه
وكذلك يحكي لما خرق الخضر السفينة غضب موسي واخذ بحل
الخضر ليلقيه في البحر حتي ذكره يوشع عهده مع الخضر فخلاه والله
اعلم انتهي قلت واشكل مما ذكره الطوفي

وقوله فردد مرارا يعني السائل كرر السؤال مرارا يقول
اوصني يا رسول الله لانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب
وصية ابلغ منها وانفع فلم يزده النبي صلي الله عليه وسلم
عليها لعلمه بعموم نفعها ونبه السائل علي ذلك بتكرارها
وصار هذا كما قال له العباس علمني دعاء ادعو به يا رسول
الله فقال سل الله العافية فعاوده العباس مرارا فقال
له يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا
والاخرة فانك اذا اعطيت العافية اعطيت كل خير
او كما قال وكذلك لما قال لاصحابه احتشدوا فاني اتلو عليكم
ثلث القرآن فاحتشدوا فتلي عليهم قل هو الله احد الي آخرها

ثم دخل منزله فاقاموا ينتظرونه ليكمل لهم ثلث القران فخرج
عليهم فقال ما تنتظرون اما انها تعدل ثلث القران يعني
يعني سورة الاخلاص وقال صاحب الافصاح من الجايز ان
يكون النبي صلى الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة الغضب
فخصه بهذه الوصية وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي يملك نفسه عند الغضب وذكر ابو عمر بن البر في بعض
طرق هذا الحديث ما يبعدني من غضب الله تعالى قال
لا تغضب وكان الشعبي يولع بهذا البيت

ليست الاحلام في حين الرضا • انما الاحلام في حين الغضب

وقال ابو العتاهية

اقلب طرفي مرة بعد مرة • لاعلم ما في الناس والارث يقلب
فلم ار كنزا كالقنوع لاهله • وان يجمل الانسان ما عاش في الطلب
ولم ار فضلا تم الا على التقى • ولم ار عقلا تم الا على الادب
ولم ار في الاعدا حين خبرتهم • عدوا لعقل المرء اعدا من الغضب

وعن ابي الدردا رضي الله عنه قال اقرب ما يكون العبد
من غضب الله اذا غضب وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله
تعالى ابن ادم اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت وقال
بعض العارفين اطفيوا نار الغضب بذكر نار جهنم

الحديث السابع عشر

عن ابي يعلي شداد ابن اوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا

قتلتم

قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد
احدكم شفرته وليرح ذبيحته رواه مسلم الكلام عليه من وجوه
احدها شداد ابن اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو
ابن اخي حسان بن ثابت يكنى ابا يعلي سكن بيت المقدس
واعقب بها روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسون حديثا اخرج له البخاري حديثا وهو قوله صلى الله
عليه وسلم سيد الاستغفار اللهم انت ربي لا اله الا انت
خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء
بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها
حين يصبح موقنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها
حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة وروي له مسلم
حديثا اخر مات ببيت المقدس سنة ثمان وخمسين قاله
ابن سعد وجماعة وقال ابن عبد البر يقال سنة احدى
واربعين ويقال سنة اربع وستين وهو ابن خمس وتسعين
سنة وقبره بظاهر باب الرحمة باق الى الان روى له
الجماعة وكان اذا اخذ مضجعه يتقلب كالحبة على المقلى
يقول اللهم ان النار قد منعتني النوم ثم يقول فلا
يزال يصلي الى الصباح الوجه الثاني كتب هنا امر
وطلب وخص واصل كتب اثبت وجمع ومنه قوله تعالى
وكتب في قلوبهم الايمان اي اثبته وجمعه ومنه كتبت

البقلة اي جمعت حبابها قال الشاعر • واكتبها باسيار • اي اجمعها
الثالث علي هنا يجوز ان تكون علي بابها كقوله تعالي كتب
عليكم الصيام كتب عليكم القصاص وقال الشيخ ابو العباس
القرطبي رحمه الله علي هنا بمعني في قال الله تعالي واتبعوا
ما تتلوا الشياطين علي ملك سليمان اي في ملكه ويقال كان
كذا علي عهد فلان اي في عهده حكاه القتيبي وقال صاحب
زاد الافصاح ويجوز ان يكون علي حالها والمعني انه قد
سبق من الله تعالي ان يعد لعبده بالاحسان علي كل شي حتي
انه اذا ذبح ذبيحة وقال الطوفي علي كل شي يحتمل ان علي بمعني
الي تقديره كتب الاحسان الي كل شي او في كل شي وكتب بمعني
اوجب نحو كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص اذا حضر
احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية ونحوه كثير ويشهد لذلك
قوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان وقوله عز وجل
واحسنوا ونحوه ثم قوله ان الله كتب الاحسان علي كل شي
هو قاعدة الحديث الكلية في التحقيق في الذبح والقتل علي
الحيوان اما الان سبب الحديث اقتضاه لانهم كانوا في
الجاهلية يذبحون بالمدي الكالة ونحوها مما يعذب الحيوان
ويمثلون في القطع كجذب الانوف وصلم الاذان
وقطع اليد والرجل فنهي عن ذلك لقوله احسنوا الذبحة
والقتلة واما انه ضرب ذلك مثالا للاحسان اتفاقا
لا عن مقتضي خصته بالذكر وقد بين فايدته قوله ليحد احدكم

شفرته

شفرته بقوله وليرح ذبيحته لان الذبح بالة كالة تعذب الذبيحة
فراحتها في الذبح بالة ماضية وكذلك يجب ان يقتص
بالة حادة فلو اقتص بالة كالة لم يعد مرعيا فلو سري به
القصاص ضمن لتفريطه ومن ثم قال النبي صلي الله عليه
وسلم من ولي القضا فقد ذبح بغير سكين اي عرض نفسه لعذاب
يجد فيه الما كالم الذبح بغير سكين او نحو هذا واعلم ان هذا
الحديث هو قاعدة الدين العامة فهو متضمن لجميعه لان
الاحسان في الفعل هو ايقاعه علي مقتضي الشرع او العقل
ثم الافعال التي تصدر عن الشخص اما ان يتعلق بمعاشه
او معاده والمتعلق بمعاشه اما سياسة نفسه وبدنه
او سياسة اهله واخوانه وملكه او سياسة باقي الناس
والمتعلق بمعاده **اما الايمان** وهو عمل القلب او الاسلام
وهو عمل البدن كما مر في حديث جبريل فاذا احسن الانسان
في هذا كله واتي به علي مقتضي الشرع فقد حصل علي كل خير
وسلم من كل شر ووفي بجميع عهد الشرع وقال النووي والقتلة
الذبحة بكسر اولهما لانهما من باب الهيئة كالجلسة والركبة
اي هيئة الذبح والقتل والجلوس والركوب وليحد بضم اليا
وكسر الحا وتشديد الدال يقال احد السكين وحدها واستحدها ها
بمعني قال الطوفي ويقال حد ايضا ثلاثيا والشفرة
المدية وهي السكين ونحو ما يذبح به سميت باسم شفرتها
وههنا تسمية للشي باسم جزءه ويقال اراح يريح

الراحة اذا جلب الراحة للمشي او تسبب الي حصولها الرحمة والذبيحة
اي المذبوحة فعيلة بمعنى مفعولة كانه قال الدابة الذبيحة
او يكون من باب غلبة الاسمية علي الوصفية قال الخطابي
كلاما معناه ان العلما لما كانوا ورثة الانبيا ومما ورثوا عن
الانبيا تعليم الناس كيفية الاحسان الي كل شي الهم الله عز
وجل الانبيا الاستغفار للعلما مكافاة لهم علي ذلك ومن ثم
قال النبي صلي الله عليه وسلم ان العالم يستغفر له من في السموات
ومن في الارض حتى الحيتان في جوف البحر وتفاصيل الاحسان
الي كل شي كثير لا تنحصر لكن نذكر منه شيا علي طريق ضرب المثل
كما قالوا لا تجاع الدابة ولا يحمل عليها شي ما تعجز عنه ولا تركب
واقفة الا لحاجة واذا ذبحت فلا يسلخ جلدها حتى تزهق
نفسها ولا تحد المدية وهي تراها ولا تولد علي ولدها ولا يحلب
منها ما يضر به ولا يشوي السمك والجراد حتى يموت ولا ينفر
شي عشا ونحو ذلك كثير واعلم ان الموجود اما قديم او
حادث والقديم لا حاجة به الي الاحسان اليه لاستغنايه بذاته
عما سواه والحادث اما عرض ولا يتاتي الاحسان اليه او جوهر
وهو اما جماد او نبات او حيوان والجماد فيما احسب كالعرض
لا يتاتي الاحسان اليه لعدم احساسه والنبات والحيوان
انسان او غيره يتاتي الاحسان اليه لاشتماله علي قوة النما
والحس ويعم الحديث الاحسان الي الملايكة والجن اما الملايكة
فباحسان عشرتهم بان لا يفعل بحضرة الحفظة ما يكرهون

ولا

ولا ياكل ما يتاذون بريحه كالثوم والبصل ولذلك قال النبي
صلي الله عليه وسلم ان الملايكة تتاذى مما تتاذى منه بنو ادم
وقال اني اناجي من لا تناجي يعني الملك واعلم ان الملايكة
يستغفرون لبني ادم كما ورد في التنزيل الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا
ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك وقهم عذاب الجحيم والملايكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن في الارض وقد كان بعض اهل العلم يقرا
القران ويسبح ويذكر الاذكار الشريفة ويهدي ثواب ذلك
ونذره لكل عبد لله عز وجل صالح في السموات والارض من ذكر
او انثى من ملك او جني او نبي او صديق او شهيد فينبغي لمن
وفق لفعل ذلك ان يفعل وقد صح لي عن بعض من كان يفعل
ذلك صحة قاطعة لا ريبة فيها انه نام يوما بعد هذا الذكر
واهدي ثوابه الي من ذكر فراي في منامه كانه عرج به الي السما
وانه خرج للقايه كل من فيها من الانبيا والملايكة وغيرهم
فكان يرى ان ذلك دليل علي انه يصل اليهم ما اهداه لهم
وانهم خرجوا للقايه مكافاة له علي ذلك واعلم ان ذكر الله عز
وجل عظيم وان قل لفظه فلا يكسل ان يقرا سورة الاخلاص
ثلاث مرات تعدل ختمة او يقول سبحان الله وبحمده او سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فان هذا احب
الكلام الي الله عز وجل كما ثبت في الصحيح ثم يقول اللهم صل علي

هذا الذكر واجعل ثوابي عليه هدية مني الي كل عبد لك صالح
في السموات والارض ولا يمنعك من هذا قول من لا يرى
وصول ثواب القران الي الميت احتجاجا بقوله عز وجل وان
ليس للانسان الا ما سعي فانه مذهب مرجوح بثبت ضعفه
في غير موضع [illegible] في الاية علي خلافه ومذهب احمد ان الحي اذا
تطوع بقربة واهدي ثوابها الميت مسلم نفعه ذلك وفي الحي
وجهان اصحهما ينفعه ايضا وهو موجب النظر اه كلام الطوفي
قلت مذهب ابي حنيفة واصحابه كما ذكره الشيخ فخر الدين
في شرح الكنز ان الانسان له ان يجعل ثواب عمله لغيره عند
اهل السنة والجماعة صلاة كان او صوما او حجا او صدقة
او قراءة القران والاذكار الي غير ذلك من جميع انواع البر
ويصل ذلك الي الميت وينفعه وقالت المعتزلة ليس له ذلك
ولا يصل اليه ولا ينفعه لقوله تعالي وان ليس للانسان الا
ما سعي وان سعيه سوف يرى ولان الثواب هو الجنة وليس
في قدرة العبد ان يجعلها لغيره ولا لنفسه فضلا عن غيره
وقال مالك والشافعي يجوز ذلك في الصدقة والعبا دة
المالية وفي الحج ولا يجوز في غيره من الطاعات كالصلاة
والصوم وقراءة القران وغيره ولنا ما روى ان رجلا سال
النبي صلي الله عليه وسلم فقال كان لي ابوان ابرهما حال
حياتهما فكيف لي ببرهما بعد موتهما فقال له عليه السلام
ان من البر بعد البر ان تصلي لهما مع صلاتك وان تصوم لهما

ع

مع صيامك رواه الدارقطني وعن علي رضي الله عنه ان
النبي صلي الله عليه وسلم قال من مر علي المقابر وقرا قل هو الله
احدى احد عشر مرة ثم وهب اجرها للاموات اعطي من الاجر بعدد
الاموات رواه الدارقطني وعن انس قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرا سورة [illegible] خفف عنهم
يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وعن انس انه سال
رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا نتصدق
عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم فهل يصل ذلك اليهم قال نعم
انه ليصل ويفرحون به كما يفرح احدكم بالطبق اذا اهدي اليه
رواه ابو حفص العكبري وعن معقل بن يسار انه قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اقرؤا علي موتاكم سورة
يس رواه ابو داود وعنه عليه السلام انه ضحي بكبشين
املحين احدهما عن نفسه والاخر عن امته متفق عليه
اي جعل ثوابه لامته وهذا تعليم منه عليه السلام
ان الانسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به هو الاستمساك
بالعروة الوثقى وروي عن ابي هريرة قال يموت الرجل
ويدع ولدا فيرفع له درجة فيقول ما هذا يا رب فيقول الله
تعالي استغفار ولدك ولهذا قال تعالي واستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات وما امر الله به من الدعا
للمومنين والمومنات والاستغفار لهم ومما ذكره في كتابه
العزيز من استغفار الانبيا والملايكة لهم حجة لنا عليهم

لان كل ذلك عمل الغير واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
فقد قال ابن عباس انها منسوخة بقوله تعالى والذين
امنوا واتبعناهم ذرياتهم الاية وقيل هي خاصة بقوم موسى
وابراهيم لانه وقع حكاية عما في صحفهما عليهما السلام بقوله
ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وقيل
اريد بالانسان هنا الكافر واما المومن فله ما سعى اخوه
وقيل ليس له من طريق العدل وله من طريق الفضل وقيل اللام
في الانسان بمعنى على كقوله تعالى وان اساتم فلها اي فعليها
وكقوله تعالى لهم اللعنة اي عليهم وقيل ليس له الا سعيه
لكن سعيه قد يكون بمباشرة اسبابه بتكثير الاخوان وتحصيل
الايمان حتى صار ممن ينفعه شفاعة الشافعين **واما** قوله
عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث
ليدل على انقطاع عمل غيره والكلام فيه وليس فيه شي مما له ح
يستبعد عقلا لانه ليس فيه الا حصول ما له من الاجر لغيره
والله تعالى هو الموصل اليه وهو قادر عليه ولا يختص ذلك
بعمل دون عمل والله اعلم قال الطوفي رحمه الله واما
الجن فقد ثبت وجودهم بالنصوص القاطعة وقد احسن
النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة وفدوا عليه فحملهم
واقدامهم بان جعل لهم كل عظم طعاما لهم وكل روثة وبعرة
علفا لدوابهم وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة
فاذا اتفق ظهورهم لاحد من الناس فينبغي ان يحسن اليهم بما
يليق

يليق بهم فاما الشياطين والمردة ونحوهم فينبغي الاحسان
اليهم بدعائهم الى الخير وترك الشر كما يدعى كافر الانس فان ابوا
فلا حظ لهم في الاحسان بل في الاساءة والهوان **واما** الحشرات
والهوام والسباع الموذية بالفعل او القوة فلا حظ لها في الاحسان
وهي مخصوصة من عموم هذا الحديث لقوله عليه السلام خمس فواسق
يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والفارة والحداة والكلب
العقور وقوله اقتلوا الابتر وذا الطفيتين فانهما يسقطان
الحبل ويطمسان البصر وفي شرح الاشبيلي قال ربيعة الراي
من الاحسان ان لا يذبح بهيمة والاخرى تنظر اليها **وحكى**
جوازه عن مالك والاول اولى **ونهى** رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن صبر البهايم وهو حبسها للقتل وغيره ولعن من
اتخذ شيا فيه الروح غرضا واصل الصبر الحبس وهذا النهي عن
ظاهره من التحريم ودليله لعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل
ذلك ومعنى الحديث لانه تعالى سبق من وعده بالاحسان
ان يعد لعبده بما صنع من قليل وكثير حتى انه اذا ذبح ذبيحة
فاحد مديته ولم يدعها كالة يعذب بها الحيوان لا يضيع له ذلك
والله اعلم

الحديث الثامن عشر

عن ابي ذر جندب بن جنادة رضي عنه وابي عبد الرحمن معاذ ابن
جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذي وقال حديث حسن

وفي بعض النسخ حسن صحيح الكلام عليه من وجوه احدها
ابو ذر المشهور جندب بن جنادة روي عنه انه قال انا رابع الاسلام
ويقال كان خامسا في الاسلام اسلم بمكة ثم رجع الى بلاد قومه
ثم قدم المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم روي له عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث واحد وثمانون
اتفقا منها على اثني عشر حديثا وانفرد البخاري بحديثين
ومسلم بسبعة عشر حديثا مات بالربذة سنة اثنين وثلاثين وصلى
عليه ابن مسعود ثم قدم المدينة فاقام بها عشرة ايام ومات
بعد عاشرة روي له الجماعة وهو احد النجبا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم روي علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم ما اظلت الخضرا ولا اقلت الغبرا من ذي لهجة اصدق
من ابي ذر وكان من زهاد الصحابة رضي الله عنه وكان يرى
ان من اوكا على صفرا او بيضا كوي بها يوم القيامة واما معاذ
ابن جبل الانصاري المدني فانه اسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة
وشهد بدرا والعقبة والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وسبعة
وخمسون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بثلاثة
ومسلم بحديث واحد روي عنه جماعة من البخاري روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال له والله يا معاذ اني لاحبك
فقال وانا احبك والله يا رسول الله قال فلا تدع ان تقول
في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

وروي

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ياتي يوم القيامة بين
يدي الصحابة ربوة هكذا ذكره صاحب الكمال وقال الجوهري
في حديث معاذ انه يتقدم العلما يوم القيامة بربوة اي بخطوة
ويقال بدرجة اه وزاد ابن الاثير في النهاية وقيل بميل
وقيل مد البصر وقال ابن فارس ربوة اي مسافة قال النووي
في التهذيب الربوة رمية بسهم وقيل بحجر وقال عبد الله بن
مسعود ان معاذا كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من
المشركين فقالوا يا ابا عبد الرحمن ان ابراهيم كان امة قال
سمعتموني ذكرت ابراهيم انا كنا نشبه معاذا بابراهيم
والذي نقله ابو بكر بن العربي نصه في احكام القران قال
ابن وهب وابن القاسم كلاهما عن ذلك قال بلغني ان ابن مسعود
قال يرحم الله معاذ بن جبل كان امة قانتا لله فقيل يا ابا عبد
الرحمن انما ذكر الله بهذا ابراهيم عليه السلام فقال ابن مسعود
ان الامة الذي يعلم الناس الخير وان القانت هو المطيع اه روى
عنه خلق من الصحابة والتابعين وكان ممن جمع القران في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه استقروا القران من اربعة
عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة وابي ومعاذ وعن
ابي قلابة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو
بكر وفيه واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل مات بناحية
الاردن في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن ثلاث
وثلاثين سنة وقيل اربع وثلاثين وقيل ابن ثمان وثلاثين وفيه

بنور بيسان في شرقيه وانما نسب الطاعون الى عمواس وهي قرية بين
الرملة وبين المقدس لانه اول ما بدا الطاعون منها قال ابو زرعة
عبد الرحمن بن عمرو البصري الدمشقي كان الطاعون سنة سبع
عشرة وثمان عشرة **الوجه الثاني** التقوى لفظه وجيزه وهي
مشتملة على خير الدنيا والاخرة لانها عبارة عن اجتناب كل المنهيات
وفعل كل المامورات وقيل تقوى الله تعالى ان لا يراك حيث
نهاك ولا يفقدك من حيث امرك ولهذا قال بعضهم لصاحبه
اذا اردت ان تعصي الله فاعصه حيث لا يراك او اخرج من
داره او كل غير رزقه وقال ابن عطا للتقوى ظاهر وباطن
فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والاخلاص وقيل يستدل
على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا
فيما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات **وقال** طلق بن حبيب
التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله
وعن ابي جعفر قال التقوى في الحلال المحض لا غير والمتقي مثل
ابن سيرين اشترى اربعين حبا من سمن فاخرج غلامه فارة
من حب فسأله من اي حب اخرجها فقال لا ادري فصبها كلها
ومثل ابي يزيد اشترى بهمذان حب القرطم ففضل منه شيء فلما
رجع الى بسطام رأى فيه نملتين فرجع الى همذان ووضع النملتين
ويحكى ان ابا حنيفة كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول
في الخبر كل قرض جر نفعا فهو ربا **وقيل** ان ابا يزيد غسل ثوبه
في الصحراء مع صاحب فقال صاحبه نعلق الثياب في جدران

الكرم

الكرم فقال لا تغرز الوتد في جدران الناس فقال نعلقه في الشجر
فقال لا انه يكسر الاغصان فقال نبسطه على الاذخر فقال
لا انه علف الدواب لا تستره عنها فولى ظهره الى الشمس والقميص
على ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الاخر وقيل
التقوى على وجوه للعامة تقوى الشرك وللخواص تقوى
المعاصي وللاوليا تقوى التوسل بالافعال وللانبيا تقواهم
منه اليه **وعن** ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
نظر الى محاسن امراة فغض بصره في اول مرة احدث الله له
عبادة يجد حلاوتها في قلبه **وقال** الفرغاني كان الجنيد جالسا
مع رويم والجريري وابن عطا فقال الجنيد ما نجا من نجا الا بصدق
اللجا قال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وقال رويم ما نجا من نجا الا بصدق
التقى قال الله تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال
الجريري ما نجا من نجا الا بمراعاة الوفا قال الله تعالى الذين
يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال ابن عطا ما نجا
من نجا الا بتحقيق الحيا قال الله تعالى الم يعلم بان الله يرى
قال القشيري رحمه الله ما نجا من نجا الا بالحكم والقضا قال
الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال العلما من كان
متقيا فقد حصل له خيري الدنيا والاخرة وبيان هذه الجملة
ما ذكر الله تعالى في كتابه من ذلك اعني مما يتضمن خير الدنيا
والاخرة من ذلك المدحة والثنا قال الله تعالى وان تصبروا

وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ومنها الحفظ والحراسة من الاعدا
قال تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا ومنها
التاييد والنصرة قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون وقال الله تعالى والله مع المتقين ومنها النجاة من
الشدايد والرزق من الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها اصلاح العمل قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم
اعمالكم ومنها غفران الذنوب قال تعالى يغفر لكم ذنوبكم ومنها
نفل النور قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به
ومنها الدرجة العليا والغاية القصوى وهي محبة الله عز وجل
قال الله تعالى ان الله يحب المتقين ولو لم يكن في التقوى سوى
هذه الخصلة لكفت عما عداها ومنها القبول قال الله
تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومنها الاكرام والاعزاز قال
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ومنها البشارة عند الموت
قال تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة
الدنيا وفي الاخرة ومنها النجاة من النار قال تعالى ثم ننجي
الذين اتقوا وسيجنبها الاتقى ومنها الخلود في الجنة قال
تعالى اعدت للمتقين ولقد احسن القايل

من عرف الله فلم تغنه • معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى • والعز كل العز للمتقي

واعلم

واعلم ان حصول التقى لا يتصور الا بالعلم لان الجاهل لا يعلم
كيف يتقي لا من جانب الامر ولا من جانب النهي فظهر بذلك
شرف العلم وفضيلته على كل عبادة فعليك بالعلم ان اردت ان
تكون من عباد الله المتقين فان قلت ما حد العلم الذي يصل
به الى التقوى والذي هي متوقفة عليه قلت هو فرض العين
وذلك ان كل ما لزم الانسان في خاصة نفسه لزمه علم ذلك
الحكم الذي لزمه من طهارة وصلاة وزكاة ان كان له
مال يزكى وصيام وحج ان كان مستطيعا وكذلك ان احتاج
الى شراء سلعة لزمه ان يعلم حكم البيع كي لا يقع في الربا ونحو ذلك
مما هو من ضرورات الانسان في خاصة نفسه وهذا لا اعلم في
وجوبه خلافا بين العلما فلا يجوز لمن لم يتصف بعلم ذلك ان
يدعي انه متق لله تعالى ضرورة كونه جاهلا باحكام الله
تعالى المفروضة عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله
بشيء افضل من فقه في دين وقال من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين وما شبهه والله اعلم الا هذا اعني معرفة فرض عينه واداء
ما وجب عليه على الوجه الشرعي مع ما يضاف الى ذلك من
المندوبات والنوافل الموجبات محبة الله تعالى حيث يقول
ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث فيسال
الله تعالى التوفيق والهداية الى قوم طريق الثالث قوله
عليه السلام واتبع السيئة الحسنة تمحها هذا موافق لقوله
تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات جاء في حديث ابن مسعود

رضي الله عنه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءه رجل فقال يا رسول الله اني اصبت حدا فاقمه علي فاعرض
عنه ثم كرر ذلك مرارا وهو يعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم
قال يا رسول الله انه اتتني امراة اجنبية تشتري مني تمرا
فادخلتها البيت فاصبت منها ما يصيب الرجل من امراته غير اني
لم اجامعها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وضوءا
حسنا فتوضأ وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات الآية فقال له معاذ يا رسول الله
هذا له خاصة ام للناس عامة فقال للناس عامة **وفي الحديث**
ايضا ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يغدو الى مسجد من هذه
المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها
درجة ويحط بها عنه سيئة قال ابن الفاكهاني تنبيه انظر
هل محو السيئات حقيقة بحيث تمحى من الصحيفة بعد كتبها وهو
ظاهر الحديث اذ الاصل الحقيقة او يكون المحو قد عبر به عن ترك
المؤاخذة وتكون السيئات على حالها لم تمح الى يوم القيامة
وهذا الذي نقله القرطبي رحمه الله قلت في هذا الحديث
دليل على وجوب معالجة كل ذنب بالتوبة وروى ابن ابي
شيبة عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صاحب اليمين امير على صاحب الشمال فاذا عمل العبد
حسنة كتب بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال
ان يكتبها قال صاحب اليمين امسك فيمسك ست ساعات

او

او سبع ساعات فان استغفر الله منها لم يكتبها عليه وان لم يستغفر
الله كتبها عليه سيئة واحدة واعلم ان التوبة واجبة من كل سيئة لقوله
تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا قال عمر بن الخطاب هو الرجل
يعمل الذنب ثم يتوب فلا يريد ان يعمل به ولا يعود وعن ابن
مسعود التوبة النصوح ان يتوب العبد من الذنب ثم
لا يعود اليه ابدا **وفي الحديث** الندم توبة وقال الحليمي رحمه
الله حد التوبة القطع للمعصية في الحال ان كانت دائمة والندم
على ما مضى والعزم على ترك العود اليها تعبدا لله تعالى وتقربا
بذلك اليه وان لم تكن المعصية دائمة فالندم على ما مضى والعزم
على ترك العود اليها ثم ان كان الذنب ترك الصلوة فان
التوبة لا تصح حتى تنضم الى الندم قضاء ما فات منها وهكذا ان
ترك صوما او تفريطا في زكاة ان كان الرجل مثريا فان كان
ذلك قتل نفس بغير حق فان يمكن في القصاص ان كان عليه وكان
مطلوبا به فان عفي عنه بمال وكان واجدا له فان يؤدي ما عليه
وان كان قذفا يوجب الحد فان يبذل ظهره للحد ان كان مطلوبا
به فان عفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص
وان كان حدا من حدود الله تعالى فانه اذا تاب الى الله تعالى
بالندم الصحيح قبل ان يرفع الى الامام سقط عنه الحد وان رفع
الى الامام ثم قال تبت لم يسقط عنه الحد ويسقط الكلام
فيه وان كان الذنب من مظالم العباد فلا يصح التوبة منه الا باداء

الواجب عينا كان او دينا مادام مقدورا عليه فان لم يكن مقدورا
عليه فالعزم على ان يوديه ان قدر في اعجل وقت واسرعه وتصح التوبة
في كبيرة يتوب عنها دون اخرى من غير جنسها لم يتبعها كما يصح
اقامة الحد عليه لاجلها وان كان عليه حد اخر من غير جنسه وعن
ابي قلابة قال ان الله عز وجل لما لعن ابليس سال له النظرة
فقال وعزتك لا اخرج عن صدر عبدك حتى تخرج قال وعزتي
لا احجب توبتي عن عبدي حتى تخرج نفسه او قال روحه قلت
اذا ذكرت الفحش بلسانك فاتبعه التسبيح يمحه واذا اتيت
المعصية بجوارحك فاتبعها بالصلاة تمحها فكلما اتبعت جنس
الذنب بجنسه من التوبة كان اسرع لمحوه وفقنا الله تعالى لمعاجلة
كل ذنب بالتوبة انه سميع قريب الوجه الرابع قوله صلى الله عليه
وسلم وخالق الناس بخلق حسن قال الجوهري الخلق السجية
يقال خالق المومن وخالق وفلان يتخلق بغير خلقه اي يتكلفه
قال الشاعر •

ان التخلق ياتي دونه الخلق • وقد فسر حسن الخلق بطلاقة الوجه
وكف الاذى وبذل المعروف ذكره الترمذي وغيره قال الطوفي
والاشبه تعريفه بان يحب للناس ما يحب لنفسه وياتي اليهم
ما يحب ان يوتى اليه ففي ذلك اعني معاشرتهم بخلق حسن اجتماع
القلوب وانتظام الاحوال وكف السنتهم والكفاء شرهم
وذلك جماع الخير وملاك الامر ان شاء الله تعالى اهـ وقال
الحليمي رحمه الله معنى حسن الخلق سياسة النفس نحو الارفق

الاحد

نفسه

بلغ مقابلته

الاحمد من الافعال وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى وقد يكون
فيما بين الناس وهو في ذات الله عز وجل ان يكون العبد منشرح
الصدر باوامر الله ونواهيه يفعل ما فرض عليه طيب النفس به
سلسا نحوه وينتهي عما حرم الله عليه واسفا به غير متضجر منه
ويرغب في نوافل الخير وترك كثير من المباح لوجه الله تعالى
اذا راى ان تركه اقرب الى العبودية من فعله مستبشرا لذلك
غير ضجر منه ولا متعسر به وهو في المعاملات بين الناس ان يكون
سمحا بحقوقه لا يطالب غيره بها ويرفق فيما يجب لغيره عليه
منها فان مرض فلم يعد او قدم من سفر فلم يزر او سلم فلم يرد عليه
او ضاف فلم يكرم او شفع فلم يجب او احسن فلم يشكر او دخل
على قوم فلم يمكن له او تكلم فلم ينصت له او استاذن على صديق
فلم ياذن له او خطب فلم يزوج او استمهل الدين فلم يمهل او استنقص
منه فلم ينقص وما اشبه ذلك فلم يغضب ولم يعاتب ولم يتنكره
من حاله ولم يستشعر في نفسه انه قد جفي واوحش وانه لا يقابل
كل ذلك اذا وجد السبيل اليه بمثله ثم يضمر انه لا يعتد بشيء من
ذلك ويقابل كلا منه بما هو احسن وافضل واقرب الى البر والتقوى
واشبه بما يحمد ويرضى ثم يكون في ايفاء ما يكون عليه كهو في
حفظ ما يكون له فاذا مرض اخوه المسلم عاده وان جاءه في شفاعة
شفعه وان استمهل لقضاء دين امهله وان احتاج
منه الى معونة اعانه وان استسمحه في بيع سمح له ولا ينظر
الى الذي يعامله كيف كانت معاملته اياه فيما خلا وكيف

البه

يعامل الناس بما يجد لاحسن اما ما لنفسه فيمحو اخوه ولا يجالفه
والخلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مكتسبا وانما يصح اكتسابه
لمن كان في غريزته اصل فيه فهو يضم باكتسابه اليه ما يتممه وقد علم
في العادات ان ذا الراي يزداد بمجالسة اولي الاحلام والنهى
رايا وان العالم يزداد بمخالطة العلما علما فلا ينكر ان يكون
ذو الخلق الجميل يزداد حسن الخلق بمجالسة اولي الاخلاق
الحسنة وفي الحديث اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا وخياركم
خياركم لنسائه وفيه احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة
احاسنكم اخلاقا وابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة
اساوكم اخلاقا وعن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله تعالى يبلغ بحسن الخلق درجة الصايم القايم وعن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل رجلان
الجنة صلاتهما واحد وصيامهما وحجهما وجهادهما واصطناعهما عنهما
الخير واحد ويفضل احدهما على صاحبه بحسن خلقه بدرجة كما بين
المشرق والمغرب وفي الحديث ما من شيء اثقل في الميزان من
حسن الخلق وعن ابي هريرة قال سيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن اكثر ما يلج به الانسان النار قال الاجوفان
الفم والفرج وسيل عن اكثر ما يلج به الناس الجنة قال
تقوى الله وحسن الخلق وفي الحديث خصلتان لا يكونان
في مومن سوء الخلق والبخل وعن جابر قال قالوا يا رسول
الله ما الشوم قال سوء الخلق وعن ابن عباس قال قال

موسى

موسى صلى الله عليه وسلم يا رب امهلت فرعون اربعماية سنة
وهو يقول انا ربكم الاعلى ويكذب بانبيايك ورسلك فاوحى
الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت ان
اكافيه وقال ذو النون علامة اهل الجنة خمس وجه حسن
وخلق حسن وقلب رحيم ولسان لطيف واجتناب المحارم
وعلامة اهل النار خمس سوء الخلق وقلب قاس وارتكاب
المعاصي ولسان غليظ ووجه عابس وفي الصحيحين عن
عايشة ام المومنين رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امرين الا اخذ ايسرهما ما لم يكن اثما فاذا
كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وعنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
خادما قط ولا امراة ولا ضرب بيده شيا قط الا ان يجاهد
في سبيل الله رواه مسلم وعن انس قال خدمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما ارسلني في حاجة قط
فلم تتهيا الا قال لو قضي لكان ولو قدر لكان وعن
علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ادلكم على اكرم اخلاق الدنيا والاخرة ان تعفوا عمن
ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وعن
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله تبارك وتعالى الخلايق

يوم القيامة نادي منادٍ أين اهل الفضل فيقوم ناس وهم
يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملايكة
فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظُلمنا صبرنا
واذا اسيئ الينا عفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا
الجنة فنعم اجر العاملين وعن انس قال سمعت رسول الله صلي
الله عليه وسلم يقول لا يستكمل العبد الايمان حتى يحسن خلقه
ويشفي غيظه وان يريد للناس ما يريد لنفسه لقد دخل
الجنة بغير اعمال قيل بم دخولها يا رسول الله قالوا بالنصيحة
لاهل الاسلام وسماحة الصدور وروي عن مجاهد في قوله
تعالي واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا اوذوا صفحوا قال
البيهقي ويدخل في حسن الخلق لين الجانب وسلامة الصدر
ورويناه في البخاري عن جابر بن عبد الله قال قال رسول اذا باع سمحا
الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا سمحا اذا اشتري سمحا
اذا اقتضى وفي رواية سهلا وعن انس ابن مالك قال ان كانت
الامة من اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتنطلق به في حاجتها وفي حديث بن ابي اوفى ولا يانف
ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته وعن انس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح رجلا لم ينزع
يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه
من وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرف ولم يُر مقدما
ركبتيه بين جليس قط ومن حسن الخلق تواضع النفس

وترك الزهو والصلف والخيلا والفخر وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر يا ايها الناس تواضعوا
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه صغير وفي اعين الناس
كبير ومن تكبر وضعه الله فهو في اعين الناس صغير وفي
نفسه كبير حتى لهو اهون عليهم من كلب او خنزير وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من آدمي الا وفي راسه سلسلتان سلسلة في السماء وسلسلة
في الارض فاذا تواضع العبد رفعه الملك الذي بيده
سلسلة الى السما واذا تجبر جذبته السلسلة التي في الارض
ذكر ذلك البيهقي قال الطوفي رحمه الله تعالي وما يتعلق
بالحكم الاول وهو التقوى انها مذكورة في قوله عز وجل
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الاية
ثم قال الله عز وجل الا ان اوليا الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون فيقول من
اتى بما في الاية الاولي من الايمان والاسلام فهو متقي
والمتقي ولي الله عز وجل فمن اوتي بما في الاية الاولي فهو ولي
الله عز وجل فصار معنى قوله عليه السلام اتق الله حيث
ما كنت تكن وليا لله بتقواك اياه وفيه دليل على ان
الولاية مكتسبة والا لم يصح الامر بها ويجي في النبوة مثل ذلك
لان النبوة ولاية خاصة كاملة لكن الجمهور على انها ما هو هبا

من الله عز وجل فهي تبتان على زكا النفس وصلاح العمل كالرزق
اوهو من فضل الله عز وجل وهو مرتب على الاسباب والاكتساب
التي جرت بها العادة في حصول الرزق وكما قال الله تعالى
فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه [illegible] وجعلنا منهم ايمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقال عز وجل انهم كانوا يسارعون في
الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين يعني
الانبيا المذكورين في سورتهم على ما من به عليهم عما دعنهم
الى الخيرات وما بعده ومن شعر ابي الدردا رضي الله عنه في التقوى

يريد المرء ان يعطى مناه ۝ ويابى الله الا ما ارادا ۝
يقول المرء فايدتي ومالي ۝ وتقوى الله افضل ما استفادا ۝

وقوله رواه الترمذي قال الشيخ تقي الدين في شرح خطبة
الامام ابي عيسى الحافظ الضرير احد الايمة الذين يقتدى
بهم في علم الحديث مصنف كتاب الجامع والتواريخ والعلل يضرب
به المثل في الحفظ قال ابو عيسى كنت في طريق مكة وكنت قد كتبت
جزأين من احاديث شيخ فمر بنا ذلك الشيخ فسالت عنه فقالوا فلان
فذهبت اليه وانا اظن الجزأين معي وحملت معي في محملي جزأين
كنت اظن انهما الجزآن اللذان له فلما ظفرت به وسالته
اجابني الى ذلك اخذت الجزأين واذا هما بياض فتحيرت فجعل
الشيخ يقرا علي من لفظه ثم ينظر الي وورق البياض في يدي
فقال اما تستحي مني قلت لا وقصصت عليه القصة وقلت
احفظه كله فقال اقرا فقرات جميع ما قرا علي اولا فلم يصدقني

وقال

١٤٤

وقال استظهرت قبل ان تجي فقلت حدثني بغيره فقرا علي اربعين
حديثا من غرايب حديثه قال هات اقرا فقرات عليه من اوله
الى اخره كما قرا فما اخطات في حرف منه فقال لي ما رايت مثلك
توفي بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضت
من رجب سنة تسع وسبعين ومايتين كذلك ذكر الامام ابو
نصر ابن رفانه قال الشيخ وما قاله بعض الحفاظ من انه توفي
بعد الثمانين فليس بشي والمشهور في التاكسها وحكى السلف
الضبي قال ابو علي بن منصور بن عبد الله الخالدي صنف
ابو عيسى هذا الكتاب يعني المسند الصحيح فعرضه على علما اهل
بغداد فرضوا به وعرضه على علما العراق فرضوا به وعرضه على علما
خراسان فرضوا به ومن كان في بيته هذا الكتاب فكانما في بيته
نبي يتكلم قال الشيخ وكتابه على اربعة اقسام قسم صحيح
مقطوع وهو ما وافق فيه البخاري ومسلما وقسم على شرط
ابي داود والنساي وقسم اخرجه للضد وابان علته وقسم
رابع ابان عنه وقال ما اخرجت في كتابي هذا الا حديثا قد عمل
به بعض الفقها وهذا شرط واسع فانه على هذا الاصل كل حديث
احتج به محتج او عمل به عامل سوا صح طريقه وقد ازاح عن نفسه
الكلام فانه شفى في تصنيفه لكتابه وتكلم على كل حديث بما
فيه وظاهر طريقته ان ترجم الباب الذي فيه حديث
مشهور عن صحابي قد صح الطريق اليه واخرج من حديثه في
الكتب الصحاح فيورد في الباب من حديث صحابي لم يخرجوه

او لم يصح لخطر نفسه

من حديثه ولا يكون الطريق اليه كالطريق الى الاول لان الحكم صحيح
ثم يتبعه بان يقول وفي الباب عن فلان وفلان ويعد جماعة
فيهم الصحابي والاكثر الذي اخرجا ذلك الحكم من حديث وقل ما
يسلك هذه الطريقة الا من ابواب معدودة قال ابو يوسف
ابن احمد شارك ابو عيسى البخاري ومسلما في كثير من مشايخهما
ورزق الرواية عن اتباع الاتباع وكتب عنه امام الصنعة محمد
ابن اسماعيل البخاري وحسبه بذلك فخرا قال الشيخ اما ما ذكره
من روايته عن اتباع الاتباع فيقتضي ذلك ان يكون الحديث
ثلاثيا ولا نعلم له ذلك الا في حديث واحد واما ما ذكره من كتابة
البخاري عنه فهو حديثه عن علي بن المنذر عن محمد بن فضيل عن
سالم بن ابي حفصة عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعلي لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري
وغيرك قال علي بن المنذر قلت لضرار ابي صرد ما معنى هذا
الحديث قال لا يحل لاحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك قوله
وقال الحديث حسن صحيح قال الطوفي هو مشكل على اصطلاحه
لانه قد ذكر في كتاب العلل من جامعه انه يريد بالحسن ما ليس
في اسناده من يتهم بالكذب فلا يكون شاذا ويروى مع ذلك
من غير وجه والصحيح عنده وعند غيره ما رواه العدل الضا
بط عن مثله الى منتهاه ثم ان الترمذي كثيرا ما يقول في
كتابه هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا
الوجه وهذا ينافي اشتراطه في الحسن ان يكون قد روي من غير

وجه

وجه والذي اجيب به عن قول الترمذي حسن صحيح فيما يعلم وجهان
احدهما ان معناه انه حسن باسناده صحيح باسناد اخر وما ذكرناه
من قوله حسن صحيح غريب يبطل هذا الجواب **والجواب الثاني**
ان قوله حسن يريد به الحسن اللغوي وما يوافق القلب وتهواه
النفس وهو باطل بان الترمذي فسر الحسن بغير ذلك وهو
ما ذكرناه وبان من احاديثه ما ليس حسنا باعتبار اللغة نحو من
نوقش الحساب عذب واشباهه من نصوص الوعيد فانها
لا توافق القلب ولا تهواه النفس بل تجد منها كربا والما
من الخوف والصواب في ذلك ما اشار اليه بعض العلما وهو ان
الحسن قسم من الصحيح لكن الي[illegible] قسمية قلت وبيانه ان مدار
الرواية على عدالة الراوي وضبطه فان كان مبرزا فيهما
كشعبة وسفيان ويحيى القطان ونحوهم فحديثه صحيح وان كان
دون المبرز فيهما او في احدهما لكنه عدل ضابط بالجملة فحديثه
حسن هذا اجود ما قيل في المكان اه كلام الطوفي وفيه نظر لان
هذا الذي اشار اليه بعض العلما لا يرفع الاشكال على
التفسير الذي فسر به الترمذي الحسن ويرد على هذا ما يرد على الجواب
الثاني والله اعلم

الذي صح

الحديث التاسع عشر

عن ابي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال
لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله

تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله
واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك
الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم
يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت
الصحف رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية
غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا
يعرفك في الشدة واعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما
اصابك لم يكن ليخطئك واعلم ان النصر مع الصبر وان
الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا الكلام عليه من وجوه
احدها قال الامام ابو العباس احمد بن معد الاقليشي في شرح
الشهاب حقيقة الحفظ صيانة المحفوظ ان يصل اليه اذى
وضده التضييع فقوله احفظ الله اي احفظ دين الله من
التبديل والتضييع فانك متى فعلت هذا حفظك الله من
الآفات ويحتمل ايضا ان يريد بقوله احفظ الله اي اجعله
بمرأى منك ومراقبه ولا تنسه يحفظك اي ينزلك من نفسه
بالمنزلة التي انزلته من نفسك على طريق المجازاة وكل هذا
بين لان المراد من هذا كله رعاية حق الله ليفوز العبد بثواب
الله فتدور الالفاظ كلها على هذا المعنى وقوله احفظ الله تجده
امامك معناه تجده سابقا لك بالحفظ ومتقدما عليك
به فما يفعل العبد خيرا الا وجازاه على ذلك الخير مكتوب
له مع تقدير الخير قبل فعل الخير فمقادير الله متقدمة على افعال

العباد

العباد والله امام كل شيء ويحتمل ان يكون المعنى احفظ الله
تجده امامك اي اجعله بمرأى منك يواجهك نوره وبره
ورحمته بخلاف من قال فيهم واتخذتموه وراءكم ظهريا فمن قابل
الله بطاعته قابله بكرامته ومن اعرض عنه تباعد الله منه
وقوله صلى الله عليه وسلم تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة
امهد لك ليكون الباعث المعين على طاعة الله نفس الامر
لا غرضا من اغراض النفس لانه من انعم الله عليه بالرخا والعا فية
فغفل عنه ونسيه فاذا اصابته ازمة وبلية دعاه وعبده دل
على ان رجوعه اليه لضرورة نفسه لا رغبة في عبادته اللهم
الا ان يتذكر فيجعلها توبة ويعلم الله الصدق من قلبه والبراءة
بالكلية عن ذنبه والاقبال بكنه الهمة على ربه فهذا متقرب
اليه بالعبادة الصحيحة لا بحسب الضرورة فمن الحق ان يستوي
حال الانسان مع الله شدة ورخاء ويبذل له نفسه بالعبادة
في كليهما قربة وسخاء فهذا الذي يصعد دعاه الى ذروة الملكوت
واما من دعاه في الشدة للضرورة فدعاؤه ممقوت كانه ملوح
الا لحاجته اليه وضرورته اوليس المسكين قائما به ومحتاجا اليه
في كل حال لانه في حكم الرخا وحكم الشدة سيان ولكن الجهل لا يعرف
الانسان وقد قال تعالى في المصنف الحوان دعوا الله مخلصين
له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم
اذا هم يبغون في الارض بغير الحق وهذا حال كثير من الخلق فلذ لك
قال عليه السلام تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة ومعنى تعرف

البراي اكتب الطاعة في الرخا فتكون معروفا عنده بذلك فحي
يعرفك في الشدة طايعا فيسمع دعاك ويجيب ندايك فان لم
تكتب الطاعة في الرخا وكلك الى نفسك في الشدة والمراد
بالشدة هنا جميع شدايد الدنيا والاخرة التي يضطر الانسان
فيها الى ربه ويسالم ان يكشفها عنه **وقوله** صلى الله عليه
وسلم اذا سالت فسل الله معناه يخرج على وجهين **احدهما**
اذا اردت سوال حاجة فسلها من الله وحده ولا تقصد
فيها غيره **والثاني** اذا سالت مخلوقا حاجة فليكن مقصدك
بها الله واجعله آلة مصرفة فلا تعتقد يجلب لك
منفعة امرا ويدفع عنك مضرة ففي الوجه الاول يخرج على
الندب بالتزام الطريق الاكمل لانه لا يقصد في حوايجه غير الله
فهو افضل ولكنه لم يخرج عليه سوال الحوايج من المخلوقين
بشرط ان لا يرى بايديهم منفعة ولا مضرة فلذلك يخرج
في الوجه الثاني على الامر على الحتم اذ في اعتقاد المنفعة والمضرة
من المخلوقين شرك **قوله** واذا استعنت فاستعن بالله
معنى هذا ايضا ليكن استعانتك بالله وحده والعون يكون
من الله للعبد عند ارادة الفعل فتكون به استطاعته
على ايقاع ذلك الفعل فان حرم العون لم يكن له استطاعة
عليه **قوله** واعلم ان الامة الى اخره المراد بالامة هنا جميع من
في الوجود من موجود من ملك وفلك وجن وانس وكل ذي
روح وحي فهولاء كلهم لو اجتمعت اغراضهم على ايصال

منفعة

منفعة قدر الله انها لا تصل اليك او دفع مضرة قدر الله ان تصل
لم يمكن ذلك وهذا اخر كلامه **قوله** صلى الله عليه وسلم رفعت الاقلام
قال الطوفي اي تركت الكتابة بها لرفع الامر وابرامه وجفت الصحف
بالجيم اي فرغ من الامر وجفت كتابته لان الصحيفة حال
كتابتها لا بد وان تكون رطبة المداد وبعضه بخلاف ما اذا فرغ
منها **قوله** واعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك الى اخره امر
بالتسليم لله في كل ما يجري على العبد من خير او شر وبين ان
الاعطا والمنع من الله تعالى فمن وصل اليه امر فقد كان ذلك
الامر مقسوما له ومقدرا عليه ان يصل اليه فلا سبيل ان
يتجاوزه الى غيره ولا ان يرتفع عنه بل لا بد له منه وكذلك ان لم
يتوجه اليه امر فلا سبيل ان يوجهه اليه احد اذ لم يقسم له
فالامور هنا تابعة للمقادير المقضية في ام الكتاب ولا سبيل
الى اختراع اسباب ولا استجلاب امر لم يقدر باكتساب **قوله**
واعلم ان النصر مع الصبر من مكاره النفوس اذ معناه حبسها	الصبر
عما تحبه او على ما تكرهه واذا غلبت بالصبر واذعنت اتاها
النصر معجلا او موجلا **وقوله** وان الفرج مع الكرب اعلم بان
حال الدنيا لا يدوم فما من كربة الا ويعقبها فرج معجل اما بطريان
ضدها في الحياة واما بالانفصال عنها بالموت الذي ياتي في
اقرب وقت **وقوله** وان مع العسر يسرا اخبر هنا ان بازاء كل عسر
يسرا **وفي الموطا** عن عمر رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين
وروى مالك عن نافع عن ابن عمر قال سيل ابن عباس عن هذه

الاية وكان تحته كنز لهما قال خرج لوح من ذهب مكتوب فيه
بسم الله الرحمن الرحيم احمد رسول الله عجبت لمن يعلم انه ميت
كيف يفرح وعجبت لمن ايقن ان القدر حق كيف يحزن وعجبت
لمن راي الدنيا وتقلبها باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن
اليها يا ابن ادم عش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت من
فانك لاقيه واحبب من شئت فانك مفارقه

قال ابن الفاكهاني سؤال وتنبيه ان قلت كيف الجمع بين قوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما لا يريده تعالى لا يكون
ولا يقع اجماعا من اهل السنة فدل على عدم وقوع العسر ضرورة
كونه تعالى لم يرده وقوله تعالى فان مع العسر يسرا وهذا يدل
قطعا على وقوع العسر وكلام الله تعالى لا تناقض فيه ولا
اختلاف ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا قلت الجواب وبالله التوفيق ان المراد بالعسر
في الاية الاولى غير المراد في الثانية والمراد في الاولى بيان العسر
في الاحكام لا غير بينه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله عليه السلام بعثت
بالحنيفية السمحة مع ان صدر الاية تدل على ذلك وهو قوله
تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر واما الاية
الثانية فالمراد بالعسر فيها العسر في الارزاق والاكساب
دون الاحكام والله اعلم

الحديث الموفي عشرين

عن

عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري البدري رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس
من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت الكلام عليه
من وجوه احدها عقبة بن عمرو بن ثعلبة ابن اسيرة قال صاحب
الكمال بفتح الالف وكسر السين ابن عسيرة بفتح العين وكسر السين
ابن عطية ابن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج كذا نسبه ابن الكلبي
وابن سعد وتابعهما ابن عبد البر والجمهور انه لم يشهد بدرا وانما
نزلها وهو الاصح عندهم وذهب بعضهم الى انه شهدها منهم البخاري
ومسلم وذكره البخاري في البدريين شهد ابو مسعود هذا العقبة
مع السبعين وكان اصغرهم وقيل انه جابر كان اصغرهم وشهد ابو
مسعود احدا وما بعدها من المشاهد سنة احدى او اثنتين واربعين
وقيل في اخر خلافة معاوية وقيل في خلافة علي رضي الله عنه وقيل
توفي بعد الستين والقولان الاخيران ضعيفان روي له عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وحديثان له منها في الصحيحين
سبعة عشر حديثا اتفقا على تسعة احاديث وللبخاري حديث
واحد ولمسلم سبعة روي له الجماعة قال الاقفهسي رحمه الله
قوله عليه السلام ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى
اي مما نطق الناس به فكان شبيها لكلام النبوة في الحقيقة لان
الانبيا كلهم بعثوا بخلق الحيا اذ هو شعبة من شعب الايمان
فكان قول الناس اذا لم تستح فاصنع ما شئت مبنيا على قاعدة
بعث الانبيا بها ويدل الحديث على ان هذا الكلام قديم اذ سار في

ري

ونزل الكوفة وابتنى بها دارا وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة

الناس اسبار المثل وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل
ان يكون شايعا قبل عصره وانتقل الى زمنه وجري على السنة
صحبه فلما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم علم انه موافق لكلام
النبوة ويحتمل ان يكون نشا في صحبه ولم يكن لم تقدم في ذلك
وقوله اذا لم تستحي فاصنع ما شيت خرج هذا الامر مخرج التعظيم
لشان الحيا ولم يخرج الامر على معنى اباحة فعل ما نشا بل هو كقوله
تعالى اعملوا ما شيتم الا انه في ضمن قوله التهديد بالعاقبة السيئة
التي تدركم في قوله فاصنع ما شيت من خير او شر فان صنعت خيرا
فكانك لم تصنعه في جانب ما ضيعت من خير الحيا وان صنعت
شرا فهو يسير في جانب ما عدمت من الحيا هذا مهما احرجنا قوله
اصنع ما شيت اي ما تهواه نفسك من الرذايل لانه لا مانع لها
عن فعل السوء اذ الحيا هو الزاجر للنفس عن الاسواء فاذا ارتفع
الحيا صنعت النفس ما تهوي والمعنيان صحيحان وخارجان
عن موضوع اللسان قال فتامل هذا فانه لطيف جدا وقيل معناه
اذا لم تصنع شيا تستحي فيه استحييت منه فاصنع ما شيت كانه
يقول جميع علمك حسن جميل اذا ذكره الشمنطاري في كتابه
الكبير وخرج ابن ابي شيبة عن ابي مسعود الانصاري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخر ما كان من كلام النبوة
اذا لم تستحي فاصنع ما شيت قال ابن وضاح معناه ان اخر ما ادركه
اهل الجاهلية من كلام النبوة هذا اه كلامه وقال النووي
وعلى هذا مدار الاسلام قال الطوفي لان افعال الانسان جميعها

التوبيخ من شيء فتداركه وهو عدم الحيا ولذلك يقدر هنا فاصنع ما شيت صح

اما

اما ما يستحيي منه واما ما لا يستحيي منه فالاول يشمل الحرام والمكروه وتركهما
هو المشروع والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعلها مشروع
في الاولين جايز في الثالث وهذه هي احكام الافعال الخمسة التي تضمنها
الحديث لم يشهد بها شيء مثبت انه عليه مدار الاسلام وقال ابن
الفاكهاني لا شك ان الحيا من الخصال الشريفة والصفات
المنيفة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم الحيا خير كله الحيا لا ياتي
الا بخير لكن لا ينبغي ان يغلب عليه الحيا حتى يستحيي فيما يضره من امر
دينه او امر دنياه اما امر الدين فمثل ان يؤدي به الحيا الى ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك واما امر الدنيا فمثل ان
يابى من يطلب منه قرضا وهو يعلم سوء معاملته او يستعير
دابة منه وهو يعلم انه لا يرفق بها بل يجهدها ونحو ذلك فيمنعه الحيا
من حرمانه فهذا حيا ليس بمحمود من الحيا غير المحمود الحيا في العلم حتى
يودي به ذلك ان يشكل عليه مسيلة مهمة في الدين فيودي
به الحيا الى ترك السوال عنها فهذا ايضا مذموم وقد مدحت
عايشة رضي الله عنها نساء الانصار فقالت نعم النسا نساء
الانصار لم يمنعهن الحيا ان يسالن عن امر دينهن اهم وقالت
ام سليم رضي الله عنها يا رسول الله ان الله لا يستحيي من الحق فهل على
المراة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رات الماء وفي بعض
الاحاديث ان دينا هذا لا يصلح لمستحي ولا لمتكبر فيحمل على الحيا
المذموم كما تقدم لا مطلق الحيا كيف وقد جاء انه صلى الله عليه
وسلم كان اشد حيا من البكر في خدرها وفي الحديث الايمان بضع

وسبعون شعبة والحيا شعبة من الايمان وان كان المراد بالايمان
هنا الاعمال على ما قيل قالوا والحيا انقباض وخشية يجدها الانسان
من نفسه عند ما يطلع منه على ما يستقبح ويذم عليه واصله
غريزي في الفطرة ومنه مكتسب للانسان وهذا المكتسب هو
الذي جعله الشرع من الايمان وهو الذي يكلف به واما الغريزي
فلا يكلف به اذ ليس ذلك من كسبنا ولا في وسعنا ولم يكلف نفسا
الا وسعها غير ان هذا الغريزي يحمل على المكتسب ويعين عليه
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام الحيا لا ياتي الا بخير والحيا
خير كله واول الحيا من الله تعالى وهو ان لا يراك حيث
~~نهاك وذلك لا يكون الا عن معرفة بالله تعالى~~ وهو ان
لا يراك حيث نهاك وذلك لا يكون الا عن معرفة بالله تعالى
كاملة ومراقبة له حاصلة وهو المعبر عنها بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صاحب الفهم وروى
الترمذي من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال استحيوا من الله حق الحيا قالوا انا نستحيي والحمد لله
فقال ليس ذاك ولكن الاستحيا من الله حق الحيا ان تحفظ
الراس وما حوى والبطن وما وعى وان تذكر الموت والبلى فمن
فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحيا قال صاحب الفهم واهل
المعرفة في هذا الحيا منقسمون كما انهم في احوالهم متفاوتون كما تقدم
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له كلا نوعي الحيا فكان في الحيا
الغريزي اشد حيا من العذرا في خدرها ومن حالة الكسبي

في دونها اهـ في حديث عايشة وان الحيا من الايمان والايمان في
الجنة ولو كان الحيا رجلا لكان رجلا صالحا وان الفحش من الفجور
وان الفجور في النار ولو كان الفجور رجلا لكان رجلا شرا وان
الله لم يخلقني فحاشا وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ابغض الله عبدا نزع منه
الحيا فاذا نزع منه الحيا لم تلقه الا بغيضا مبغضا ونزع منه الامانة
فاذا نزع منه الامانة نزع منه الرحمة واذا نزع منه الرحمة
نزع منه ربقة الاسلام فاذا نزع منه ربقة الاسلام لم تلقه
الا شيطانا مريدا والايمان في قرن فاذا سلب احدهما وله عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحيا والايمان
في قرن فاذا سلب احدهما تبعه الاخر فان قلت فما حد الحيا قلت
هو تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به او يذم
عليه وروى البيهقي عن سعيد ابن زيد ان رجلا قال للنبي صلى
الله عليه وسلم اوصني قال اوصيك ان تستحيي من الله تعالى كما
تستحيي رجلا من قومك وسئل الجنيد عن الحيا فقال روية
الالاء وروية التقصير فيتولد من هذين الحالين حال يسمى
الحيا وعن الفضيل خمسة من علامات الشقاء القسوة
في القلب وجمود العين وقلة الحيا والرغبة في الدنيا وطول الامل
وعن الشعبي قال كان الناس يتعاملون بالدين زمانا
ثم ذهب الدين فتعاملوا بالوفاء زمانا ثم ذهب الوفا فتعاملوا
بالمروءة زمانا ثم ذهبت المروءة فتعاملوا بالحيا زمانا ثم ذهب

الحيا فصار والى الرغبة والرهبة وقيل في قوله تعالى ولقد همت به وهم
بها لولا ان راي برهان ربه وقيل ان البرهان انها القت
ثوبا على وجه صنم في زاوية البيت فقال يوسف ماذا تفعلين
قالت استحي منه فقال يوسف عليه السلام انا اولى ان
استحي من الله وعن ابي سليمان الداراني قال الله تعالى عبدي
انك ما استحيت مني انسيت الناس عيوبك وبقاع الارض ذنوبك
ومحوت من ام الكتاب زلاتك ولا انا قسك في الحساب يوم القيامة لا صح
وقيل روي رجل يصلي خارج المسجد فقيل له لم لا تدخل المسجد
فتصلي فقال استحي منه ان ادخل بيته وقد عصيته وقيل الحيا على
وجوه حيا الجناية كادم عليه السلام لما قيل له افرارا منا فقال
لا بل حيا منك وحيا التقصير كالملائكة يقولون ما عبدناك
حق عبادتك وحيا الاجلال كاسرافيل عليه السلام تسربل
بجناحيه حياء من الله وحيا الكرم كالنبي صلى الله عليه وسلم كان
استحيا من امته ان يقول لهم اخرجوا فقال الله عز وجل ولا
مستانسين لحديث وحيا حشمة كعلي رضي الله عنه حين سال
المقداد حتى سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي
لمكان فاطمة رضي الله عنها وحيا الاستحقار كموسى عليه السلام م
قال انه لتعرض الحاجة من الدنيا فاستحي ان اسالك يا رب
فقال الله تعالى سلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك وحيا
الانعام هو حيا الرب عز وجل يدفع الى العبد كتابا مختوما
بعدما عبر الصراط واذا فيه فعلت ما فعلت ولقد استحيت بلغ مقابلة

ان

ان اظهر عليك فاذهب فاني قد غفرت لك وفي بعض الكتب
قال ما انصفني عبدي يدعوني فاستحي ان ارده ويعصيني
ولا يستحي مني وقيل اذا جلس الرجل ليعظ الخلق ناداه ملكاه
عظ نفسك بما تعظ به اخاك والا فاستحي من سيدك فانه يراك
وعن يحيى ابن معاذ قال الهيبة الناس من المؤمن على قدر هيبته
من الله وحياؤهم منه على قدر حيائه من الله وحبهم له على قدر
حبه لله تبارك وتعالى قال الحليمي رحمه الله ويدخل في جملة الحيا
من الله ثم من الناس ستر العورة وروى البيهقي عن انس
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى غنم له وفيها اجير
له يرعاها واذا بالاجير متجرد فيها فدعاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له كم لك عندنا من اجرك فقال يا رسول الله الم
احسن الرعاية والولاية قال اني لا احب ان لا يكون فيها من
لا يستحي من الله عز وجل الا خلا وعن عايشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن دخول الحمامات ثم رخص الى الرجال ان
يدخلوها في الميازر وعن عمر بن الخطاب انه قال ايها الناس
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يومن
بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بازار ومن كانت تومن
بالله واليوم الاخر فلا تدخل الحمام وعن عايشة رضي الله
عنها انها اتتها نساء من اهل الشام فقالت لعلكن من الكورة
التي يدخل نساؤها الحمامات قلن نعم قالت اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امراة وضعت ثيابها في غير

بينها فقد هتك سترها بينها وبين الله عز وجل وعنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس البيت الحمام بيت لا يستر
ما لا يطهر وما ستر عائشة ان لها مثل احد ذهبا وانها دخلت الحمام
قال البيهقي فهذه الاخبار تنبي عن دخول الحمامات على الاطلاق
وذلك لما ينبغي عليه امرهن من المبالغة في الستر وعن عمر بن
الخطاب قال لا يحل لرجل يدخل الحمام الا بميزر ولا يحل لامراة ان
تدخل الحمام فقام رجل فقال لقد منعتها حين سمعتك تنهى عن ذلك
وانها سقيمة فقال عمر الا من سقم وعن ابي هريرة قال نعم البيت
الحمام يذهب الدرن ويذكر النار قال البيهقي وهذا موقوف وهذا
صحيح ودخل محمد بن عبد الرحمن الحمام وراي بعض اخوانه عريانا فغمض
عينيه فقال له العريان منذ كم عميت قال منذ هتك الله سترك
قيل وكان ابن المبارك اذا دخل الحمام ثم خرج صلى ركعتين واستغفر
لما راي فيه اوراى من نفسه وفي الحديث اذا اتى احدكم اهله
فليستتر ولا يتجردان تجرد العيرين وروي البيهقي عن عبد
الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم
ارض الاعاجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلنها
الرجال الا بالازر وامنعوا النساء ان يدخلنها الا مريضة
او نفساء وقال ابن عمر اني اكره الحمام وذلك انه من رقيق العيش
والله اعلم وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول
الله عوراتنا ما ناتي منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من
زوجتك وما ملكت يمينك قلت يا رسول الله اذا القوم بعضهم

في بعض قال ان استطعت ان لا يريها احد فلا يرينها قال قلت
يا رسول الله اذا كان احدنا خاليا قال فالله احق ان يستحيى
ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على فرجه والله اعلم

الحديث الحادي والعشرون

عن ابي عمرو وقيل ابي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه
احدا غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم رواه مسلم الكلام
عليه من وجوه احدها سفيان هذا معدود في اهل الطائف
وكان عاملا لعمر بن الخطاب عليها روي عنه عروة بن الزبير
وابنه هشام روي له مسلم حديثا واحدا وروي له الترمذي
وابن ماجة والنسائي وله في الكتب حديثان الثاني هذا ماخوذ
من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية
فقوله امنت بالله هو معنى قولهم ربنا الله اذ لا يعتقد ربوبيته
الا من امن به وهذا الحديث على اختصاره من اجمع الاحاديث
لاصول الاسلام اذ الاسلام توحيد وطاعة فالتوحيد
حاصل بقوله امنت بالله والطاعة بجميع انواعها في ضمن
قوله استقم لان الاستقامة هي امتثال كل مامور واجتناب
كل محظور وذلك يدخل فيه اعمال القلوب والابدان من الايمان
والاسلام والاحسان وفي تفسير الزمخشري فاستقم كما
امرت مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل
عنها ثم قال وعن ابن عباس قال ما نزلت على رسول الله صلى الله

عليه وسلم آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال
شيبتني سورة هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا
له لقد اسرع اليك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي
عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي
شيبك منها اقصص الانبيا وهلاك الامم قال لا ولكن قوله
فاستقم وعن جعفر ابن محمد الصادق فاستقم كما امرت افتقر الي
الله بصحة العزم اهـ وقال صاحب المفهم هذا الجواب
وجوابه الاخر بقوله قل امنت بالله ثم استقم دليل على ان النبي صلى
الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم فاختصر له اختصارا كما قال
مخبرا بذلك عن نفسه فانه صلى الله عليه وسلم جمع لهذا السائل
في هاتين الكلمتين معاني الايمان والاسلام كلها فانه امره ان يجدد
ايمانه متفكرا بقلبه وذاكرا بلسانه وتقتضي هذا استحضار تفصيل
معاني الايمان الشرعي بقلبه التي جاءت في حديث جبريل فامره
بالاستقامة على اعمال الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات
اذ لا يتاتي الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فانها ضده وكان
هذا القول منتزع من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا الاية اي امنوا بالله ووحدوه ثم استقاموا على
ذلك وعلى طاعته الى ان توفوا عليها كما قال عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه استقاموا والله على طاعته ولم يروغوا روغان
الثعالب وتلخيصه اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا

وداوموا

وداوموا على ذلك اهـ والله اعلم

الحديث الثاني والعشرون

عن ابي عبد الله جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه
ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارايت
اذا صليت المكتوبات وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت
الحرام ولم ازد على ذلك شيئا ادخل الجنة قال نعم رواه مسلم الكلام
عليه من وجوه الاول جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري
السلمي بفتحهما يكنى ابا عبد الله وقيل ابا عبد الرحمن وقيل ابا
محمد المدني وامه انيسة بنت عنمة بن عدي بن سنان اسلمت وبايعت
ذكرها ابن سعد في النساء الصحابيات قدم جابر الشام ومصر
وكان من سكان المدينة وابو عبد الله عقبي بدري احدي
وشهد العقبة الثانية مع ابيه صغيرا ولم يشهد الاولى وذكره
بعضهم في البدريين ولا يصح لانه روي عنه انه قال لم اشهد
بدرا ولا احدا منعني ابي فلما قتل ابي لم اتخلف روي له عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الف حديث وخمس ماية حديث واربعون
حديثا اخرج له ماتي حديث وعشرة احاديث اتفقا منها على
ثمانية وخمسين وانفرد البخاري بستة وعشرين ومسلم بماية
وستة وعشرين وروى عن ابي بكر وعمر وعلي وابي عبيدة ومعاذ
وخالد بن الوليد وابي هريرة روى عنه جماعة من التابعين
وغيرهم وروى له الجماعة وعنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم خير اهل الارض وكنت

قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير خمسا
وعشرين مرة وعن هشام بن عروة قال رايت لجابر حلقة في المسجد
يوخذ عنه ومات سنة ثمان وسبعين وقيل سنة تسع وسبعين
وقيل غير ذلك الثاني هذا الرجل السايل هو النعمان بن قوقل
بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة واخره لام رضي الله عنه
الثالث ارايت معناها اخبرني قال الزمخشري في قول الله تبارك
وتعالى ارايتك كاف الخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني
عن هذا الذي كرمته علي اهـ الرابع ان قيل لم لم يذكر الحج له قيل
لعله لم يكن فرض كما سبق في حديث ابن عمر او انه ادرجه في تحليل الحلال
وتحريم الحرام لان ترك الحج وغيره من الواجبات حرام فتناوله
تحريم الحرام ومعنى حللت الحلال اعتقدت حله سوا فعلته او لم
تفعل ومعنى حرمت الحرام اجتنبته معتقدا تحريمه وتحليل
الحلال وتحريم الحرام كلام جامع لاصول الدين وفروعه لان احكام
الشرع اما قلبية او بدنية وعلى التقديرين اما اصلية او فرعية
فهي اربعة بحسب القسمة ثم جميعها اما ماذون فيه وهو الحلال
او ممنوع منه وهو الحرام واللام في الحلال والحرام للاستغراق
فاذا حلل كل حلال وحرم كل حرام فقد اتى بجميع وظايف الشرع
وذلك مستقل لدخول الجنة قال صاحب المفهم هذا السايل
انما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول من فعل ما يجب
عليه وانتهى عما حرم عليه الجنة فاجابه بنعم ولم يذكر في هذا
الحديث شيا من التطوعات وهذا يدل على جواز ترك التطوعات

على

على الجملة لكن من تركها ولم يعمل شيا منها فقد فوت على نفسه ربحا عظيما
وثوابا جسيما ومن داوم على ترك شيء من السنن كان ذلك
نقصا في دينه وقدحا في عدالته فان كان تركه تهاونا ورغبة
عنها كان ذلك فسقا فيستحق به ذما وقد قال علماونا لو ان
اهل بلد تواطيوا على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا ولقد
كان صدر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يثابرون على
فعل السنن والفضايل مثابرتهم على الفرايض ولم يكونوا يفرقوا
بينهما في اغتنام ثوابهما وانما احتاج ايمة الفقها الى ذكر الفرق
لما يترتب عليه من وجوب الاعادة لتركها وخوف العقاب على الترك
وانما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه على السنن والفضايل
تسهيلا وتيسيرا لقرب عهده بالاسلام لئلا يكون الاكثار
من ذلك تنفيرا وعلم انه اذا تمكن في الاسلام وشرح الله صدره
رغب فيما رغب فيه غيره ولئلا يعتقد ان السنن والتطوعات
واجبة وقد سال سايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الصلاة فاخبره انها خمس فقال هل علي غيرها فقال لا الا
ان تطوع ثم ساله عن الصوم ثم ساله عن الحج والشرايع في كل
ذلك يقول هل علي غيرها فيقول لا الا ان تطوع فقال اشهد
والله لا ازيد على هذا ولا انقص فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افلح ان صدق وفي رواية ان تمسك بما امر به دخل الجنة
وذكر البخاري في كتاب الصوم فقال والله لا اتطوع شيا
اهـ فان قلت فما في الحج حتى يحرم قلت قد تقدم في حديث

الحلال بين والحرام بين ما يغني عن الاعادة وقد قال الله تعالى
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقال والذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات
قال يا رسول الله وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل
النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي
يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات اخرجاه
وهذا لا يمنع الزيادة بل يوكد اجتنابهن ثم قد ضم غيرهن
قال البيهقي روينا عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم الكبائر تسع
فذكرهن وذكر معهن عقوق الوالدين واستحلال البيت الحرام
وفي الحديث الثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيل عن الكبائر فقال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق
الوالدين الا انبيكم باكبر الكبائر قول الزور واليمين
الغموس وفيه عنه من الكبائر شتم الرجل والديه فقالوا يا رسول
الله هل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه
ويسب امه فيسب امه وفي الحديث الثابت عن ابن مسعود
قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم عند الله عز وجل قال
ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم ماذا قال ان تقتل
ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم ماذا قال ان تزني بحليلة
جارك وفي الحديث الثابت عن عبادة بن الصامت ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا
تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان
ولا تعصوا في معروف قال الحليمي رحمه الله واعلم ان قتل
النفس بغير حق كبيرة فان كان المقتول ابا او ابنا او ذا رحم
في الجملة او اجنبيا محرما بالحرم او بالشهر الحرام فهو فاحشة واما
الخدشة والضربة بالعصا مرة او مرتين فصغيرة والزنا كبيرة
فان كان بحليلة الجار او بذات محرم او باجنبية في رمضان
او البلد الحرام فهو فاحشة وما دون الزنا الموجب للحد صغيرة
وقذف المحصنات كبيرة فان كان المقذوف ضعيفا ففاحشة
وعقوق الوالدين كبيرة وبالسب والشتم والضرب فاحشة
وان كان العقوق الاستثقال لامرهما ونهيهما والعبوس
في وجههما والتبرم بهما مع بذل الطاعة ولزوم الصمت فصغيرة
فان كان ما ياتيه من ذلك يلجيهما الى ان ينقبضا عنه فلا
يامراه ولا ينهياه ويلحقهما من ذلك ضرر فهذا كبيرة والسرقة
كبيرة واخذ المال في قطع الطريق فاحشة وسرقة الشي التافه
صغيرة وسب المسكين كبيرة وشرب الخمر كبيرة فان سكر وجاهر
به ففاحشة فان مزجه بالماء حتى ذهبت شدته وشربه فصغيرة
وترك الصلاة كبيرة فان صار عادة ففاحشة فان لم يوفها
حقها من الخشوع بان التفت او فرقع اصابعه او نحوه فصغيرة
وترك الجمعة من غير عذر كبيرة واتخاذه عادة فاحشة ومنع
الزكاة كبيرة ورد السايل صغيرة فان انتهره واغلظ عليه

فكبيرة ولو رأى محتاجاً موسعاً عليه على طعام فتاقت اليه نفسه
وسأله منه فرده فكبيرة والاصل ان كل محرم بعينه منهي عنه لمعنى
في نفسه فان تعاطيه كبيرة وتعاطيه على وجه يجمع وجهين
او اوجها من التحريم فاحشة وتعاطيه على وجه تقصير به
عن رتبة المنصوص او تعاطي ما دون المنصوص الذي لا يستوفي
معنى المنصوص او تعاطي المنصوص الذي نهي عنه لئلا يكون
ذريعة الى غيره فهذا كله من الصغاير وتعاطي الصغيرة على وجه
يجمع وجهين او اوجها من التحريم كبيرة انتهى ملخصاً من كلام
الحليمي قال البيهقي ويدل لكلام الحليمي وغيره من الايمة على ان
الاصرار على الصغيرة كبيرة وقال ابن عباس في قوله تعالى ان
تجتنبوا كباير ما تنهون عنه قال الكباير كل ذنب ختمه الله
بنار او غضب او عذاب او لعنة وعنه كل ما نهى الله عنه كبيرة
وعن طاوس قال قيل لابن عباس الكباير سبع فقال هي الى السبعين اقرب والله اعلم

الحديث الثالث والعشرون

عن ابي مالك الحارث بن عاصم الاشعري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان
والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ
ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان
والصبر ضياء والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو
فبايع نفسه فمعتقها او موبقها اخرجه مسلم الكلام على هذا
الحديث من وجوه احدها ابو مالك الاشعري اختلف في اسمه

فقيل

فقيل الحارث وقيل عبيد وقيل كعب بن عاصم وقيل عمرو وروى
له مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه وروى له البخاري على
الشك فقال عن ابي مالك الاشعري او ابي عامر الثاني قال
الجوهري الطهور بالفتح ما يتطهر به كالفطور والسحور
والوقود قال الله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا قال ابن
الفاكهاني فقلت على هذا يكون المضموم الفعل ويكون كالوضوء
بالفتح الماء وبالضم الفعل واما الغسل فبالفتح للمصدر وبالضم
الماء عكس الوضوء على ما حكاه الجوهري وقد قيل في الغسل ما قيل
في الوضوء فائدة قال الشيخ جمال الدين بن مالك الجياني
رحمه الله في املائه على قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا
فعول المشتق في الكلام اما للمبالغة واما لغيرها فالذي للمبالغة
شرطه ان يدل على زيادة معنى فاعل مع مساواته له فيما له من
تعد ولزوم كضروب بالنسبة الى ضارب وولوج بالنسبة الى
والج والذي لغير المبالغة اما بنية مفتتحة دالة على معنى فاعل
مغنية عنه نحو عفوف وحصور وهي الناقة الضيقة الاحليل
وهي التي ضاق مجرى لبنها من ضرعها واما دالة على ما يفعل
به الشيء كرقوء وهو ما يرقى به الدم اي ينقطع فتسمية الماء
طهورا اما ان يكون للمبالغة واما ان يكون مفعولا به التطهير
كالوقود وكالسحور وهو ما يتسحر به وكالوضوء وهو ما يتوضأ
به وكالسنون وهو ما يستن به وكالبرود وهو ما يبرد به اهـ قال
ابن الفاكهاني والطهارة مصدران بمعنى النظافة تقول العرب

طهر الشيء بفتح الهاء وضمها يطهر بالضم لا غير وهو التنزه عن المستخبثات المحسوسة والمعنوية كما قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا **الثالث** الشطر النصف والشطر ايضا النحو والقصد قال تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه قال الجوهري واصله من اخلاف الناقة ولها خلفان قادمان وخلفان آخران وكل خلفين شطر ويقال شطر عنه اي بعد وشطر اليه اي اقبل والشاطر الذي اعيى اهله خبثا وقال غيره الشاطر من الشيطان البعيد من الخير **الرابع** قال الطوفي ثم في قوله الطهور اقوال ذكرها المصنف **احدها** ان ينتهي تضعيف ثوابه الى نصف اجر الايمان **الثاني** ان الايمان يجب ما قبله من الخطايا وكذلك الوضوء لكن الوضوء تتوقف صحته على الايمان فكانت نصفا **الثالث** ان المراد بالايمان الصلوة والطهور شرط لصحتها فصار كالشطر قال الطوفي ويشهد لهذا قوله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس قال المصنف وقيل معناه غير ذلك قال الطوفي الايمان شرط لصحة الصلاة باطنا والطهور شرط لها ظاهرا فاقتسماها بالشرطية اهـ وقال صاحب المفهم اولى ما قيل في ذلك ان يقال انه اراد بالطهور الطهارة من المستخبثات الظاهرة والباطنة والشطر النصف والايمان هنا هو بالمعنى العام كما دل بقوله صلى الله عليه وسلم الايمان تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان

ولا

ولا شك ان هذا الايمان ذو خصال كثيرة واحكام متعددة غير انها منحصرة فيما ينبغي التنزه عنه والتطهير منه وهي كل ما نهى الشرع عنه وما ينبغي التلبس به والاتصاف به في كل ما امر الشرع به فهذان النصفان عبر عن احدهما بالطهارة على مستعمل اللغة وهذا كما قد روي مرفوعا الايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر وقد قيل ان الطهارة الشرعية لما كانت تكفر الخطايا السابقة كانت كالايمان الذي يجب ما قبله وكانت شطر الايمان بالنسبة الى محو الخطايا وهذا فيه بعد اذ الصلاة وغيرها من الاعمال الصالحة تكفر الخطايا فلا يكون لخصوصية الطهارة بذلك معنى ثم لا يصح ايضا كون الطهارة نصف الايمان بذلك الاعتبار لانها انما تكون مثله في التكفير ولا يقال على المثل للشيء شطره وقيل ان الايمان هنا يراد به الصلاة كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم على قول بعض المفسرين ومعناه على هذا ان الصلاة لما كانت مفتقرة الى الطهارة كانت كالشطر لها وهذا ايضا فاسد اذ لا يكون شرط الشيء شطره لا لغة ولا معنى والاولى التاويل الاول وقيل يحتمل ان يكون معناه ان الايمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر وهما شطران للايمان والطهارة متضمنة للصلاة فهي انقياد في الظاهر والله اعلم **الخامس** قد دل هذا الحديث على تعظيم امر الطهارة وكثرة ثوابها حتى جعلها الشارع شطر الايمان الذي يبنى عليه قواعد الدنيا والاخرة وفي صحيح مسلم عن

عن حمران مولى عثمان بن عفان قال اتيت عثمان بن عفان بوضوء
فتوضاء ثم قال ان ناسًا يتحدثون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم احاديث لا ادري ما هي الا اني رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم توضاء مثل وضوئي هذا ثم قال من توضاء هكذا
غفر له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه الى المسجد
نافلة وفيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا توضاء العبد المسلم او المومن فغسل وجهه خرج من وجهه
كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع اخر قطر الماء فاذا غسل
يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء او مع
اخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه
مع الماء او اخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب وفيه انتم
الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم
فليطل غرته وتحجيله وفيه عنه سمعت خليلي صلى الله عليه
وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضوء روى
مالك عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا
اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء
على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد
الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط وفيهما
من حديث عثمان حين توضاء ثلاثا ثلاثا ثم قال من توضا
بوضوء هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له
ما تقدم من ذنبه وفي البيهقي عن عثمان قال سمعت رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضاء فاسبغ الوضوء ثم مشى
الى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الامام غفر له ذنبه وفي صحيح
مسلم عن حمران مولى عثمان قال سمعت عثمان بن عفان وهو بفناء
المسجد فجاءه المؤذن عند العصر فدعا بوضوء فتوضا ثم قال
والله لاحدثنكم حديثا لولا انه في كتاب الله ما حدثتكم
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يتوضا رجل
فيحسن الوضوء فيصلي صلاة الا غفر له ما بينه وبين الصلاة
التي تليها والاحاديث بنحو ذلك كثيرة مشهورة السادس
قوله صلى الله عليه وسلم والحمد لله تملأ الميزان اي ثوابها تملأ
الميزان خيرا قال الطوفي ولعل السبب المناسب لذلك ان
اللام في الحمد لله لاستغراق جنس الحمد الذي يجب لله عز وجل به
ويستحقه بملاء الميزان فكذا ثوابها والميزان مفعال من الوزن
واصله موزان فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ومثله
ميعاد وميقات ونحوه لانهما من الوعد والوقت وهذا الحديث
ظاهر في ثبوت الميزان في المعاد حقيقة خلافا للمعتزلة او بعضهم
اذ قالوا الميزان الوارد في الكتاب والسنة كناية عن اقامة
العدل في الحساب لا انه ميزان حقيقة ذو كفتين ولسان كما
يقال هو فلان ميزان والظواهر في اثبات كونه كونه حقيقة
مع اهل السنة وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم اين نجدك
يا رسول الله قال عند الحوض او الصراط او الميزان ونقل
الواحدي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال توزن

الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فاما المومن فيوتى
بعمله في احسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على
سياته فذلك قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون وهذا كقوله تعالى ونضع الموازين القسط الاية
وانما قال تعالى موازينه على الجمع حملا على معنى من دون لفظها
اوان المراد الموازين الموزونات كما ذهب اليه بعضهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما ويوتى بعمل الكافر في اقبح صورة فيوضع
في كفة الميزان فيخف وزنه فذلك قوله تعالى فاولئك الذين خسروا
انفسهم اي صاروا الى العذاب وعن عائشة رضي الله عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما في حجري فقطرت دموعي
على خديه فاستيقظ فقال ما يبكيك فقلت ذكرت القيامة
وهولها فهل تذكرون اهاليكم يا رسول الله فقال ثلاثة
مواطن لا يذكر احد فيها الا نفسه عند الميزان حتى يعلم اخف
ميزانه او ثقل وعند اخذ الصحف حتى يعلم اياخذ صحيفته
بيمينه او بشماله وعند الصراط حتى يجاوز قال الحليمي رحمه الله
وفي كيفية الوزن وجهان احدهما ان صحيفة الحسنات التي
كتبها كاتب اليمين توضع في اليمين والاخرى في الشمال فيثقل
الله ما يخف ويخف ما يثقل الثاني يجوز ان تجسم وتعز ويعتبر
في الثقل ما قرب من رضاء الله وفي الخفة ضده وعن عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة

فينشر

فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم
يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا
يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا
حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول
انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله
تعالى شيء رواه الترمذي وفي الخبر اذا خفت حسنات المومن
اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها
في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك
العبد المومن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن
وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد
صلى الله عليه وسلم وهذه صلواتك التي كنت تصلي علي قد
وفيتك اياها احوج ما تكون اليها ذكره القشيري في تفسيره
وذكر ابو نعيم باسناده عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه
فان رجح والا شفعت قال القرطبي وروي عن سلمان
الفارسي رضي الله عنه انه قال توضع الميزان يوم القيامة
فلو وضعت فيهن السموات والارض لوسعتهن فتقول الملائكة
يا ربنا ما هذا فيقول ميزان ازن به لمن شئت من خلقي فتقول

الملائكة عند ذلك ربنا ما عبدناك حق عبادتك قال وجاء
في الخبر ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش
ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى كفة الحسنات
عن يمين العرش تقابل الجنة وكفة السيئات عن يسار العرش
تقابل النار ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ولقد احسن
من قال ٠ تذكر يوم تأتي الله فردا ٠ وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصي ٠ وجاء الذنب مكشوف الغطاء
قوله وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ ما بين السموات
والارض قال الطوفي هذا التردد في تملآن او تملأ شك
من بعض الرواة وكلا الامرين جائز لغة لان سبحان الله و
والحمد لله جملتان في اصطلاح النحاة ويصدق عليهما كلمة عند
اهل اللغة كما يسمون الخطبة والرسالة والقصيدة كلمة
ويقولون قال فلان في كلمته فان كانت الرواية سبحان الله
والحمد لله تملآن فباعتبار انهما جملتان اصطلاحا وان كانت
تملأ فباعتبار انهما كلمة لغة اه وقال الزمخشري سبحان
علم على التسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك
اظهاره تقديره اسبح الله سبحانا ثم نزل سبحان منزلة
الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح
التي يضيفها اليه اعداء الله اه وقال ابن مالك هو اسم
بمعنى التسبيح وليس بعلم لانه لو كان علما لم ينصرف الا اسم
واحد كسائر الاعلام المضافة وزعم ابو علي والزمخشري ان

الشاعر

الشاعر ترك تنوين سبحان في قوله سبحان من علقمة الفاخر لانه
علم على التسبيح فلا ينصرف للعلمية وزيادة الالف والنون
وليس الامر كما زعما لانه مضاف الى محذوف مقدر الثبوت اه
وروى طلحة بن عبيد الله قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عز وجل من
كل سوء ذكره القرطبي في تفسيره قال ابن دحية واختلف
في اشتقاقه فقيل هو مشتق من السبح وهو الجري والذهاب
قال الله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فالمسبح جار في
تنزيه الله تعالى وتبرئته من السوء وقيل مصدر ترك فعله
اكتفاء بسبح تسبيحا انتهى قال النووي معناه ان ثوابهما
لو قدر جسما لملأ ما بين السماء والارض وسببه ما اشتملتا
عليه من التنزيه والتفويض الى الله تعالى قال الطوفي اما التنزيه
فظاهر من سبحان الله واما التفويض فلعله ماخوذ من عموم
لله صح الحمد اذ يقتضي عموم الحمد كل حال من السراء والضراء وذلك
رضى وتفويض قوله والصلاة نور ذكر المصنف فيه اقوالا
احدها ان الصلاة تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء وتهدي
الى الصواب فهي نور بهذا الاعتبار الثاني ان ثوابها يكون
نورا لصاحبها يوم القيامة الثالث انها سبب في استنارة
القلب اه قال ابن الفاكهاني قوله عليه الصلاة والسلام
والصلاة نور من باب قولهم زيد اسد فجعله نفس الاسد
مبالغة في التشبيه ويحتمل ان يكون من باب قولهم رجل

عدل وفي ذلك ثلاثة اوجه اما ان يكون جعله نفس العدل كما
تقدم واما ان يكون معناه ذو عدل على حذف المضاف واما
ان يكون بمعنى عادل على حذف المضاف فعلى الاول جعل
الصلاة نفس النور على طريقة المبالغة وعلى الثاني يكون
المعنى الصلاة ذات نور لصاحبها وعلى الثالث منيرة لوجهه
قال صاحب المفهم ان الصلاة اذا فعلت بشروطها
المصححة والمكملة نورت القلب بحيث تشرق فيه انوار المعارف
والمكاشفات حتى امر من يراعيها حق رعايتها ان يقول وجعلت
قرة عيني في الصلاة وايضا فانها تنور بين يدي مراعيها يوم
القيامة في تلك المظالم وايضا فتنور وجه المصلي يوم القيامة
فيكون ذا غرة وتحجيل كما تقدم كما قد ورد في حديث عبد الله
ابن بسر مرفوعا امتي يوم القيامة غر من السجود محجلين
من الوضوء قال ابن الفاكهاني ولا شك ان ذلك يوجد
في الدنيا فترى وجه المصلي لا سيما المتقي نيرا وضياء وترى
وجه من لا يصلي اسود مظلما وهذا مشاهد لا يكاد يخفى اه
ومن الدليل على عظم قدر الصلاة ان اكثر العلما قالوا ليس
بعد الايمان بالله تعالى افضل من الصلاة وان الله لم
يذكرها مع عبادة بدنية او مالية الا قدمها عليها والتقدم
يؤذن بالاهتمام وان الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا
لا يعدون شيئا تركه كفرا الا الصلاة وانها ماحية للخطايا
كما في الحديث ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل منه كل يوم

بلغ مقابلة

خمس

خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من
درنه قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا
وفي حديث ثوبان سلني حاجتك قال اسئلك مرافقتك
في الجنة قال او غير ذلك قلت هو ذلك قال فاعني على نفسك
بكثرة السجود فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك بها
درجة وحط عنك بها خطيئة قوله والصدقة برهان
ذكر المفهم فيه قولين احدهما انها حجة لصاحبها في اداء حق
المال الثاني انها حجة في ايمان صاحبها لان المنافق لا يفعلها
غالبا قال الطوفي البرهان هو الحجة المركبة من مقدمات
قاطعة وهو حاصل ههنا فانه يقال مثلا فلان يؤدي
الزكاة وكل من ادى الزكاة فقد ادى حق المال ففلان ادى
حق المال او يقال فلان ادى الزكاة طيبة بها نفسه وكل
من ادى الزكاة طيبة بها نفسه فهو مومن ففلان مومن اه
وقد حث الله تعالى على الصدقة في غير ما اية فقال تعالى ان
الله يجزي المتصدقين وقال تعالى وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه وقال ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره وليت شعري ما الذي يصد المومن الموقن
الموسر عن الصدقة وقد قرع سمعه قوله عز وجل وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه وقوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم وغير ذلك من الايات
المضمنة الحث على الصدقة وهو يتجر رجاء ربح درهم في عشرة

والله تعالى وعده على الحسنة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف
الى ما لا يتناهى كما جاء في الحديث وانظر قوله تعالى ما سلككم
في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وقوله
تعالى انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين
كيف قرن تعالى فيهما عدم طعام المسكين بالكفر الموجب
للخلود في النار وروى ابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي
الله عنهما قال لما نزلت هذه الاية مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزلت
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزلت
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الصحيح عن عدي
ابن حاتم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه الله عز وجل ليس بينه وبينه
ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم ثم ينظر ايسر منه
فلا يرى الا ما قدم ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار
فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل وروى
البيهقي عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه
من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق كل خندق
مسيرة خمسمائة عام وله عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ايما مؤمن سقى مؤمنا شربة على ظماء
سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة وايما مؤمن
اطعم مؤمنا على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مؤمن
كسا مؤمنا على عري كساه الله من خضر الجنة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم
كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى ان اللقمة تصير مثل احد وتصديق
ذلك في كتاب الله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات
قال الترمذي حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد الا
ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول
الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وعنه صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل قال لي انفق انفق عليك والافضل ان تكون
الصدقة على القريب وان تكون في حال الصحة وقال رجل
يا رسول الله اي الصدقة اعظم قال ان تصدق وانت
صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل البقا ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان
وروى اسد بن موسى عن بشر بن حباس قال برق رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كفه ثم وضع ضبعه عليه ثم قال
يقول الله عز وجل ابن ادم اني تعجزني وقد خلقتك من مثل

عبده حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردتيك وللارض
منك وئيد يعني صوتا ثم جمعت ومنعت حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت اتصدق وانى اوان الصدقة **وفي صحيح مسلم**
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما رجل بفلاة من الارض
فسمع صوتا في سحابة

قوله صلى الله عليه وسلم والصبر ضياء
قال الشيخ اي الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة الله والبلاء ومكاره
الدنيا وعن المعاصي ومعناه لا يزال صاحبه مستضيئا مستمرا
على الصواب قال الطوفي يحتمل وجهين احدهما ان ثواب الصبر
ضياء ونور في الاخرة والثاني ان اثر الصبر على الطاعات وعن
المعاصي نور القلب واستقامة بالحق وشاهده في قياس
العكس كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي ان
المعاصي سودت قلوبهم وصيرتها مظلمة فان قلت لم جعل
الصلاة نورا والصبر ضياء وهل بينهما فرق قلت اما الفرق
بين النور والضيا فقد قيل ان الضيا اعظم وابلغ من النور
بدليل قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والشمس
اعم واعظم نورا من القمر ولذلك قال الله عز وجل ذهب
الله بنورهم ولم يقل بضيائهم لان نفي الاعم ابلغ واورد على
قوله عز وجل الله نور السموات والارض ولم يقل ضوؤها ولا

ضياؤها

ولا ضياؤها واشرقت الارض بنور ربها ولم يقل بضوء ربها واجيب
بان النور اعم واشمل لانه ليلا ونهارا والضوء ليس الا للنهار بانه
الشمس على ان المراد بنور السموات والارض هادي اهلهما
وانما جرت العادة وشرعا ان يقال نور الهداية لا ضوء الهداية
وبذلك استعمل في الكتاب العزيز والسنة نحو يخرجهم من
الظلمات الى النور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
اما قوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها ولم يقل بضوء
ربها فيجاب عنه بان الضوء كالوصف الزائد على النور
وانما يحتاج اليه النور المخلوق الناقص اما نور الله عز وجل
فهو قديم كامل لا يحتاج الى معنى زائد يضيء به كما ان القديم
لذاته لم يحتج الى علة توجده ويحتمل ان المعنى اشرقت بنور
ملائكة ربها او بنور عدل ربها بدليل ان الارض لو اشرقت
عليها نور الرب جل جلاله لاضطربت وتقطعت كالجبل
لما تجلى له ولا يلزم من نور الملائكة والعدل ان يكون ضوءا
وبالله التوفيق واما لم جعل الصلاة نورا والصبر ضياء
فلان الصبر اعم من الصلاة لاشتماله على الصلاة وغيرها
من الطاعات او متعلقه بذلك اذ هو حبس النفس على
الطاعة وعن المعصية فكان جملة الضيا الذي هو اخص
من النور اولى ولان الله عز وجل قال واستعينوا بالصبر
والصلاة والتقديم للاهم فالاهم وقال الله عز وجل
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ولم يقل لما صلوا

وقال عليه السلام ما اعطي احد خيرا واوسع عطاء من الصبر وقال
عز وجل انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب ولم يات ذلك
لغيرهم وقال بعض العلماء لم يذكر الله عز وجل الصبر في القران
الا مقرونا بما يوجب الحث عليه والفرج بعده نحو واصبر وما
صبرك الا بالله واصبر وان الله مع الصابرين ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور قال الاستاذ ابو نصر القشيري
رحمه الله الصبر على اقسام صبر على ما هو كسب العبد وصبر
على ما ليس بكسب فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما امر الله
به وصبر على ما نهى الله عنه واما الصبر على ما ليس بكسب للعبد
فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله فيما له مشقة
قال الجنيد المسير من الدنيا الى الاخرة سهل هين على المومن
وهجران الخلق في حب الحق شديد والمسير من النفس الى الله صعب
شديد والصبر مع الله اشد فسئل عن الصبر فقال تجرع
المرارة من غير تعبيس وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وقال ذو النون
الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص
البليات واظهار الغنا مع حلول الفقر بساحات المعيشة
وقال ابن عطا الصبر الوقوف مع البلا بحسن الادب وقيل هو
الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى وقال الخواص الصبر الثبات
على احكام الكتاب والسنة وقال ابو محمد الحريري الصبر
لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخواطر فيهما والصبر
هو

هو سكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة وانشد بعضهم
صبرت ولم اطلع هواك على صبري ولخفيت ما بي منك عن موضع الصبر
مخافة ان يشكو ضميري صبابتي الى دمعتي سرا فتجري ولا ادري
وقال ابو علي فاز الصابرون بعز الدارين لانهم نالوا من الله
معيته قال الله تعالى ان الله مع الصابرين قيل حبس الشبلي
وقتا المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم فقالوا احباؤك
جاؤوك زائرين فاخذ يرميهم بالحجر واخذوا يهربون فقال
لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وقال الله تعالى واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا
جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة في القوم
لا يدرى من هو وكان ابن شبرمة اذا نزل به بلاء يقول سحابة
ثم تنقشع وغمرات ثم تنجلي وسئل السري عن الصبر فجعل
يتكلم فيه فدب على رجله عقرب وهي تضربه بابرتها ضربات
كثيرة وهو ساكن فقيل له لم تنحها فقال استحييت من الله
ان اتكلم على الصبر ولم اصبر وقال ابو علي حد الصبر ان
لا يعترض على التقدير فاما اظهار البلا على غير وجه
الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة ايوب
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب مع ما اخبر عنه انه
قال مسني الضر وروي وروي النساي ان ابا فاطمة
حدثهم انه قال النبي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالهجرة
فانه لا مثل له قال يا رسول الله حدثني بعمل استقيم عليه

واعلمه قال عليك بالصبر فانه لا مثل له وروي البزار عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المعونة تاتي من
الله على قدر المؤنة وان الصبر ياتي من الله على قدر البلاء وذكر
ابو عمر في التمهيد باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي بالقليل
من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل وانتظار الفرج
من الله عبادة وفي البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة
فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو الله قال كان الرجل
فيمن كان قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع
على راسه فيشق نصفين وما يصده عن دينه ويمشط بامشاط
الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصده ذلك عن دينه
والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت
لا يخاف الا الله او الذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون وفي صحيح
مسلم عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عجبا لامر المومن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمومن
ان اصابته سراء شكر وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وفي
الترمذي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم
فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط حسن غريب وعن
سعد قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبيا

ثم

ثم الامثل فالامثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء
بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة حسن صحيح
قوله كل الناس يغدو واغدا يغدو اي بكر وراح بعد الزوال وقال
الازهري معنى راح مضى لان الغدو والرواح عند العرب
مستعملان في السير اي وقت كان من ليل ونهار يقال راح
في اول النهار واخره يروح وغدا بمعناه وهذا خلاف نص
الصحاح قال الرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت
من زوال الشمس الى الليل ومعنى ذلك ان كل انسان يصبح
ساعيا في اموره وهو اما ان يكون الغالب عليه السعي في خلاص
نفسه بتوجهه بقلبه وقالبه الى الاخرة وطلب ما عند الله
تعالى مع الاعراض عن زخارف الدنيا وزينتها وعدم الاحتفال
بها والتقييد بادب الشرع قولا وفعلا امتثالا واجتنابا
فهذا الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم فبايع نفسه فمعتقها
اي باع نفسه من الله عز وجل وناهيك بها صفقة اغتنام
اذا كان الثمن عنها دار السلام والنظر فيها الى وجه الملك
العلام والعجب انه يبيع ايل الى عتق وحرية وسيادة بسبب ما
اسلفه من الطاعة والعبادة والزهادة فاعتق نفسه
من رق الخطايا والمخالفات بل من اقتحام النار وعظيم العقوبات
فان قلت كيف يبيع الانسان نفسه لله والله تعالى
له ملك السموات والارض وتمليك المملوك تحصيل الحاصل
قلت الامر كما قلت غير انه سبحانه اسند الى الخلق التسبب

والاضافات بالتجوزات الشرعيات ليوجه اليهم الخطاب بالتكاليف
الامريات والزجريات وليحق عليهم كلمته من اثر الفضل
والعدل على مقتضى ما وردت به المواعيد والتوعدات فلهذا اطلق
على اسم الملك وعلى هذا اسم المالك ورتب الاحكام على المملوك
والملاك في المملوكات والممالك وامد الخلق بجنود الاعضا
والمدارك وايدهم بوجود العقل والملهمين من الملايكة ثم
اظهر عليهم مكنون سوابق علمه فيهم فاشقى واسعد وقرب
وابعد فمنهم من سعى بنفسه مساعي الفساد ومنهم من سلك
طريق القصد والرشاد فكان المتعرض للفساد بايعا ملكه بالشرع
بما استبدل له من الهوى والشهوة والتطبع بالطبع فالتحق
باهل الخسار الذين خسروا انفسهم واصبحوا من النادمين
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما ذو الرشد والسداد فانهم
شمروا عن ساق الاجتهاد وعرضوا عروض تجاراتهم على دلايل
الدليل فتميز بعضها من بعض فمنها ما قوبل بالثمن الجزيل ومنها
ما صلح لحضرة الملك الجليل فهم الذين حازوا قصب السبق
وفازوا بثبوت عباديتهم للحق فاصبحوا في حمى حمايته يرفلون
انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله النفوس على ثلاثة
اقسام نفس لا تشترى لخستها وهي نفوس الكافرين ونفس
تشترى لكرامتها وهي نفوس المومنين ونفس لا يقع عليها
الشرا لثبوت حريتها وهي نفوس الانبيا والمرسلين وقال

بلغ

الشيخ

النفس صح

الشيخ ابو السعود رضي الله عنه حجاب العبد عن مولاه والقا
طعة له عن رضاه فما دام لها حركة لا يصفو الوقت وما دام
لها خاطر لا يصفو الذكر ومع بقايها ومصالحها واهويتها
يصعب اخلاص العلما في تعليمهم والعباد في عباداتهم والوعاظ
في وعظهم وارباب المتابعة في عبوديتهم ولا يحصل الصدق
للطالبين والسالكين في طلبهم واذا استولت على القلوب
اسرتها وصارت الولاية لها فان تحرك لها وان سكن
سكن من اجلها وان ذم او مدح كان ذلك موافقة لها وان
اعطى او منع او اعرض كان ذلك كله متابعة لراحتها وطلبا
لنصرتها والحق عز وجل هو الذي اوجد هذه الاشيا وهو الذي
ابتلى بها وامر بعداوتها واقدر على رياضتها وابليس انما يقوى
على العبد بها وحب الدنيا وحب الرياسة لا يخرج قط من قلب
العبد مع وجودها فكيف يدعي عاقل ان لا بينه وبين الله
عز وجل مع استيلايها ام كيف يخلص عابد في عبادته وهو غير
عالم بافاتها ومشتغل بمجانبتها او الهوى روحها والشيطان
خادمها والشرك مركون في طبعها ومنازعة الحق عز وجل والاعتراض
عليه في افعاله مجبول في خلقتها وسوء الظن وما ينتج من الكبر
والدعوى وقلة الاحترام سجيتها ومحبة الصيت والاشتهار
حياتها ويكثر تعداد افاتها وهي القاطعة على خالقها الشكة
فيما وعد به مالكها فليس لشومها غاية ولا لبلاياها نهاية
وهي التي تكره الاشيا وتريدها وتطلبها وتهرب منها ترشد

فيها صح

ان تعبد كما يعبد مولاها وتعظم كما يعظم ربها وتستخدم الكل الا هواها
فكيف يقرب عبد من مولاه مع بقائها ومصالحها ووجوه هذه البقيا
فيها وان ترك الاكوان كلها وسد الخافقين باعمال البر فيها لانها محارجة
الاعمال والنيات والحركات والسكنات فمن استفق عليها لا يفلح ابدا
فيحتاج الطالب كلما تمقته النفوس يعانقه وكلما تميل اليه النفوس
يفارقه وتقبل من الذامين ذمهم ومن المادحين مدحهم ويقول
ما عرفتم من وراء حجاب قلتم وتقول لها في كل نفس لا قرب الله
دارك وابعد مزارك فنعوذ بالله من ارض تنبت فيها نزاهة
النفوس فمن لم نزاهتها ورأى لها قدرا فما عنده خير ومن علم
ان في الوجود خيرا من نفسه ما عرف فكيف ينزهها او يغضب
لها او يؤذي مسلما لاجلها فمن صالحها لا يفلح ابدا فحذر كما يحذر
السبع ويجتنب كما يجتنب السم فما دام لها حركة لا يصفو الوقت
وما دام تحادث لا يصفو الذكر تميل فتخالط وتباين لتظهر
فتامل هذا فان منبتها دقيق وما دامت في وجه القلب لا يصل
الى القلب خير لانها ترس في وجهه وكلما قويت عليه وزاد
سلطانها زاد شر القلب ونقص خيره وكلما ضعفت زاد
خيره ونقص شره وما بقيت منها بقية فالشيطان لا ينزل
عنها والخواطر المذمومة لا تنقطع عنها وينبغي ان تخدع في دميا صنتها
ولا يشتغل بعفا ومها فمن اشتغل بعفا ومها اوقفته ومن
اهملها اركبته بالتقطي راحة دون راحة ثم تشتغل الى افل من
ذلك ومن قاومها وصاخصمها شغلته ومن اخذها بالخدع

ولم

ولم تتابع هواها اتبعته فليتامل هذا ولا يهمله ومتى اشتبه على المريد
حالتها ولبست عليه بقايا لها وادعت الترك والعلم والعمل والتعليم
من اجل مولاها فليزنها بالميزان الذي لا يجرم والمعيار الذي
لا يظلم وهو تصوير انعكاس ما استقام لها الذكر بعد المدح
والرد بعد القبول والاعراض بعد الاقبال والمرض بعد الصحة
والذل بعد العز والفقر بعد الغنا والاهانة بعد الاكرام وزوال
النطق وتغير الاحوال فان وجد عندها التغير والانفصال
فقد بقي في نفسه بقية يجب عليه مجاهدتها ولا يجوز الاشتغال
مع تصور في نفسه ادخالها بما خرجت منه او اخراجها بما دخلت
فيه فان وجد الانفصال معها والتغير لرؤية الخلق لها فليعلم
انه وافق معها وعابد لها ومعين لها على فاتها طالب لحظها
ومن كان هكذا فهو بعيد من الله عز وجل بموافقتها معرض
عنه باشتغاله بها وليس الطريق اليه الا بتركها ولا القرب منه
الا بالبعد عنها وانفصالها للخروج او الدخول آفة من رؤية
الخلق لها الان فيه هدم بعض ما بني لها من جاهها ومتى تركها
ولم يجر بها وسمع دعواها في صدق تركها وفعلها وفقودها
وخروجها فوتت اخلاقها وعجز عن الخروج عنها فكانه في كل يوم
يبني عليه ويشيد كل لحظة لديه فيموت مع نفسه معرضا عن ربه
فقل من شيد لها الجاه والصيت فامكنه الخروج عنه لانه
بني بنيانا محكما وشيد تشييدا مؤبدا واذا ظهر له بهذا الميزان
نقص فليعترف بنقصه وليشرع في رياضة نفسه حتى تقرب

من ربه ولتصفوا عبوديته ولتصح توحيده فاذا عجز عن ذلك فليعلم
من هو واين هو فيتم احواله كلها بالاعتذار ويستغيث الي
الله عز وجل بالحفظ من الافات ويسأله على الدوام العفو عن
الهفوات ثم قال واعلم يا اخي انه من بقي له عدو يخاف ان يشمت
به فليبقا نفسه ويبقا حب الدنيا في قلبه ومن اعرض الخلق
كلهم عنه فتوقف فهو واقف معهم مشرك بربه ومن كسر
بكل مرض فتغير فهو واقف مع نفسه وهو في حجاب عن ربه
ومن تغير في حال الذل ولم يكن كما كان في حال العز فهو محب للدنيا
بعيد عن ربه اه كلامه رضي الله عنه وقال الشيخ العالم اسمعيل
الراغب في كتابه المسمي بتفصيل النشأتين وتفصيل السعا دتين
قالت الحكماء مرة اول ما يلزم الانسان معرفة نفسه وقالوا
مرة اول ما يلزم معرفة الله وليس بين هاذين القولين
تناف فانهم عنوا بالاول حيث قالوا معرفة النفس الاول من
حيث الترتيب الصناعي وعنوا حيث قالوا معرفة الله الاول
من حيث الشرف والفضل فان معرفة الله هي افضل المعارف
وفي معرفة النفس اطلاع على امور كثيرة احدها انه بواسطتها
يتوصل الى معرفة غيرها ومن جهلها جهل كل ما عداها والثاني
ان نفس الانسان تجمع الموجودات كما يتبين فمن عرفها فقد عرف
الموجودات ولذلك قال تعالى او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمي وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون بين فيها انهم لم تدبروا انفسهم

وعرفوها

وعرفوها عرفوا بمعرفتها حقايق الموجودات فانيها وباقيها وعرفوا
بها حقيقة السموات والارض ولما انكروا البعث الذي هو لقاء
ربهم وقال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم
انه الحق وقال وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
الثالث ان من عرف نفسه عرف العالم ومن عرفها صار في
حكم المشاهد لله عز وجل وهو عارف بخلق السموات والارض
ولم يكن كالكفرة الفجرة الجهلة الذين انكر عليهم هذه المنزلة فقال
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت
متخذ المضلين عضدا الرابع انه يعرف بمعرفته روح العالم
الروحاني وبقاه وبمعرفته جسده الجسداني وفناه فيعرف خسة
الفانيات وشرف الباقيات الصالحات والخامس ان من عرف
نفسه عرف اعداه الكامنة فيها المشار اليها بقوله عليه السلام
اعدا عدو لك نفسك التي بين جنبيك فيستعيذ منها ومن
شرها كما قال عليه السلام اللهم الهمني رشدي واعذني من شر
نفسي وقال ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك ومن عرف
اعداه الكامنة ومكامنها وكيفية انبعاثها اعراضها يحترز منها
وان يجاهدها فيستحق ما وعد الله به المجاهدين في سبيل الله
ومن لم يعرفها فجدير ان تتراي له عدوه الذي هو الهوي بصورة
العقل فيصور له الباطل بصورة الحق وقد قال عليه السلام
الهوي شيطان بل قال هو اله يعبد في الارض فقد روي انه
عليه السلام قال ما عبد في الارض اله ابغض الى الله من الهوي

ثم تلي افرايت من اتخذ الهه هواه السادس ان من عرف نفسه
عرف ان يسوسها ومن احسن ان يسوس نفسه احسن
ان يسوس العالم فيكون من خلفاء الله المذكورين في قوله
وجعلكم ملوكا السابع انه من عرفها لم يجد عيبا في احد الا رآه
موجودا في ذاته اما ظاهرا مستبعدا واما كامنا فيه ككون النار
في الحجر فلا يكون همازا لمازا وعيابا فان كل عيب تراه اي له
من غيره وجد في نفسه ومن راى عيب نفسه فجدير ان يكون
ممن دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال رحم الله امرا شغله
عيبه عن عيوب غيره ومعرفة عيب النفس صعب من حيث
ان كل انسان يحب نفسه وحبه لها يعميه عن معايبها كما قال
عليه السلام حبك للشيء يعمي ويصم والاعمى الاصم من عيب الشيء
قد يعجب به ولا ضرر اعظم من اعجاب المرء بنفسه فقد قال عليه
السلام الكاذب في نهاية البعد من الحق والمرائي اسوء حالا من
الكاذب لان الكاذب يكذب بقوله فقط والمرائي يكذب
بقوله وفعله قال واسوء حالا منهما المعجب بنفسه لان
الكاذب والمرائي قد ينتفع بهما والمعجب بنفسه لا نفع فيه
بوجه من الوجوه ولانهما قد ينفع وعظك فيهما لعلمهما بنقصهما
والمعجب بنفسه لجهل يظنك في وعظك اياه ملغيا الثامن
انه ما انزل الله كتابا الا وفيه اعرف نفسك يا انسان
تعرف ربك وهذا معنى قوله تعالى سنريهم اياتنا في
الافاق وفي انفسهم الاية

الحديث

الحديث الرابع والعشرون

عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما روي عن ربه انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي
وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من
هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته
فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار من كسوته فاستكسوني
اكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر
الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا
ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان
اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد
منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص
ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم
قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسالته
~~مسالتهم ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل~~
البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيها لكم فمن
وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه
رواه مسلم الكلام عليه من وجوه احدها قوله لا تظالموا
بفتح التاء اصله تتظالموا الثاني قال الطوفي قوله تخطئون
بالليل والنهار ضبطه بعض الفضلاء بفتح التاء والطاء على
وزن تعرفون من الاقرا وقال اخطا يخطي رباعي اذا فعل من غير

كل واحد مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر

من غير قصد وخطي يخطا على وزن علم يعلم ثلاثيا اذا فعل عن
قصد ومنه ناصية كاذبة خاطئة قال وانما وجب ان يكون
ههنا تخطئون ثلاثيا لانه جعله ذنبا يغفر بقوله تعالى
وانا اغفر الذنوب جميعا والخطا عن غير قصد معفو عنه لا يعد
اصلا ذنبا ولا غيره لقوله عليه السلام عفي لامتي عن الخطا
والنسيان ونقص يستعمل لازما نحو ما نقص المال ومتعديا
نحو نقصت زيدا حقه وينقص المخيط ههنا متعد لانه يحل
من البحر ينصب به والمخيط الابرة ونحوها وهو بكسر الميم وسكون
الخاء وفتح الياء وهو من الالات فلذلك كسر اوله الثالث
قوله اني حرمت الظلم على نفسي قال النووي اي تقدست
عنه فالظلم مستحيل في حق الله عز وجل لانه مجاوزة الحد
والتصرف في غير ملك وهما جميعا محال في حق الله تعالى قال
الطوفي هذا قول الجمهور وقد ذهب قوم انه عز وجل قادر
على الظلم وهو متصور منه لكن لا يفعله عدلا منه وتنزها
عنه واحتجوا بقوله عز وجل وما انا بظلام للعبيد وهو تمدح
بنفي الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح منه ولو قال
الاعمى اني لا انظر الى المحرمات على جهة التمدح لضحك منه
الناس وقالوا شئ لا يقدر عليه كيف يمدح بتركه وايضا قوله
اني حرمت الظلم على نفسي حقيقته اني منعت نفسي منه وانما
يمنع الحكيم نفسه مما يقدر على فعله ولو قال الادمي اني منعت
نفسي من صعود السما السحر منه كذلك ولان الله عز وجل

عامل

عامل عباده معاملة المستاجر مع الاجير حيث قال لاهل الكتاب
هل ظلمتكم من اجوركم شيا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه
من اشاء والمستاجر يصح منه ظلم الاجير ولان ترك الظلم
مع امكانه والقدرة عليه امدح من تركه مع استحالته والعجز عنه
كما ان ترك الفحل للزنا امدح له بالعفاف من ترك الخصي والعنين
له انتهى كلامه قلت وعجبا من الطوفي كيف استدل على مذهب
المعتزلة وترك مذهب اهل السنة والحجة لاهل السنة
ان الظلم لو جاز ان يكون مقدورا له جاز ان يكون موصوفا
به لان تقدير كونه جائزا ان يمكن في العقل تقدير وجوده وما
يمكن في العقل تقدير وجوده جاز ان يوصف الله تعالى
به وفيه تجويز كونه الله تعالى ظالما وانه محال ولان الظلم
لو كان جائزا منه اما ان يجوز مع بقاء صفة العدل او مع
زوال صفة العدل ولا وجه الى القول بزوال صفة العدل
فان صفة العدل واجبة لله تعالى والواجب ما يستحيل عدمه ولا
يمكن في العقل تقدير زواله فلم يتصور منه الظلم والسفه والكذب
لهذا ولان الظالم من زال عن الحد والرسم ومن تكون افعاله
داخلة تحت التكليف والباري تعالى ليس فوقه من يحد له
الرسوم ويامره وينهاه ويبيح له بعض الاشيا دون بعض فيكون
بتجاوزه لذلك ظالما جائرا واما ما احتجوا به من الظواهر
فلا حجة في ذلك اما قولهم الحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه
فممنوع وسنده ان النبي يتمدح بالمعجزة والعصمة وليستا مقدورتين

له بل من خلق الله تعالى وكذلك لا يمدح الادمي على الخلق الحسن
وان كان ذلك جبلة وغريزة فالله تعالى مدح نفسه بترك
الظلم وحاصله ان عدم الظلم هو العدل فاندفع ما قيل والله
اعلم الرابع قال ابن الفاكهاني في الحديث جواز اطلاق النفس
على الله تعالى وهو مثل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك وان كان بعض الناس تاول بان جعل النفس راجعة
الى عيسى عليه السلام اي ولا اعلم ما في علمك فانك وكانه اوقع
الظاهر موقع المضمر على هذا اذا كان الاصل ولا اعلم ما فيه حرصا
على بقاء قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت على عمومه وفيه بعد
وهو بعيد فان صح له هذا في الاية كيف يصح له ذلك في الحديث
ومما اشبهه مع انه لا ضرورة تدعو الى ذلك الخامس قوله
وجعلته بينكم محرما اي حكمت بتحريمه عليكم وهذا مجمع عليه
في كل ملة فان الملل قد اتفقت على مراعاة حفظ العقول والانفس
والاموال والانساب والاعراض والظلم قد يقع في هذه
او بعضها السادس قوله فلا تظالموا اي لا يظلم بعضكم
بعضا كانه تعطيه صيغة المفاعلة واعلم قد وردت ايات
واحاديث واثار واشعار في ذم الظلم قال الله تعالى فتلك
بيوتهم خاوية بما ظلموا وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار قال الزمخشري النهي يتناول الانحطاط
في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم وزيارتهم ومداهنتهم
والرضى باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين

بلغ مقابلة

الي

اليهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان
الركون هو الميل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى
خلف الامام فقرا الامام هذه الاية فغشي عليه فلما افاق قال
هذا فيمن ركن فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الدين بين
لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه
اخ له في الدين عافانا الله واياك من الفتن فقد اصبحت
بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا
وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة
نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على النبيين والعلماء قال
الله تعالى ليبيننه للناس ولا يكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت
واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل
الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك
قطبا تدور عليه رحا باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم
وسلما ويصطادون بك قلوب الجهلا فما ايسر ما عمروا لك في
جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك
من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من
بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الاية وانك تعامل من لا يجهل
ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم
وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من
شيء في الارض ولا في السما والسلام اه وقال عليه السلام
من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد

سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقي شربة من
الماء قال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وروي البيهقي في
الشعب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظلم
فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله عز وجل
لا يحب الفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم
بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا
قال فقام رجل فقال يا رسول الله اي الاسلام افضل قال
ان يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فاي الجهاد افضل
قال ان يهراق دمك ويعقر جوادك قال فاي الهجرة افضل
قال تهجر ما كره ربك فهما هجرتان هجرة للبادي وهجرة
للحاضر فاما هجرة البادي فاذا دعي اجاب واذا امر اطاع واما
هجرة الحاضر فاشدهما بلية واعظمهما اجرا وفي البخاري عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة
من اخيه من عرضه او ماله فليتحللها من صاحبه من قبل ان
يؤخذ حين لا يكون دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح اخذ
منه بقدر مظلمته وان لم يكن له اخذ من سيئات صاحبه
فحملت عليه وفي الحديث اتقوا المظالم ما استطعتم فان
العبد يجي يوم القيامة وله من الحسنات ما يرى انها تنجيه
فلا يزال عبد يقوم فيقول يا رب ان فلانا ظلمني مظلمة
فيقال امح من حسناته حتى لا يبقى له حسنة وذكر البيهقي عن
مجاهد عن ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته

وهو

وهو مستخف عن الناس حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه
تلك البقرة فحلبت فاذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة
فحدثت الملك نفسه ان ياخذها فلما كان الغد وغدت
البقرة الى مرعاها ثم راحت فحلبت فنقص لبنها على النصف
وجاء مقدار حلاب خمس عشرة بقرة فدعا الملك صاحبها
فقال اخبرني عن بقرتك هذه ارعت اليوم في غير مرعاها
بالامس او شربت من غير مشربها بالامس فقال لا ما رعت
في غير مرعاها بالامس ولا شربت في غير مشربها بالامس فقال
ما بال لبنها انقص على النقص فان ارى الملك هم ان ياخذ
فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة
قال فعاهد الملك ربه في نفسه انه لا ياخذها ولا تكون له في
ملكه ابدا قال فغدت البقرة فرعت ثم راحت فحلبت فاذا
لبنها قد عاد مقدار ثلاثين بقرة فاعتبر الملك في نفسه واقسم
على نفسه ليعدلن وعنه قال اوحى الله الى داود يا داود
قل للظلمة لا يذكروني فانه حقا على ان من ذكرني اذكره
وان ذكري اياهم ان العنهم وعن ابن شهاب قال كتب عمر بن
عبد العزيز الى بعض عماله اما بعد فاتق الله فيمن وليت
امره ولا تامن مكره في تاخير عقوبته فانما يعجل العقوبة
من يخاف الفوت ولما حبس يحيى بن خالد البرمكي كتب من
الحبس الى الرشيد ان كل يوم يمضي من بؤسي يمضي من نعمتك مثله بمضي صح
والموعد الحشر والحكم الديان وقد كتبت اليك بابيات كتبتها

امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى هو بن ابي سفيان

اما والله ان الظلم شوم ... وما زال المسيء هو الظلوم
الى الديان يوم الحشر نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نووم
لامر ما تصرفت الليالي ... لامر ما تحومت النجوم

وانشد لمسلم بن حجر

النصح من رخصته في الناس مجاني ... والغش غال له في الناس اثمان
تحاسد الناس والبغضا ظاهرة ... فالناس في غير دين الله اخوان
والعدل نور واهل الجور قد كثروا ... وللظلوم على المظلوم اعوان
والعلم فان وقل العاملون به ... والعاملون لغير الله اقران

انتهى ما ذكره البيهقي **ويحكى** ان رجلا من اهل ارمينية لحقته ظلامة عن محمد بن يحيى بن خالد وكان عاملا بها فقصد باب الرشيد واقام سنة لا يجسر احد من الحجاب يوصل اليه رقعة خوفا من اخيه جعفر فلما طال سكنه رق عليه بعض اصحاب الرشيد فقال له اعلم ان امير المومنين قد جلس اليوم للشرب على النهر الذي يدخل الى القصر فاجتهد ان تدع قصتك في شيء وترسلها على الماء فانها تصل اليه ويقراها ففعل الرجل الحق من خشب وجعل فيه رقعته وسرحها راس الماء فلما راها الرشيد مد يده تناولها ووقف عليها وبان الغضب في وجهه فامر به فاحضر فقال له انت صاحب هذه الرقعة قال نعم قال وانت على بابي منذ سنة لا تصل الي مخافة الرجل وقال

بل

بل على باب ذي الجلالين فرفع الرشيد راسه وقال سوءة لك يا جعفر اذا اهملت ما اوجب الله عليك من الاهتمام به فان كنت تكرمت عنه اهملت له من يقوم به ويقضي حق الله وحقي فيه ثم رمى بالرقعة اليه فنظر فيها مكتوبا

لو كان ما انتم فيه يدوم لكم ... ظننت ما انا فيه دائما ابدا
لكن رايت الليالي غير تاركة ... ما سر من حدث او ساء مطردا
فقد سكنت الى اني وانكم ... سنستجد خلاف الحالتين غدا

فلما قراها سقط في يده وكانت المظالم مردودة اليه فاعتذر بما حضره وكان القدح في يد الرشيد فقال والله ما اشربه ولا اضعه من يدي دون ان تقضى حاجته فدعي بالدواة ووقع عليها بجميع ما اراده وانصرف الرجل فرحا بنجحها **التاسع** قوله تعالى يا عبادي كلكم ضال الا من هديته اختلف في معناه على قولين **احدهما** انهم لو تركوا مع العادات وما تقتضيه الطباع من الميل الى الرجحان واهمال النظر المودي الى المعرفة لغلبت عليهم العادات والطباع فضلوا عن الحق وهذا هو الضلال المنفي لكن من اراد الله توفيقه الهمه الى اعمال الفكر المودي الى معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة الرسل واعانه على الوصول الى ذلك وعلى العمل بمقتضاه ومثل ذلك راع له ابل عطاش وجياع فهي براعيها تهوي الى موارد الهلكة ومراتع الغرة الا ما عارضه الراعي فصدها عن ذلك وفي التنزيل والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط

مستقيم الثاني ان الضلال هنا يعني به الحالة التي كانوا عليها
قبل ارسال الرسل من الشرك والكفر والجهالات وغير ذلك
كما قال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين اي كانوا على حالة واحدة من الجهل والشرك والضلال
فارسل الله الرسل ليزيلوا عنهم ما كانوا عليه من الضلال
ويبينوا لهم مراد الحق منهم في حالهم ومآل امرهم فمن نبهه الحق
وبصره واعانه فهو المهتدي ومن لم يفعل به ذلك بقي على ذلك
الضلال وعلى كل واحد من التاويلين فلا معارضة بين قوله
كلكم ضال الا من هديته وبين قوله عليه السلام كل مولود يولد
على الفطرة لان هذا الضلال المقصود في هذا الحديث هو
الطاري على الفطرة الاولى المغير لها كما قال عليه السلام خلق
الله الخلق على معرفته فاجتالتهم الشياطين وهذا الحديث
حجة لاهل الحق على قولهم ان الهدى والضلال خلقه وفعله
يختص بما يشا منهما من يشا من خلقه وان ذلك لا يقدر عليه
الا هو كما قال كذلك يضل الله من يشا ويهدي من يشاء
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وما تشاؤن الا ان
يشاء الله وقد نطق القران بما لا يبقى معه ريب لذي فهم
سليم وقال تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدي
من يشا الى صراط مستقيم فعم الدعوة وخص بالهداية من
سبقت له العناية الثامن قوله كلكم جايع الا من اطعمته
وذلك لان الناس عبيد لا يملكون شياء وخزاين الرزق

بيد

بيد الله عز وجل فمن لا يطعمه بفضله بقي جايعا بعدله اذ ليس عليه
اطعام احد فان قلت كيف هذا مع قوله عز وجل وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها قلنا هذا التزام منه تفضلا وشبيه
هذا قوله عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب الاية اي ذلك واجب منه
تفضلا اكراما لا عليه لزوما فاستطعموني اي اسالوني
الطعام اطعمكم بتيسير اسبابه وتيسير طلابه واسالوا الله
من فضله واعلم ان العالم جماده وحيوانه مطيع لله عز وجل
طاعة العبد لسيده فكما ان السيد يقول لعبده اعط فلانا
كذا واهد لفلان كذا وتصدق على فلان الفقير بكذا كذلك
الله عز وجل يسخر السحاب ويسقي ارض فلان والبلد الفلاني
ويحرك قلب فلان لاعطا فلان ويخرج فلانا الى فلان بوجه
من الوجوه لينال منه نفعا ونحو ذلك وتصرفات الله عز وجل
في العالم عجيبة من تدبرها ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين
التاسع قوله تعالى انكم تخطاون بالليل والنهار هذا من باب
مقابلة الجمع بالجمع اي يصدر منكم الخطيئة ليلا ونهارا من بعضكم
ليلا ومن بعضكم نهارا اذ ليس كل عبد من العباد يخطى
بالليل والنهار مع انه غير ممتنع فيجوز ان يكون مرادا قال
الطوفي وقوله في هذا الحديث متكررا يا عبادي متناول
للاماء وهن النسا اجماعا لكن بقرينة التكليف وقد قال
الاصوليون ان الخطاب به اما بلفظ يخص الذكور كالرجال

او بخص الاناث كالنسا فحكمه واضح او بلفظ يصلح لهما نحو من فيتنا وله
القبيلتين واختلف في نحو المسلمين والمومنين هل يتناول النسا
ام لا فالاشبه انه لا يتناولهن الا وصفا بل بقرينة او عرض
قوله وانا اغفر الذنوب جميعا هو كقوله عز وجل ان الله يغفر
الذنوب جميعا وهو عام مخصوص بالشرك وما شاء الله عز وجل
ان لا يغفره لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا قوله تعالى فاستغفروني اغفر لكم اي اطلبوا مني
المغفرة اغفر لكم واصل الغفر الستر وغفرت المتاع سترته والمغفر
وقاية تستر الراس في الحرب وغفر الذنب ستره ومحا اثره وحاصل
قوله كلكم ضال الى اخره التنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا
ودفع مضارنا الا ان ييسر لنا ذلك وهو معنى قوله لا حول
ولا قوة الا بالله القايس قوله تعالى يا عبادي انكم لن
تبلغوا ضري الى اخره قال الطوفي اعلم ان الاجماع والبرهان
على ان الله عز وجل منزه مقدس غني بذاته لا يلحقه ضر ولا نفع
ولا يحتاج الى ذلك وظاهر هذا الحديث ان لضره ونفعه غاية
لكن لا يبلغها العباد وهذا الظاهر مؤول محمول على ما دل عليه
الاجماع من غناه المطلق او يكون من باب ولا ترى الضب
بها ينجحر وقوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا ضب بها فينجحر
ولا منار فيهتدى به كذلك المعنى ههنا لا يتعلق لي ضر
ولا نفع فيضروني او ينفعوني ولان الحق جل جلاله غني مطلق
والعبد فقير مطلق يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو
الغنى

الغني الحميد والفقير المطلق لا يملك ضرا ولا نفعا خصوصا الغني
المطلق اهـ كلامه فان قلت فقد قال الله تعالى يوذيني ابن ادم
وليس له ذلك يقول يا خيبة الدهر وانا الدهر قلت ظاهره مدفوع صح
بالاجماع والبرهان ومعناه والله اعلم يقصد اذاي وليس له
ذلك اي لا يقدر على ذلك قوله لو ان اولكم واخركم الى اخره معنا
انه لو اتقى العالم باجمعهم لا يزيد في ملك الله عز وجل وكذلك شباهو
فجورهم لا ينقص من ملكه شيا لان ملك الله عز وجل مرتبط
بقدرته وارادته وهما دايمتان لا انقطاع لهما فكذا ما ارتبط
بهما وانما عايد التقوى والفجور على اهلهما نفعا وضرا قوله
قاموا في صعيد واحد الصعيد اسم لما صعد على وجه
الارض اي في ارض واحدة ومقام واحد ما نقص ذلك من
ملكي الى اخره ولان ملكه عز وجل بين الكاف والنون انما
امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وفي بعض طرق هذا
الحديث لاني واحد ماجد عطاي كلام وعذابي كلام اشارة الى
كن فيكون فان قيل هل يعقل ملك يعطي منه هذا العطا
العظيم ولا ينقص قلنا نعم كالنار والعلم يقتبس منهما ما شا
الله ولا ينقص منهما شي بل يزيد العلم على البذل وفي الحديث
يمين الله ملأى لا يغيضها سحا الليل والنهار ارايتم ما انفق
منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص مما في يمينه قال
وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يرفع ويخفض وروي
ان في التورية عبدي انفق من رزقي ابسط عليك فضلي فان يدي

مبسوطة على كل بين مبسوطة ومصداقه في القرآن الحكيم وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين الحادي عشر قوله الا كما
ينقص المخيط من البحر قال الطوفي اي لا ينقص شيئا لان الابرة
لا يتعلق بها من الماء شيء اصلا وهذا بظاهره مخالف لقول
الخضر لموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله عز وجل الا كما نقص
هذا العصفور من البحر فان نقر العصفور لا بد وان ينقصه
شيئا وان قل لان منقار العصفور يتعلق به شيء من الماء وبذلك
يزيل عطشه بخلاف الابرة لكن ليس المراد ان علمهما نقص من علم
الله عز وجل قليلا ولا كثيرا انما المراد تقريب انه لم ينقص شيء
من علم الله عز وجل اصلا اهـ وفيه نظر لان الابرة اذا ادخلت
البحر تنقصه ما تبتل به قلنا سلّم قال ابن الفاكهاني وظاهر هذا
الحديث يقتضي ان يكون المعنى انه ما ينقص ما عند الله الا
كما ينقص البحر اذا ادخلته الابرة اي فينقص منه قدر ابتلالها
منه والمعتقد انه لا نقص البتة واجيب عن ذلك ان
ذلك بالنسبة الى رؤية العين اي فكما انه لا ينقص في مرأى
العين فكذلك هو في علم الله تعالى لا نقص فيه البتة قال
ابن فرج وهذا مثل قصد به التقريب للافهام بما نشاهد
فان ماء البحر من اعظم المرئيات واكبرها وغمر الابرة فيه لا يؤثر
فيه فضرب ذلك مثلا لخزائن رحمته تعالى وفضله فانها
لا تنحصر ولا تتناهى والله اعلم اهـ والذي يظهر والله اعلم
من قول الخضر لموسى ذلك ان معناه لنا ان معلومهما اذا نسب

الى معلوم الله تعالى كان نسبته اليه كنسبة الماء الذي نقره العصفور
من البحر والذي يدل على ذلك ان العلم لا ينقص العلم وان علم الله
قديم وعلمهما حادث فتامل ذلك فان كان صوابا فمن ذلك وان الله صح
كان خطأ فمني ومن الشيطان الثاني عشر قوله احصيها لكم اي
بعلمي وملائكتي الحفظة قلت وفي هذا لطف من الله تعالى
بعباده اذ قال احصيها عليكم فقد بين كرم الله وجوده سبحانه
وتعالى قوله ثم اوفيكم اياها اي جزاءها وثوابها فحذف المضاف
فانقلب الضمير المخفوض منصوبا منفصلا كالمفعول المحذوف
قوله فمن وجد خيرا فليحمد الله الى آخره اي الطاعات التي يترتب
عليها الثواب والخير بتوفيق الله عز وجل فيجب حمده على التوفيق
لها والمعاصي التي يترتب عليها العقاب والشر وان كان بقدر الله
تعالى وخذلانه للعبد فهي بكسب العبد فليلم نفسه لتفريطه
بالكسب القبيح قال الطوفي ويحتج القدرية بها ووجه احتجاجهم
منه ان لوم العبد نفسه على سوء العاقبة يقتضي انه الخالق
لافعاله وقوله عز وجل فلا يلومن الا نفسه متصل بالقضية
وانه ليس له فيها اثر بخلق فعل ولا بقدرة وجوابه بما سبق
بقوله لا تظالموا ثم يلزمهم ان من وجد خيرا لا يحمد الله اذ ليس له
في القضية اثر كما ذكروا بل يحمد الانسان نفسه لانه الخالق
لطاعته الموجبة لسلامته وهو مراغمة للنص المذكور وغيره
وقد اخبر الله عز وجل عن اهل الجنة انهم يقولون فيها الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فان

قلت قوله انما هي اعمالكم الى اخره تقتضي اعتبار بأيتم الناس في ثواب اعمالهم ونفي المزيد من فضل الله عز وجل قلت لا نسلم ذلك فان هذا خرج مخرج التهديد والانذار وفضل الله واسع الا ترى ان العبد وعمله ملك لسيده ولا يستحق عليه ثوابا الا تفضلا والله اعلم بالصواب قلت وفي هذا الحديث دليل على عظم قدر الاعمال وان من لا عمل له فهو على خطر عظيم قال القاضي رزين بن معاوية رضي الله عنه كل الناس الا من عصمه الله تعالى قد اتخذ قول المرجئة امنية فيرجو الجنة بلا عمل ويلتمس الرحمة مع اقامته على المعاصي بلا توبة وقد جاء ان الغرة بالله المقام على معصية الله وتمني مغفرة الله وجاء كما لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا تنزل الابرار منازل الفجار وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اوليك يرجون رحمة الله وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى ورحمتي وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون الاية وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم وصفهم بقوله ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة الى قوله انه غفور شكور فانما وضع الله الرجا على الاعمال الصالحة لا على المعاصي والاماني الباطلة كما نسمع ولكن لو كنا نسمع ما كنا هكذا فقد

صار امرنا اشبه شئ بما قيل

لقد اسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

فالناس

فالناس الا من عصمه الله قد غلبوا الرجا على الخوف ولم يرضوا بالتسوية ايضا مع التمادي والاصرار على الكباير تغليبا يشابه القطع حتى سكنت لذلك نفوسهم وقل خوفهم ووجلهم وازدادوا بذلك جراءة على المعاصي ثم ان عدلوا احتجوا بان الله تعالى يغفر الذنوب بما دون الشرك لمن يشاء ثم يغلبون بالجهل على انفسهم انهم ممن يشاء الله ان يعذبه فكيف يغرر العاقل بنفسه ويحملها على هذه الاخطار بأماني العدو الغدار وليس بعد الدنيا مستعتب ولا دار الا الجنة او النار فما احفظ الناس اليوم لايات الرجا وما انساهم لايات الوعيد وانت لا تكاد تجد اية رجاء الا ومعها اية وعيد كقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ونحو ذلك الا ما نزل في قوم في اول الاسلام قنطوا فانزل الله فيهم ايات الرجا بلا قرين وعيد بل الذي يشهد له اللفظ ان اولى الناس واحقهم بالرحمة والمغفرة الخايفون الوجلون الذين يخافون الا يغفر لهم فمن خاف ان لا يغفر له يصدق غفر له ومن امن واغتر ولم يخف ولا اكترث وكان في الدنيا امنا فرجاوه ابعد له من المغفرة فقد جاء في الحديث ان الله لا يجمع على عبد خوفين ولا يجمع له بين امنين وانه من خافه في الدنيا امنه في الاخرة ومن امنه في الدنيا اخافه في الاخرة والعاملون بالله وبما انزل الله في كتبه يعلمون ان طلب الرحمة والمغفرة من جهة الخوف والوجل انجح في طلبها واقرب من نيلها ممن يطلبها بمجرد الرجا وبعضهم يحتج ايضا

ما ثار واخبار قد صرفوا انا ويلها منه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لن ينجي احدكم عمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا
انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه فاحالوا تاويل الحديث بان
احتجوا على ان العمل كانه لا معنى له ولا يرجى لصاحبه ولا يخاف به صح
على من عدمه وهذا قول المرجئة سنوا واما اهل السنة فمن
قولهم ان لا يقطع على احد بجنة ولا بنار حتى يكون الله تعالى
هو الذي ينزلهم حيث يشاء ولكن لم يخرجوا بذلك الى الجمع
بين ما فرق الله ولا الى التسوية بين ما باين الله فليس يسوون
بين المحسن والمسيء بحيث لا يجعلون للاحسان فضلا على
الاساءة وقد قال الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
وقال تعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا
الصالحات ولا المسيء الاية فكيف ينبغي لمومن ان لا يجعل لمحسن
فضلا على مسيء وهو يسمع هذا في كتاب الله تعالى الا تراه
يقول ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم فوصف هذا
الحكم بانه حكم سيء والله لا يحب المسيئين بل قد جعل ذلك ظن
الذين كفروا في اية اخرى واكثر من نصف القران انما نزل في
مدح العاملين وذم المفرطين فكيف يستوي لاحد ان يسوي
بين عامل مجتهد ومقصر مفرط وقد اجمع اهل السنة انه يرجى
للمحسن ويخاف على المسيء افلا ترى انهم مع ما لم يوبسوا المسيء
من الموحدين من رحمة الله ولم يومنوا المحسن من مكر الله

قد

فقد غلبوا الرجا للمحسنين وغلبوا الخوف على المسيئين وكلما اكثر
احسان العبد كان الرجا له اغلب وقد ورد في الحكمة الحث على
لزوم تغليب الخوف كنحو ما قيل ان القلب اذا غلب عليه
الرجا فسد واذا غلب عليه الخوف فهو صالح صح وقد ورد حديث
لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا فلا يغلب الخوف على
الرجا حتى يخرج الى القنوط فلا يقنط من رحمة ربه الا الضالون
ولا يغلب الرجا على الخوف حتى يخرج الى الامن فلا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون فهكذا يجب ان يكون حال كل مومن
ولو بلغ من صلاح العمل ما بلغ ان لا يغتر بعمله حتى يامن من
عذاب ربه فان ملائكته عليهم السلام الذين يسبحون الليل والنهار
لا يفترون هم من خشية ربهم مشفقون كيف وقد قال تعالى
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال تعالى ونودوا ان تلكم
الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة احد الا بعمل صالح يتقنه
قالوا وما اتقانه يا رسول الله قال يحكمه فكيف يستوي العامل
بالطاعة والعامل بالمعصية والله تعالى يقول ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم ويقول ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون الى قوله ومزاجه من تسنيم عينا يشرب
بها المقربون فاقتضى غاية العدل ان لا يستووا في الماء الذي
هو ايسر موجود في الدنيا فضلا عن الاخرة فهل كان هذا التفاوت ق
بان يكون شراب الابرار موجودا ممزوجا بما يشرب به المقربون

فاقتضى غاية العدل ان لا يستووا في الماء الذي هو اليسر موجود
في الدنيا فضلا عن الاخرة فهل كان هذا التفاوت بان يكون
شراب الانهار موجود كالعسل وحليب لبن به المشروب صرفا مع
ان الانهار بانواع المشروبات مطردة فايضة واجود الاجود
ومن يقبل الشيء كن فيكون لا يعيض ما في يديه نفعم فهل كان
ذلك كذلك الا لتصديق قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فليس بعد هدي الله
بيان في المغبون كل المغبون من آثر شهوته ايثارا يوديه الى
الكفر والطغيان والى الخلود في قعر النيران ويليه من آثرها
ايثارا ينقص به حظه في الاخرة فقد ورد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من احد لا يتحسر يوم القيامة ان كان
كافرا ان لم يكن آمن وان كان مومنا ان لا يكون ازداد من العمل
بالطاعة كي يزداد من الثواب واما الحديث الذي ورد ان العباد
يدخلون الجنة برحمة الله ويقتسمونها باعمالهم فليس بمخالف
لما تقدم من الآي والاثار ومعناه مثل قوله صلى الله عليه وسلم
لن ينجي احدكم عمله الحديث ومضمون كلاهما الحث على العمل وعلى
ترك التفريط فيه لانه لا شك في انه صلى الله عليه وسلم كان اعمل
العاملين وادب المجتهدين اليس فيه نزلت طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى لما قام حتى تورمت قدماه وقد عوتب
في ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا لما فهم قوله تعالى اعملوا
آل داوود شكرا فمعنى قوله ولا انا اي على ما زون من اجتهادي

لانه

لانه يرى منها اكثر منه فكيف للمفرط بالنجاة وهو كالحديث الاخر اعملوا
ولن تحصوا اي ولن تقوموا بشكر ما لله عليكم من نعمه الظاهرة
والباطنة بعد اجتهادكم ولن تحصوا جميع ما لله عليكم من
طاعته لان لله على العباد ان يتقوه حق تقاته وقد فسر ذلك
بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فاين نحن الان
من هذا الحال ومع ذلك فان عمل كل عامل هو من رحمة الله وتوفيقه
وليس من حول العبد ولا قوته قال تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا وقال تعالى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا الاية ثم بعد ان وفقه
للعمل من عليه بقبوله بتجاوزه عنه وعفوه ولولا تجاوزه
ورحمته الذي قبل اليسير وعفا عن الكثير ما نجا العبد فانه
انما يدخل الجنة برحمة الله وان كان بالعمل لان العمل من رحمته
ثم الناس يقتسمون الجنة على قدر اجتهادهم في الفرايض
والنوافل واعمال الخير فقوله صلى الله عليه وسلم ولا انا الا
ان يتغمدني الله برحمته فيه علوم جمة من نحو ما تقدم اي
لا يقدر احد ان يقوم بكل ما يجب لله عز وجل عليه وقد جاء ان
الملايكة الذين وصفهم الله تعالى انهم يسبحون الليل والنهار
لا يفترون اذا تجلى لهم الجليل يوم القيامة يقولون ربنا
ما عبدناك حق عبادتك وانما كلف الله العباد من حيث
هم وما هو في وسعهم وانما جازاهم بفضله العظيم وكرمه الجزيل
ورحمته الواسعة ونعمه السابغة ثم اي وجه نعم من هذا الحديث

التي هي في العمل وانما هو حث على العمل بدليل انه عليه الصلاة
والسلام كان اجهد الناس فيه وبدليل ان في الحديث نفسه الا م
بالعمل فان اخره فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيا من
الدلجة والقصد القصد تبلغوا فلا تراه قد حض على مداومة العمل
والمواظبة عليه لان الغدو عند العرب من الفجر الى الزوال والروا ح
من الزوال الى الليل وقد قال وشيا من الدلجة فامر بالاخذ
من الليل فكيف يتاول مثل هذا على انه لا نفع في العمل وعلى هذا
الامر قلة العلم او عدمه وانما نهى عليه السلام عن داءين مهلكين
احدهما التقصير في العمل والاخر الغلو في تعظيم العمل وانظر كيف
وصف البصري اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
كانوا والله مجتهدين في ليلهم ونهارهم اما الليل فقيام
على اقدامهم يفترشون وجوههم يجيرون الى ربهم ربنا ربنا
تجري دموعهم على خدودهم واما النهار فحلما علما بررة اتقيا
الناظر اليهم يحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا وقد خالط
القوم امر عظيم من الخوف لله ومن التعظيم له ومن خشية وعيد
هذا اخر كلامه رحمة الله عليه فان قلت فالاعمال شتى
فاخبرني بافضلها وبين لي مراتبها حتى اعلم اي طريق
اسلك قلت قد رتب ابو محمد بن حزم الامام ذلك ترتيبا
عظيما في رسالة له فقال قد بينت مراتب الحقايق في دار
القرار في الاخرة فاما الدنيا فمحال ان تثبت بوسها ينقضي وسرورها
يفنى كان ذلك لم يكن فوجدتها على مراتب ثلاث فهي مراتب

القصد

الملك والعلو والسبق فاولها مرتبة عالم يعلم الناس دينهم فان
كل من عمل بتعليمه او علم شيا مما كان هو السبب في علمه فذلك
العالم المعلم شريك له في الاجر الى يوم القيامة على اباد الدهور
فيا لها منزلة ما ارفعها ان يكون المرء نايما او ملتذا في قبره او مشتغلا
بامور دنياه وصحف حسناته متزايدة واعمال الخير مهداة اليه من
حيث لا يحتسب ومتواترة عليه من حيث لم يتقدر ويؤيد هذا قوله
صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقوله صلى
الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لان يهدي الله بك رجلا واحدا
خير لك من ان يكون لك حمر النعم وقوله عليه السلام اذا مات
الانسان انقطع عمله الا من ثلاث فذكر عليه الصلاة والسلا
ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلما ينتفع به وقوله عليه
السلام من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب
له مثل اجر من عمل بها ولا ينقص من اجورهم شي ومن سن سنة
في الاسلام سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل
بها ولا ينقص من اوزارهم شي ويؤيد هذا قول الله عز وجل
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقوله تعالى وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فبشروا من سن المكوس ووجوه
الظلم باجزاء الجزاء اذ سيئاتهم تتزايد على مرور الايام والبلايا
تترادف عليهم وهم في قبورهم الثانية حاكم عدل فانه شريك
لرعيته في كل عمل خير عملوه في ظل عدله وله مثل اجر كل من عمل
بكل سنة حسنة فيا لها من مرتبة ما اسناها ان يكون ساهيا

لاهبا وعيره نعمل له الخير ويكتب له الحسنات واين هذه الصفة
واما الغاش لرعيته والمداهن في الحق فهو ضد ما ذكرنا ويويد
هذا قوله عليه الصلاة والسلام ان المقسطين فيما ولوا على
منابر من نور عن يمين الرحمن او كلاما هذا معناه الثالثة
مجاهد في سبيل الله وانه شريك لكل من يحميه بسيفه في كل عمل
خير يعمله وان بعدت داره في اقطار البلاد وله مثل اجر من عمل
شيا من الخير في كل البلاد على فتحه بقتال او حصور وله مثل
اجر كل من دخل في الاسلام بسببه او بوجه له فيه اثر الى يوم
القيامة فيا لها خطرة ما اعظمها ان يكون لعله في بعض غفلاته
ونحن نصلي له ونصوم واعلموا ان بهذه الثلاث سبق الصحابة
رضي الله عنهم لانهم كانوا السبب في بلوغ الاسلام الينا وفي
نقلهم العلم وفي الحكم بالعدل فيما ولوا وفي فتوح البلاد شرقا
وغربا فهم شركاونا وشركا من ياتي بعدنا الى يوم القيامة
فهذه المراتب الثلاث هي مراتب السبق الرابعة مرتبة الحظوة
والقربة وهي حالة مسلم فتح الله تعالى له بابا من ابواب
الخير مضافا الى اداء فرايضه في كثرة صلاة او صدقة او صوم
او حج وعمرة وما اشبه ذلك فهذه له نوافل عظيمة وخير كثير
الا انه ليس له الا ما عمل وصحيفته تنطوي بموته حاشا من حبس
ارضا او اصلا تجري صدقته بعده كما اختاره رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه اذ شاوره فيما يعمل في
ارضه بخيبر فان هذا ايضا تلحقه الحسنات بعد موته ما دامت

تلك

بلغ مقابلته

تلك الصدقة ثم مرتبة خامسة وهي مرتبة الفوز والنجاة وهي حالة
مسلم يودي الفرايض ويجتنب الكباير ويقتصر على ذلك فان
من فعل هذا فمضمون له على الله تعالى غفران جميع سياته ودخول
الجنة والنجاة من النار قال الله تعالى ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما وقد
نص صلى الله عليه وسلم في الذي ساله عن فرايض الاسلام
فاخبره صلى الله عليه وسلم بها فقال والله لا ازيد عليها ولا
انقص فقال عليه الصلاة والسلام افلح ان صدق او دخل
الجنة ان صدق السادسة والسابعة مرتبتا السلامة مع
الغرور وعاقبتهما محمودة الا ان ابتداءها مخوف هايل
وهما حال انسان منكم عمل خيرا كثيرا وادى فرايض وارتكب
كباير ثم رزقه الله تعالى التوبة قبل موته والثانية حال مسلم
عمل حسنات وكباير ومات مصرا الا ان حسناته اكثر من سياته
وهذان غرران ولكنهما فايزان ناجيان بضمان الله عز وجل
لهما اذ يقول واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى
ولقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
ولقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيات ولا خلاف بين
احد من اهل السنة فيما قلنا من هذا المرتبة الثامنة
وهي مرتبة اهل الاعراف وهي مرتبة خوف شديد وهول عظيم
الا ان العاقبة الى سلامة وهي حال مسلم تساوت حسناته
وكبايره فلم يفضل له حسنة يستحق بها الرحمة من ربه تعالى

وشرا كثيرا صح

الجنة ولا فضلت عليه سيئة يستحق بها بسوء عمله النار وقد
وصف الله تعالي صفة هؤلاء فقال تعالي وبينهما حجاب
وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم الاية فهذه الوقفة لا
بعد لهمها والاشفاق منها سرور الدنيا كله ولكنهم ناجون
من النار وداخلون الجنة لانه لا دار سواهما فمن نجا من النار
لا بد له من الجنة **التاسعة** حال مسلم خفت موازينه
ورجحت كبائره على حسناته فهؤلاء الذين وصفوا في الاحاديث
الصحاح ان منهم من تاخذه النار الى انصاف ساقيه ومنهم من
يبقى فيها ما شاء الله تعالى من الدهور كما وصف النبي صلى الله
عليه وسلم في مانع الزكاة انه يبقى في العذاب الموصوف في ذلك
الحديث يوما كان مقداره خمسين الف سنة ثم يرى مصيره
الى الجنة ام الى نار فيا لها بلية ما اعظمها وكما نص عليه السلام
اذ سال اصحابه من المفلس فيكم قالوا يا رسول الله الذي
لا دينار له ولا درهم فاخبرهم عليه السلام ان المفلس هو
الذي ياتي يوم القيامة وله صلاة وصيام وصدقة فيوجد
قد شتم هذا وقتل هذا وظلم هذا واخذ مال هذا فيقتصون
من حسناته حتى اذا لم تبق له حسنة اخذ سيئات الذين ظلموا فرميت
عليه ثم قذف به في النار وهذا معنى قوله تعالي وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا
يفترون فيبقى هؤلاء في النار على قدر ما اسلفوا حتى اذا نقوا
كذا جاء في الحديث الصحيح جاءت الشفاعة التي ذكرها الله

لنبيه صلى الله عليه وسلم وجاءت الرحمة التي ادخرها الله تعالي
لذلك اليوم الفظيع والموقف الاشنع فاخرجوا كلهم من النار
فوجا بعد فوج نسال الله العافية امين حكي ان الحسن البصري
رضي الله عنه ذكر يوما موقف رجل يخرج من النار بعد الف
سنة فقال يا ليتني ذلك الرجل وانما تمنى الحسن هذا خوفا
من خاتمة السوء فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يدعو الله تعالي
ان يميته على الاسلام وكان الاسود بن يزيد يقول ما احسد
احدا حدي يوما قد دلي في قبره **المرتبة العاشرة** مرتبة
السحق والبعد الابدي وهي مرتبة من مات كافرا فهو مخلد
في نار جهنم عياذك اللهم عياذك عياذك يا ارحم الراحمين توفنا
مسلمين،

الحديث الخامس والعشرون،

عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما
نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم قال اليس قد جعل
الله لكم ما تصدقون ان بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة
صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف
صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول
الله اياتي احدنا شهوته فيكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها
في حرام اكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان
له اجر رواه مسلم **الكلام عليه من وجوه الاول** في لفظة

الجماع

الدثور جمع دثر الاموال كفلس وفلوس والبضع بضم البا واسكان
الضاد المعجمة كناية عن الجماع واصله آلة الجمع ذكرا او فرجا والوزر
الاثم **الثاني** الاصحاب جمع صاحب وهو من الصفات التي
استعملت استعمال الاسما والاكثر في جمع صحبان وصحاب وقالوا
صحابة بفتح الصاد على الاكثر وحكي كسرها وهو اسم للجمع واختلف
في حد الصحابي فالمعروف عند المحدثين انه كل مسلم راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعند اصحاب الاصول او بعضهم انه
من طالت صحبته ومجالسته على طريق التبع **وعن** سعيد بن المسيب
انه لا يعد صحابيا الا من اقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة
او سنتين او غزا معه غزوة او غزوتين قال النووي فان صح عنه
هذا فضعيف فان مقتضاه ان لا يعد جرير البجلي وشبهه
صحابيا ولا خلاف انهم صحابة ثم تعرف صحبته بالتواتر والاستفاضة
او قول صحابي او قوله اذا كان عدلا **الثالث** قوله بكل تسبيحة
صدقة اي حسنة تحسنة صدقة في الجنس لان الاعمال تقدر
بالحسنات بدليل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها **الرابع**
قوله بكل تسبيحة صدقة اي بسببها قال القاضي عياض يحتمل
تسميتها صدقة ان لها اجرا كما للصدقة اجر وان هذه الطا عا
تماثل الصدقات في الاجور وسماها صدقة على طريق المقابلة
وتجنيس الكلام وقيل معناها انها صدقة على نفسه وقال
صاحب المفهم مقصود هذا الحديث ان اعمال الخير اذا حسنت
النيات فيها تنزلت منازل الصدقات في الاجور لا سيما في حق من

لا يقدر

لا يقدر على الصدقة ويفهم منه ان الصدقة للقادر عليها افضل
له من سائر الاعمال القاصرة على فاعلها **الخامس** لا يفهم
من قول الفقرا حسدا للاغنيا وانما ذلك غبطة لاحد وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون قلت اختلف العلما في
التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر قال صاحب المحيط
قيل الغني الشاكر افضل واليه اشار محمد رحمه الله لان مكارم
الاخلاق ومحاسن الاعمال انما توجد من الغني الشاكر لا من
الفقير وبايصال النفع وبره الى غيره وقيل الفقير الصابر
افضل لانه عليه السلام اختار الفقر فقال اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا وقد عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فلم يقبل
وهو يختار ما هو الافضل لان الفقير القادر على اخذ الدنيا
وهو يتركها جاهد بكل ما قدر عليه على غيره ولم يلوث نفسه
بلوث الدنيا والغني جاهد بالبعض ولان ترك اخذ الدنيا اشق
واتعب على النفس وافضل الاعمال اشقها لقوله عليه السلام
افضل الاعمال احمزها اي اشقها اهـ وقال الشيخ تقي الدين
قد اشتهر في هذه ~~الاعمال احمزها التي اشقها~~ المسئلة الخلاف في
والفقرا ذكروا للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقتضي تفضيل
الاغنيا بسبب القربات المتعلقة بالمال واقرهم النبي صلى
الله عليه وسلم على ذلك لكن علمهم ما يقوم مقام تلك الزيادة
فلما قالها الاغنيا ساووهم فيها وبقي معهم قربات المال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه

من يشا فظاهر القريب من النص انه فضل الاغنيا بزيادة القربات
المالية وبعض الناس تاول قوله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء
بتاويل مستكره خرجه عما ذكرناه من الظاهر والذي يقتضيه الاصل
انهما ان تساويا وحصل الرجحان بالعبادات المالية ان يكون
الغني افضل ولا شك في ذلك وانما النظر اذا تساويا في اداء الواجب
فقط وانفرد كل واحد بمصلحة ما هو فيه واذا كانت المصالح متقا بلة
ففي ذلك نظر يرجع الى تفسير الافضل فان فسر بزيادة الثواب
فالقياس يقتضي ان المصالح المتعدية افضل من القاصرة وان
كان الافضل بمعنى الاشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي
يحصل للنفس من التطهير للاخلاق والرياضة لسوء الطباع
بسبب الفقر اشرف فيترجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور من
الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر لان مدار الطريق على تهذيب
النفس ورياضتها وذلك مع الفقر اكثر منه مع الغنى فكان افضل
بمعنى اشرف السادس قوله وامر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر
صدقة انما ساغ الابتدا بالنكرة هنا لكونها عاملة وبيان
ذلك ان بالمعروف يتعلق بامر الذي هو المبتدا وعن منكر يتعلق
بنهي الذي هو المبتدا ايضا وذلك احد المسوغات للابتدا بالنكرة
على ما هو مقرر في كتب العربية وانظر لم عرف المعروف ونكر المنكر
وكان ذلك والله اعلم اشارة الى اصالة المعروف وثباته
وطرق المنكر عليه وتزلزله وزهوقه فان قيل لم اتى بالامر بالمعروف
معرفا والنهي عن المنكر منكرا في قوله وامر بالمعروف ونهي ولم يقل والامر

والنهي

والنهي اجيب بان التنكير ابلغ في المقصود اذ يقتضي ان كل فرد من
افراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة ولو عرف لاقتضى ان
جنس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة ولا يلزم مع التعريف
ان كل فرد منه صدقة لان اللام للاستغراق السابع قوله صلى
الله عليه وسلم وفي بضع احدكم صدقة قال النووي اذا نوى به
العبادة وهو قضا حق الزوجة وطلب ولد صالح واعفاف
النفس وكفها عن المحارم قال الطوفي ظاهر الحديث يقتضي ان
الوطي صدقة وان لم ينو به شيئا ولهذا اشار النبي صلى الله عليه
وسلم بقياس العكس الذي ذكره حيث قال ارايتم لو وضعها
في حرام الى اخره واذا ثبت ذلك فهو يشير الى ما قاله الكعبي
من ان المباح مامور به لان كل مباح ترك حرام وترك الحرام
مامور به فكل مباح مامور به وعليه ما ذكر من الاعتراض اهـ والحاصل
فالسنة ما ذكره النووي لقوله عليه السلام تناكحوا تناسلوا
فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقد كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يتزوج المراة لا قصد له فيها الا الارادة الولد
للمكاثرة او ليموت فيكون له اجره كما جاء في الحديث من مات له ثلاثة
من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم
الثامن الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم يسمى قياس
العكس وهو اثبات ضد الحكم في ضد الاصل كاثبات
الوزر في الوطي الذي هو ضد الصدقة في الزنا الذي هو ضد
المباح ومثله قول ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وانا اقول من مات يشرك
بالله شيئا دخل النار والقياس على ضربين قياس عكس وهو
ما ذكرناه وقياس طرد وهو اثبات مثل حكم الاصل في الفرع ثم
هو على ثلاثة اضرب قياس علة وقياس دلالة وقياس شبه
فالاول مثل قولنا النبيذ مسكر فكان حراما كالخمر والثاني كقولنا
الذمي يصح طلاقه فيصح ظهاره كالمسلم والثالث كقولنا العبد
يباع ويوهب فلا يملك كالبهيمة والله اعلم وقيل في قوله
عليه السلام ارايتم لو وضعها في حرام الى اخره جعلنا القياس وهو
مذهب العلما كافة ولم يخالف فيه الا اهل الظاهر ولا يعتد بهم
واما المنقول عن التابعين ونحوهم من ذم القياس فليس المراد منه
القياس الذي يعتمده الفقها المجتهدون وهو القياس المذكور في الحديث

الحديث السادس والعشرون

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس
يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله
عليها او يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة
وكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط الاذى عن
الطريق صدقة رواه البخاري ومسلم الكلام عليه من وجوه
احدها السلامى بضم السين وتخفيف اللام قال الجوهري السلامى
بالضم عظام الاصابع قال ابو عبيد السلامي في الاصل عظم
يكون في فرسن البعير قال الجوهري واحده وجمعه واحد وقد جمع

على سلاميات والفرسن من البعير بمنزلة الحافر من الدابة قاله
الجوهري وقال القاضي عياض في المشارق اي على كل عضو ومفصل
اي على كل عظم واصله عظام الكف والاصابع والارجل ثم
استعمل في سائر عظام الجسد ومفاصله وانما قال عليه الصلاة
والسلام عليه ولم يقل عليها وان كانت السلامى مؤنثة
حملا على معنى العضو او المفصل ومثله قوله تعالى واذا حضر القسمة
الى قوله فارزقوهم منه فالضمير يرجع الى المقسوم لان ذكر القسمة
يدل عليه ويضعف قول من قال في هذا الحديث ان الضمير يرجع
الى كل لان كلا يجب ما يضاف اليه والمضاف اليه مؤنثة
والمضاف يكتسب اليه التانيث والله اعلم وفي حديث عايشة
رضي الله عنها خلق الله تعالى الانسان على ستين وثلاث
مائة مفصل ففي كل مفصل صدقة قال صاحب الافصاح في هذا
الحديث من الفقه ان الانسان قد اعطاه الله تعالى خلقه
قال تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه وفي معنى الاية وجهان
احدهما اعطى خلقه كل شيء الثاني اعطى كل شيء خلقه
اي وهب للادمي خلقه فجملة عظام الادمي هبة من الله له
وقال ابو عبيد معنى الحديث ان كل عظم من عظام ابن ادم اذا
نظر الادمي في خلق نفسه وراى انه لو فقد عوز عظم واحد
لاختلت عليه حياته كما لو زاد وراى ان ذلك كله لم يكن
له فيه صنع وان عظام الادمي طوال وقصار ورقاق وغلاظ
فلو فقد قصر الطويل منها او طال القصير او رق الغليظ

اوغلظ الرقيق لاختل بذلك نفعه فاذا اصبح المومن فقد اعطي لين
الحركة من تركيب العظام وجعلها الجسم اصلبا لا يضعف منه
انبوب ساقه عن حمل بدن نفسه وعن حمل حمله بدنه ايضا ولاعظم
زنده عن اقلال حمل ما يرفعه بيده ولاعظام اضلاعه عن
وقاية حشاه ولاعظم يافوخه عن صيانة دماغه فينبغي ان يشكر فاعل
هذا به شكرا محتما فنبه الشرع على ان يقابل هذه النعمة بما ذكره
الا انه لطف به في تسمية ذلك صدقة مخرجا لها مخرج ما يثاب عليه
ويوجر فيه ثم احتسب له بقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وامر بالمعروف ونهي عن المنكر ثم لطف به حتى جمع ذلك كله
بان يصلي ركعتين من الضحى على معنى انه اذا قام قد عنه عظامه
واذا ركع استوت له عظامه في ركوعه واذا سجد وجلس فحينئذ
يذكر بهاتين الركعتين مطاوعة الاعضاء له في جميع استعماله
فيكون بهاتين الركعتين جامعا لشكر هذه العظام عن جميع اشغاله
من غير الصلاة كالنعمة بها عليه في الصلاة اهـ كلامه وقال
سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه في الانسان ثلاث
مائة وستون عرقا مائة وثمانون ساكنة ومائة وثمانون
متحركة فلو تحرك الساكن لم ينم ولو سكن متحرك لم ينم فالله تعالى
نسأله ان يوزعنا شكر ما انعم به علينا وفي المراد بقوله على كل
سلامى صدقة احتمالان لان احدهما ان الصدقة كما قيل
تدفع البلا فاذا تصدق عن اعضائه كما ذكر كان جديرا ان يدفع
عنه البلا الثاني ان الله عز وجل على الانسان في كل عضو

ومفصل

ومفصل نعمة والنعمة تستدعي الشكر ثم ان الله عز وجل جعل
ذلك الشكر لعباده صدقة عليهم كانه قال اجعل شكر نعمتي
في اعضائك ان تعين بها عبادي وتتصدق عليهم باعانتهم
وقوله كل يوم تطلع فيه الشمس لان دوام نعمة الاعضا نعمة
اخرى ولما كان الله عز وجل قادرا على سلب نعمة الاعضا عن
عبده كل يوم وهو في ذلك عادل في حكمه كان عفوه عن ذلك
وادامة العافية عليه صدقة توجب الشكر والرعاية ثم النعمة
دائمة فالشكر يجب ان يكون دائما قال الطوفي رحمه الله واعلم
ان الصدقة على ضربين صدقة الاموال كالزكاة وصدقة التطوع ع
وصدقة الافعال كالذي ذكره في هذا الحديث ويجمعهما عبادة
الله كالمشي الى الصلاة ونفع الناس فمنه العدل بين اثنين
تحاكما وتخاصما سوا تحاكما او مصلحا اذا نوى دفع المنافرة
بينهما امتثالا لقول الله عز وجل انما المومنون اخوة فاصلحوا
بين اخويكم كونوا قوامين بالقسط ونحوه من الامر بذلك
ومنه ان اعانة الرجل حمله او حمل متاعه على الدابة ومنه
الكلمة الطيبة نحو سلام عليك وحياك الله وانك لمحسن
وانت ان شاء الله رجل صالح ولقد اجبت جوارنا او ضيافتنا
ونحو ذلك لانه مما يسر السامع ويجمع القلوب ويولفها ومنه
اماطة الاذى عن طريق الناس اي ازالته كالشوك المؤذي
والحجر الذي يعثر به والحيوان المخوف ودعم الجدار المايل ونحوه لانه
نفع عام وفي الحديث الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها لا اله

الا الله وادناها اماطة الاذي عن الطريق **وروي** ان رجلا ممن كان
قبلكم راي غصن شوك في الطريق فقطعه فشكر الله له على ذلك
فغفر له اهـ وقال ابن الفاكهاني يحتمل عندي وجها اخر وهو ان يكون
المعنى بالاذي اذي الظالم ونحوها والطريق طريق الله تعالي
وهو شرعه وحدوده ورسومه وذلك اعظم اجرا من ازالة الاذي
الحسي بما لا يقارب والله اعلم يقال ماط الشئ واماطه
اذا نحي عنه وكذلك مطت غيري وامطته اي نحيته اهـ قال
الطوفي واعلم انه ليس مراد الحديث حصر افعال الصدقة فيما ذكر
فيه انما هي امثال لذلك ويجمعها ما قلنا من افعال العبادات
ونفع خلق الله تعالي حتى ان رجلا راي فرخا قد وقع من عشه
فرده اليه فغفر الله تعالي له واخر راي كلبا ياكل الثري
من العطش فسقاه فغفر له وعكس ذلك امراة دخلت النار
في هرة ربطتها فلا هي اطعمتها ولا هي ارسلتها تاكل من خشاش
الارض وقد ورد في كل كبد حرا اجر وقد سبق ان الله كتب
الاحسان على كل شي **وورد** ان الخلق عيال الله فاحب الناس
الى الله عز وجل اشفقهم على عياله واذا تصدق كل واحد من
الناس عن اعضايه بنفع خلق الله حصل من ذلك مقصود
قوله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب
لنفسه ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره
وليكرم ضيفه لما في ذلك من جمع القلوب وايتلافها واقامة
كلمة الحق بواسطة ذلك فاذا يكون نفع ذلك خاصا بالمسلم

المتصدق

المتصدق وعاما للاسلام والمسلمين وهذا هو مقصود الشرع
وهذا الحديث يرجع الى قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوي
وقوله عليه السلام المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا
المومن كثير باخيه المومن مراة المومن اي ينظر من نفسه بما
لا يراه كالمراة وهو ضرب من الاعانة مثل المومنين في توادهم وتراحمهم
كالجسد الواحد **قوله** وبكل خطوة يخطوها الى الصلاة صدقة
الخطوة بفتح الخاء المرة الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطا
مثل ركوة وركا والخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة
خطوات وخطوات والكثرة خطا قاله الجوهري **وعن**
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطهر
في بيته ثم مشي الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرايض
الله تعالى كانت خطواته احدها تحط خطيئته والاخري ترفع درجة
وعن ابي سعيد الخدري قال كان بنو سلمة في ناحية من المدينة
فارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد فانزل الله تبارك وتعالي
انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فدعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انه يكتب اثاركم ثم قرا عليهم الاية
فتركوا رواهما البيهقي **وعن ابي موسى** عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم اليها ممشى والذي
ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام في جماعة اعظم اجرا من
يصليها ثم ينام رواه البخاري ومسلم وروي البيهقي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

توضا فاحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله مثل
اجر من صلاها او حضرها ولا ينقص ذلك من اجورهم وروى شبا صح
النسائي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشر المشائين في ظلم الليالي الى المساجد
بالنور التام يوم القيامة وعن ابي سعيد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالايمان فان الله تعالى قال انما يعمر مساجد
الله من امن بالله واليوم الاخر وعن عمرو بن ميمون
الاودي قال اخبرنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان المساجد بيوت الله في الارض وانه لحق على الله ان يكرم من زاره فيها

الحديث السابع والعشرون

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع
عليه الناس رواه مسلم وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسال
عن البر قلت نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمانت اليه
النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتر دد
في الصدر وان افتاك الناس وافتوك حديث حسن رويناه
في مسندي الامامين احمد بن حنبل والدارمي باسناد حسن
الكلام عليه من وجوه احدها النواس بفتح النون وتشديد
الواو وسمعان بكسر السين وفتحها الانصاري روى له عن

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة عشر حديثا روى له مسلم ثلاثة
احاديث وروى له الاربعة قال الطوفي ووابصة بباء موحدة
ثم صاد مهملة اهـ وهو اسدي يكنى ابا سالم ويقال ابو الشعثا
ويقال ابو سعيد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة
في رهط من بني اسد سنة تسع فاسلموا ورجع الى بلاد قومه
ثم نزل الجزيرة وسكن الرقة وقدم دمشق وكانت له بها دار
بقنطرة سنان توفي بالرقة وقبره بها عند منارة مسجد
جامع الرقة الوجه الثاني قوله البر حسن الخلق قد سبق تفسير
حسن الخلق بانه بذل الندى وكف الاذى وان يحب للناس ما يحب
لنفسه واما البر فتارة يقابل بالفجور والاثم فيكون عبارة
عما اقتضاه الشرع وجوبا او ندبا كما ان الاثم عبارة عما نهى
عنه الشرع وتارة يقابل بالعقوق فيكون عبارة عن الاحسان
كما ان العقوق عبارة عن الاساءة وجعل الشارع البر حسن
الخلق من الحصر المجازي اي معظم البر كقوله الحج عرفة والدين
النصيحة كما تقدم الثالث قوله والاثم ما حاك في نفسك الاثم
الذنب يقال اثم الرجل بالكسر اثما وماثما اذا وقع في الاثم فهو
اثم واثيم واثوم ومعنى حاك في النفس اثر فيها وترسخ
واستقر يقال حاك فيه السيف واحاك بمعنى والحيك اخذ
القول في القلب يقال ما يحيك فيه الكلام اي ما يؤثر فيه قاله
الجوهري قال الطوفي اعلم ان النفس لها شعور من اصل الفطرة
بما تحمد عاقبته وما تذم عاقبته ولكن الشهوة غالبة عليها حتى

توجب لها الاقدام على ما يضرها كاللص تغلبه الشهوة على السرقة
وهو خايف من الوالي ان يقطعه والزاني ونحوه كذلك اذا
عرف هذا فقد تضمنت هذه الجملة علامتين للاثم احداهما تاثيره
في النفس وتردده وما ذاك الا لشعورها بسوء عاقبته والثانية
كراهية اطلاع الناس على الشي يدل على انه اثم لان النفس بطبعها
يحب اطلاع الناس على خيرها دون شرها ومن ثم هلك كثير
من الناس بالريا فاذا كرهت بعض اطلاع الناس على بعض افعالها
علمنا انه ليس خيرا او برا فهو اذن شر واثم ثم يحتمل انهما نيف
العلامتين علامة واحدة مركبة من امرين ويحتمل انهما علامتان
مستقلتان والاول اظهر لانه عطف احدهما على الاخرى بواو
الجمع **الرابع** قوله لوابصة جئت تسال عن البر هو من باب
الكشف كذا جا في بعض الروايات ان وابصة جا يتخطى
الناس حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا وابصة
تحدثني ما جئت فيه او احدثك فقال بل انت حدثني يا رسول
الله فهو احب الي قال جئت تسال عن البر والاثم قال نعم **قوله**
البر ما اطمانت اليه النفس واطمان له القلب هو كقوله
البر حسن الخلق لان حسن الخلق تطمين له النفس والقلب
وقوله الاثم ما حاك في نفسك وتردد في الصدر هو تشبيه بقوله
الاثم ما كرهت ان يطلع عليه الناس لان ما تردد في الصدر
فهو اثم او محل شبهة ولا بد في ذلك مما يكن اطلاع الناس
عليه **الخامس** قوله وان افتاك الناس وافتوك اي قد

اعطيتك علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقلد من افتوك
في مقاربته قال الطوفي واعلم ان بين هذا وبين حديث الحلال
بين ضربا من التعارض لان قوله ههنا الاثم ما حاك في النفس
وتردد في الصدر يقتضي ان الامور المشتبهة اثم لانها تحيك
في النفس وتتردد في الصدر يقتضي ان الامور وقوله هناك فمن
اتقى الشبهات فقد استبرا لدينه وعرضه يقتضي انها ليست اثما
وانما شرع اجتنابها ورعا كما رفقد اجتمع فيها ما يدل على انها اثم
وانها ليست باثم وهو عين التعارض ويجاب عن هذا بوجهين
احدهما لا نسلم ان قوله فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه
يقتضي انها ليست اثما لان الاستبرا للدين والعرض واجب
واتقاء الشبهات طريق اليه والطريق الى الواجب واجب فاتقاء
الشبهات واجب فملابستها اثم الوجه الثاني سلمنا ان
حديث النعمان يقتضي انها ليست اثما لكنه محمول على ما اذا ضعفت
الشبهة فيبنى على اصل الحل ويجتنب محل الشبهة ورعا وحديث
وابصة محمول على ما تردد في الصدر لقوة الشبهة وتمكنها في
النفس فيكون اثما اخذا بظاهر قوة الشبهة ويكون من باب
ترك الاصل للظاهر اعني اصل الحل لظاهر الشبهة وتمكنها
ويزول التعارض **الوجه السادس** سند الدارمي
لطيف وغالبه الصحة والدارمي منسوب الى دارم بن تميم واما
سند احمد فعشرون مجلدا واكثر وجملة ما فيه من الاحاديث
اربعون الف حديث يتكرر فيها عشرة الاف بقي ثلاثون الف

حديث قال احمد جمعته من سبع مائة وخمسين الف حديث وجعلته
حجة بيني وبين الله عز وجل فكل حديث لا تجدونه فيه فليس بشيء
وهذا يدل على احاطتهم بالسنة واطلاعهم عليها

الحديث الثامن والعشرون

عن ابي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب
وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كانها موعظة مودع
فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر
عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة رواه ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن صحيح الكلام عليه من وجوه احدها
عرباض بن سارية السلمي يكنى ابا نجيح كان من اهل الصفة وهو
احد البكائين نزل الشام وسكن حمص قال محمد بن عوف كل واحد
من عمرو بن عبسة والعرباض بالعين المهملة والباء الموحدة
والضاد المعجمة يقول انا رابع الاسلام لا يدري ايهما اسلم
قبل صاحبه وكان من السابقين العابدين روي انه قال
لولا ان يقال فعل ابو نجيح لابحت مالي سبلة ثم لحقت واديا
من اودية لبنان فعبدت الله حتى اموت وروي ان معاوية
اعطى المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك
ان تأخذه وما كان له ان يعطيك كاني بك في النار تحمله على

عنقك

عنقك فرده المقداد ومات سنة خمس وسبعين الثاني قوله
وعظنا يقتضي استحباب موعظة الرجل اصحابه لينفعهم في دينهم
ودنياهم ويذكرهم ويخوفهم ويشوقهم ولا يقتصر لهم على معرفة
الاحكام والحدود والرسوم وقوله موعظة وفي بعض الروايات
بليغة الى اخره فيه استحباب الابلاغ في الموعظة لترق القلوب
فيكون اسرع الى الاجابة وفي التنزيل وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
وكان عليه السلام اذا خطب احمرت عيناه وانتفخت ودجاه كانه
منذر جيش يقول صبحكم ومساكم وقوله كانها موعظة مودع فيه
جواز الحكم بالقرائن لانهم انما فهموا اياه توديعهم بقرينة ابلاغه
في الموعظة اكثر من العادة والوعظ النصح والتذكير بالعواقب
يقول وعظته وعظا وعظة فاتعظ قبل الموعظة قاله الجوهري
والوجل الخوف يقول منه وجل يوجل وييجل اربع لغات وذرفت ويأجل صح
بالذال المعجمة وفتح الراء ذرفت الدمع يذرف ذرفا وذرفانا اذا سال ذرف صح
وذرفت عينه سال منها الدمع وقوله اوصنا فيه استحباب
استدعاء الوصية والوعظ من اهلهما واغتنام اوقات اهل
الخير والدين قبل فواتهم قوله اوصيكم بتقوى الله جمع في ذلك
كل ما يحتاج اليه لما سبق ان التقوى امتثال المامورات واجتناب
المحظورات وتكاليف الشرع ليست الا بذلك قوله والسمع
والطاعة وان تأمر عليكم عبد هذا عطف خاص على عام اذ قد
اشتملت الوصية بتقوى الله عز وجل على السمع والطاعة
واعلم ان العرب تعطف الخاص على العام نحو فاكهة ونخل ورمان

وملايكته وجبريل وميكايل ونعطف العام على الخاص نحو اركعوا
واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير وقوله عز وجل
اصبروا وصابروا ورابطوا قال ابن الفاكهاني قال العلما
العبد لا يكون واليا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب
به المثل على طريق التقدير وان لم يكن كقوله صلى الله عليه
وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة
ولا يكون مفحص القطاة مسجدا ولكن الامثال ياتي فيها مثل
هذا قال القاضي ابو بكر بن العربي رحمه الله تعالى والذي
عندي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بفساد الامر ووضعه
في غير اهله حتى توضع الولاية في العبد فاذا كانت فاسمعوا له
واطيعوا تغليبا لاهون الضررين وهو الصبر على ولاية من
لا تجوز ولايته لئلا يغير ذلك فتخرج منه الى فتنة عميا
صما لا دواء لها ولا خلاص منها وقد ذكر في بعض الروايات
تعدي الولاة وظلمهم فقال اسمعوا واطيعوا ما اقام فيكم كتاب
الله وهذا واقع اليوم لا محالة ولا حاجة بنا الى التعيين
فهذه معجزاته صلى الله عليه وسلم واخباره بما سيكون وقد
كان السابع قوله من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا
قال الطوفي الظاهر ان هذا بوحي اوحي اليه فانه عليه السلام
كشف له عما يكون الى ان تدخل اهل الجنة والنار منازلهم
كما صح ذلك في حديث ابي سعيد وغيره ويحتمل انه ينظر لانه لال
فان اختلاف المقاصد والشهوات لاختلاف الاراء والمقاصد ت
بلغ مقابلته

ويجوز

ويجوز ان يكون بقياس امته على امم الانبيا السابقين بعدهم
بدليل قوله عليه السلام انها لم تكن نبوة الا كان بعدها اختلافا
كثيرا وكما قال الثامن قوله عليكم بسنتي السنة في اصل اللغة
السيرة وفي الشرع ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه
واظهره في الجماعة ولم يدل دليل على وجوبه ومرادهم بذلك
السنة التي تقابل الفرض والمراد بها في الحديث اعم من ذلك وهو
اتباع ما اصله صلى الله عليه وسلم من امر ونهي وجوبا وندبا واولا حة
بعد تصحيح العقايد الايمانية التي عليها تنبني الاحكام الشرعية
التاسع قوله وسنة الخلفا اختلف الناس في هذه اللام
فقال اهل السنة هي للعهد والخلفا الراشدون هم الاربعة بعد
النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله اقتدوا بالذين من بعدي
ابي بكر وعمر ونحوه وقال الشيعة اللام لاستغراق الوصف
اي كل من اتصف بالرشد والهدى من الخلفا بعدي فعليكم
بسنته واتباعه وانما قالوا ذلك لان ابا بكر وعمر وعثمان عندهم
ليسوا من الخلفا الراشدين المهديين لتقدمهم على علي بن
ابي طالب بغير حق ووضعهم الخلافة في غير النصاب الذي
وضع الله عز وجل فيه النبوة وهم بنو هاشم بزعمهم ونصوص
الله واجماع اهل السنة يرد عليهم في ذلك والراشد الذي
اتى بالرشد واتصف به والمهدي الذي هداه الله عز
وجل لاقوم طريق وهولاء الاربعة هم الذين شملهم الهدى
وانفذ الله فيهم وعده وانجز في قوله تعالى وعد الله الذين

امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم الاية وقال عليه السلام اقتدوا بالذين
من بعدي ابي بكر وعمر فخص من الاربعة اثنين وقال للمراة التي
سالته وامرها ان ترجع اليه فقالت له فان لم اجدك فقال تجدين
ابا بكر فخصه من الاثنين وهذا خصوص من خصوص الخصوص قال
ابن الفاكهاني في دواره صلى الله عليه وسلم بالثبات على سنة الخلفا
يكون لامرين احدهما التقليد لمن عجز عن النظر والثاني الترجيح
عند اختلاف الصحابة فيقدم الحديث الذي فيه الخلفا ابو بكر وعمر والي
هذه النزعة كان مالك يذهب ونبه عليها في الموطا قال ابن
العربي العاشر قوله عضوا عليها بالنواجذ هو كناية عن شدة
التمسك بها لان النواجذ محددة فاذا اعضت على شي تنشب فيه
ولا [illegible] وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم واياكم ومحدثات
الامور فاحذروا الاخذ بها فانها بدعة والمراد ما احدث من الامور
غير راجع الى اصل ودليل شرعي والا فسنة الخلفا الراشدين
من محدثات الامور وقد امرنا نبينا باتباعها وسواها بسنته
في وجوب الاقتدا بها وما ذاك الا لرجوعها الى اصل الشرع واعتمادها
على دليل شرعي فاذا قوله اياكم ومحدثات الامور عام اريد به الخاص
وكذلك قوله عليه السلام عليكم بسنة الخلفا الراشدين
هو عام يراد به الخاص اذ لو فرض خليفة راشد في عامة امور
سن سنة لا يعضدها دليل شرعي لما جاز اتباعها فان قلت
هذا لا يتصور لان رشده ينافي ان يسن مثل هذه السنة

قلنا

قلنا لا نسلم اذ قد يخطي المصيب ويزيغ المستقيم يوما ما واعلم ان
كلام العرب يجي بالاضافة الى العموم والخصوص على اربعة اقسام
احدها عام يراد به العام نحو والله بكل شي عليم وثانيها
خاص يراد به الخاص نحو فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وثالثها
عام يراد به الخاص نحو واوتيت من كل شي وتدمر كل شي وقول
لبيد وكل نعيم لا محالة زائل ورابعها خاص اريد به العام
نحو ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما فخص التافيف بالنهي عنه والمراد
النهي عن جميع انواع اذاهما فاعرف هذه القاعدة فانه لا يخرج
عنها شي من الكلام فايدة قال الشيخ عز الدين بن عبد
السلام رحمه الله في اخر كتاب القواعد البدعة منقسمة الى
واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال والطريق في ذلك
ان تعرض البدعة على قواعد الشريعة فان دخلت في قواعد الايجاب
فهي واجبة او في قواعد التحريم فهي محرمة او الندب فمندوبة
او الكراهة فمكروهة او المباح فمباحة وللبدع الواجبة امثلة
منها الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك واجب لان حفظ
الشريعة واجب ولا يتاتى حفظها الا بذلك وما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب الثاني حفظ غريب الكتاب والسنة
من اللغة الثالث تدوين اصول الفقه الرابع الكلام في
الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم وقد دلت قواعد
الشريعة على ان حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين

ولانيا في ذلك الا بما ذكرناه وللبدع المحرمة امثلة منها مذاهب
القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة والرد على هولاء من البدع
الواجبة وللبدع المندوبة امثلة منها احداث الربط والمدارس لله
وكل احسان لم يعهد في العصر الاول ومنها التراويح والكلام
في دقايق التصوف والجدل ومنها جمع المحافل للاستدلال
في المسايل اذا قصد بذلك وجه الله تعالى وللبدع المكروهة
امثلة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وللبدع المباحة
امثلة منها المصافحة عقيب الصبح والعصر واختار النووي
انه ان صافح من كان معه قبل الصلاة فمباحة كما ذكر وان صافح
من لم يكن معه قبلها فمستحبة قال لان المصافحة عند اللقا سنة
بالاجماع للاحاديث الصحيحة في ذلك ثم قال ومنها التوسع
في اللذيذ من الماكل والمشارب والمساكن ولبس الطيالسة وتوسيع
الاكمام وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعض العلما من
البدع المكروهة ويجعله اخرون من السنن المفعولة في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بعده كالاستعاذة في
الصلاة والبسملة هذا اخر كلامه وروى البيهقي في مناقب
الشافعي باسناده عن الشافعي رضي الله عنه قال المحدثات
من الامور ضربان احدهما ما احدث مما يخالف كتابا او سنة
او اثرا او اجماعا فهذه البدعة الضالة والثاني ما احدث
من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا وهذه محدثة غير مذمومة
وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان نعمت البدعة
هذه

هذه يعني انها محدثة لم تكن وان كان ليس فيها رد لما مضى والله
اعلم.

الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله
اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سالت
عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك
به شيا وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت
ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة
تطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وصلاة الرجل من جوف
الليل ثم تلى تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون
ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه قلت
بلى يا رسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة
وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله
قلت بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا
قلت يا نبي الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك
امك وهل يكب الناس على وجوههم او على مناخرهم في النار
الا حصايد السنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح الكلام عليه من وجوه احدها قوله لقد سالت عن عظيم
نعم قال عليه الصلاة والسلام لان عظم الشي بعظم الاسباب
ودخول الجنة والتباعد عن النار امر عظيم سببه امتثال
كل مامور واجتناب كل محظور وذلك عظيم صعب
عظيم قطعا ولولا ذلك لما قال الله عز وجل وقليل من عبادي

الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم **الثاني** قوله وانه ليسير على من يسره الله عليه
اي يشرح الصدر بالطاعة وتهيئة اسبابها والتوفيق لها فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبالجملة فالتوفيق
اذا ساعد على شي تيسر ولو كان نقل الجبال **الثالث** قوله تعبد
الله الظاهر ان المراد بالعبادة هنا التوحيد بدليل قوله
ولا تشرك به شيا ومنه يا ايها الذين امنوا اعبدوا ربكم اي الناس صح
وحدوه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي يوحدون
فعلى هذا يكون قد ذكر له التوحيد واعمال الاسلام ويحتمل
ان العبادة ههنا تتناول الايمان الباطن والاسلام
الظاهر فيكون قوله وتقيم الصلاة الى اخره عطف خاص على
عام لتضمين قوله تعبد الله ما بعده **الرابع** قوله الا ادلك
على ابواب الخير طرقه الموصلة اليه وهو عرض نحو قوله تعالى
هل ادلكم على تجارة تنجيكم الاية وفيه التشويق الى ما سيذكر
ذكره ليكون ذلك اوقع في النفس والخير هنا ضد الشر وانما
قال ابواب بصيغة جمع القلة وان كان في سياق الترغيب
والحض لانه لا كثرة لكا ذات وافلام ونحو ذلك حالا كثرة
فيه وعلاقة المجاز فيه انه كما ان الباب منه يدخل الى البيت ونحوه
فكذلك يدخل الى الخير من بابه فشبه المعقول فيه بالمحسوس
قوله الصوم جنة اي وقاية من سورة الشهوة في
العاجل ومن النار في الاجل والجنة بضم الجيم والمراد بالصوم

هنا

هنا غير الفرض وكذلك بالصدقة لقرينة ذكر الصوم والزكاة
قبل قوله والصدقة تطفي الخطيه اي تمحوها ان الحسنات
يذهبن السيات **وانما** استعار لفظة الاطفا لمقابلة كما
يطفي الما النار وان الخطيئة يترتب عليها العقاب الذي هو
اثر الغضب والغضب يستعمل في الاطفا يقال طفا غضب فلان
وانطفى غضبه لانه في الشاهد فوران دم القلب عن غلبة الحرارة
ولعله انما خص الصدقة لتعدي نفعها ولان الخلق عيال
الله عز وجل والصدقة احسان اليهم والعادة ان الاحسان
الى عيال شخص يطفي غضبه وسبب اطفاء الما النار انهما
غاية التضاد اذ النار حارة يابسة والما بارد رطب فقد
ضاده بكيفيته جميعا والضد يدفع الضد ويبطله **قوله**
وصلاة الرجل من جوف الليل اي في جوفه وحروف الصفات
تتناوب ويحتمل ان مبتدا الصلاة في جوف الليل فيكون
لابتدا الغاية ويحتمل انها للتبعيض اي صلاته بعض الليل
اي في بعض جوف الليل قال ابن الفاكهاني واختلف
في الافضل من اوقات الليل فمذهبنا انه الثلث الاخير منه
وقال الشافعي ان جزا الليل اثلاثا فالثلث الاوسط افضل
ودليلنا حديث النزول وهو في الصحيح واحتج الشافعي
بحديث كان داود ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام
سدسه وهذا الحديث محتمل لهما اذ كان جوف الليل صادقا
على وقت النصف والثلث وفي الحديث من قام من الليل فذ حل

شاة كتب من قوام الليل وهل يشترط ان يكون قيام الليل بعد
النوم او لا يشترط ذلك وظاهر الحديث الاطلاق وبين العلما
في ذلك خلاف والله اعلم قوله ثم تلى تتجافى جنوبهم عن
المضاجع حتى بلغ يعملون معنى التجافي الترك والتنحي يقال تجافى
جنبه عن مضجعه اذا نحاه وفي الحديث يجافي بضبعيه اي يبعدهما
عن الارض وعن حوشب فقوله تعالى جنوبهم عن المضاجع اي
يبعد ويزول وقيل التجافي التنحي الى فوق واستحسنه ابن عطية
والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم واختلف المفسرون في وقت
هذا التجافي فعن انس بن مالك قولان احدهما الصلاة بين
المغرب والعشا والثاني انتظار العشا الاخرة لانها كانت
توخر الى نحو ثلث الليل وقال الضحاك تجافي الجنب هو ان يصلي
الرجل العشا والصبح في جماعة قال ابن عطية وجمهور المفسرين
على ان المراد صلاة النوافل بالليل قال ابن عطية وصحح الزجاج
هذا القول بانهم جوزوا باخفا فدل ذلك على انه العمل اخفاه
ايضا قلت يريد قوله جوزوا باخفا ما في قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون انتهى كلامه
قلت قيام الليل يصدق بركعتين فقد روى النساي عن
ابي سعيد وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين جميعا
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات واحسن القيام
ما وصفت به عايشة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي

اربعا

اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسال
عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا وقالت كان يقوم
اذا سمع الصارخ وقد قال عليه السلام ان افضل القيام
داود وكان ينام النصف الثاني الى ان يبقى السدس افضل
ويويده ما قال ابو مسلم قلت لابي ذر اي صلاة الليل
افضل فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال نصف الليل وقليل فاعله رواه ابو بكر الرازي
في احكام القران العظيم واما حديث النزول فقد ورد
فيه حين يبقى ثلث الليل الاخير وورد حين يمضي ثلث الليل
الاول وفي لفظ اذا مضى شطر الليل وكلها في الصحيح اي تنزل
رحمة الله او ملكه ولا تدافع بين الروايات فيحمل على اختلاف
الليالي او على ترادف الرحمة في الاوقات الثلاثة وهو الظاهر
لان في بعضها وذلك كل ليلة وعن انس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل يقول اني لاهم
باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتي والى المتهجدين
والى المتحابين فيّ والى المستغفرين بالاسحار صرفت عذابي
عنهم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بلغنا ان
داود نبي الله عليه السلام سال جبريل عليه السلام اي
الساعات الليل افضل فقال ما ادري الا ان العرش يهتز من
السحر وقال سفيان الثوري بلغنا انه اذا كان من اول
الليل نادى مناد الا ليقم العابدون فيقومون فيصلون

قيام صح
نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه
وهذا نص في ان القيام
من اول صح

ما شاء الله الى السحر فاذا كان السحر ينادي منادٍ اين المستغفرون
فيستغفروا الله ويقوم اخرون ويصلون فيلحقون بهم فاذا
طلع الفجر نادي منادٍ ليقم الغافلون فيقومون من فرشهم كالموتي
نشروا من قبورهم ذكر ذلك الثعلبي **قال البخاري** وفي حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عبد الله بن رواحة رضي الله
عنه • وفينا رسول الله يتلو كتابه • اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدي بعد العمي فقلوبنا • به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه • اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
وبالجملة فالليل وقت شريف فيه كلم الله موسي على جبل الطور
واسري بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جاوز البيت المعمور وهو محل الخلوة
والانس بالله وانقطاع التعلق من الخلق قال الفضيل اذا غربت
الشمس فرحت بخلوتي بربي واذا طلعت اخزن لدخول الناس
علي • واعلم ان ترك قيام الليل مكروه ففي صحيح مسلم عن ابن
مسعود قال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل نام
حتى اصبح فقال ذلك رجل بال الشيطان في اذنيه او قال في اذنيه
وفي ذلك يقول القايل •

بين الرقاد وبين اصحاب الجوي • في الليل حرب سيفه لا يغمد
ام نقض ليلتهم بعبض دموعهم • الا وتيران الحشي لا تبرد
ياحسنه والليل داج خاضعا • يتلو الكتاب بعبرة تتردد
فاذا راي نجم الظلام مولّيا • ناداه والانفاس منه تصعد
ياليل عرج لا تفرق بيننا • طابت بك العتبي فليتك سرمد

(margin: ثم ينادي في شطر الليل الاول [illegible] القانتون فيقومون فيصلون ما شاء الله صح)

قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك براس الامر وعموده الى اخره لان
الجهاد مقرون بالهداية بدليل قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين والهداية محصلة لمقصود
هذا السايل اذ يلزمها دخول الجنة والمباعدة عن النار فلاجرم
كان الجهاد راس امر هذا السايل وعموده وذروة سنامه الا تري
انه جعل الامر كالجسد والجهاد كالراس له ولا يعيش الحيوان بغير راس
وذروة بضم الذال وكسرها والقياس جواز الفتح لحدوث اعلى كل شي
وذروة سنام البعير طرف سنامه اي لا شي من معالم الاسلام
اشهر ولا اظهر منه فهو كذروة السنام التي لا شي من البعير اعلى منها
وعليها يقع بصر الناظر من بعد قلت وههنا سوال وهو ان
البيهقي روي في شعب الايمان هذا الحديث وفيه الا ادلك على
راس الامر وعموده وذروة سنامه اما راس الامر فالاسلام من اسلم
سلم واما عموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ثم
قال الحليمي معنى هذا والله اعلم ان الاسلام هو الذي لا يصح
شي من الاعمال الا به وانه فات لم يبق معه عمل فهو كالراس الذي
لا يسلم شي من الاعضا الا ببقايه فاذا فارق الجملة لم ينتفع
بعده بشي من الاعضا فاما الصلاة فانها عمود الامر فالامر
هو الدين لان الاسلام لا ينفع ولا يثبت من غير الصلاة ولا
يغني قبولها عن فعلها لان الاسلام وحده لا يحقن الدم
حتى يكون معه اقامة الصلاة اه فهذه الرواية تدل على ان
الراس هو الاسلام والعمود الصلاة والذروة الجهاد ورواية

قوله

الترمذي تدل على ان مجموع الثلاثة الجهاد وفضائله ورواية
البيهقي اقرب الي القواعد الشرعية فائدة قال ابن هبيرة
في كتاب اجماع الائمة الاربعة اختلفوا في افضل الاعمال بعد
الفرايض فقال الشافعي الصلاة افضل الاعمال البدنية وتطوعها
افضل التطوع وقال احمد لا اعلم بعد الفرايض افضل من الجهاد
واما مالك وابو حنيفة فمذهبهما انه لا شي بعد فرض الاعيان
من اعمال البر افضل من العلم ثم الجهاد وقد جاء في الخبر انه
يوزن مداد العلما ودم الشهدا يوم القيامة فيرجح مداد العلما
على دم الشهدا ومعلوم ان اعلى ما للشهيد دمه وادنى ما للعالم
مداده فاذا لم يف دم الشهيد بمداد العالم كان ما وراء دم
الشهيد من ساير فنون الجهاد كلا شي بالاضافة الى ما فوق
المداد من فنون العلم وذكر ابن ابي زيد عن ابن القاسم انه قال
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جميع اعمال
البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع اعمال البر والجهاد
في طلب العلم الا كنقطة في بحر قوله الا اخبرك بملاك ذلك
كله قال الجوهري ملاك الامر وملاكه ما يقوم به بريد بفتح
الميم وكسرها ويقال القلب ملاك الجسد اي رابطة وضابطه
لان الجهاد وغيره من اعمال الطاعات غنيمة وكف اللسان
عن المحارم سلامة والسلامة في نظر العقلا مقدمة على
الغنيمة قوله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا اللسان
جارحة الكلام واللسان اللغة والكلام قال تعالى وما

ارسلنا

ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم وانشد ابو علي في كلمته
ندمت على لسان كان مني ❊ فليت بانه في جوف عكم
ثم قال فهذا لا يكون الا اللغة والكلام لان الندم لا يقع على
الاعيان فاما الجارحة فقد ذكر ونونث قال ابو علي ولغة القران
التذكير ويجي الجمع فيه على افعلة نحو قوله تعالى واختلاف السنتكم
تدل على ذلك قيل يريد ان القاعدة في ذلك ان كل اسم كان
على اربعة احرف ثالثة حرف مد ولين ان كان مذكرا جمع على افعلة
نحو جواب واجوبة وعمود واعمدة ورغيف وارغفة وان كان
مونثا جمع على افعل نحو عناق واعنق وذراع واذرع وقد جاء في القران واعنق صح
على افعلة فدل على التذكير واما من انثه فيقول السن كاعنق لطيفة
ثانية قال ابن الفاكهاني انما اخذ عليه السلام بلسان نفسه
ولم يستغن عن ذلك بقوله كف عليك لسانك لما تمهد من
ان الامور العقلية متاخرة عن الادراكات الحسية في الزمان
فلا جرم كانت النفس بالحسيات آلف فاذا ذكرت المعنى العقلي
الجلي ثم عقبته بالتمثيل الحسي كنت ناقلا له من الخفا الي
الظهور حتى ان العقلي اليقيني قد يزيد التمثيل بالحسي
زيادة قوة كما في قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه
وعلى ساير النبيين ولكن ليطمئن قلبي ولو قلت والله
ما تنال منه قدر خردلة كان مثلك الجزم له في كفك واشارتك
اليها ابلغ وذلك بان تقول والله لا تنال منه قدر هذه
الخردلة وكذلك لو قلت عند اشارتك الي الماء والنار هذا

وذاك كيف يجتمعان كان ابلغ مما اذا قلت الماء والنار كيف يجتمعان
فتنبه لها لطيفة ما احلاها وفائدة ما اسناها اه وقد سبق قوله
صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا
او ليصمت وثبت في الحديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان
الله لا يلقي لها بالا يكتب له بها رضوان الله الى يوم القيامة
وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يعلم انها تقع حيث
تقع فيكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه وفي رواية يهوي بها
في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب قوله كف عليك اما انه وضع
على موضع عن يعني كفه عنك او انه ضمن كف معنى احبس وفي الحكمة
لسانك اسيرك ان اطلقته فرسك وان امسكته حرسك وكان
ابو بكر الصديق يمسك بلسانه يقول هذا الذي اوردني الموارد
قوله ثكلتك امك الثكل فقدان المراة ولدها وكذلك
الثكل بالتحريك امراة ثاكل وثكلى وثكلته امه ثكلا وهذا من
باب تربت يداك وعقري حلقي مما لا يراد به حقيقة الدعا
على المخاطب قوله وهل يكب الناس قال ابن الفاكهاني كب من
النوادر فانه يتعدي ثلاثيا ولا يتعدي رباعيا تقول كببت
الشي واكب هو فلا يتعدي وقوله كف عليك يحتمل انه
عام خص بالكلام بالخير كقوله فليقل خيرا او ليصمت ويحتمل
انه من باب المطلق وقد عمل به في كف اللسان عن الشر فلا يبقى
له دلالة على غير ذلك واصل الاحتمالين ان الفعل يدل على
المصدر لكن هل يفيد المصدر منكرا فيعم نحو الكف او منكرا

قال

فلا بد وعليه اختلف فيما احسب فيما اذا قال الطلقة طلاقا هل يقع
ثلاثا او واحدة وقول معاذ وانا لمواخذون بما نتكلم هذا منه م
استيناف وتعجب واستغراب يدل على ان معاذا لم يكن يعلم ذلك
فان قيل كيف خفي هذا على معاذ وقد قال عليه السلام اعلمكم
بالحلال والحرام معاذ والكلام المواخذ به حرام وهذا لم يعلمه
فالجواب من وجهين احدها ان ظاهر الحلال والحرام
في المعاملات الظاهرة بين الناس لا في معاملة العبد مع ربه
الوجه الثاني انما صار اعلمهم بالحلال والحرام بعد هذا والحصائد
جمع حصيدة يعني محصودة والحصائد ما قيل في الناس باللسان
وقطع جلبهم قاله الجوهري في هذا الحديث شبه ما تكسبه الالسن
من الكلام الحرام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وقوله وهل
يكب الناس استفهام انكاري اي ما يكب الناس الا حصائد السنتهم
وهو يقتضي ان كل من يكب في النار فسبب ذلك لسانه وهو عام
اريد به الخاص فان في الناس من يكب في النار بكلامه وبعضهم
بعمله وانما خرج هذا مخرج المبالغة في تعظيم الكلام كقوله الحج عرفة
والمراد معظمه الوقوف كذلك معظم اسباب الكلام كالكفر والقذف
والسب والنميمة والغيبة ونحو ذلك وفي الحديث

الحديث الثلاثون

عن ابي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرض فرايض فلا تضيعوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشيا فلا تنتهكوها وسكت

عن اشياء منه لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها حديث حسن رواه الدار
قطني وغيره الكلام عليه من وجوه احدها جرثوم بن ناشر وقيل
ناشب وقيل ناشم ويقال جرهم بن ناشر ويقال جرثوم بن الاشعر
ابن النضر ابو ثعلبة الخشني كذا قال ابن البرقي ونسبه في خشين
الحاف بن قضاعة ابن مالك بن حمير بايع تحت الشجرة وضرب
له بسهمه يوم خيبر وارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قومه فاسلموا نزل بالشام ومات بها اول امارة عبد الملك
والاول اكثر روى عنه ابو ادريس الخولاني وجبير بن نفير
ومسلم بن مسلم روى له الجماعة الثاني قد تضمن هذا الحديث قواعد
الشرع لان الحكم الشرعي في نفس الامر اما مسكوت عنه او متكلم
به وهو اما منهي عنه او مامور به او حد زاجر عن منهي عنه والمنهي
عنه اما مكروه او محرم والمامور به اما مندوب او مفروض فالمفروض
حقه ان لا يضيع كالايمان والاسلام وما وجب من خصايلهما
والحرام حقه ان لا يقارف كالكفر والزنا والربا والسرقة والقذف
والسحر وشهادة الزور واكل مال اليتيم والحدود هي الزواجر الشرعية
كحد الردة والزنا والسرقة والشرب ونحوها وحقها ان يقام على اهلها
من غير محاباة ولا عدوان كقوله عليه السلام حد يقام في الارض
خير من مطر اربعين صباحا وانما حملنا الحدود في الحديث على انها
الزواجر دون الوقوف عند النواهي والاوامر لئلا يتكرر مع ما
قبلها وبعدها اذ الفرايض المفروضة محدودة لانها مقدرة
مخصوصة يجب الوقوف عند تقدير الشرع فيها وكذلك المحرمات

وفي [illegible] سنة خمس وسبعين وقيل [illegible]

المحظورة

المحظورة حدود محدودة وكلا الامرين محتمل فيها اعني حملها على الزواجر
وعلى الوقوف عند النواهي والاوامر فان حملت على الزواجر فمعنى لا
تعتدوها لا تزيدوا عليها عما امر به الشرع فان قيل كيف جلد
عمر في الخمر ثمانين وانما جلد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي
الله عنه فيه اربعين قلنا قد قال علي رضي الله عنه ان ذلك كله
سنة ولان الناس اكثروا من الشرب زمن عمر ما لم يكثر وا منه
قبله فزاد في جلدهم تنكيلا وزجرا وقد قال عليه السلام اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفا
الراشدين من بعدي فمن ههنا كانت زيادة عمر في حد الشرب
سنة اذ كان مامورا بالاقتداء فان قيل فكيف قال علي لا يموت
احد في حد وفي نفسي منه شي الا شارب الخمر فانه لو مات وديته
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه وهذا يعارض
قوله وكل ذلك سنة قلنا اراد لم يسنه بنص قوله وبفعله لان
حكم عمر بذلك اجتهادا فيه مراعيا للمصلحة به سنة ايضا قاله
الطوفي وفيه نظر لانه اذا كان سنة فكيف قال علي رضي الله
عنه اذا مات وديته وان لم يكن سنة فكيف قال وكل سنة وهو
اشكال قوي وان حملت الحدود على الوقوف عند النواهي فمعنى
لا تعتدوها اي لا تجاوزوا ما حد لكم بمخالفة المامور وارتكاب
المحظور واضاعة الفرايض اما بتاخيرها عن وقتها وهي
ابشر التضييعين وتنتهكوها بتركها او جحدها تهتكيين واما
ما سكت الله عز وجل عنه اي لم يذكر حكمه فهو رحمة لهم وتخفيف

بتركها او جحدها

عنهم لا نسيان لتلك الاحكام ولا يضل ربي ولا ينسى ويشهد لهذا قوله
عليه السلام ان اعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سال عن شيء لم
يحرم فحرم من اجل مسئلته دل على ان ثم اشياء لم يذكر احكامها
او لا احكام لها **تنبيه** قال ابن الفاكهاني في بلوغ من قوله
عليه السلام وسكت عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها
ان الاشيا قبل ورود الشرع على الاباحة هكذا قاله بعضهم
وظاهر الحديث عندي ان لا حكم البتة وهذا هو الصحيح في الاصول
خلافا للابهري من اصحابنا القايل بالحظر ولابي الفرج القايل
بالاباحة اه قال الطوفي واعلم ان للظاهرية في هذا الحديث
طرفا من التمسك لان مذهبهم اتباع ظواهر النصوص وما لا حكم
له في النصوص ردوه الى حكم ما قبل الشرع وهو ظاهر هذا الحديث
لانه نهى عن البحث عما سكت عنه والقول بالقياس والحاق المسكوت
عنه بالمنطوق بحكمه بحث عما سكت عنه فيكون على خلاف الشرع
فيكون مردودا عملا بقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد واعلم
ان هذا الاستدلال ظني وادلة القياس قاطعة فلا يعارضها
الظني والله اعلم

الحديث الحادي والثلاثون

عن ابي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله دلني على عمل اذا عملته احبني الله واحبني الناس فقال ازهد
في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس حديث

حسن

حسن رواه ابن ماجه وغيره باسانيد حسنة **الكلام** عليه من وجوه
الاول في تفسير الزهد وحقيقة الدنيا وحقيقة المحبة اما تفسير
الزهد فقد قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه اختلف
الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد في الحرام لان الحلال مباح من
قبل الله سبحانه فاذا انعم الله على عبده بمال من حلال وتعبده
بالشكر عليه فتركه باختياره لا يقدم على امساكه بحق اذنه ومنهم
من قال الزهد في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة فان اقلال
المال والعبد صابر في حاله راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه
اتم من توسعه وتبسطه في الدنيا وان الله سبحانه زهد الخلق
في الدنيا بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل وغير ذلك من الايات
الواردة في ذم الدنيا والتزهيد فيها ومنهم من قال اذا انفق
ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما نهاه الشرع
في حال العسر فحينئذ يكون زهده في المال عن الحلال اتم ومنهم
من قال ينبغي للعبد ان لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب
الفضول مما لا يحتاج اليه ويراعي القسمة فان رزقه الله تعالى
مالا من حلال شكره وان وفقه الله على حد الكفاف لم يتكلف
في طلب ما هو فضول المال فالصبر احسن لصاحب الفقر والشكر
اليق بصاحب المال وتكلموا في معنى الزهد فقال سفيان
الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس
العبا وقال الجنيد سمعت السري يقول ان الله سلب الدنيا
عن اوليائه وحماها عن اصفيائه واخرجها من قلوب اهل وداده

لانهم يرونها لهم وقيل الزهد من قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتاسف
على مفقود منها قال ابو عثمان الزهد ان تترك الدنيا ثم لا تبالي
من اخذها وقال ابن الجلا الزهد وهو النظر الى الدنيا بعين الزوال
لتصغر في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها وقال ابن خفيف
هو سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي من الاملاك وقال
الجنيد الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد وقال رجل لذي النون
المصري متى ازهد في الدنيا فقال اذا زهدت في نفسك وقال احمد
ابن حنبل الزهد على ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد العوام
والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث
ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين وقيل
ما خرج الزاهدون الا الى انفسهم لانهم تركوا النعيم الفاني للنعيم
الباقي وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه
حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد الوجه الثاني
في حقيقة الدنيا قال الشيخ ابو العباس احمد الاندلسي الاقليشي رحمه الله
في شرح الشهاب اعلم ان تحقيق القول في حقيقة الدنيا قل ما تجده
مستوفى وها انا اشير فيها الى كلام مختصر يجمع نظام الحقيقة
فيها ويحصر فهمها ان تعلم ان للدنيا وجودا في ذاتها غير مضاف
الى الانسان ولذلك لا ينطلق عليها ذم اذ هي خلق الله عز وجل من خلق هو
ارض وماء وهوا ونار ونبات وغير ذلك من الاشيا المخلوقة
وحدها كل ما يفنى ويستحيل اذ الشرع قد صرح بان الدنيا هي بلغ مقابلة

الفانية

الفانية والاخرة هي الباقية وتسمى هذه دار الفنا ثم بعد ذلك حدث
اسم الدنيا لها مضافا الى العبد اذ هي داره الادنى له واذ وراها
دار اخرى فكانت هي الحياة العاجلة وما بعدها الحياة الآجلة
وحدها في هذا القسم مضافا الى الاشخاص فدنيا كل انسان مدة
حياته فاذا مات تمت دنياه ومضى الى اخراه ثم هذه الدنيا هي حياة
العبد العاجلة يمكن العبد ان يكون سعيه فيها مرضيا كما امره الله
تعالى ويمكن ان يكون مكروها كما نهاه الله عنه فان كان
مرضيا كانت الدنيا في الحالين محمودة في حقه اذ جنى من شجرتها ثمرا
طيبا وان كان سعيه مكروها كانت الدنيا في القسمين مكروهة
مذمومة في حقه اذ جنى من شجرتها ثمرا وبيلا وكفر بنعمة الله تعالى
عليه في الدنيا التي مهدها له وجعلها وسيلة الوصول اليه ولدهم
وفي حياته العاجلة التي يمكن بها السعي اليه فالذم ابدا انما ينطلق
على مساعي العبد الكريهة في الدنيا لا على نفس الدنيا التي هي اعيان
واكوان ولا على حياته العاجلة التي بها يتوصل الى الآجلة بل
مدحها الله وذكرها في معرض الامتنان كقوله تعالى الله الذي
خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم الى قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والقرآن
قد احتوى على كثير من هذا فاذا علمت هذا استغنيت عن تعب
طويل في طلب حقيقة الدنيا وانحصرت لك فيما ترى وعلمت
ان الحب في الدنيا الذي ذمه الله تعالى انما هو الذي تلهيه
الاعراض الفانية عن الحقائق الباقية وتشغله حياته العاجلة

عن السعي للدار الآجلة واما من كانت الدنيا معينة له على طاعة الله تعالى ولم تجذبه محبة حياته العاجلة عن محبة الحياة الآجلة فهو محمود عند الله لان الله تعالى ايده حتى لم ينخدع برونق الدنيا وزخرفها ولا تدنس لوح قلبه بظلمة زخرفها فان لنفس الانسان بسجيتها انجذابا الى هذه الحلوة الخضرة والزهرة النضرة التي امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يغمض عينيه عن رونقها الفتان فقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه الاية لان الله تعالى جعلها زينة ليختبر بها عباده كما قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا فقوله عليه السلام ان الدنيا حلوة خضرة جعلها حلوة باضافتها لسجية الانسان فمن اتبع نفسه حلاوتها هلك بتلك الحلاوة هلاك الذباب في العسل ومن اذاق نفسه صبر الصبر على حلاوتها اعقبه ذلك حلاوة آجلة لا نفاد لها ومعنى خضرة اي ناعمة طرية واصله من خضرة الشجر وعليه قوله تعالى فاخرجنا منه خضرا اي ورقا اخضر يقال اخضر خضل مبالغة في الوصف وكل ناعم فهو خضر واشار بخضرتها الى جمالها في سجية الانسان وتنبيها على انها تجف سريعا وتذبل ولهذا سماها الله زهرة فان الزهر سريع الجفاف والذبول

الوجه الثالث في بيان معنى

محبة

محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد له قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية محبة العباد لله مجاز عن ارادة انفسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم **وعن الحسن** زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقال الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى محبة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام فالرحمة اخص من الارادة والمحبة اخص من الرحمة فارادة الله ان يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رحمة وارادته كان يخصه بالقربة والاحوال العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة بحسب تفاوت متعلقاتها تختلف اسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا محبة الحق للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقى العبد به وحالة مخصوصة يرقيه اليها كما قال بعضهم ان رحمته بالعبد نعمته به وقوم من السلف قالوا محبته من

الصفات الخبرية واطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير فاما
ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل
الى الشيء والاستيناس بالشيء وكحالة يجدها المحب مع محبوبه
من المخلوقين فالقديم سبحانه وتعالى عن ذلك واما المحبة
العبد لله فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبادة وقد
تحمله تلك الحالة على التعظيم له وايثار رضاه وقلة الصبر
عنه والاهتياج اليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستيناس ص
بدوام ذكره له بقلبه وليست محبة العبد له سبحانه متضمنة ميلا
ولا احتظاظا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك
والاحاطة والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب اولى منه بان
يوصف بالاحتظاظ ولا توصف المحبة بوصف ولا تحد بحد اوضح
ولا اقرب الى الفهم من المحبة والاستقصاء في المقال عند حصول
الاشكال فاذا زال الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة
الى الاغراق في شرح الكلام وعبارات الناس عن المحبة كثيرة وتكلموا
في اصلها في اللغة فبعضهم قال الحب اسم لصفاء المودة لان
العرب تقول للصفاء بياض الانسان ونضارتها حبب الانسان
وقيل الحباب ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة
غليان القلب وثورانه عند التعطش والاهتياج الى لقاء
المحبوب وقيل انه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه فسمي الحاء
بذلك لان المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات وقيل
انه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه فسمي بذلك

لان

لان المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات وقيل اشتقاقه من
اللزوم والثبات يقال احب البعير وهو ان يبرك فلا يقوم
فكان المحبة لا تبرح بقلبه عن ذكر محبوبه ثم قال واما اقوال الشيوخ
في حقيقتها الى الان قال وقال ابو عبد الله القرشي حقيقة
ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شيء وقال سحنون
ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والاخرة لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال المرء مع من احب وهم مع الله تعالى اه وقال بعض
العارفين مساكين اهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما نالوا طيب
ما فيها قيل وما اطيب ما فيها قال المحبة لله والانس به والشوق
الى لقائه والتنعم بذكره وطاعته وقال اخر انه لتمر بي اوقات
اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب
وقد قال سحنون المحب

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم ° وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك اجابه ° فلست اراه عن فنائك يبرح
بليت ببعد منك ان كنت كاذبا ° وان كنت في الدنيا بغيرك افرح
وان كان شيء في البلاد باسرها ° اذا غبت عن عيني لعيني يلمح
فان شئت واصلني وان شئت ° لا تصل فلست ارى قلبي لغيرك يصلح

فاذا عرفت هذه الحقايق فاعلم ان الزهد مما كان سببا لمحبة
الله تعالى لعبده لان الدنيا مبغوضة لله وباغض مبغوضك
موافقك والمحبة هي الموافقة اما كونها مبغوضة عند الله فلانها
لهو ولعب والله لا يحبهما ولانها شاغلة عن الله والله تعالى

يبغض الشيء لفعل عنه وقد روى ابن الاعرابي عن ابي موسى بن يسار
انه بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم يخلق خلقا
ابغض اليه من الدنيا انه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى
الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم حسن غريب
وعن ابن الاعرابي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء
بالاعمال يوم القيامة في صورة حسنة ويجاء بالدنيا في صورة
قبيحة فتقول يا رب انا الدنيا فاجعلني اليوم لادنى اهل
الجنة منزلة قال فيقول لها انت اقل من ذلك انت احقر من
ذلك بل انت واهلك الى النار وروى البزار عن ابي الدردي
قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بدمنة قوم فيها سخلة ميتة
قال ما لاهلها فيها حاجة قالوا يا نبي الله لو كان لاهلها
فيها حاجة ما نبذوها قال فوالله للدنيا اهون على الله من
هذه السخلة على اهلها فلا الفينها اهلكت احدا منكم وروى
الترمذي عن سهل بن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقا
كافرا منها شربة قال هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه
وروى ابن الاعرابي عن ابن عباس قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة
في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف
على الخلائق فيقال تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله
من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم (تقطعتم)

الارحام

الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم
فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها
اتباعها واشياعها وعن ابي هريرة قال الدنيا معلقة بين السماء
والارض كالشن البالي تنادي يا رب لم تبغضني فيقول الله تعالى
اسكتي يا لاشي قال العلماء اذا علم الانسان ان الدنيا ليس لها غاية
فهو لا يزال ساعيا في طلبها متعبا لنفسه غير قانع يبتغي فيها
ولا يكفيه منها شيء كما قال صلى الله عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان
من ذهب لابتغى لهما واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب
ويتوب الله على من تاب رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم
تعس عابد الدينار والدرهم والخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط
لم يرض ويروى قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد
الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا
شيك فلا انتقش طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه مغبرة قدماه
ان كان في الحراسة (كان في الحراسة صح) وان كان في الساقة كان في الساقة ان استاذن
لم يؤذن له وان شفع لم يشفع وعن عبد الله بن مسعود قال
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد اثر الحصير
في ظهره فقلت لو نمت يا رسول الله على ما هو الين من هذا
فقال ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب مر بارض
فلاة فراى شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه دخل يوما على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على حصير وقد اثر في جنبه فبكى عمر فقال ما يبكيك

يا عمر فقال ذكرت كسري وقيصر عدوي الله في الخز والقز والحرير
والديباج وانت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال
له افي شك انت يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لهم الدنيا
ولنا الاخرة قال بلى قال فهو كذلك وقد روي عن بعضهم انه قال لو
ان الدنيا كانت لولو تفنى والاخرة خزفة تبقى لكان ينبغي لمن يعقل
ان يؤثر ما يبقى على ما يفنى فكيف والامر بالعكس لان الخسيس
هو الفاني والرفيع هو الباقي فما لنا لا نعقل ما يراد بنا وقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا مزبلة فلا يدفن
احدكم قلبه في المزبلة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعها
قال بلى يا رسول الله قال فاخذ بيدي فاتى بي واديا من اودية
المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعظام الدواب وعذرات
وخرق فقال اللهم ترون هذه الروس انها كانت حرصكم وامل
امالكم ثم قد عادت عظاما تلوح ثم هي كاينة رمادا وهذه
عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها الافاق وهذه الخرق
رياشهم ولباسهم وهذه العذرات الوان اطعمتهم تقذفوها
في البطون فعادت يتحاماها الناس فمن كان باكيا على
الدنيا فليبك على هذه قال فما برحنا حتى اشتد بكا وناصرب
صلى الله عليه وسلم هذا المثل تنبيها لهم على النظر في العاقبة
وغض البصر عن المبدا كما قال بعض السلف انظروا الى الناس
في اعيادهم هل ترون فيها الا خرقة تبلى وجسدا ياكله التراب
غدا

غدا
وقد روي في حديث معناه ان المرء اذا قعد على منهصبه بعث
اليه ملك يعكس رقبته او نحو ذلك حتى يري ما يخرج منه وكثيرا
ما ينظر المرء الى ذلك في هذه الحال ولكن المعتبر بذلك قليل
وقد ذكر ان بعض النساك كان ينزل من جبله وموضع متعبده
الى الساحل من البحر الى موضع كان فيه من هذه الاقذار والعذرات
فينادي طايفة من الليل في هذا والله مضت حسنات القوم
وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يكثر من ان
يقول في خطبه ما للمرء والتكبر يدخل كل يوم احدكم الخلا كرتين
ويغسل الخرا بين مرتين الى ما يخرج من انفه وحلقه وما يجتمع
في مقابيه ما يعرف المرء قدره فقال حتى كان يقذر الينا انفسنا
واعلم ان جملة القول في الدنيا انها قنطرة تعبر ولا تعمر فمن عمرها
اخطا ومن غيرها اصاب لكنها الطريق المستقيمة بجانفا ذا تقرر
هذا فقد علمت قطعا ان محب الدنيا مبغوض عند الله عز وجل
فالزاهد فيها الراغب عنها محبوب لله عز وجل ومحبة الدنيا
المكروهة هي ايثارها اقتضاء شهوات النفس واوطارها
لان ذلك يشغل عن الله عز وجل اما محبتها لفعل الخير
وتقديم الاخرة بها عند ربه ونحو ذلك فهو عبادة
لقوله عليه السلام نعم المال الصالح للرجل يصل به رحما
ويصنع به معروفا وفي الاثر اذا كان يوم القيامة جمع الله
عز وجل الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا
مالنا عاد الينا سعد به قوم وشقي به اخرون واما ان الزهد

بما عند الناس بسبب محبة الناس فلان الناس يتنافسون على الدنيا
بطباعهم اذ الدنيا منيتهم والناس كلابها فمن زاحم عليها يبغضوه
ومن زهد فيها ووفرها عليهم احبوه ويروى من شعر الشافعي
رضي الله عنه في هذا المعنى

ومن يامن الدنيا فاني طعمتها • وسيق الينا عذبها وعذابها
وما هي الا جيفة مستحيلة • عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها • وان تجتذبها نازعتك كلابها

قال القاضي عياض رحمه الله واما المزهود من اجله الباعث
على الزهد عنه يكون الزهد فخمسة اشياء احدها انها فانية
شاغلة للقلوب عن التفكر في امر الله تعالى والثاني انها تنقص
عند الله درجات من ركن اليها والثالث ان تركها قربة من الله
تعالى وعلو مرتبة عنده في درجات النعيم والرابع طول الحبس
والوقوف في القيام للحساب والسوال عن شكر النعيم والخامس
رضوان الله تعالى والامن من سخطه وهو اكبرها قال الله عز
وجل ورضوان من الله اكبر وقد قيل من سمي باسم الزهد
فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع ما للزهد من راحة القلب
والبدن في الدنيا والاخرة فالزهاد هم الملوك في الحقيقة كما قال
بعضهم • اري الزهاد في روح وراحة • قلوبهم عن الدنيا مزاحة
اذا ابصرتهم ابصرت قوما • ملوك الارض سيمتهم سماحة
وهم العقلا لايثارهم الباقي على الفاني وقد قال الشافعية
لو اوصى لاعقل الناس يصرف الى الزهاد وكم بين من شغله

الله وبين من شغله الدنيا شتان ما بين الشغلين

تشاغل قوم بدنياهم • وقوم تخلوا لمولاهم
فالزمهم باب مرضاته • وعن سائر الناس اغناهم

وفي الودعانية عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل يعظه ارغب فيما عند الله
يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ان الزاهد
في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والاخرة ليجيئن اقوام يوم القيامة
لهم حسنات كامثال الجبال فيومر بهم الى النار فقيل يا نبي الله
ايصلون قال كانوا يصلون ويصومون وياخذون من الليل
وهنا لكنهم كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه قوله صلى
الله عليه وسلم يحبك الله هو بفتح البا المشددة والاصل
يحببك بكسر الاولى وسكون الثانية مجزوم على جواب الامر
الذي هو ازهد فاسكنت البا الاولى عند ارادة الادغام
بنقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الحا فاجتمع ساكنان
فحرك الاخر لالتقاء الساكنين بالفتح تخفيفا وقد يقال
هل قوله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس مغاير لقوله
ازهد في الدنيا يحبك الله فان كان هو هو فما معنى العطف
والتكرار وان كان غيره فقد صح في الحديث ان الله اذا احب
عبدا امر جبريل ان ينادي في السما ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السما ويوضع له القبول في الارض فيحبه الناس وفي
رواية يوضع حبه في الارض فتنس به الناس فيحبه البر والفاجر

فقد علم من ذلك ان محبة الله عز وجل لعبده موجبة لمحبة العبد
له فلا يغفل عنها فليبتلى في جوانبه

الحديث الثاني والثلاثون

عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار حديث
حسن رواه ابن ماجة والدارقطني وغيرهما مسندا ورواه مالك
في الموطا مرسلا عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم فاسقط ابا سعيد وله طرق يقوي بعضها
بعضا الكلام عليه من وجوه احدها سعد خزرجي وقال
ابن هشام اسمه سنان والاول هو المشهور والخدرة قبيلة
من الانصار توفي بالمدينة سنة اربع وسبعين وقيل ثلاث
وسبعين وقيل سنة اربع وتسعين والاول هو المشهور وكان
من نجباء الانصار وفضلائهم ومن حفاظ الصحابة وعلمائهم
حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم سننا كثيرة وروى عنه
علما جما روى عنه من الصحابة زيد بن ثابت وانس بن مالك
وعبد الله ابن الزبير ومن التابعين سعيد بن المسيب وابو
سلمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعطا ابن يسار
وغيرهم استصغر يوم احد فرد واستشهد ابوه يوم احد
وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة روي
له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف حديث ومائة
وسبعون حديثا اتفقا منها على ستة واربعين وانفرد البخاري

بستة

بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين روى له الجماعة الوجه الثاني
قال ابو داود الفقه يدور على خمسة احاديث الاعمال بالنيات
الحلال بين وما نهيتكم عنه ولا ضرر ولا ضرار فعلى هذا يكون
الحديث هذا خمس الشريعة الثالث قال الجوهري الضر
والضرار خلاف النفع وقد ضره وضاره بمعنى والاسم الضرر
قال ابن الفاكهاني وظاهر هذا انه لا فرق بين الضرر والضرار
وانما جاء في الحديث على وجه التاكيد كما قاله غير الجوهري والاولى
حمل الثاني على فائدة لا تكون في الاول ان امكن فان الاصل
التاسيس دون التاكيد لا سيما في كلام الشارع عليه الصلاة
والسلام والذي يظهر لي في ذلك ان الضرر من واحد كالقتل
والضرار من اثنين كالقتال من حيث ان ضرار مصدر
ضارّ وفاعل انما يكون من اثنين غالبا ونقل بعض الناس
عن الخشني انه قال الضرر الذي لك فيه منفعة وعلى جارك
فيه المضرة والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه
المضرة وما علمت من اين اخذ هذا المعنى اه كلام ابن الفاكهاني
وقال الطوفي رحمه الله الضرر مصدر ضره يضره ضرا وضررا
والضرار مصدر ضاره يضاره ضرارا وفي التنزيل ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا والضرر الحاق مفسدة به على جهة المقابلة
اي كل منهما يقصد ضرر صاحبه ويروى هذا الحديث ولا
اضرار بزيادة الف وهو مصدر اضر به اضرارا اذا الحق به
ضررا وهو في معنى الضرر اه قال ابن الفاكهاني وخبر لا محذوف

والتقدير لا ضرر ولا ضرار في ديننا او في شريعتنا او في سنتنا وظاهر
الحديث تحريم الضرر مطلقا القليل منه والكثير ضرورة كون
النكرة في سياق النفي تعم غالبا وقولي غالبا تحرز من موضعين
احدهما مثل لا رجل في الدار بالرفع بدليل انك تقول لا رجل
في الدار بل رجلان ولا تقول ذلك مع الفتح والثاني سلب
الحكم عن العموم نحو ما كل عدد زوج فان هذا ليس حكما بالسلب
على كل فرد من افراد العدد والا لم يكن زوج وذلك باطل بل
مقصودك ابطال قول من قال كل عدد زوج فقلت له
انت ليس كل عدد زوجا اي ليست الكلية صادقة بل بعضه
ليس كذلك فهذا سلب النفي عن العموم لا حكم بالسلب على العموم
قال القرافي رحمه الله واذا تقرر هذا علمت تحريم الضرر ما قل
منه وما كثر على ما يقتضيه صيغة العموم الا ان ترد مخصص
وذلك مثل فتح كوة في جدار يطلع على عوراتهم او احداث فرن
او حمام او رحا او معصرة فان ذلك يمنع لوجود الضرر بالدخان
وصوت الرحا وما اشبه ذلك وهذا بخلاف ما قل ضرره جدا
كنفض وعية التراب وما في معناه والحفر عند الابواب
فهذا خفيف اذ ذلك يكون في ساعة لطيفة وكذلك لا يمنع
الزبل الذي يتولد منه الدود في الرحاب والناموس مسألة
اذا انهارت بئر جار وله فضل ماء وجب عليه ارسال فضل مائه
الى زرع جاره بشروط ثلاثة احدها ان يكون قد زرع على اصل
ماء والثاني ان يشتغل باصلاح بئره والثالث ان يخشى

علي

على زرعه الهلاك مسألة اذا احتاج جاره الى غرز خشبة
في جداره هل يجب تمكينه من ذلك او له منعه قولان مشهورهما عدم
المنع ولكن يندب له ذلك لقوله عليه السلام لا يمنعن جار
جاره ان يغرز خشبة في جداره ومنشأ الخلاف على هذا النهي
على الالزام او الندب او الحث على محاسن الاخلاق وحسن الجوار
وللشافعي ايضا قولان والجديد عدم الوجوب كما نقول وبه قال
ابو حنيفة والكوفيون وبالايجاب قال احمد وابو ثور واصحاب
الحديث وهو ظاهر الحديث مسألة للرجل ان يعلي بناءه على
جداره وان اضر ذلك بجاره وظلم عليه ابواب غرفه
ومنع الشمس ان تقع في حجرته قال الابهري لانه يبني في ملكه فليس
لجاره ان يمنعه من ذلك وان كان بنيانه يستر عنه الشمس
والريح وذكر ابن شعبان ان ذلك من الضرر الممنوع وهو ظاهر
الحديث وقال ابن كنانة اذا رفع بنيانه من الضرر الممنوع ليضر
بجاره من شمس يمنعه منفعتها او لضرر يدخل عليه ولا نفع له
في بنيانه فانه يمنع من ذلك والله اعلم

الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال اموال قوم ودماءهم
لكن البينة على المدعي واليمين على من انكر حديث حسن رواه
البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين الكلام عليه من وجوه
الاول قال الطوفي ان قيل قد اشتهر في لو انها تقتضي امتناع

الشي لامتناع غيره فهلا اذا تقتضي ههنا امتناع دعوى رجال
اموال غيرهم لامتناع ان يعطى الناس بدعواهم لكن ذلك
لم يمتنع اذ دعوى بعض الناس مال بعض ودمه كثير جدا
فجوابه من وجهين احدهما ان قولهم في لو انها تقتضي امتناع
الشي لامتناع غيره هي عبارة مشايخ النحاة اما عبارة امام الفن
سيبويه فيها فهي ان لو لما كان سيقع لوقوع اعطا الناس بدعاويهم
فان قيل الاشكال باق لان الناس يدعي بعضهم مال بعض
سواء اعطوا بدعاويهم او لم يعطوا فجوابه بالوجه الثاني وهو ان
المراد بدعاوي الرجال اموال قوم اعطاوهم اياها ودفعها
اليهم وتقدير الحديث لو يعطى الناس بدعواهم لاخذ رجال اموال
قوم وسفكوا دماهم فوضع الدعوى موضع الاخذ لانه سببه
ولا شك ان اخذ مال المدعى عليه ممتنع لامتناع اعطا المدعي
بدعواه ولا يقع بدون ذلك فصح معنى لو في الحديث على القولين
فيه اه وبحث الزمخشري رحمه الله هذا البحث في قوله تعالى
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فان قلت
قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط ومنهم
مقبوض عنه فان كان المبسوط لهم يبغون فكيف بسط لهم
وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بعدم البسط
فلم شرطه قلت لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط
اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام
عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس

ما نحن

ما نحن عليه الآن اه **الوجه الثاني** قال الطوفي الرجال هم ذكور
بني ادم بلا خلاف اما القوم فهل يختص بالرجال او يعمهم والنسا
فيه قولان حجة الاول قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان
يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء الاية **وقول زهير** ؞
وما ادري وسوف اخال ادري ؞ اقوم آل حصن ام نساء ؞
وجه الدلالة انه في الاية قابل بين القوم والنسا والمقابلة صحيحة
والمقابلة الصحيحة انما هي بين الرجال والنسا فالقوم اذن هم
الرجال لا غير حجة الثاني قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين
والمراد الرجال والنسا جميعا وكذلك العرب تقول احدهم هذا
ليس في ارض قومي وليس من شان قومي ونحوه ومراده الرجال والنسا
قد بان ماخذ القولين وعلى كل منهما اعتراض **اما الاول** فيعترض
عليه بانه انما دل على ان القوم هم الرجال خاصة بقرينة التقسيم
اذ قابل بين القوم والنسا كما يقابل الرجال والنسا حتى انه لولا
ذلك لم يدل على اختصاص القوم بالرجال **واما الثاني** فيعترض
عليه بان النسا انما دخلت في لفظ القوم بقرينة التكليف
ونحوه ولولاها لما دخلن فيه اذا عرف هذا فالمتداعيان اما
رجلان او امراتان او رجل وامراة وان قيل لم قال لادعى رجال
اموال قوم ولم يقل رجال اموال رجال او قوم اموال قوم قلنا
يحتمل انه غاير بين اللفظين دفعا للتكرار احدهما بغير فائدة
ويحتمل على القول بان النسا يدخلن في لفظ القوم ان يقال
لما كان الغالب ان المدعي انما يكون رجلا اذ المراة ليست من

اهل الدعوى وحضور مجالس الحكام والمدعى عليه يكون رجلا
او امرأة قال لادعى رجال اموال قوم حملا على الغالب في ذلك
البحث الثالث لم قدم الاموال على الدماء مع انها اهم من
الاموال واعظم جرما ولذلك اول ما يقضى بين الناس يوم
القيامة في الدماء وجوابه ان الخصومات في الاموال اكثر لان
اخذها ايسر وامتداد الايدي اليها اسهل ولهذا ترى الا [نسان]
يسرق ويغصب ويختطف ويجحد المال في [illegible] العدد واكثر ولعله [عمره]
لا يقتل احدا او ان قتل نفسا واحدة او نفسين وهو قليل
بالنسبة الى اخذ المال ولو قدم ذكر الدماء على الاموال ههنا لكان
ذلك لكونها اهم كما ذكرنا على ان عطف الدماء على الاموال بالواو
وهي لا تفيد الترتيب **البحث الرابع** قوله لكن البينة
على المدعي ان قيل لكن معناها الاستدراك وهي انما تكون بين
نفي واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو قام وزيد قائم لكن عمرو لم
يقم وليست لكن ههنا كذلك اذ بعدها اثبات ولا نفي قبلها
قلنا كذلك في المعنى اذ معنى قوله لو يعطى الناس بدعواهم
لا يعطى الناس بدعواهم المجردة لكن بالبينة وهي على المدعي
هو كلام صحيح جار على القاعدة في لكن **البحث الخامس** قد كان
يمكن ان يقال البينة على المدعي واليمين على المنكر والبينة على من
ادعى واليمين على من انكر والبينة على من ادعى واليمين على المنكر والبينة
على المدعي واليمين على من انكر كما في لفظ الحديث فلم خص
هذه العبارة من دون العبارات الثلاث قلنا يحتمل ان يكون

هذا

هذا من باب الاتفاق وانه لو اتى بغير هذه العبارة من تلك العبا [رات]
جاز ويحتمل ان يقال ان في المدعي ضربا من التعريف المعنوي
لظهوره واقدامه على الدعوى فاتى فيه بلام التعريف المناسب
له والمنكر فيه ضرب من الابهام والتنكير لاستخفائه وتأخيره وكونه
اذا سكت لم يترك فاتى فيه بمن اذ فيها ابهام وتنكير شبيه بحاله
ويحتمل ان يجعل هذا السؤال دوريا مردودا لانه لو اتى بغير
هذه العبارة لقيل لم لم يات بغيرها **البحث السادس** وجه
الحكمة في ان البينة على المدعي واليمين على من انكر هو ان جانب
المدعي ضعيف لدعواه خلاف الاصل وجانب المنكر قوي لموافقته
الاصل في براءة ذمته والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين
حجة ضعيفة لقربها منها فجعلت الحجة القوية وهي البينة في
الجانب الضعيف وهو جانب المدعي والحجة الضعيفة في الجانب
القوي وهو جانب المنكر تعديلا وهو توجيه حسن ذكره بعض
اهل العلم قال الطوفي رحمه الله واعلم ان قوله واليمين على من
انكر عام خص بصور استثنيت منه احداهن اليمين مع الشاهد
الواحد في جانب المدعي **الثانية** يمين المدعي فيما اذا ردها عليه
المنكر على رأي الشافعي ورواية عن احمد ووجه في مذهبه **الثالثة**
يمين ولي الدم في القسامة وهو مدعي **الرابعة** ايمان الامناء
في دعاويهم كالوكيل والمرتهن ونحوهما وما وجد من هذه
الصور انتهى وقيل ان فصل الخطاب في قوله تعالى واتيناه
الحكمة وفصل الخطاب هو قوله صلى الله عليه وسلم البينة على من

ادعى واليمين على المدعى عليه وقيل اما بعد واعلم انه لابد من معرفة
المدعي والمدعى عليه لانه من اهم ما ينبني عليه مسائل الدعوى
نحو القدوري بان قال المدعى من لا يجبر على الخصومة اذا
تركها والمدعى عليه من يجبر على الخصومة قال صاحب الهداية
وقد اختلفت عبارات المشايخ فيه فمنها ما قال في الكتاب وهو
حد عام صحيح وقيل المدعى من لا يستحق الا بحجة كالخارج والمدعي
عليه من يكون مستحقا بقوله من غير حجة كذي اليد وقيل
المدعى من يلتمس غير الظاهر والمدعى عليه من يتمسك بالظا هر
اهـ قال ابن الفاكهاني مسئلة قال ابن الفرج الاندلسي استدل
بعض الناس بقوله عليه السلام لادعى ناس دماء رجال واموالهم
على ابطال قول مالك في التدمية ووجه استدلاله بقوله
انه صلى الله عليه وسلم قد سوى بين الدما والاموال في ان
المدعى به لا يسمع قوله فيها فاذا لم يسمع قول المدعي في مرضه
لي عند فلان دينار او درهم كان احرى واولى ان لا يسمع قوله
دمي عند فلان لحرمة الدما قال ولا حجة له في ذلك لان مالكا
لم يسند القصاص والدية لقول المدعي دمي عند فلان بل
للقسامة على القتل والتدمية لوث يقوي جنبة المدعين
حتى يبدوا بالايمان كسائر انواع اللوث قال ابن الفاكهاني
ولان التهمة في حق هذا بعيدة لانه قادم على الله تعالى فيبعد
في حقه كل البعد ان يتزود في سفره الى الاخرة دم رجل مسلم يعاقب
عليه هذا ما يفعله من عنده ادنى مسكة من عقل وان كان

فاسقا

بلغ مقابلة

فاسقا او نشا من عبد الله الازرق في زمانه انتهى قلت اما
استدلال بعض الناس فانه ظاهر مكشوف ودفعه بما قاله ابن فرج
ظاهر الفساد للتامل واما قول ابن الفاكهاني في تقوية ذلك
ان التهمة في حق هذا بعيدة الى اخره فهو قد يشترك بين
من يقول لي عند فلان دينار فانه لا يتزود للاخرة بما يؤذيه
عند الله تعالى فينبغي القول بلزوم المقول فيه ذلك
ولا قائل به والله اعلم بالصواب ثم قال ابن الفاكهاني قال
بعض ابن فرج واجمع العلما على استحلاف المدعى عليه في الاموال
واختلفوا في غير ذلك فذهب الشافعي واحمد وابو ثور الى وجوبه
على كل مدعى عليه في حد او طلاق او نكاح او عتق اخذا بعموم
ظاهر هذا الحديث فان نكل حلف المدعي وثبت دعواه وقال
ابو حنيفة واصحابه يحلف على الطلاق والنكاح والعتق
وان نكل لزمه ذلك وقال الثوري والشعبي وابو حنيفة
لا يستحلف في الحد والسرقة وقال نحو مالك رحمه الله تعالى

الحديث الرابع والثلاثون

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان
رواه مسلم الكلام عليه من وجوه احدها الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واجب بالكتاب والسنة والاجماع اعني وجوب
الكفاية لا وجوب الاعيان الا الانكار بالقلب فانه من فروض

الاعيان اما الكتاب فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون
بالمعروف والنهي عن المنكر الاية فامر في هذه الاية نصا بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واثنى في اية اخرى على فاعلهما كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الاية ووصف قوما
لعنهم من بني اسرائيل بانهم كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه اي
لم يكن ينهى بعضهم بعضا واما السنة فقد روي في ذلك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هل تدرون فيم سخط الله
على بني اسرائيل قالوا الله ورسوله اعلم قال ان الرجل كان يرى
الرجل منهم على معصية فينهاه بعض النهي ثم يلقاه فيضاحكه
ويصافحه ويواكله ويشاربه كانه لم يره على معصية حتى كثر ذلك
منهم فلما علم الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض
ثم لعنهم على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر ولتاخذن على يد الظالم ولتطرنه على الحق اطرا او
ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعن
من قبلكم وعن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليوشكن
الله ان يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجيب لكم واما
الاجماع فاجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر ان المنكر واجب
تغييره على كل من قدر عليه وانه اذا لم يلحقه بتغييره الا
اللوم الذي لا يتعدى الى الاذى فان ذلك لا يجب ان يمنعه

من

من تغييره فان لم يقدر فبلسانه فان لم يقدر فبقلبه ليس عليه اكثر
من ذلك واذا انكر بقلبه فقد ادى ما عليه اذا لم يستطع سوى
ذلك قال والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تاكيد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ولكنها مقيدة بالاستطاعة
قال الحسن انما يكلم مومن يرجى او جاهل يعلم فاما من وضع
سيفه او سوطه وقال اتقني اتقني فما لك وله وقال ابن مسعود
بحسب المرء اذا راى منكرا لا يستطيع تغييره ان يعلم الله
من قلبه انه له كاره وروى ابن لهيعة عن الاعرج عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمومن ان يذل
نفسه قالوا يا رسول الله وما اذلاله نفسه قال ان يتعرض من
البلاء لما لا يقوم له قال القرطبي وروي عن بعض الصحابة
انه قال ان الرجل اذا راى منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل
ثلاث مرات اللهم ان هذا منكر فاذا قال ذلك فقد فعل ما عليه
وزعم ابن العربي ان من رجا زواله وخاف على نفسه من تغييره
الضرب او القتل جاز له الاقتحام عند اكثر العلماء عند هذا
الغرر وان لم يرج زواله فاي فائدة عنده قال والذي عندي
ان النية اذا خلصت فليقتحم كيف ما كان ولا يبالي قال
القرطبي هذا خلاف ما ذكره ابو عمر من الاجماع قال وهذه
الاية وهي قوله تعالى ويقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم تدل على جواز الامر بالمعروف
مع خوف القتل وقال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر

واصبر على ما اصابك وهذا اشارة الى الاذاية ثم قال القرطبي
قال العلما الامر بالمعروف باليد على الامرا وباللسان على العلما
وبالقلب على الضعفا وان لم يمكنه الا بالعقوبة او القتل
فليفعل وان زال بدون القتل لم يجز القتل وهذا يكفي من قول
الله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي الى امر الله وعليه بني العلما
انه اذا دفع الصايل على النفس وعلى المال عن نفسه او عن ماله
او عن نفس غيره فله ذلك ولا شي عليه ولو راى زيد عمرا وقد
قصد مال بكر فيجب عليه ان يدفع عنه اذا لم يكن صاحب المال
قادرا عليه ولا راضيا به وقيل كل بلدة فيها اربعة فاهلها
معصومون من البلا امام عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى
ومشايخ يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرضون على طلب
العلم والقران ونساوهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية
الاولى تنبيه اعلم ان هذا الزمان قد كثر فيه ترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك معجزة عظيمة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن ماجة عن انس بن مالك
قال قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم متى يترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم ما ظهر في الامم قبلكم قلنا يا رسول
الله وما ظهر في الامم قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة
في كباركم والعلم في رذالتكم قال زيد والعلم في رذالتكم اذا
كان العلم في الفساق فافقه ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم قال الحليمي رحمه الله في منهاجه ثم ان ذلك

ليس

ليس مما يليق بكل احد ولا يجب على كل احد وانما هو من الفروض
التي ينبغي ان يقوم بها السلطان للمسلمين اذ كانت اقامة الحدود
اليه والتعزير موكولا الى رايه فينصب في كل بلد وفي كل قرية رجلا
صالحا قويا امينا عالما ويامره بمراعاة الاحوال التي تجري فلا يرى
ولا يسمع منكرا الا غيره ولا يبقى معروفا محتاجا الى الامر به
الا امر به وكلما وجب على فاسق من حد اقامه وليعطله فانه
لا شي اردع على المفسدين من اقامة حد الله عليهم ولا يتعدى
المشروع فالذي شرعه اعلم بطريق سياستهم قال وكل ما كان
من علماء المسلمين الذين يجمعون بين فضل العلم وصلاح العمل
فعليه ان يدعوا الى المعروف ويزجر عن المنكر بمقدار طاقته فان
كان يطيق ذلك بنفسه او يطيقه بمن يستعين عليه فعليه
الا ما كان طريقه طريق الحد والعقوبة فان ذلك الى السلطان
دون غيره وان كان لا يطيق الا القول انكره وان لم يطق
الا الانكار بالقلب انكره الامر بالمعروف مثله وينبغي ان
يكون مميزا برفق في موضع الرفق ليليق بهم وانجع فيهم وان يكون
غير محابي ولا مداهن وان يصلح نفسه اولا ويقومها ثم
يقبل على اصلاح غيره وتقويمه قال الله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وعن محمد بن النضر قال ذكر
رجل عند الربيع بن خثيم قال ما انا عن نفسي براض فاتفرغ
منها الى ذم غيرها ان العباد خافوا الله على ذنوب
غيرهم وامنوه على ذنوب انفسهم وعن بعض الكبار قال

ارفق وينبغي في موضع السفر ولكل طائفة من الناس من يعلمهم

يتمثل ببيت شعر

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها . لنفسي في نفسي عن الناس شاغل

والسلطان الذي يتعاطى الفواحش يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لان السلطنة هي هذا فلو انقبضت يده عنه لم يكن سلطانا وليس من دونه في هذا مثله لانه المقيام الامر انما يصير له عند اصاغر السلطان عنه لعلمه وصلاحه فاذا اختل صلاحه فقد صار مستحقا للتغيير عليه ولا يكون مع ذلك مغيرا على غيره وقال رجل يا ابن عباس اني اريد ان امر بالمعروف وانهى عن المنكر قال او بلغت ذلك قال ارجو قال فان لم تخش ان تفتضح بثلاثة احرف من كتاب الله عز وجل فافعل قال وما هي قال قوله عز وجل اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم احكمت هذه الاية قال لا قال فالحرف الثاني قال قوله عز وجل لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون احكمت هذه الاية قال لا قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الاية احكمت هذه الاية قال لا قال فابدا بنفسك اه قال ابن الفاكهاني للوجوب شروط ثلاثة الاول ان يعرف من تولى ذلك المعروف وهو ما امر الله تعالى به والمنكر وهو ما نهى الله عنه فانه ان لم يعرف ذلك فربما نهى عن المعروف وامر بالمنكر والثاني ان يامن ان يودي انكار المنكر الى منكر اكبر منه

مثل

مثل ان ينهى عن شرب الخمر فيودي ذلك الى قتل النفس وما اشبه ذلك والثالث ان يرجو القبول وان امره ونهيه في ذلك يوثر فيه ويزيله او بعضه فالشرطان الاولان شرطان في الجواز اعني انه اذا فقدا او احدهما حرم الامر والنهي والحالة هذه والثالث شرط في الوجوب فاذا فقد ووجد الاولان جاز له الامر والنهي او ندب الى ذلك ولا يجب عليه لانه ربما يطيعه لا سيما اذا ترفق به في ذلك فان الله تعالى يقول فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد قال بعض المتاخرين من اصحابنا انه اذا راى عورة احد في الحمام فينبغي ان يكون انكاره عليه بالصفة وهو ان يقول له استتر سترك الله ونحو ذلك وقد روي ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقع في الشام فانهمك في الخمر فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها ونزع عنها لا سيما اذا كان ذلك مع احد ابويه فليكن تلطفه وترفقه معه ابلغ وانظر تادب الخليل عليه الصلاة والسلام وتلطفه في مخاطبة ابيه آزر الكافر المعاند رجاء استيلافه واستدراجه حيث قال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن وليعلم ان الانكار انما هو فيما لم يختلف في تحريمه واما المختلف فيه فلا انكار فيه لا سيما اذا قلنا ان كل مجتهد مصيب وهو المختار

عند كثير من المحققين وعلى المذهب الاخر المصيب واحد والمخطي غير
متعين لنا والاثم موضوع عنه لكن لا باس ان يندب للخروج
من الخلاف برفق وتلطف على جهة النصيحة فان العلما
متفقون على الحث على الخروج عن الخلاف قال ابن فرح الاندلسي
وذكر اقضى القضاة الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية
خلافا بين العلما فيمن قلده السلطان الحسبة هل له ان
يحمل الناس على مذهبه اذا كان من اهل الاجتهاد ام لا يغير ما كان
على مذهب غيره والاصح انه لا يغيره ولم يزل الخلاف بين الصحابة
والتابعين فمن بعدهم رضي الله عنهم ولا يغير محتسب ولا غيره
على غيره ولذلك قالوا ليس للمفتي ولا للقاضي ان يعترض
على من خالفه اذا لم يخالف نصا ولا اجماعا ولا قياسا جليا
انتهى فان قلت كيف يلتيم هذا الحض العظيم على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر مع قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وظاهر هذا كما ترى من عدم
وجوبه حتى لو قال قايل ان ظاهر الاية ترجيح ترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لم يبعد ذلك لان معنى عليكم انفسكم الزموا
انفسكم كما تقول عليك زيدا اي الزمه مع قرينة لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم وهذا ظاهر مكشوف قلت الجواب
من وجهين احدهما نص في هذه الاية والثاني تاويل بالنص
فما روي عن ابن ابي امية قال سالت عنها ابا ثعلبة فقلت
كيف تصنع بهذه الاية فقال اية اية قلت له قوله تعالى
يايها

يايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال
لي اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رايت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي
برايه ورايت امرا لا يد لك به فعليك بنفسك واياك
وامر العوام فان من ورايكم اياما الصبر فيهن مثل القبض
على الجمر للعامل يومئذ منهم كاجر خمسين رجلا يعملون مثل
عمله واما المأول فان معنى الاية عند المحققين انكم اذا
فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى واذا كان ذلك كذلك فمما كلف
به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا فعله ولم يمتثل
المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه ادى ما عليه
فانما عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا القبول قال
الله تعالى ما على الرسول الا البلاغ ثم قال القاضي عياض
هذا الحديث اصل في صفة التغيير فحق المغير ان يغيره بكل
وجه امكنه زواله به قولا كان او فعلا فيكسر الات الباطل
ويريق المسكر بنفسه او يامر ويرفق في التغيير جهده ويدي
الغرة الظالم المخوف شره اذ ذاك ادعى الى قبول قوله كما
يستحب ان يكون متولي ذلك من اهل الصلاح والفضل
لهذا المعنى ثم قال ابن الفاكهاني وليعلم ان مذهبنا
ومذهب غيرنا ان الانسان لا يجب عليه التجسيس والتفتيش

حتى يعلم انها انكر ام لا بل ليس له ذلك اصلا قال الماوردي من
الشافعية الا ان يخبره مخبر يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله
او بامراة ليزني بها فيجوز له في مثل هذه الحال ان يتجسس ويتقدم
على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدرك قوله عليه السلام
فبقلبه معناه فليكرهه بقلبه قوله وذلك اضعف الايمان
اي اضعف خصال الايمان قال ابن الفاكهاني المراد هنا
بالايمان الاسلام ولذلك قال في رواية اخرى فليس وراء
ذلك من الايمان حبة خردل اي لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى
قاله القرطبي وقال غيره معناه اقله ثمرا اه وقال الطوفي ظاهره
ان تغيير المنكر من الايمان وتاويله على ما سبق من انه من اثار
الايمان ومقتضاه لا من حقيقة معناه اذ سبق في حديث جبريل
ان الايمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر فوجب تاويل هذه على ما ذكرنا جمعا بين الحديثين فالتقدير
اذا وذلك اضعف اثار الايمان وثمراته لان تغيير المنكر با
لقلب لازم وهو كراهة الشخص له وتغيير باليد واللسان
متعد اذ فيه كراهة المنكر وازالته وجاء في حديث اخر وهو اضعف
الايمان ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل لانه اذا لم يكره المنكر
بقلبه فقد رضي بمعصية الله عز وجل وليس ذلك شان اهل
الايمان فان قيل اذا رضي بالمنكر بقلبه ولم يكره ذلك هل
يكفر بذلك ام لا قلنا ان رضيه معتقدا جوازه فهذا يتضمن
تكذيب الشرع في تحريمه وهو كفر وان رضي به لغلبة الهوى

والشهوة

والشهوة مع اعتقاد تحريمه فهو فسق لا كفر واعلم ان هذا الحديث
يصلح ان يكون نصف الشريعة لان اعمال الشريعة اما معروف
يجب الامر به او منكر يجب النهي عنه والله اعلم قال الشيخ محيي الدين
النووي رضي الله عنه واعلم ان هذا الباب اعني باب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع اكثره في ازمان متطاولة ولم يبق
منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به
قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح
واذا لم ياخذوا على يدي الظالم اوشك ان يعمهم الله بعقابه فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم فينبغي لطالب الاخرة والساعي في تحصيل رضى الله عز وجل
ان يعتني بهذا الباب فان نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه
ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله
تعالى قال ولينصرن الله من ينصره وقال تعالى ومن يعتصم
بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وقال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى الم احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من
قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين واعلم ان
الاجر على قدر النصب ولا يتركه ايضا لصداقته ومودته ومداهنته
وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فان صداقته ومودته
توجب له حرمة وحقا ومن حقه ان ينصحه ويهديه الى مصالح
اخرته وينقذه من مضارها وصديق الانسان ومحبه هو من

يسعى في عمارة اخرته وان ادى ذلك الى النقص في دنياه وعدوه
من يسعى في ذهاب اخرته وتنقيصها وان حصل له بذلك صورة
نفع في دنياه وانما كان ابليس لعنه الله عدوا لنا لهذا وكانت
الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه اوليا المومنين لسعيهم
في صلاح اخرتهم وهدايتهم اليها فنسال الله العظيم توفيقنا وارشادنا
الى ما يرضيه عنا وان يعفو بجوده اه قال ابن الفاكهاني والعجب
ما في زماننا هذا ان الذين يظن بهم العلم والدين ممن يتعين
عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلبسون بما كره شتى
يجب انكارها عليهم شرعا .

بالملح يصلح ما يخشى تغيره . فكيف بالملح ان حلت به الغير

ولقد احسن من قال .

هذا الزمان الذي كنا نحذره . في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير . لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال وانشد شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد لنفسه .

قد عرف المنكر واستنكر المعروف في ايامنا الصعبة
وصار اهل العلم في وهدة . وصار اهل الجهل في رتبة
ساروا فما للجور فيما مضى . من ذا الذي جاز وا به نسبه
فقلت للابرار اهل التقى . والدين لما اشتدت الكربه
لا تنكروا احوالكم قد اتت . نوبتكم في زمن الغربه

. الحديث الخامس والثلاثون .

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا

لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع
بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا ويشير
الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم
كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم الكلام
عليه من وجوه الاول قال الجوهري الحسد ان تتمنى زوال نعمة
المحسود اليك يقال حسده يحسده حسدا قال الاخفش
وبعضهم يقول يحسده بالكسر حسدا بالتحريك وحسادة
وحسدتك على الشي وحسدتك الشي وتحاسد القوم وهم
حسدة مثل حامل وحملة اه الثاني قوله صلى الله عليه وسلم
لا تحاسدوا اي لا يحسد بعضكم بعضا وقد اجمع الناس من الشرعيين
وغيرهم على تحريم الحسد وقبحه ووردت نصوص الشرع بذلك
وهذا الحديث يقتضي تحريمه فان قيل ما معنى قوله عليه السلام
لا حسد الا في اثنين الحديث هل هو اباحة الحسد في الخصلتين
المذكورتين ام لا قلنا الحسد لا يباح بوجه من الوجوه واما
قوله لا حسد الا في اثنين المراد به الغبطة اذ ليس شي في الدنيا
حسنا بالغبطة عليه الا هاتان الخصلتان انفاق المال
والعلم في سبيل الله عز وجل والفرق بين الحسد والغبطة ان
الحسد تمنى زوال النعمة عن الغير والغبطة تمنى الانسان مثل
ما للغير من غير ان يزول عن الغير ما له قال الشيخ ابو العباس
الاقليشي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاقسام نهي

حظر وتحريم لانها ترفع الموالاة التي اوجبها الله تعالى بين المسلمين
كما ان امره بالاخاء امر وجوب اذ هو من اصول الدين فقوله عليه
السلام لا تحاسدوا الحسد من اعمال القلب وهو من كبار الذنوب
ولا مدخل لهذه التسمية في الجوارح فالحاسد انما هو القلب
ومبعث الحسد من البغضا لان معناه اهتمام الحاسد بخير يراه
في المحسود فقد يكون الحاسد ذا نفس خبيثة ويغتم لما يصيب
الخلق من الخير دون سبب من الاسباب الا قلة نا لذ نفسه
مع نفوسهم فيتمنى ان يزول ذلك الخير عنهم وان لم يصل منه اليه
شي حتى انه ليتمنى آلعنت والغلا والبلا للمسلمين وهذه سجية
نفس مدنسة بالرجس ومن الحسد ان يحسد غيره ليتحول الله
اليه خيره وينحيه عنه ليكون هو مستبد بذلك الخير حتى
لا ينظر الى الغير فقد يكون في علم اوفي عبادة اوفي مال ليحصل
له الانفراد فاما ان يري خيرا عند غيره من دنيا تعين على
طاعة الله تعالى او امر من امور الاخرة من عبادة او علم او
فعل خير فتمنى ان يكون مثله في حاله دون ان يسلب الله
عنه شيئا من افضاله فهذا هو الغابط لا الحاسد واليه اشار
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا حسد الا في اثنين معناه لا ينبغي
ان يكون الحسد الا في مثل هذا والى هذا اشار بقوله تعالى وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون فهي اربعة الفاظ حسد وتمني
وغبطة ومنافسة فما كان منها في محبة انتقال النعمة عن المحسود
اوفي كونه مثلها عند الحاسد دون ان ينتقل من المحسود ولكنها

نعمة

نعمة مذمومة كفعل الشرور والمال الحرام وما اشبهه فهذا حسد وتمني
وغبطة ومنافسة مذمومة وما كان منها في تمني نعمة مباحة
من نعم الدنيا دون ان تنتقل من صاحبها فهو حسد وتمني
وغبطة ومنافسة مباحة لا اثم على متمنيها ولا فضيلة فيها وما
كان منها في طاعة الله عز وجل فاحب ان يكون مثله وان لا
يسلبه الله عن فضله صاحبه فهو حسد وتمني وغبطة ومنافسة
محمودة فاذا فهمت هذه الاقسام فهمت الحسد الذي حرمه
النبي صلى الله عليه وسلم والذي ندب اليه وحض عليه قال وذهب
ابن الاعرابي الى ان الحسد ماخوذ من الحسدل وهو القراد فهو
يقشر القلب كما يقشر القراد الجلد فيمص الدم اولعل القراد سمي
حسدلا من الحسد وزيدت اللام فيه لان حقيقة الحسد الاثر
المؤلم في نفس الحاسد وتصحيح هذا معرفة حقايق اللغات في اول
الوضع وقال عليه السلام ان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب ولا شك ان الحسد من كباير الذنوب وهو اول ذنب
عصي الله به في السما لان ابليس حسد لادم اخرجه من الجنة
وما يعرض منه في القلب على وجه الخاطر دون امضا رضي به
فلا يواخذ به العبد اذ لم يكن من قصده فاذا قصد عليه القلب
كان الحسد مذموما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
حسدت فلا تبغ اي اذا عرض لك عارض الحسد فلا تحققه بالبغي
وهو عقد القلب عليه ومتابعته وقوله تاكل الحسنات اعلم ان
من قواعد الدين ان السية لا تمحو الحسنة الا ان كانت السية

كذا فلذلك لا تبقي خيرا بل ان الحسنة تمحو السيئة كما قال الله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات وكما صحت به الاثار فلم يبق الا انه
يوجه قوله عليه السلام على معنيين شريفين احدهما ان يعلم ان
الله جعل للحسنة حكمين احدهما حصول ثواب نور للعبد منها
والثاني محو ظلمة من ظلم سياته هذا مهما كانت السيئة صغيرة
فان كانت كبيرة لم تمحها الحسنة بل تلك السيئة لا يمحوها الا
التوبة ولما كان الحسد من كباير الذنوب وحصلت ظلمته في قلب
الحسود لم يقدر نور حسناته التي له من صلاة وصيام وغيرهما
ان تدافعه ولا ان تقاومه بل سنفها فلم يكن لها حكم معه فابطل
ذلك الفعل منها اي ظلمة الحسد وبقي نورها في نفسها لم
يعتد اليه ولا استحوذ عليه كما فعل بغيره من السيات التي هي
صغاير فلما ابطل الحسد فعلها عبر عنه بانه اكلها كما تاكل
النار الحطب مطهرة فاذا ضاع ما يسلبه عنه حكم التطهير بقي
له حكم الطهارة وجاء بالحسنات على الجمع تعظيما لظلمة الحسد
التي لا تقدر الحسنات باجتماعها على دفعه وردعه والمعنى
الثاني ان يشير بالحسنات الى اليقين المركب على عقد الايمان
وهو الذي ما دام في القلب ما يواقع العبد كبيرة من الكباير
مهما قارب كبيرة ارتفع عنه جزء اليقين فلن يعود اليه حتى
تقع التوبة من الكبيرة وعليه خرج قوله عليه السلام لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن الى غير ذلك من الاثار الصحاح
فيكون المعنى ان الحسد يذهب نور اليقين ويبلعه كما تذهب

النار

النار الحطب واليقين من احسن الحسنات وانما عبر عنه بالحسنات
لانه الجالب للحسنات الكاملة لان كل فعل شريف من فضايل الاوليا
والمتقين انما جيلها اليهم اليقين من المحبة لله والشوق له والاكبر
بروا الزهد في الدنيا والتوكل على الله تعالى ولذلك لا يكون صاحب
هذه الخصال الحميدة حسودا بوجه اذ قد اجل الله قلبا اجل
فيه هذه الانوار ان تحل فيه ظلمة الحسد فاذا فهمت هذين
المعنيين البديعين علمت انه لم يبق للمفتن لي حجة بل قد ضاقت
عليه الحجة في القطع بهذا الحديث على ذهاب الكباير الحسنات
جملة حتى يتقدم صاحب الكبيرة على الله دون حسنة بل كل
حسنة وسيئة كبيرة لم يتب عنها العبد فالكل في صحيفته يقدم عليه
يوم العرض فيقع عليها الحكم والوزن يومئذ الحق اهو كلام فيه
ما اكثر بلاغته واطلاعه على معاني السنة وقمع البدعة ونصرة
الحق رضي الله عنه وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن كل خطيئة
فاتقوهن واحذروهن واياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر
على ان لا يسجد لادم واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص
على ان اكل من الشجرة واياكم والحسد فان ابني ادم انما قتل
احدهما صاحبه حسدا وقال بعضهم الحاسد جاحد لانه
لا يرضى بقضا الواحد وفي معناه يقول القايل ٭

ايا حاسدا لي على نعمة ٭ اتدري على من اسات الادب
اسات على الله في حكمه ٭ فانك لم ترض لي بما وهب

وقيل في قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
قيل ما بطن الحسد وفي بعض الاثار ان في السماء الخامسة ملكا يمر به
عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول قف فانا ملك الحسد اضرب
به وجه صاحبه فانه حاسد وقال معاوية رضي الله عنه كل انسان
اقدر على ان ارضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمة وقيل
راى موسى عليه السلام رجلا عند العرش فقال يا رب من هذا
قال هذا عبد لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله بر بوالديه
لا يمشي بالنميمة وقيل اياك ان تشتغل في مودة من يحسدك فانه
لا يقبل احسانك وانشدوا

كل العداوة قد ترجى اماتتها • الا عداوة من عاداك من حسد

وقال ابن المعتز •

قل للحسود اذا تنفس طبعه • يا ظالما وكانه مظلوم

قلت وهذا ماخوذ من قول عمر بن عبد العزيز ما رايت ظالما
اشبه بمظلوم من الحاسد غم دايم ونفس متتابع ولبعض الشعرا

واذا اراد الله نشر فضيلة • طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت • ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال ابو الطيب

واظلم خلق الله من بات حاسدا • لمن هو في نعمايه يتقلب

وفي الحكمة الحسود لا يسود الوجه الثالث قوله صلى الله
عليه وسلم ولا تناجشوا اي لا ينجش بعضكم على بعض وهو ان
يزيد في البيع غير راغب لغيره فاشتقاقه من نجشت الصيد

اذا اثرته كان الناجش بالجيم والشين المعجمة يثير كثرة
الثمن بنجشه والنجش محرم للنهي عنه ولانه غش وخداع وحرام
من غشنا ليس منا ولانه ترك النصح الواجب وترك الواجب
حرام ثم ان النجش اما ان يكون بمواطاة البايع او بدونها
وعلى التقديرين فقد اختلف في صحة البيع المنجوش فيه فقيل
يبطل لانه منهي عنه والنهي يقتضي الفساد وقيل لا يبطل لان
النهي فيه ليس راجعا الى العقد ولا الى ما يلزمه من ركن او شرط ثم
للمشتري الرجوع على البايع بقدر ما غبن بالنجش ويحتمل
ان له الخيار في الرد والامساك كالمصراة وقد اختلف الاصوليون
في النهي فقيل يقتضي الفساد مطلقا لان الشرع انما نهى عن
ما ترجحت مفسدته واعدام المفاسد واجب وطريق افساد
المنهي عنه وقيل لا يقتضي الفساد لان ترتب الصحة على سبب
جازم ليس محالا عقلا فكذا شرعا وقيل يقتضي الفساد في العبادات
دون المعاملات وقيل ان رجع النهي الى معنى في المنهي عنه اقتضى
الفساد وان رجع الى امر خارج عنه لم يقتض الفساد والتحقيق
ان النهي ان كان لذات المنهي عنه او لوصف لازم له اقتضى الفساد
وان كان لامر خارج او وصف غير لازم لم يقتض الفساد وقال
الاقليشي لا تناجشوا معناه لا يكن بينكم تنافر ولا تباعد
والاصل في النجش تنفير الوحش من مكان الى مكان فكانه نهى
عن ان يسعى الانسان في تنفير قلبه بالقطيعة للناس حتى يقع
بينهم استيحاش ولا تطمئن قلوبهم بالاستيناس الذي

وهما صح

جعله الله سبب التحابب بين الناس **الوجه الرابع** قوله ولا تبا
غضوا اي لا يبغض بعضكم بعضا والبغض للشي هو النفرة منه
لمعنى مستقبح فيه والظاهر ان البغض والكراهة واحد وهما متقاربا ربما
والتباغض حرام الا في الله فانه واجب لقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا، وقوله عليه السلام من احب
لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان فاذا
عموم النهي عن التباغض مخصوص في الله عز وجل فهو محرض
بواجب او مندوب وقد يتباغض اثنان في الله وهما ماجورات
لاختلافهما في اجتهادهما فيبغض كل منهما صاحبه لاعتقاده
انه اخطا فان قيل كيف نهى عن البغض وهو سجية والانسان
لا يقدر على دفع السجيات قيل ان معنى لا تباغضوا لا تتعاطوا
اسباب التباغض **الوجه الخامس** قوله ولا تدابروا اي لا يدبر
بعضكم على بعض اي لا يعرض عنه بما يجب عليه من حقوق
الاسلام من الاعانة والنصرة ونحوهما ولا ملازمة بين
التباغض والتدابر لان الشخص قد يبغض صاحبه عادة
ويوفيه حقوق الاسلام عبادة كما روي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لرجل اني لا احبك فقال له يا امير المومنين
هل يحملك ذلك على ان تمنعني حقا هو لي قال لا قال فلا ابالي
اذا فانما الحب من شان النسا وقد يعرض عنه وهو يحبه
تهمة او تاديبا له ونحو ذلك وفي نحو هذا قيل لا يكتم الحب الا خشية
التهم وقوله لا تدابروا اصله لا تتدابروا بتاءين حذفت احداهما

بلغ مقابلة

تخفيفا

٢٣

تخفيفا وهل هي تاء المضارعة او فاء الكلمة فيه خلاف وكذلك
ما قبلها **الوجه السادس** قوله ولا يبع بعضكم على بيع بعض
لان فيه تنفيرا فان باع مسلم على بيع مسلم حرم فعله وفي صحة
المبيع خلاف واما بيع المسلم على الذمي فيحتمل جوازه لنقص
حرمته لان القصد من ذلك بين المسلمين ان لا يتنافروا والذ ي
نافر من المسلم لا نولفه بمباناة في بيع ولا غيره ويحتمل تحريمه
لانه في ذمة الاسلام فله ما للمسلم الا ما خصه الدليل اما بيع
الذمي على المسلم فلا يجوز له ولا يبعد ان يؤدب عليه لانه افتيات
على المسلمين واستخفاف بحقهم ومورد النهي بعد المساومة والمعاقدة
حين يسكن احدهما الى الاخر **الوجه السابع** قوله وكونوا عباد الله
اخوانا هذا شبيه بالتعليل لما تقدم كانه قال اذا تركتم التحاسد
والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضكم على بعض كنتم
اخوانا واذا لم تتركوا ذلك كنتم اعداء والاخوان الاخوة في غير
النسب والاخوة في النسب **وقوله** عباد الله اي يا عباد الله
وفيه اشارة الى انكم عبيد الله عز وجل فحقكم ان تطيعوه بان
تكونوا اخوانا فان قيل ما وجه طاعة الله في كونهم اخوانا قلنا
التعاضد على اقامة دينه واظهار شعائره اذ بدون ائتلاف
القلوب لا يتم ذلك الا ترى الى قوله عز وجل هو الذي ايدك
بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم الاية قال الاقفهسي ويحتمل
ان يامرهم ان يكونوا عبادا لله اي طايعين له مختصين
بالاضافة اليه كما اختصهم تعالى في قوله ان عبادي ليس لك

عليهم سلطان وان يكونوا متواخين في ذاته فكانه قال وكونوا يا معشر
الناس عباد الله متواخين لان الخلق كلهم وان كانوا عباد
الله فليسوا بمختصين اجمعين بالاضافة اليه على طريق الاجلال
والاكرام بل يقال للحايد عن طاعة الله عبد الشيطان اذ ملكهم
بما له عليه من السلطان وهذا ظاهر في القران الوجه الثامن
قوله المسلم اخو المسلم اي في الدين كما قال تعالى انما المومنون
اخوة والاخوة الدينية اعظم من النسبية بدليل ان الاخوين
من النسب اذا افترقا في الدين لم يتوارثا والاجنبيين اذا اتفقا
في الدين توارثا اما باسلام احدهما على يد الاخر او بعموم الدين
عند فقد القرابة كبيت مال المسلمين لاجتماعهم على الدين
قوله لا يظلمه اي لا يدخل عليه ضررا بغير اذن شرعي لان ذلك
حرام ينافي اخوة الاسلام بل الظلم حرام حتى على الكافر قوله ولا
يخذله اي لا يترك نصرته الجائزة مع القدرة عند الحاجة كقوله
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقوله تعالى وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر وقوله عليه السلام انصر اخاك ظالما
او مظلوما وسواء كان الخذلان دنيويا مثل ان يرى عدوا
يريد ان يبطش به فلا يعينه عليه او دينيا بان يرى
الشيطان مستوليا عليه في بعض الاعمال والاحوال يريد ان
يستنفره ويهلكه في دينه فلا يعينه على الخلاص من حالته
بوعظ او نحوه فكلا النوعين من الخذلان حرام قوله ولا يكذبه
اي يخبره بامر على خلاف ما هو عليه لانه غش وخيانة والكذب

اشد

اشد الاشياء ضررا والصدق اشدها نفعا ولهذا كان رتبة
الصدق فوق رتبة الايمان لانه ايمان وزيادة ولهذا قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
ولان الصدق مرادف للتقوى بدليل قوله عز وجل اولئك
الذين صدقوا واولئك هم المتقون ثم التقوى اخص من
الايمان فكذا الصدق الذي هو رديفها او كرديفها وروى
مسلم عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انما المومنون مثل رجل واحد او كرجل واحد اذا اشتكى
عيناه اشتكى كله واذا اشتكى راسه اشتكى كله وعن ابي موسى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المومن للمومن كالبنيان
يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه قال البيهقي اخرجا
من حديث ابي اسامة وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قاد اعمى اربعين خطوة وجبت له الجنة
وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قاد مكفوفا اربعين خطوة غفر له ما تقدم
من ذنبه وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قاد اعمى اربعين او خمسين ذراعا كانت له كعتق رقبة
وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حمى مومنا من منافق
يعيبه بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن
رمى مسلما بشيء يريد شينه به وفي رواية ومن رمى مسلما بشيء
يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال حكي جابر

وابي طلحة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ
يخذل مسلما في موطن ننتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه
الا اخذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر
امرأ مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه
حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته وعن ابي امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مومن
وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيامة
على رؤس الخلايق ومن اكل بمومن اكلة اطعمه الله مثلها
من طعام اهل النار ومن لبس بمومن لبسة البسه الله
مثلها من لباس اهل النار وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من نصر اخاه في الدنيا والاخرة وعن اسما بنت يزيد
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن لحم
اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه وينجيه من النار
وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان وصلة
لاخيه المسلم الى ذي سلطان لمنفعة بر او تيسير عسر اعين
على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام وعن ابن المبارك
قال رب لعمان نعد واخلف قيصر فاسبح فقيل له يا ولي الله
تعد واخلف هذا الكافر قال نعم لعلي اسيله في موطن فيجيبني
فيه وعن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذهب في حاجة
اخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجة وعمرة فان لم تقض
له كتبت له عمرة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم من قضى لاحد من امتي حاجة يريد ان يسره بها فقد سرني
سرني ومن سرني فقد سر الله ومن سر الله ادخله الجنة
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله
اقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرها فيهم ما بذلوها
فاذا منعوها نزعها الله عنهم وحولها الى غيرهم وعن ابن
عمر وابي هريرة قالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من مشى في حاجة اخيه المسلم حتى يتمها اظله الله بخمسة
الاف ملك يدعون له ويصلون عليه ان كان صباحا حتى
يمسي وان كان مساء حتى يصبح ولا يرفع قدما الا كتبت له بها
حسنة ولا يضع قدما الا حطت عنه بها خطيئة وعن بهز بن
حكيم عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به الناس ويل له ثم ويل له
وفي الصحيح ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان
الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ولا يزال
الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل
يكذب حتى يكتب عند الله كذابا وعن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب مجانب
الايمان قال البيهقي الصحيح وقفه ولا خلاف ان الكذب
الذي لا ضرر فيه حرام واباحه بعض العلما في الحرب والاصلاح
بين الناس وعلى الزوجة وفي دفع الصايل على المسلم بغير حق
واجب وروي ان اعرابيا بايع النبي صلى الله عليه وسلم على ان

كذا بخ

بترك خصلة من ثلاث خصال وهي الزنا والسرقة والكذب
ونحوها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دع لي منهن الكذب
فذهب الاعرابي فحصل ان هم بزنا او سرقة يقول كيف
اصنع ان فعلت ثم سالني النبي صلى الله عليه وسلم هل زنيت
فان قلت نعم حدني وان قلت لا كذبت وقد عاهدني على
ترك الكذب فترك الفواحش كلها بترك الكذب وبالجملة
فموضع الكذب من القبح مثل الصدق من الحسن قوله ولا يحقره
اي يستصغر شانه ويضع من قدره لان الله تعالى كرمه
ولم يحقره حين خلقه ورزقه وخاطبه وكلفه فاحتقار المخلوق
مثله له تجاوز لحد الربوبية في الكبرياء وهو جواب عظيم وهذا
وجه قوله عليه السلام بحسب امرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم
اي يكفيه من الشر في اخلاقه ومعاشه ومعاده ومعنى هذه
الجملة ان من حق الاسلام واخوته ان لا يظلم المسلم اخاه
ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره ومفهوم قوله ولا يحقره ان الكافر
يجوز احتقاره اذ لا حرمة له لعصيانه الله ومن يهن الله
فما له من مكرم قوله ولا يحقره هو بفتح الياء وبالحاء المهملة وكسر
القاف ومعناه لا يستصغره ولا يتكبر عليه قال القاضي عياض
رواه بعضهم بضم الياء وبالخاء المعجمة وبالفاء اي لا يغدر
بعهده ولا ينقض امانته والصواب المعروف هو الاول
وهو الموجود في غير كتاب مسلم وروي ولا يحتقره وهذه
تنفي الرواية الاولى وترد الثانية قوله التقوى ههنا يعني

ان

ان محل التقوى القلب الذي هو في الصدر وتحقيق هذا ان
مادة التقوى في القلب لان حقيقة التقوى اجتناب عذاب
الله عز وجل بفعل المامورات واجتناب المحظورات
ومادة ذلك هو خوف الله الحامل على ذلك الاجتناب
في القلب هذا تحقيقه وقيل المعنى ان الاعمال الظاهرة
لا يحصل بها التقوى وانما تحصل بما يقع في القلوب من عظمة
الله عز وجل وخشيته ومراقبته قوله كل المسلم على المسلم حرام
دمه وماله وعرضه قال الطوفي كل المسلم مبتدا وحرام خبره ودمه
وما بعده بدل منه وجعل هذه الثلاثة كل المسلم وحقيقته
لشدة اضطراره اليها اما الدم فلان به حياته والمال مادة
الدم فهو مادة الحياة والعرض به قيام صورته المعنوية واقتصر
على هذه الثلاثة لان ما سواها فرع عليها وراجع اليها

الحديث السادس والثلاثون

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من نفس عن مومن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه
كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في
الدنيا والاخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة والله
في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ومن سلك طريقا
يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع
قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى
ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة

وحفتهم الملايكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطا به عمله
لم يسرع به نسبه رواه مسلم بهذا اللفظ الكلام في لفظه ومعنا
اما لفظه فقوله نفس فرج وهو من تنفس الخناق واصله من
التنفس كانه يرخي له الخناق حتى ياخذ نفسا والكربة ما اهم النفس
وغم القلب كانها مشتقة من كرب التي المقاربة لان الكربة
تقارب ان تزهق النفس والطريق فعيل من الطرق لان الارجل
ونحوها تطرقه والسكينة ثبوت الطمانينة وغشيتهم الرحمة
خالطتهم وعمتهم وحفتهم الملايكة احاطت بهم وتركت الملايكة
حافين من حول العرش وبطا به وابطا به اخره واما معناه ففيه
امور الاول فضيلة تنفيس الكرب عن المؤمنين وان ذلك يجازى
عليه بجنسه من تنفيس كرب الاخرة والاصل والقياس ان الجزا
يكون من جنس العمل ثوابا وعقابا كالنظاير في هذا الحديث
وقياس هذه القاعدة ان يقطع ذكر الزاني وفرج الزانية
لتكون العقوبة في محل الجناية قياسا على قطع اليد والرجل
والسرقة لكن لما كان الذكر والفرج آلة التناسل الحافظ للنوع الانا بي
كان مراعاة بقائه اصلح وانما كان تنفيس الكرب مطلوبا للشرع
مثابا عليه لان الخلق عيال الله عز وجل فتنفيس كربهم احسان
اليهم والعادة ان السيد والملك يحب الاحسان الى عياله
والمحسن اليهم وفي الاثر الخلق عيال الله فاحبهم الى الله
ارفقهم بعياله الثاني فضيلة التيسير على المعسر بكون الهبة
والصدقة والنظرة كما قال تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة

الى ميسرة وروى الامام ابو جعفر الطحاوي عن بريدة بن الحصيب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا كان
له بكل يوم صدقة ثم قلت بكل يوم مثله صدقة قال فقال
بكل يوم مثله صدقة ما لم يحل الدين فان انظره بعد الحل فله بكل
يوم مثله صدقة وروى مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد
له من الخير شي الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يامر
غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك
منه تجاوزوا عنه وروى عن ابي قتادة انه طلب غريما فتوارى
عنه ثم وجده فقال اني معسر فقال آلله قال آلله قال فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه
الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه وفي
حديث ابي اليسر الطويل واسمه كعب بن عمرو انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله
الله في ظله قال ابن الفاكهاني ولا يبعد عندي ان يكون
التيسير في العلم مثاله ان يقع الانسان في مسئلة شرعية
لا يحسن التخلص منها شرعا فيبين له ويهديه الى الصواب
فيها فينشرح صدره لذلك فيخلصه من عهدتها وهذه
وظيفة اهل الفتوى اه الثالث فضيلة ستر عورة
المسلم والمكافاة عليه بجنسها كما مر لان الله عز وجل حيي كريم
وستر العورة من الحيا والكرم ففيه تخلق بخلق الله عز وجل

والله عز وجل يحب التخلق باخلاقه فان قلت لم قال من نفس
عن مؤمن كربة ثم قال ومن ستر مسلما قلت يحتمل انه من
باب تغاير الالفاظ دفعا للتكرار ويحتمل ان الكربة لما كانت
معنى باطنا على ما مر في تفسيرها ناسب الايمان الذي هو
باطن وهو التصديق كما مر في حديث جبريل والستر لما كان
انما يتعلق بالامور الظاهرة غالبا كالاعمال العلاجية ناسب
وصف الاسلام الذي هو اعمال ظاهرة فان قيل لم قال نفس
الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ولم يذكر كرب الدنيا وقال
في الستر ستره الله في الدنيا والاخرة فكافاه بالستر فيهما قلنا
يحتمل ان هذه اتفاق لان الترغيب حاصل بكلا الامرين اعني
التنفيس والستر في الدارين او في احدهما ويحتمل ان الدنيا لما كانت
محل العورات والمعاصي احتيج الى الستر فيها واما الكرب
فهي وان كانت الدنيا محلا لها لكن لا تشبه كربها كرب
الاخرة حتى يذكره معها قال صاحب الافصاح والستر المندوب
اليه هنا يجوز ان يكون اذا راه على ذنب فيستره او يكون
ستره بما يحمله على ان لا يهتك نفسه مثل ان يكون محتاجا
الى النكاح فيتوصل به في تزويجه الى المكسب فيقيم له وجه
بضاعة يتجر بها اه وقال ابن فرح الاندلسي المراد بالستر
هنا الستر على ذوي الهيات ونحوهم ممن ليس معروفا بالاذى
والفساد واما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه بل ترفع
قضيته الى ولي الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر

على

عليه هذا يطمعه في الايذاء والفساد وانتهاك المحرمات وجسارة
غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت
اما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فيجب المبادرة
بانكارها عليه ومنعه على من قدر على ذلك ولا يحل تاخيره
فان عجز لزم رفعها الى ولي الامر اذا لم يكن يترتب على ذلك
مفسدة قال واما جرح الرواة والشهود والامناء على الصدقات
والاوقاف والايتام فيجب جرحهم عند الحاجة اليه ولا يحل
الستر عليهم اذا رؤي منهم ما يقدح في اهليتهم وليس هذا
من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه اه
قال ابن الفاكهاني ولا يبعد عندي عموم هذا الحديث ان يكون
الستر محسوسا وهو ان يرى عورته بادية لعدم ما يسترها به
فيعطيه ما يسترها به قوله والله في عون العبد ما كان العبد
في عون اخيه اي مدة كونه في عونه ولا فرق بين كونه في عونه بقلبه
او بيده او بهما لان الكل عون فان قيل هل يثاب على تنفيس
كربة غير المؤمن والتيسير عليه وستره واعانته ام يختص
ذلك بالمؤمن قلنا ظاهر الحديث اختصاصه بالمؤمن
والمسلم للاخ في الدين والاشبه انه يثاب عليه في المؤمن والكافر
لقوله عليه السلام ان الله كتب الاحسان على كل شيء وقوله
في كل كبد حرا اجر ويحمل الحديث المذكور على ان المؤمن اولى
بتنفيس الكربة عنه من الكافر لشرف الايمان ويليه الذمي ثم
المستامن ثم الحربي على حسب قوة تعلقهم بالاسلام فضعفهم

وهذا احسن قوله ومن سلك طريقا فيه ان سلوك طريق العلم
يجازي عليه بتسهيل طريق الى الجنة وهو يحتمل وجهين احدهما
ان طلب العلم وتحصيله يرشد الى سبيل الهداية والطاعة الموصلة
الى الجنة وذلك بتسهيل الله عز وجل له والا فبدون توفيقه
له ولطفه لا ينتفع بشئ من علم ولا غيره الثاني انه يجازي على
طلب العلم وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بقطع العقبات
الشاقة دونها يوم القيامة بان يسهل عليه الوقوف في الحشر
والجواز على الصراط ونحو ذلك والعلم الذي يترتب على التماسه
تسهيل طريق الجنة هو العلم الشرعي النافع بنية القربة والانتفاع
ونفع الناس كعلوم القرآن والحديث والفقه واصوله ونحو ذلك
لا الخارج عن علم الشرع كالفلسفة من منطق والهي وطبيعي
ورياضي الا ان يقصد بعلمها معرفة مذاهب اهلها للرد عليهم
ودفع شبههم وكف شرهم عن الشريعة فيكون من باب اعداد
العدة هذا قول عامة مشايخ الشريعة كالحليمي في شعب
الايمان وغيره قال الطوفي وهو كلام صحيح غير انا نستثني من
ذلك المنطق فانه علم مفيد لا محذور فيه انما المحذور في غيره
من علومهم ولانه نحو المعاني كما ان النحو منطق الالفاظ ولان
بعض فضلاء الاصوليين صرح وبعضهم عرض بان المنطق
علم شرعي فهو كالعربية فانه من مواد اصول الفقه ولان الاحكام
الشرعية لا بد من تصورها والتصديق بها اثباتا او نفيا والعلم
الموصل لبيان احكام التصور والتصديق هو المنطق فوجب

ان

ان يكون علما شرعيا اذ المراد بالعلم الشرعي ما صدر عن الشرع
او توقف عليه العلم الصادر عن الشرع توقف وجود كعلم الكلام
او توقف كمال العربية والمنطق واعلم اني قررت هذا البحث مع علمي
ان اكثر الفقهاء يكرهونه لما تقرر عندهم من النفرة عن المنطق
ومع اني لا اعرف علم المنطق وانما هو شئ قاد اليه الدليل
ثم ان لهم فيه سلفا فاضلا كالغزالي والرازي وابي الحسن
البصري والسيف الامدي وابن الحاجب وشراح كتابه
من بعده كل هؤلاء عارفون بالمنطق فلا وجه لنفرتهم عنه
وانكارهم له فان قلت قوله من سلك طريقا عام في كل علم
شرعي او فلسفي فلم خصصتموه بالعلم الشرعي قلنا بدليل
قوله سهل الله له به طريقا الى الجنة والعلوم التي يطلب
بها الجنة ويسهل بها طريقها هي الشرعية دون غيرها وهذا
الحديث فيه دليل على فضل الاشتغال بالعلم وليس شئ اشرف
من الاشتغال بالعلم اذا صدقت فيه النية وخلصت لله رب
العالمين قال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب وقال تعالى يرفع الله الذين
امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال ابن عباس
للعلماء درجات فوق المومنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين
مسيرة خمسمائة عام ذكره ابن الجوزي في منهاجه وقال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وفي الصحيحين من حديث
معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد

الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابي امامة قال ذكر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم رجلان احدهما عابد والاخر عالم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله وملايكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها
وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير رواه التر مذي
وقال الحديث حسن صحيح وفي حديث اخر فضل العالم على العا بد
كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وان العلما ورثة
الانبيا وان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم أن صح
فمن اخذ به فقد اخذ بحظ وافر رواه ابو داوود والترمذي
وابن ماجة وعن صفوان ابن عسال رضي الله تعالى عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملايكة لتضع اجنحتها
لطالب العلم رضى لما يطلب رواه احمد وابن ماجة قال الخطابي
في معنى وضع اجنحتها ثلاثة اقوال احدها انه بسط الاجنحة
والثاني انه بمعنى التواضع تعظيما لطالب العلم الثالث
المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران قال ابن
الجوزي في منهاجه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام
كان بينه وبين الانبيا في الجنة درجة واحدة وكان بعض
الحكما يقول ليت شعري اي شي ادرك من فاته العلم واي شي
فات من ادرك العلم ومن فضايل التعليم ما رواه في الصحيحين

عن

عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي لان
يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم
وقال الحسن رحمه الله لولا العلما لصار الناس مثل البهايم
وقال معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة
ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه
صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب
في الخلوة وقال كعب اوحى الله الي موسي عليه الصلاة والسلام
الصلاة والسلام ان تعلم يا موسي الخير وعلمه الناس فاني منور
لمعلم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم واعلم ان
للمتعلم من تعلمه آدابا فينبغي له تقديم طهارة النفس عن رذايل
الاخلاق ومذموم الصفات اذ العلم عبادة القلب وينبغي
له قطع العلايق الشاغلة فان الفكر متى توزعت قصرت
عن ادراك الحقايق وقد كان السلف يوثرون العلم على كل
شي فروي عن الامام احمد انه لم يتزوج الا بعد الاربعين
واهديت الي ابي بكر ابن الانباري جارية فلما دخلت عليه
تفكر في استخراج مسلة فعزبت عنه فقال اخرجوها الي النخاس
فقالت هل لي من ذنب قال لا الا انقلبي اشتغل بك وما
قدر مثلك ان يمنعني علمي وعلى المتعلم ان يلقي زمامه الي المعلم
انقياد المريض زمام امره الي الطبيب فيتواضع له ويبالغ في
خدمته وقد كان ابن عباس ياخذ بركاب زيد بن ثابت ويقول
هكذا امرنا ان نفعل بالعلما ومتى تكبر المتعلم وطاب ان يستفيد

من غير تواضع فهو جاهل لان الحكمة ضالة المؤمن اين وجدها
اخذها وينبغي ان يحترز الخايض في العلم في مبدا الامر من الاصغا
الي اختلاف الناس فان ذلك يحير عقله ويفتر ذهنه وينبغي
له ان ياخذ من كل شي احسنه لان العمر لا يتسع لجميع العلوم
ثم يصرف قوته الى اشرف العلوم وهو العلم المتعلق بالاخرة
الذي به يكتسب اليقين الذي حصله ابو بكر الصديق رضي
الله عنه حين شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
سبقكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشي وقر في صدره
قوله صلى الله عليه وسلم وما اجتمع قوم في بيت من بيوت
الله عز وجل يتلون كتاب الله تعالي ويتدارسونه فيما بينهم
الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملايكة
وذكرهم الله فيمن عنده في هذا الكلام تحريض عظيم على التلاوة
وذكر بيان فضلها واعظم فضايل القران انه كلام الله تعالي
وفي افراد البخاري من حديث عثمان رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل
اهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله قال اهل القران
هم اهل الله وخاصته رواه النسائي قال ابن الجوزي
وفي حديث اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يعذب الله
قلبا وعى القران وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في

الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقروها صححه الترمذي قال ابن
الجوزي وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القران
يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب
فيقول هل تعرفني فيقول ما اعرفك فيقول انا صاحبك القران
الذي اظماتك في الهواجر واسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء
تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه
والخلد بشماله ويوضع على راسه تاج الوقار ويكسى والداه
حلتين لا يقوم لهما الدنيا فيقولان بم كسينا هذا فيقال باخذ
ولدكما القران ثم يقال له اقرا واصعد في درج الجنة وغرفها
فهو في صعود ما كان يقرا هذا كان او ترتيلا وقال ابن
مسعود ينبغي لحامل القران ان يعرف بليله اذ الناس نايمون
وبنهاره اذ الناس لاهون وبحزنه اذ الناس يفرحون وببكايه
اذ الناس يضحكون وبصمته اذ الناس يخلطون وبخشوعه
اذ الناس يختالون ولا ينبغي ان يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا
ولا حديدا وقال الفضيل حامل القران حامل راية الاسلام لا
ينبغي ان يلغو مع من يلغو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلهو مع
من يلهو تعظيما لله تعالي ولا ينبغي ان يكون له الي احد حاجة
بل ينبغي ان تكون حوايج الناس اليه وقال الامام احمد بن حنبل
رضي الله عنه رايت رب العزة في المنام فقلت يا رب ما اقرب
ما يتقرب به اليك المتقربون فقال بكلامي يا احمد فقلت يا رب
بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم فصل في اداب

التلاوة قال ابن الجوزي ملخصًا لكلام الغزالي ينبغي لقارئ
القران ان يكون على وضوء مستقبلًا للادب مطرقا غير متربع
ولا متكي ولا جالس على هيئة المتكبر وافضل الاحوال ان يقراه
في الصلاة قايما وان يكون في المسجد واولى الاشيا في مقدار
القراة ما لا يمنع الانسان من اشغاله المهمة ولا يوذيه في بدنه
ولا يفوته معه الترتيل والفهم قال ابن عباس لان اقرا البقرة
والعمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القران
كله هذرمة ومن وجد خلسة في وقت فليغتنم كثرة القران
ليس بكثرة الثواب فقد كان عثمان رضي الله عنه
يقراه القران في ركعة يوتر بها وكان الشافعي يختم في شهر رمضان
ستين ختمة واستحب بعضهم اذا اختم بالليل ان يختم في ركعتي
الفجر او بعدهما واذا اختم بالنهار ان يختم في ركعتي المغرب او بعدهما
ليستقبل بالختمة اول الليل واول النهار وقال ابن مسعود
من ختم القران فله دعوة مستجابة وكان انس اذا اختم القران
جمع اهله ودعا انتهى وقد تقدم في اداب التلاوة ما فيه
كفاية عند الكلام على قوله عليه السلام تنبيه قد صنف الشيخ
ابو زكريا يحيى النواوي مولف هذه الاربعين رحمه الله
كتابا في اداب التلاوة وعقد فيه فصلا لاستحباب
تلاوة التالين مجتمعين وبسط فيه القول واستدل له
بدلايل وقال ابو عبد الله بن الحاج رحمه الله بعد ان ذكر
شيا من كلامه واما قوله عليه السلام وما اجتمع قوم في بيت

من بيوت

من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم فلم يذكر انهم
اجتمعوا على ذلك يتراسلون بينهم صوتا واحدا بل ذلك عام
هل كان على صوت واحد ام لا وقد دل الدليل على انهم لم يكونوا
يفعلون ذلك بل دل الدليل على انكارهم لذلك ونهيهم
عنه قال وقد ذكر هو رحمه الله فصلا من ذلك فقال وعن
حسان بن عطية والاوزاعي انهما قالا اول من احدث الدراسة
في مسجد دمشق هشام بن اسماعيل في قدومه على عبد الملك
وروى ابن ابي داوود عن الضحاك بن عبد الرحمن انه
انكر هذه الدراسة وقال ما رايت ولا سمعت ولا ادركت احدا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلها وعن وهب
ابن منبه قلت لمالك ارايت القوم يجتمعون فيقرون جميعا
سورة واحدة حتى يختموها فانكر ذلك وعابه وقال ليس هكذا
يصنع الناس انما كان يقرا الرجل على الاخر يعرض قال وقد
تقدم انهم كانوا لا يرفعون اصواتهم بالذكر ولا بالقراة وكلا
يفعلون ذلك جماعة وقد تقدم حديث ابن مسعود وانكاره على
من فعل ذلك وقوله والله لقد جيتم ببدعة ظلما او لقد
فقتم اصحاب محمد علما قال وقوله عليه السلام ويتدارسونه
بينهم يشعر بانه ليس المراد انهم يجتمعون للتلاوة صوتا
واحدا مترسلين لان الدراسة انما تكون تلقينا او عرضا
وهذا هو المروي عنهم واما الاجتماع على صوت واحد فلم
يرو عنهم قوله عليه السلام ومن بطا به عمله لم يسرع به

نبه هذا غرضه منه عليه السلام على المواظبة على الاعمال الصالحة
الخالصة لله تعالى وبيان لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وبيان ان الدرجات عند الله انما تنال بالاعمال
الصالحة وان الانساب لا تفيد شيا اذا لم تكن الاعمال
الصالحة وتامل قوله عليه السلام يا بني هاشم اشتروا انفسكم
من الله فاني لا اغني عنكم من الله شيا يا بني عبد المطلب
اشتروا انفسكم من الله فاني لا اغني عنكم من الله شيا ويا
فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شيت فاني لا اغني عنك من
الله شيا فلينتبه متنبه ان كان راقدا وليتجرد ان كان
قاعدا وليعلم علم تدبر وتفهم ان الله تعالى انما بعث الرسل وانزل
الكتب لتعلم الناس العلوم ويعملوا الاعمال الصالحة وقد
تقدم الكلام في الحث على العمل الصالح عند قوله عليه السلام
كل الناس يغدو وغيره ما فيه غنى عن الاعادة هنا والله
تعالى نساله التوفيق

الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يروي عن ربه عز وجل قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات
ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة
كاملة الحديث بن عباس تقدمت ترجمته وقوله فمن هم بحسنة
فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فيه دليل على سعة
فضل الله تعالى وكثرة احسانه وجوده وفيضه الخير على

بلغ مقابلة

عباده

عباده وتاكيده بكاملة مشعر بذلك كما نبه عليه المولف رحمه
الله في اثناء الكلام على هذا الحديث وقوله وان هم بها فعملها
كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبع مائة ضعف الى اضعاف
كثيرة قال النووي فيه دليل على المذهب الصحيح المختار عند
العلما ان التضعيف لا يقف على سبع مائة وقال الامامان
ابو جعفر الطحاوي والطبري في هذا الحديث دليل على ان
الحفظة يكتبون اعمال القلوب وعقدها خلافا لمن قال انها
لا تكتب الا الاعمال الظاهرة قوله وان هم بسيئة فلم
يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة في هذا التاكيد ايضا
بكاملة دليل على سعة فضل الله تعالى واكرامه لهذه الامة
قوله وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة في هذا التقليل
بواحدة التي هي موكدة للتقليل دليل على فضل الله تعالى ولحنا
وكم لله من لطف خفي • يخير دون ادناه العقول •
قال الامام ابو العباس القرطبي قال القاضي ان الهم
هنا ما يمر بالفكر من غير استقرار ولا توطين فلو استمر ووطن
قلبه عليه لكان ذلك هو العزم المواخذ به او المثاب عليه
بدليل قوله عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال
المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه لا يقال ان
المواخذة هنا انما كانت لانه عمل بما استقر في قلبه من حمله
السلاح عليه لا بمجرد الحرص لانا نقول هذا فاسد لانه عليه السلام

السلام قد نص على ما وقعت المؤاخذة به واعرض عن غيره فقال انه
كان حريصا على قتل صاحبه فلو كان حمل السلاح هو العلة
الموجبة للمؤاخذة لما سكت عنه وعلق المؤاخذة على غيره
لان ذلك خلاف البيان الواجب عند الحاجة اليه
قال القرطبي وهذا الذي صار اليه القاضي هو الذي
عليه عامة السلف واهل العلم من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين ولا يلتفت الى من خالفهم في ذلك فزعم ان ما يهم
به الانسان وان وطن نفسه عليه لا يؤاخذ به متمسكا بقوله
تعالى ولقد همت به وهم بها وبقوله عليه الصلاة والسلام
ما لم يعمل او يتكلم به ومن لم يعمل بما عزم عليه ولا نطق به فلا
يؤاخذ به وهو متجاوز عنه قال والجواب عن الاية
ان من الهم ما يؤاخذ بها كما يشهد وهو ما استقر واستوطن
ومنه ما يكون احاديث لا يستقر فلا يؤاخذ بها كما يشهد به
الحديث وما في الاية من القسم الثاني لا الاول وفي الاية
تاويلان احدهما وبه يحصل الانفصال وعن قوله ما لم
يعمل ان توطين النفس عليه عمل مؤاخذ به والذي يرفع الاشكال
ويبين المراد بهذا الحديث حديث ابي كبشة الانماري
واسمه عمرو بن سعد على ما قاله خليفة بن خياط انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الدنيا لاربع نفر الحديث
انتهى قلت هذا الحديث رواه الترمذي

ووجه الدلالة منه انه اثمه بالعزم المستقر مع عدم الفعل وهي دلالة
واضحة والله اعلم وفي الحديث الاخر في صحيح مسلم انما تركها من
جراي اي من اجلي قال القرطبي ومقصود هذا اللفظ
ان الترك للسيئة لا تكتب حسنة الا اذا كان خوفا من الله
او حياء من الله وايهما كان فذلك الترك هو التوبة من
ذلك الذنب واذا كان كذلك فالتوبة عبادة من العبادات
اذا خلصت بشروطها اذهبت السيئات واعقبت الحسنات
قال وقوله انما تركها من جراي اخبار من الله تعالى للملائكة عليهم
السلام بما لم يعلموا من اخلاص العبد في الترك ومن هنا قيل
ان الملائكة لا تطلع على اخلاص العبد قال وقد دل على هذا قوله
عليه السلام في حديث حذيفة وقد سأله عن الاخلاص ما هو
فقال قال الله عز وجل هو سر من سري استودعته قلب
من احببته من عبادي والحديث الاخر الذي يقول الله فيه
للملائكة التي تكتب الاعمال حين يعرضونها عليه ضعوا هذا
واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك وجلالك ما رأينا
الا خيرا فيقول الله ان هذا كان لغيري ولا اقبل من
العمل الا ما ابتغي به وجهي اه وقد نص في فتاوى البخاري وجهي صح
من كتب الحنفية على المؤاخذة بالعزم وعقد القلب على السيئة

وكذا نص عليه النووي في شرح مسلم وحكاه عن المحققين والله اعلم

الحديث الثامن والثلاثون

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب
وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي من اداء ما افترضت عليه
ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش
بها ورجله التي يمشي بها وان سالني اعطيته ولئن استعاذني
لاعيذنه رواه البخاري اولياء الله تعالى هم المومنون
المتقون لله بدليل قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون ان جعلت
الجملة الثانية صفة كاشفة للاولى وان جعلت ابتدا كلام
لم يقدح فيما قلنا لان الولاية ضد العداوة واصل الولاية
المحبة والقرب كما ان اصل العداوة البغض والبعد فالولي
القريب يقال هذا يلي هذا اي يقرب منه فولي الله هو الموافق
له فيما يحبه ويرضاه وقال بعض المتاخرين الولي هو الذي له
كمال قوتين نظرية وعملية قال والمراد بالقوة النظرية قوة
النفس الناطقة بها تقبل الفيض من الملا الاعلى وبالقوة
العملية قوة لها بها تدبر بدنها لتكمله وتستكمل بواسطته
قلت فالذي يتلخص من كلام علماء الشريعة والحقيقة ان
الولي هو المتقرب من ربه تعالى بالعلم والعمل ورأس الاولياء

من

من امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق الاكبر
والولي الاعظم وروى الترمذي وحسنه عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر هذان سيدا
كهول اهل الجنة من الاولين والاخرين الا النبيين والمرسلين
وله وصححه عن عمر رضي الله عنه قال ابو بكر سيدنا وخيرنا واحبنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اه فتبا لرافضي مبتدع
وقد روينا في سنن ابي داوود بالاسناد الصحيح عن سفيان
الثوري قال من زعم ان عليا كان احق بالولاية منهما فقد
خطا ابا بكر وعمر والمهاجرين والانصار وما اراه يرتفع له مع هذا
عمل الى السما وكانت له في الاسلام المواقف الرفيعة واسلم على
يده خمسة من العشرة وهم عثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن
وسعد بن ابي وقاص واعتق سبعة كانوا يعذبون في الله
منهم بلال وعامر وهو اول من اسلم في قول ابن عباس وعمرو بن
عبسة وحسان بن ثابت وابراهيم النخعي وغيرهم ولم يزل مترقيا
في معارف الاسلام متزايدا في محاسنه حتى توفي رضي الله عنه
صحب النبي صلى الله عليه وسلم من حين اسلم الى ان توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وترك عياله واولاده وماله رغبة في طاعة الله ورسوله
واقام معه في الغار ثلاثة ايام وخبر الغار مشهور وقال فيه
الرب جل جلاله ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن حل صح
ان الله معنا والمراد به ابو بكر بالاتفاق فقد ورد النص

القاطع بثبوت صحبته ولم يرد في القران اسم الصحبة لغيره واجمعوا
على انه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد من
مشاهده وكان فيمن ثبت معه يوم احد ويوم حنين وروى البيهقي
في السنن الكبرى باسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت لما
استخلف ابو بكر رضي الله عنه قال لقد علم قومي ان حرفتي لم تكن
تعجز عن مونة اهلي وقد شغلت بامر المسلمين فسياكل آل ابي بكر من
هذا واحترف في مال نفسي وفي رواية انه خطب الناس ثم قال المال صح
ان اكيس الكيس التقوى واحمق الحمق الفجور والصدق عندي الامانة
والكذب عندي الخيانة والقوي عندي ضعيف حتى اخذ منه
الحق والضعيف عندي القوي حتى اخذ له الحق الا واني قد وليت عليكم
ولست بخيركم قال الحسن هو والله خيرهم من غير مدافع ولكن المومن
يهضم نفسه ولوددت انه كفاني هذا الامر احدكم قال الحسن
صدق والله وانفق في مدة خلافته ثمانية الاف درهم فلما حضره
الموت قال كنت قلت لعمر اني اخاف ان لا يسعني ان اكل من هذا
المال فغلبني فاذا مت فخذوا من مالي ثمانية الاف فضعوها
في بيت المال وفي الصحيحين ان ابا بكر قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهما في الغار يا رسول الله لو ان احدهم نظر تحت قدميه
لابصرنا فقال ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما وروى
الحافظ ابو نعيم عن انس قال لما كان ليلة الغار قال ابو بكر
دعني يا رسول الله لادخل قبلك فان كان فيه حية او شيء كان لي
قبلك قال ادخل فدخل ابو بكر فجعل يلتمس بيديه كلما راى جحرا قال

بثوبه

بثوبه فشقه ثم القمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه اجمع قال فبقي جحر
فوضع عقبه عليه ثم ادخل رسول الله فلما اصبح قال له النبي
صلى الله عليه وسلم فاين ثوبك يا ابا بكر فاخبره بالذي صنع
فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اجعل ابا بكر
معي في درجتي يوم القيامة فاوحى الله عز وجل اليه ان الله
قد استجاب لك وعن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم
عثمان بن عفان رواه البخاري فهذا اجماع من الصحابة لانه
قوله كنا يعني الصحابة وعن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت يا
رسول الله اي الناس احب اليك قال عائشة فقلت
من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال ثم عمر فعد رجالا
رواه البخاري ومسلم وفي البخاري عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال
اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وقوله فهل
يدعى احد من تلك الابواب كلها يعني ابواب الجنة قال نعم
وارجو ان تكون منهم اخرجاه وعن محمد بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنهما قال قلت لابي اي الناس خير بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر فقال قلت ثم من قال عمر بن الخطاب
وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من
المسلمين رواه البخاري وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابا بكر وعمر رواه الترمذي
وقال الحديث حسن وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وله وزيران من اهل السماء ووزيران
من اهل الارض فاما وزيراي من اهل السماء فجبريل وميكائيل
واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر رواه الترمذي
وقال الحديث حسن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة التي
تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت
معك حتى انظر اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما انك اول
من يدخل الجنة من امتي رواه ابو داود وعن عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه قال ابو بكر سيدنا وخيرنا واحبنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال حديث صحيح وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا
يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله
بها يوم القيامة وما نفعني مال احد ما نفعني مال ابي بكر
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا وان صاحبكم
خليل الله رواه الترمذي وقال الحديث حسن

فصل

وكان اماهم في العلم كما هو امامهم في الخلافة قالت الصحابة
وكان ابو بكر هو اعلمنا وسئل ابن عمر من كان يفتي الناس في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر لا اعلم غيرهما
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان لابي بكر الصديق

غلام

غلام يخرج له الخراج وكان ابو بكر ياكل من خراجه فجاءه يوما بشيء
فاكل منه ابو بكر فقال له الغلام اتدري ما هذا قال ابو بكر وما
هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما احسن الكهانة
الا اني خدعته فلقيني فاعطاني ذلك هذا الذي اكلت منه
فادخل ابو بكر يده في فيه فقاء كل شيء في بطنه رواه البخاري
وذكر هذا الخبر الغزالي في الاحيا ان الصديق قال بعد استفراغه
اللهم اني اعتذر اليك بما حملت العروق وخالط الامعاء
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال او ما
علمت ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا ثم قال الغزالي ولا
شك ان الصديق لما اخبر بان اللبن من غير وجهه لم يكن يخفى
عليه مع كونه اعلم الناس انما تناوله الانسان من غير علمه به انه
لا اثم عليه فيه ولا يجب في فتوى الفقه استفراغه ولكن انما فعل
ذلك لعلو رتبته وكمال صدق يقينه ولتبحر في صدره معرفة
ذلك السر ان فتوى العامة حديث اخر وان خطر طريق الاخرة
لا يعرفه الا الصديقون فلذلك استفرغه وادخل اصبعه
في حلقه ليخرجه حتى كادت روحه تخرج معه لانه رآه مؤثرا في قلبه
اثرا يمنعه عن منزلته وكمال رتبته اهـ ورواه الحافظ ابو نعيم عن
زيد بن ارقم قال كان لابي بكر مملوك يغل عليه فاتاه ليلة
بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك ما لك كنت تسألني
كل ليلة ولم تسألني الليلة قال حملني على ذلك الجوع من اين
جئت بهذا قال مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني

فلما ان كان اليوم مررت بهم فاذا اعرس لهم فاعطوني فقال ان لك
كدت ان تهلكني فادخل يده في حلقه فجعل يتقيا وجعلت لاتخرج
فقال له ان هذه لاتخرج الا بالماء فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيا
حتى رمى بها فقيل له يرحمك الله كل هذا من اجل هذه اللقمة قال
لولم تخرج الا مع نفسي لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول كل جسد نبت من سحت فالنار اولى به فخشيت ان ينبت
شي من جسدي من هذه اللقمة انتهى وذكره الغزالي وفيه فادخل
اصبعه في فيه وجعل يتقيا قال حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم
قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء
وقال النواوي رحمه الله كان ابو بكر الصديق اذا مدح يقول
اللهم انت اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني
خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون
وقيل له في مرضه الا ندعو لك طبيبا قال قد نظر الي قالوا ما قال ل
لك قال قال اني فعال لما اريد وروينا في تاريخ دمشق عن
هشام بن عروة عن ابيه قال اسلم ابو بكر وله اربعون الفا انفقها
في الله وعن حبيب بن عبد الرحمن عن عمته قال نزل فينا ابو بكر
سنتين قبل ان يستخلف وسنة بعد استخلافه وكانت جواري
الحي تاتينه بغنمهن فيحلب لهن وذكر محمد بن سعد
وغيره باسانيدهم انه كان يحلب لاهل الحي منائحهم فلما استخلف
قالت جارية من الحي الان لا يحلب لنا فقال بلى لاحلبنها لكم
واني لارجوا ان لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه فكان

بعد

بعد الخلافة يحلب لهن وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اختار اصحابي على العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي اربعة ابا بكر
وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي واصحابي كلهم خير واختار
امتي على الامم واختار من امتي اربعة قرون الاول والثاني والثالث
والرابع خرجه البزار في مسنده وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا علي
ان الله امرني ان اتخذ ابا بكر وزيرا وعمر مشيرا وعثمان سندا وانت
ظهيرا انتم اربعة قد اخذ الله ميثاقكم في ام الكتاب لا يحبكم
الا مومن ولا يبغضكم الا فاجر انتم خلائف نبوتي وعقدة ذمتي
وحجتي على امتي لا تقاطعوا ولا تدابروا اخرجه ابن السمان
في الموافقة وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم محبهم يعني الاربعة اولياء الله ومبغضهم اعداء الله
خرجه الملا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني وحملني
الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله رحم الله
عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وما له من صديق رحم الله
عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه
حيث دار اخرجه الترمذي وعن انس بن مالك قال صعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال مالي
اراكم تختلفون في اصحابي ما علمتم ان حبي وحب اهل بيتي وحب

اصحابي رضي الله تعالى على امتي الى يوم القيامة ثم قال اين ابو بكر
قال ها انا ذا يا رسول الله قال ادن مني فدنا منه فضمه الى
صدره وقبّل بين عينيه ورأينا دموع رسول الله صلى الله عليه
وسلم تجري على خده ثم اخذ بيده وقال باعلى صوته معاشر
المسلمين هذا ابو بكر الصديق هذا شيخ المهاجرين والانصار
هذا صاحبي صدقني حين كذبني الناس واواني حين طردوني
واشترى لي بلالا من ماله فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة
اللاعنين والله منه بري وانا منه بري فمن احب ان يبرا من الله
ومني فليتبرا من ابي بكر الصديق وليبلغ الشاهد منكم الغايب
ثم قال له اجلس يا ابا بكر فقد عرف الله لك ذلك ثم قال صلى
الله عليه وسلم اين عمر بن الخطاب فوثب اليه عمر فقال ها انا ذا
يا رسول الله فقال ادن مني فدنا منه فضمه الى صدره وقبل
بين عينيه ورأينا دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم تجري
على خده ثم اخذ بيده وقال باعلى صوته معاشر المسلمين
هذا عمر بن الخطاب هذا شيخ المهاجرين والانصار هذا الذي
امرني الله تعالى ان اتخذه ظهيرا ومشيرا هو الذي انزل الحق
على قلبه ولسانه وين هو الذي تركه الحق وما له من صديق
هو الذي يقول الحق وان كان مرا هو الذي لا يخاف في الله
لومة لايم هو الذي يفر الشيطان من شخصه هو سراج
اهل الجنة فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين والله منه
بري وانا منه بري ثم قال اين عثمان ابن عفان فوثب اليه

عثمان

عثمان وقال ها انا ذا يا رسول الله فقال ادن مني فدنا منه فضمه
الى صدره وقبل بين عينيه ورأينا دموعه تجري على خده ثم اخذ بيده
وقال معاشر المسلمين هذا عثمان بن عفان هذا شيخ المهاجرين
والانصار وهذا الذي امرني الله ان اتخذه سندا وختنا على ابنتي
ولو كان عندي ثالثة لزوجتها اياه هذا الذي استحيت منه
ملايكة السماء فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم
قال اين علي بن ابي طالب فوثب اليه وقال ها انا ذا يا رسول الله
فقال ادن مني فدنا منه فضمه الى صدره وقبل بين عينيه ورأينا
دموعه تجري على خده ثم اخذ بيده وقال باعلى صوته يا معاشر
المسلمين هذا علي بن ابي طالب هذا شيخ المهاجرين والانصار
وهذا اخي وابن عمي وختني هذا لحمي ودمي وشعري هذا ابو السبطين
الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة هذا مفرج الكرب
عني هذا اسد الله وسيفه في ارضه على اعدايه فعلى مبغضه لعنة
الله ولعنة اللاعنين والله منه بري وانا منه بري فمن احب
ان يبرا من الله ومني فليتبرا من علي بن ابي طالب وليبلغ
الشاهد منكم الغايب ثم قال اجلس يا ابا الحسن فقد عرف الله
لك ذلك اخرجه ابو سعيد في شرف النبوة **وعنه** قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر
وعثمان وعلي كما افترض عليكم الصلاة والزكوة والصوم والحج
فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكوة ولا الصوم
ولا الحج خرجه الملا في سيرته **فصل** مما ينبغي التنبيه عليه

ان ظهور كرامات الاوليا رضي الله عنهم جايز عقلا وواقع نقلا
اما جوازه عقلا فلانه من قبيل الممكنات هذا مذهب اهل
السنة من المشايخ العارفين والنظار الاصوليين والفقها
والمجتهدين وتصانيفهم ناطقة بذلك شرقا وغربا عجما وعربا
واما وقوع ذلك نقلا فقد جا في القران من ذلك قوله تعالى
عن مريم عليها السلام كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله
وكان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتا هكذا جا في التفسير وما اخبر به من العجايب على يد
الخضر عليه السلام وقصة ذي القرنين وتمكينه مما لم يمكن
غيره منه وقصة اصحاب الكهف والعجايب التي ظهرت عليهم
من كلام الكلب معهم وغير ذلك وقصة اصف بن برخيا مع
سليمان عليه السلام في عرش بلقيس كما قال تعالى قال الذي
عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
وكل هولاء المذكورين ليسوا بانبيا بل اوليا ومن ذلك احديث
صحيح وتكلم الطفل له في المهد رواه البخاري ومسلم وحديث
اصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة ثم انزجت
من غير ان يحركها احد من الانس منفق عليه ايضا وحديث
البقرة التي اخبر عليه السلام انها كلمت صاحبها وهو في الصحيح
ايضا وكرامة الصديق الاكبر مع ضيفه وتركه الطعام حتى
صار يزيد الاكل اكثر مما كان قبله بثلاث مرات واخباره ايضا

عن امراته ان ما في بطنها انثى فكان كذلك وقول النبي صلى الله عليه
وسلم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه محدث وقول عمر وهو على المنبر
يا سارية الجبل فبلغ صوته الى سارية الجبل وبينهما مسيرة شهر
واجابه دعا سعد وسعيد وحديث خبيب في قطف العنب
الذي وجد في يده ياكله في غير اوان الثمار وحديث اسيد بن
حضير وعباد ابن بشر رضي الله عنهما حين خرجا من عند النبي
صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين
بين ايديهما والحديث الصحيح في الرجل الذي سمع صوتا في السحاب
يقول اسق حديقة فلان وما جاء ان ابن عمر قال للاسد الذي
منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب وما جا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلا ابن الحضرمي في
غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه
الاعظم ثم قال بسم الله ومشوا على الماء وما اشتهر من ان
عمران حصين كان يسمع بتسليم الملايكة عليه حتى اكتوى فلم يسمع (بن محـ)
ثم اعاده الله تعالى وحديث مسلم الصحيح الذي قال عليه
السلام رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لا يعبو به لو اقسم
على الله لابره فيه ولو استقربا ذلك لادى الى اتساع

فصل

قال بعض المصنفين يجوز ان تبلغ الكرامة مبلغ المعجزة في جنسها
وعظمها على القول الصحيح المحقق المختار والدليل على ذلك
بالمعقول والمنقول عن ايمة الاصول ووقوع ذلك اما المعقول
فلا يخلوا اما ان يكون المنع من ذلك نقلا يوجد او عقلا الاول

باطل اذ ليس في منع ذلك نقل يوجد بل النقل متظاهر في جوازه كما
سياتي والثاني اما ان يمتنع لذاته او لغيره والاول باطل اذ خرق
العادة مطلقا في الصغير والكبير للنبي والولي وغيرهما لا يحيله
العقل في قدرة الرب والثاني اما ان يكون لالتباس النبي بالمتنبي
او غيره والثاني باطل اذ ليس فيه دافع لاصل ولا قادح في معجزة
والاول اما ان يكون مقرونا بدعوى النبوة او لا يكون والاو
ل
باطل اذ ليس فيه التباس فتعين الثاني وهو حصر الالتباس
المحصور فيه المنع في الخارق المقرون بدعوى النبوة فلا التباس
في غير الخارق المقرون بالدعوى المذكورة فلا منع في كل خارق
ليس مقرونا بدعوى النبوة وهو المطلوب وهذا التقرير في
جواز عظام الكرامات يلزم منه جواز صغيرها ويلزم منه
ايضا بطلان اقوال الضعيفة لبعض القايلين بعدم جواز بعض
الكرامات واما المنقول فالدليل على المانعين بجملة الكرامات
فقد تقدم من القرآن والاخبار والاثار والدليل على اصحاب القرآن صح
الاقوال الضعيفة من المجوزين لها ما سنذكره من اقوال ايمة
الاصول المحققين النظار المدققين قال امام الحرمين رحمه
الله تعالى في كتابه الارشاد ما صار اليه اهل الحق انخراق
العادات في حق الاولياء واطبقت المعتزلة على منع ذلك
ثم مجوزوا الكرامات تحزبوا احزابا فمن صايرين الى ان
شرط الكرامة الخارقة للعادة ان تجري من غير قصد واختيار
من الولي وصار هولاء الى ان الكرامة تفارق المعجزة من هذا

الوجه

الوجه وهذا غير صحيح لما سنذكره وصار صايرون الى تجويز وقوع
الكرامة الخارقة على حكم الاختيار ولكنهم منعوا وقوعها على قضية
الدعوى وقالوا لو ادعى الولي الولاية واعتقد في اثبات دعواه
بما خرق العادة فان ذلك ممنوع وهولاء يعدون ذلك مميزا
بين الكرامة والمعجزة وهذه الطريقة غير مرضية ايضا ولا يمنع
عندنا ظهور خوارق العوايد مع الدعوى المفروضة وصار بعض
اصحابنا الى ان ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة
فيمتنع عند هولاء ان ينفلق البحر وينقلب العصا ثعبانا
ويحيي الموتى كرامة لولي الى غير ذلك من ايات الانبيا وهذه
الطريقة غير سديدة ايضا فالمرضي عندنا تجويز جملة خوارق
العوايد في معارض الكرامات هذا نصه بحروفه ثم قال بعد
ذلك فان قيل ما دليلكم على جوازها يعني الكرامة قلنا ما من
امر يخرق العوايد الا وهو مقدور للرب سبحانه وتعالى ابتدا
ولا يمتنع وقوع شي لتقبيح عقل لما مهدنا فيما سبق وليس في وقوع
الكرامة ما يقدح في المعجزة فان المعجزة لا تدل لعينها وانما تدل
لتعلقها بدعوى النبي ونزولها منزلة التصديق بالقول والملك
الذي يصدق مدعي الرسالة بما يوافقه ويطابق دعواه لا يمتنع
ان يصدر منه مثله اكراما لبعض اوليايه ولا يقدح مرام الاكرام
في قصد التصديق اذا اراد التصديق ولا خفا بذلك
على من تامله اه ثم قال بعد ذلك ان الكرامة والمعجزة ليس
بينهما فرق الا وقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة والكرامة

دون ادعاء النبوة كما سياتي قلت وهذا الذي ذهب اليه من
تجويز جميع خوارق العادات في الكرامات كالمعجزات وكونهما انه
لا تفترقان الا في تحدي النبوة هو الذي ذهب اليه ائمة الاصول
المحققون المعتمدون المشهورون قال الامام ابو بكر الباقلا ني
ان المعجزات تختص بالانبيا والكرامات تكون للاوليا ولا يكون
للاوليا معجزة لان من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها
والولي لا يدعي النبوة فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة انتهى
وقال الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله ان المعجزات دلالات
الصدق ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه
وصاحب الكرامات لا يدعي النبوة فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة
وان كانت من جنس المعجزات وقال في الرسالة القدسية في الفعل
الخارق للعادة يشترط في كونه معجزة ان تكون مقرونا بتحدي
النبي وصرح ايضا في كتاب الاقتصاد ان الكرامة عبارة عما
يظهر من غير اقتران التحدي وان كان مع التحدي فانما يسمى
معجزة وقال الامام فخر الدين الرازي في المحصل ثم تميز
الكرامة من المعجزة قال بتحدي النبوة وقال الامام البيضاوي
في مصباحه الكرامات جائزة عقلا خلافا للمعتزلة والا
ستاذ وتتميز عن المعجزة بعدم التحدي وقال نصير الدين
الطوسي في قواعد العقايد والفعل الخارق الذي يظهر علي
احد من غير تحدي يسمي بالكرامة ويختص بالاوليا وقال
الامام حافظ الدين النسفي في عمدته كرامات الاوليا جايزة

خلافا

خلافا للمعتزلة للمشهور من الاخبار والمستفيض من حكايات
الاخيار ولا يقال لو جاز ذلك لانسد طريق الوصول الي معرفة
النبي لان المعجزة تقارن دعوي النبوة ولو ادعاها الولي لكفر
من ساعته وقال الامام ابو [illegible] القاسم القشيري
رحمه الله في رسالته وظهور الكرامات علامة صدق من
ظهرت عليه في احواله ثم بعد هذا فشرايط المعجزات كلها او
اكثرها يوجد في الكرامة الا دعوي النبوة فقد اتفق من رايت
كلامه في ذلك ان الفارق بين الكرامة والمعجزة هو تحدي
النبوة فقط **فصل** لا شك ان الكرامات قد ظهرت
في زمن الصحابة وكثرت كما روينا ذلك في المقامات العلية
في الكرامات الجلية للامام ابي الفتح الحافظ بن سيد الناس
رحمه الله ولكن ظهورها فيما بعد اكثر ثم ان كثيرا من المنكرين
لكرامات الاوليا والصالحين لو راهم يطيرون في الهوا لقالوا
هذا سحر وقالوا هولاء شياطين ولا شك ان من حرم التوفيق
وكذب بالحق بغيا وحسدا فقد كذب به عيانا وحسا وليس العجب
ممن ينكر الكرامات من المعتزلة فليس ذلك بمستنكر ولا مستنكر
منهم فقد خالفوا اهل السنة بما هو انكر واكثر وانما العجب
من قوم ينكرونها وهم ينتمون الى اهل السنة وهم اقسام فقسم
منهم ينكرون على مشايخ الصوفية ومن ينتمي اليهم ويسيئون
الظن بهم ويطعنون فيهم وينكرون كراماتهم والقسم الثاني
من اقسام المنكرين قوم يكذبون بكرامات اوليا زمانهم

زمانهم ويصدقون بكرامات الذين ليسوا في زمانهم فهولآء كما قال
الشيخ ابو الحسن الشاذلي والله ما هي الا اسرائيلية والقسم الثالث
قوم يصدقون بان لله اوليا لهم كرامات ولكن لا يصدقون
بواحد معين ومن انكر على الصالحين حرم بركتهم قال الشيوخ
وذلك اقل عقوبتهم ويخشى عليه من سوء الخاتمة نعوذ بالله
من سوء الخاتمة **فصل** قيل للامام ابي عبد الله احمد
ابن حنبل رضي الله عنه يا ابا عبد الله ان الصحابة لم يروعنهم
مثل ما قد روي عن الاوليا والصالحين فكيف هذا فقال
اوليك كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة شي يقوون
به ايمانهم وغيرهم كان ايمانهم لم يبلغ ايمان اوليك فقووا
باظهار الكرامات لهم وقال الشيخ العارف شهاب الدين
السهروردي رحمه الله وخرق العادة انما يكاشف به لموضع
ضعف يقين المكاشف رحمة من الله تعالى لعباده العباد
ثوابا معجلا لهم وفوق هولاء قوم ارتفعت الحجب عن قلوبهم
وباشر بواطنهم روح اليقين وصرف المعرفة فلا حاجة لهم الى
مزيد من الخرقات ورؤية القدر والايات ولهذا لما نقل عن
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من ذلك الا
القليل ونقل عن المتاخرين من المشايخ والصادقين الكرامات
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبركة صحبة النبي صلى
الله عليه وسلم ومجاورة نزول الوحي والروح وتردد الملايكة
وهبوطها تنورت قلوبهم وبواطنهم وعاينوا الاخرة وزهدوا

بلغ مقابلة

في

في الدنيا وتزكت نفوسهم وانخلعت عاداتهم وانصقلت مرايا قلوبهم بهم
فاستغنوا بما اعطوا عن روية الكرامة واستطلاع انواع القدر
تنبيه لا يلزم كون صاحب الكرامة افضل ممن لا كرامة
له من الاوليا لان الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها
ودليلا على صدقه وفضله لا على فضليته وانما الافضلية
تكون بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى فكل من كان
اقوى يقينا واكمل معرفة كان افضل ولهذا قال ابو القاسم
الجنيد رضي الله عنه قد مشى رجال باليقين على الماء ومات
بالعطش افضل منهم يقينا **فصل** اعلم ان افضل العلما
هم العلما بالله الذين كشف لهم الغطا فشاهدوا الجمال
الاسنى وسكروا بمحبة المولى وعرفوه باسمائه الحسنى وصفاته
العليا وشاهدوا من عجايب ملكوته وغرايب حكمته ما تقربه
العيون وتنبسط له القلوب قد اجلسهم على بساط قدسه
واوحشهم عن الخليقة بانسه وتجلى لقلوبهم بصفات الجمال
ومنح لهم المقامات والاحوال ونشر لهم اعلام ولايته وكلاهم
بحسن كلايته وكشف بهم عن الخلق البلا ونوه بذكرهم اذ ذكروه
في الملا **فصل** الحقيقة هي مشاهدة اسرار الربوبية
ولها طريقة هي عزايم الشريعة فمن سلك تلك الطريقة وصل
الى الحقيقة فالحقيقة نهاية عزايم الشريعة ونهاية الشي غير
مخالف له ويقال ايضا الشريعة والحقيقة ليس بينهما اختلاف
في مجاريه احكام العبودية وانما يختلفان في مشاهدة اسرار الربوبية

وقد وصف الله تعالى اهل الطريقة بصفات فقال عز وجل رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا
الصابرين والصادقين انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ان الله مع الصابرين
وان الله لمع المحسنين ان الله مع المتقين ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون ان المسلمين والمسلمات يحسبهم الجاهل
اغنيا من التعفف يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يحذر الاخرة
ويرجون رحمة ربه انما يخشى الله من عباده العلما الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ان الله
اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية
وعلى ربهم يتوكلون والسابقون السابقون اولئك المقربون
ونهى النفس عن الهوى **ومن الايات الصريحة** في الندب
الى الاخذ بالعزايم قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها قيل بالاشد
الاغلظ منها وقال تعالى في وصفهم والسابقون الاولون
والسابقون السابقون اولئك المقربون انهم كانوا يسارعون

في

في الخيرات ومن السنة خ م قوله صلى الله عليه وسلم لا يرقون
ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ت لو انكم
تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا م رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب
لو اقسم على الله لابره خ م ثم رجل يعتزل في شعب
من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره خ كن في الدنيا
كانك غريب او عابر سبيل ت ص يدخل الفقرا الجنة قبل
الاغنيا بخمس مائة عام خ م سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله
يوم لا ظل الا ظله الحديث خ الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
الاماني خ م ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة الا من
قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه وقليل
ما هم خ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم
يشبع من خبز الشعير ت من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة ادلج باسكان
الدال معناه سار من اول الليل والمراد التشمير في طاعة الله
تعالى ت المتحابون لجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون
والشهدا ت مج من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه خ م ان
الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
د ان البذاذة من الايمان **البذاذة** رثاثة الهيئة وترك
فاخر اللباس وهي بالبا الموحدة والذال المعجمة مكررة بص

ما ذيبان ذئبان جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال
والشرف لدينه ت ج كل كلام ابن ادم عليه لا له الا امر بمعروف
او نهيا عن منكر او ذكر الله خ م من كان يومن بالله واليوم الاخر
فليقل خيرا او ليصمت خ م وقفت على باب الجنة فكان
عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون الحديث
م سبق المفردون ثم فسرهم بانهم الذاكرون الله كثيرا
والذاكرات الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها
في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من ان
تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى
يا رسول الله قال ذكر الله قوله تعالى وما تقرب الي عبدي
بشيء احب الي من اداء ما افترضت عليه قال العلما وذلك
لان الذي فرضه الله تعالى على عبده هو اختياره تعالى والذي
يتنفل به العبد هو اختياره لنفسه فاين اختيار الرب سبحانه
من اختيار العبد وهذا اللفظ شامل لجميع ما افترض الله
تعالى على عبده فاول ما فرض عليه الايمان ولا خفا بمحاسن
الايمان فانه سبب للخلود في الجنات اماتنا الله ربنا عليه
امين ثم بعده الصلاة وفي سنن ابي داود خمس صلوات
افترضهن الله عز وجل على العباد من احسن وضوءهن وصلاهن
لوقتهن واتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد ان
يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ان شاء غفر له وان شاء
عذبه وفي صحيح مسلم ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل منه

كل

كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه قالوا لا يبقى من درنه
شيء قال فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا
واما الزكاة فانها مطهرة للانسان عن رذيلة البخل
ومطهرة للمال من الخبث قال الله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم
وادوا زكاة اموالكم طيبة بها انفسكم تدخلوا جنة ربكم
وقال النبي عليه الصلاة والسلام انما فرض الله الزكاة
ليطيب بها ما بقي من اموالكم واما الصوم ففي السنن
عن النبي صلى الله عليه وسلم عليك بالصوم فانه لا مثل له وقال
كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها قال الله عز
وجل الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه
وسلم لخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك ولابن
ماجة الصيام جنة كجنة احدكم من القتال م ان في الجنة
بابا يقال له الريان يدخل منه الصايمون يوم القيامة لا يدخل
معهم احد غيرهم يقال اين الصايمون فيدخلون منه فاذا دخل
اخرهم اغلق فلم يدخل منه احد ق من صام رمضان ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واما الحج ففي الصحيحين
من اتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه
خ م العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء
الا الجنة ج الحاج والعمار وفد الله ان دعوه اجابهم وان
استغفروه غفر لهم واما غير ذلك من الفرايض

كبر الوالدين وصلة الرحم فلا يخفى ما في حسنها قال عليه الصلاة
والسلام رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين
وقال ما من ولد بار ينظر الي والديه الا اعطاه الله بكل
نظرة حجة مبرورة قالوا وان نظر كل يوم مائة مرة قال نعم الله
اكبر واطيب رواه البيهقي في شعب الايمان فاذا تطهر العبد
باداء الفرايض نقله الي التقرب بالنوافل ليوجب
له محبته التي هي الدرجة السنية والمرتبة العلية فقال تعالي ولا
يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه النوافل لغة هي
الزوايد وسميت التطوعات نوافل لزيادتها على الفرايض
فمنها تكرر غسل الاعضا في الوضوء ثلاثا ومنها الوضوء علي
الوضوء نور على نور ومنها نوافل الصلوات وهي تشمل السنن
وغيرها فاولها خ م ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها م ما من
عبد يصلي ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة الا بنى الله له
بيتا في الجنة ت اربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين
بعد المغرب وركعتين بعد العشا وركعتين قبل صلاة الفجر وقال
حسن صحيح ت من ركع اربع ركعات قبل الظهر واربعا بعدها تخ د
حرم الله لحمه على النار وعن السايب ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم كان يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس
قبل الظهر وقال انها ساعة تفتح فيها ابواب السما فاحب ان
يصعد لي فيها عمل صالح وروي الحافظ ابو موسي الاصفهاني
من حديث علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لايزال

لايزال المصلون الاربع قبل الظهر حتى يغفر لهم مغفرة حتما
واما الاربع قبل العصر فروى الترمذي وابو داود وابن
حبان وصححه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رحم الله امرا صلى قبل العصر اربعا وروي عبد الباقي
ابن قانع الحافظ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى اربع ركعات قبل العصر غفر له مغفرة عزما
وروي ابو داود عن انس في قوله تعالي كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشا وثبت
في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزيد
في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة واما نوافل الزكوة
فصدقة التطوع ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق بصدقة من كسب طيب ولا
يقبل الله تعالي الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان
كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي
احدكم فلوه او فصيله ت ان الصدقة لتطفي غضب
الرب وتدفع ميتة السو حسن غريب وروي ابن المبارك
عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
امرء في ظل صدقته حتى يقضى الله بين الناس قال
ابو يزيد فكان ابو الخير لا يخطيه يوم الا تصدق فيه بشي
ككعكة او بصلة او كذا واما نوافل الصوم فعن ابي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة ايام من كل شهر فذ لك

صوم الدهر فانزل الله تعالى تصديق ذلك من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها فاليوم بعشرة ايام رواه الترمذي وقال
حديث حسن وفي رواية النسائي ايام البيض ثلاثة عشر
وخمس عشر حديث حسن خ م احب الصيام الى الله صيام داود
واحب الصلاة الى الله صلاة داود وكان ينام نصف الليل
ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما
ت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم يوم الاثنين
والخميس وقال تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس فاحب ان
يعرض عملي وانا صائم م سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والباقية وسئل
عن صيام يوم عاشورا فقال يكفر السنة الماضية ونوافل
الخير متعددة وقد اشبعت القول في تعدادها في الفوائد
الانسية المقتبسة من الاحاديث القدسية فائدة
قد جعل الله التقرب اليه بالنوافل سببا من اسباب محبة الرب
تعالى لعبده ولا شك ان محبة الرب لعبده عظيمة فليس الشان
ان يحب الصغير الكبير ولا الناقص الكامل وانما الشان
كل الشان ان يحب العظيم الكبير القدوس عبده الصغير
الحقير الناقص فان الرب تعالى اذا احب عبدا اعلى قدره
ورفع ذكره ونوه في الملا الاعلى وفي الارض والسما كما ثبت
في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا احب الله العبد دعا جبريل عليه السلام فقال يا جبريل

اني

اني احب فلانا فاحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السما
فيقول ان الله تعالى يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما
ثم يوضع له القبول في الارض ثم ذكر في البغض مثله فاعل
بها رتبة واعظم بها منقبة ومن لازم محبتهم له قال تعالى
يحبهم ويحبونه فالتقرب اليه سبحانه وتعالى بالنوافل سبب
من اسباب محبته تعالى قوله تعالى فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها قال علماء الظاهر معناه كنت حافظا
لسمعه فلا ادعه يسمع الا خيرا ولبصره فلا ادعه يبصر
الا في خير وليده فلا ادعها تبطش الا في خير ولرجله
فلا ادعها تسعى الا في خير وهذا هو الذي يعبر عنه بالمحفوظ
في حق الاوليا وبالمعصوم في حق الانبيا ولعلماء الطريق
في هذا ما قد ذكرته في الفوائد الانسية ومن دلالة المحبة العمل
بالطاعة كتب ابو الدردا الى مسلمة بن مخلد سلام الله عليك
اما بعد فان العبد اذا عمل بطاعة الله احبه الله فاذا احبه
الله حببه الى عباده وان العبد اذا عمل بمعصية الله ابغضه
ابغضه الله
الى عباده وفي التنزيل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا والاصل الجامع لذلك كله متابعة
الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله واحواله فاذا
قويت المحبة استغنى بها المحب عن الطعام والشراب قال
صلى الله عليه وسلم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني

شعر

فتون الروح ارواح المعاني • وليس بان طعمت وان شربنا

وروي ان امراة هربت من الروم فخرجت ماشية وحيدة بلا زاد ولا راحلة في ايام سيف الدولة وكان بينها وبين بلاد المسلمين نحو من مايتي فرسخ فقيل لها كيف قويت على المشي والجوع والعطش فقالت كنت اذا جعت او عطشت او كللت قرات قل هو الله احد فاشبع واروي واستريح وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نايم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من شغله حب الله تعالي لا يجد البرد وما احسن قول القايل

لها احاديث من ذكراك تشغلها • عن الطعام وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضي به • ومن حديثك في اعقابها حادي
اذا اشتكت من كلال السير واعدها • روح القدوم فتحيي عند ميعاد

سيل ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه عن علامة من يحب الله عز وجل وعن علامة من يحبه الله فقال من يحب الله فهو مشغول بعبادته ساجدا وراكعا فان عجز عن ذلك استراح الي ذكر القلب والتفكر واما من يحبه الله فانه يعطيه سخاوة كسخاوة البحر وشفقة كشفقة الشمس وتواضعا كتواضع الارض ومنها التحقق بالمعاني وترك الدعاوي فانه ما ادعي الامر مقت ولا مقت الا من اقصي وهجر ولذلك قال بعضهم

يا مدعي الحب لمولاه • من ادعي صحح دعواه
من ادعي دعوي بلا شاهد • يوشك ان تبطل دعواه

ومن صفة المحب صبره على البلاء وشكره للمبتلي ورؤية المنة له على

ما ابتلاه

ما ابتلاه به كما سيل سمنون المحب عن المحبة لم قرنت بالمحنة فقال ليلا يدعيها كل سفلة ومرض الشبلي فدخل عليه صحابه يعودونه في المارستان فقال ما انتم قالوا محبوك فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال يا كذابون لو كنتم احبابي لصبرتم على بلايي واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حبك للشي يعمي ويصم عن حب الدنيا وحب الله تعالي يعمي ويصم عن حب النفس اهـ ومن علامة المحبة السقم والنحول كما قيل

الا قل لمن يدعي حبنا • ويزعم ان الهوي قد علق
ولو كان فيما ادعي صادقا • لكان على الغصن بعض الورق
فاين النحول واين الذبول • واين البكا واين القلق
واين الانين واين الحنين • واين السهاد واين الارق

وقال بعضهم

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني • الست تري الاعضا منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا • وتذبل حتى لا تجيب المناديا
فلا حب حتى يبلغ الحب والهوي • عظامك حتى تستبين بواليا
وياخذك الوسواس من كلف بنا • وتخرس حتى لا تجيب مناديا
وتنحل حتى لا يبقي لك الاسي • سوي مقلة تبكي بها وتناجيا

وروي

قال الكلاباذي والعجب من هذا قول الاخر

باينوا فصار الجسم من بعدهم • ما تبصر العين له فييا
وانجلنا منهم ومن قولهم • ما ضرك البين لنا شييا
باي وجه اتلقاهم • اذا راوني بعدهم حيا

قال الكلاباذي وانما اردنا بهذا تنبيها لمن عسى تسمو همته
الى الامر العظيم من محبة من ليس كمثله شي فيري عقله ان له
منها شام الريح فمن شاهد ذلك من نفسه فليعرض
نفسه مجنون ليلي وامثاله في شان محبة لا يضر ولا ينفع
سمعت بعض اصحابنا يقول سمعت الشبلي يقول وذكر
قيس المجنون فقال كان اذا سيل عن ليلي يقول انا ليلي فكان
يغيب بليلي عن ليلي حتى يبقى بمشهد ليلي ويشهد الاشيا
كلها ليلي فكيف تدعي محبة من ليس كمثله شي وانت صحيح مميز
ترجع الي وقاتك وما لوفاتك وحظوظك ولم تبذل المجهود لك
لمعبودك ولا زهدت في درة منك مع ان بذل المجهود منه
للمعبود ادنى رتبة عند القوم والله تعالى يقول والذين
امنوا اشد حبا لله وقال بعض شيوخ الصوفية ان الله عز
وجل امتحن الناس بالهوى الماخذ وانفسهم بطاعة من يهوى
ويشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على
قدر طاعة الله عز وجل الذي لا مثل له ولا نظير وهو خا
لقهم غير محتاج اليهم ورازقهم فاذا وجبوا على انفسهم
طاعة من سواه كان هو تعالى احري ان يتبع رضاه وما احسن
ما قال الاصمعي فانه رحمه الله قال ما رايت احدا حد الحب
بحد احسن مما حدته امراة من العرب فاني سالتها عن الحب
فقالت هو ذل وجنون وقال بعضهم هو ذل لذيذ ومن شرط
المحبة واوصافها موافقة المحبوب في مخالفة المحب حتى

يحب

يحب بغيضه اذا احبه محبوبه ويبغض الحبيب اليه اذا ابغضه
محبوبه حتى يودي ذلك الى نفسه واوصافها فيعرض عنها
اذا اعرض عنها محبوبه ويقبل عليها اذا اقبل عليها محبوبه
موافقة لا شغلا به قال بعض الشعرا

اجد الملامة في هواك لذيذة . حبا لذكرك فليلمني اللوم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم . اذ كان حظي منك حظي منهم
واهنتني فاهنت نفسي صاغرا . ما من يهون عليك ممن اكرم

ومن الكذب في دعوى المحبة ان يدعيها من نهاره غافل
وليله نايم عاطل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
يا داود كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني
خدمتي فالرب تعالى محبوب لذاته ولجميل اسمائه وصفاته
قوله تعالى ولين سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه
هذا هو المقام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ان من عباد
الله من لو اقسم على الله لابر قسمه

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لي عن امتي الخطا والنسيان
وما استكرهوا عليه حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي
وغيرهما هذا الحديث اصل في ان الجراح مرفوع عن هذه الامة

فرفع الله عنهم الخطا اي اثمه **واتفق العلما** علي انه لا بد من
تقدير محذوف في هذا الحديث فقدره بعضهم اثم الخطا قالوا
بدليل ان حكم الخطا جار عليهم شرعا كقتل الخطا وكسر انا خطا
واتلاف شي للغير خطا او نسيانا واذا قدر هذا فقد قال اصحابنا
انه اذا نسي فتكلم في الصلاة او فعل ذلك خطا تبطل صلاته
وقالت الشافعية لا واحتجت الشافعية بهذا الحديث واحتج
اصحابنا بحديث ان صلاتنا هذه لا يصلح فيها شي من كلام الناس
واجاب اصحابنا عن احتجاجهم بان المراد رفع الاثم
كما تقدم والمقتضي لا عموم له واختلف العلما فيما اذا اكل الصايم
او شرب او جامع ناسيا فقال ابو حنيفة والشافعي واحمد لم
يفطر ولا قضا ولا كفارة وفطره مالك رحمه الله محتجا بان
الفطر مما دخل وبان الصوم هو الامساك وقد وجد منافيه
واحتج الجمهور بحديث الصحيحين من نسي وهو صايم فاكل او
شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وفي المستدرك
فانما هو رزق ساقه الله اليه فلا قضاء عليه وفرقت الحنفية
بين الصوم والصلاة والاعتكاف فافسدوا اعتكافه وصلاته
بالجماع ناسيا ولم يفسدوا صومه قالوا لان حالتي الصلاة
والاعتكاف مذكرتان بخلاف الصوم وهو فرق جلي واختلف
العلما في طلاق المكره بعد اجماعهم ودلالة القران علي
من اكره علي اجرا كلمة الكفر لا يكفر قال الامام شمس الدين
ابن قيم الجوزية ودلت السنة علي ان الله سبحانه تجاوز عن

المكره

المكره فلم يواخذ بما اكره عليه قالوا وهذا به كلامه قطعا **واما**
افعاله ففيها تفصيل فيما ابيح منها بالاكراه فهو متجاوز عنه
كالاكل في نهار رمضان والعمل القليل في الصلاة ولبس المخيط
في الاحرام ونحو ذلك وما لا يباح بالاكراه فهو مواخذ به كقتل
المعصوم واتلاف ماله وما اختلف فيه كشرب الخمر والزنا والسرقة
هل يحد به او لا فالاختلاف هل يباح ذلك بالاكراه ام لا فمن
لم يبحه حده به ومن اباحه بالاكراه لم يحده وفيه قولان للعلما
وهما روايتان عن احمد والفرق بين الاقوال والافعال في الاكراه
ان الافعال اذا وقعت لم ترتفع مفسدتها بل تبقي معها بخلاف
الاقوال فانها يمكن الغاوها وجعلها بمنزلة اقوال النايم
والمجنون فمفسدة الفعل الذي لا يباح بالاكراه ثابتة بخلاف
مفسدة القول فانها انما تثبت اذا كان قايله عالما به
مختارا له ثم قال وقد افتي الصحابة بعدم وقوع طلاق المكره
واقراره فصح عن عمر انه قال ليس الرجل بامين علي نفسه اذا
اجعته او ضربته او اوثقته وصح عنه ان رجلا تدلي بحبل فاتت
امراته فقالت لاقطعن الحبل او لتطلقني فناشدها الله فابت
فطلقها فاتي عمر فذكر ذلك له فقال له ارجع الي امراتك فان
هذا ليس بطلاق **وكان علي** لا يجيز طلاق المكره وقال ثابت
الاعرج سالت ابن عمر وابن الزبير عن طلاق المكره فقالا جميعا
ليس بشي فان قيل فما تصنعون بما رواه الغاز بن جبلة عن
صفوان بن عمرو الاصم عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان رجلا جلست امراته على صدره وجعلت السكين على حلقه وقا لت
لتطلقني او لاذبحنك فناشدها الله فابت فطلقها ثلاثا
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لا قيلولة في الطلاق
رواه سعيد بن منصور في سننه وروى عطا ابن عجلان
عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الطلا ق
جايز الا طلاق المعتوه والمغلوب على عقله وروى سعيد
ابن منصور حدثنا فرج بن فضالة حدثني عن
ابن شرحبيل المعافري ان امراة سلكت سيفا فوضعته على بطن
زوجها وقالت والله لانفذنك او لتطلقني فطلقها ثلاثا
فرفع ذلك الى عمر ابن الخطاب فامضى طلاقها وقال على كل الطلاق
جايز الا طلاق المعتوه قلنا اما حديث الغاز بن جبلة ففيه
ثلاث علل احداها ضعف صفوان بن عمرو والثانية لان
الغاز بن جبلة والثالثة تدليس بقية الرواة عنه ومثل
هذا لا يحتج به قال ابو محمد ابن حزم وهذا خبر في غاية السقوط
واما حديث ابن عباس كل الطلاق جايز فهو من رواية عطا
ابن عجلان وضعفه مشهور وقد رمي بالكذب قال ابن حزم
وهذا الخبر شر من الاول واما اثر عمر فالصحيح عنه خلافه كما
تقدم ولا يعلم معاصرة المعافري لعمر وفرج ابن فضالة فيه
ضعيف واما اثر علي فالذي رواه عنه الناس انه كان لا يجيز
طلاق المكره عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة
عن حميد عن الحسن ان علي بن ابي طالب كان لا يجيز طلاق المكره

فان

فان صح عنه ما ذكرتم فهو عام مخصوص بهذا اه كلامه وفي تفسير
الكواشي كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطاوا او
عجلت لهم العقوبة فامر الله المسلمين بالدعا برفع ذلك
فقالوا ربنا لا تواخذنا ان نسينا غفلنا او اخطانا تجاوزنا الحد
اي غفلنا وان كان الخطا والنسيان مرفوعين عنهم لقوله صلى
الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه
فسوالهم اعتراف بنعمة الله تعالى عليهم او بمعنى نسينا تركنا
الامر كقوله نسوا الله واخطانا تعمدنا فعل الخطا اه وظاهر
هذا الحديث انه جواب عن سوال مقدر وتقديره ما فايدة
سوالهم عدم المواخذة بسبب الخطا والنسيان وهم غير مواخذين
به بدليل الحديث فاجيب بانه اعتراف بالنعمة وهو هكذا مذ كور
في بعض التفاسير سوالا وجوابا وفيه نظر لانه انما يكون واردا
ان لو كان الخطا والنسيان قد ثبت رفعهما قبل نزول هذه
الاية وهذا يحتاج الى توقيف وظاهر قوله تعالى لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت المواخذة بالكل ثم ان الله تعالى علمهم
سوال رفع الخطا والنسيان وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ربنا
لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم وظاهره تعالى انه
استجاب لهم فرفعه عنهم بعد ان كان ثابتا قال الامام المتقن
ابو العباس احمد بن عمر القرطبي رحمه الله في كتابه المفهم
ما نصه ونعم حرف جواب وهو هنا اجابة لما دعوا فيه كما في الرواية
الاخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قد فعلت بدل قوله هنا

نعم وهو اخبار من الله تعالى انه اجابهم في تلك الدعوات
فكل داع يشاركهم في ايمانهم واخلاصهم واستسلامهم
اجابه الله كاجابتهم لان وعد الله تعالى صدق وقوله حق
ام كلام وهذا من خصائص هذه الامة زادها الله تعالى شرفا

الحديث الاربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل
وكان بن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت
فلا تنتظر المسا وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك
رواه البخاري ابن عمر قد تقدمت ترجمته واخذه عليه
بمنكبيه تنبيها اليه ليفهم ويصغي لما يقول ويذكره بعد من
بهذا الفعل كما قال ابن مسعود اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيدي فعلمني التشهد كفي بين كفيه فكان فيه تاكيد
للتعليم قوله صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كانك غريب
اشارة الى انه نزل نفسه في الدنيا بمنزلة الغريب الذي لا وطن
له ولا اهل له ولا بقاء له كما حكي عن ابراهيم ابن ادهم
رضي الله عنه انه قال طوبى لمن رضي بعيش الكلب يمشي
ولا قدر له ويبيت ولا ماوي له ويموت ولا ميراث له واعلم
رحمك الله ان الدنيا في الحقيقة دار غربة فان وطن المومن
الاصلي انما هو الجنة حين كان في صلب ابيه آدم عليه السلام
ثم نقل منها الى دار غربة ليكلف ويختبر والله به خبير

قال

[illegible]

قال شعر

نحن على جنات عدن فانها ۔ منازلك الاولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ۔ نعود الى اوطاننا ونسلم
وقد زعموا ان الغريب اذا نأى ۔ وشطت به اوطانه فهو مغرم
واي اغتراب فوق غربتنا التي ۔ لها اضحت الاعدا فينا تحكم

فاذا انزل الانسان نفسه منزلة الغريب لم يوجب على الناس
ولا على نفسه ان يعاملوه معاملة المقيم من توقير الجاه وتعظيم
القدر ولم يطل نفسه بالامل الطويل كما لا يعلق الغريب
المتوقر بالاقامة من دار الغربة الا قدر ما يقضي حاجته
من تلك البلدة ثم يرحل او قدر ما يدق النفير فيرحل عن
تلك المنزلة وفي هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايها الناس انما انا

يوشك ان ياتيني داعي ربي فاجيبه

فالمومن في الحقيقة انما هو مسجون في دار الدنيا
ينتظر متى يدعى فيجيب ۔ والموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب
وفي ذلك قلت شعر

لله قوم سجنهم دنياهم ۔ وخلاصهم منها النعيم الطيب
مترقبين نداء داعي ربهم ۔ ليجاوبوه نعم فانت المطلب
وسهلا اهلا بمن بعثك بالممات وحبا ۔ جسر يوصل الحبيب فيقرب
لم لا اسر بكاس لقيا شربة ۔ عندي الذ من الزلال واعذب
اهلا بمهدى الامين على الورى ۔ ملك كريم للحبيب مقرب

[illegible]

اهلا بمن يبني لروح عاجل • ولراح والجنة تستعذب
اهلا فاني ناظر مولاي في • دار القرار وانت نسب
يا نزهتي زحبني وتغلبي • في فرشها فوق الارايك اطرب
يا فرحتي بقصورها وخيامها • وقيامها والحسن امر معجب
واري بعيني وجه من خلق الورى • من غير كيف فالمكيف يحجب
قد جاءنا النص الصريح باننا • سنراه حقا والمعطل يسلب
واحب شيء يبتغيه اولو التقى • كشف الحجاب ورويته هي مطلب

وهذه الابيات من قصيدة طويلة انشأتها في ضعفي ضعفها
فالله تعالى يحقق لي هذه البشرى ويجعل لي في الاخرة درجة عليا
ولجميع اصحابي وفي هذا الحديث الكريم وهو قوله عليه السلام كن في
الدنيا الى اخره اشارة الى قصر الامل لقصر المدة فان الغريب ببلدة
او عابر السبيل بها يقصر امله من سكناها لعلمه بسرعة الانتقال
منها والتحول عنها فلا يبني بها دارا ولا يشتري بها قصرا ليسكنه
بل ينزل في بيت من خان او ما تيسر ولو كان فيه مشقة لعلمه بسرعة
التحول قال سميط بن عجلان من جعل الموت نصب عينيه لم يبال
بضيق الدنيا ولا سعتها والطريق في ذلك ان يفرغ العبد قلبه لذكر
الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة
مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا في ذلك وانفع طريق في ذلك
ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم
تحت الثرى قال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال
ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وينبغي ان يكثر

بلغ مقابلته

دخول

دخول المقابر ومتى سكنت نفسه الى شيء من الدنيا فليتفكر في سرعة مفارقته
فبقصر امله وفي الحديث ان اخوف ما اخاف على امتي الهوى وطول
الامل فاما الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة
وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال اقصروا امالكم
واثبتوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله عز وجل حق حيائه
وعن ابي زكريا التيمي قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد
الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقراه فاذا فيه ابن آدم لو رايت
قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة
من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك ندمك
لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك فبان منك
الولد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد
فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة ذكر ذلك ابن الجوزي
في منهاجه ثم قال واعلم ان السبب طول الامل شيئان احدهما في صح
حب الدنيا والثاني الجهل اما حب الدنيا فان الانسان اذا انس
بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع
قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره
شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغول بالاماني الباطلة
فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا وما يحتاج اليه
من مال واهل ومسكن واصدقاء وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه
عاكفا على هذا الفكر فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر

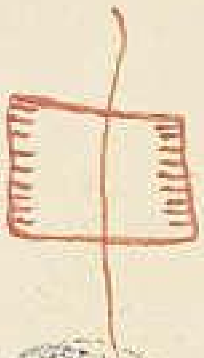
له الموت في بعض الاحوال والحاجة الى الاستعداد له سوف بذلك ووعد
نفسه وقال الامام بين يديك الى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر قال
ان تصير شيخا واذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار
وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة فلا يزال يسوف
ويؤخر ولا يخوض في اتمام شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل
عشرة اشغال هكذا يؤخر على التدريج يوما بعد يوم ويشتغل
بشغل بعد شغل الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول
عند ذلك الحسرة واكثر صياح اهل النار من سوف يقولون
واحسرتاه من سوف واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس
بها والغفلة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم احبب من شئت
فانك مفارقه السبب الثاني الجهل وهو ان الانسان يعول على
شبابه ويستبعد قرب الموت مع الشباب اوليس يتفكر المسكين في ان
مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من العشر وانما قلوا لان الموت
في الشباب اكثر والى ان يموت شيخ قد يموت الف صبي وشاب وقد
يغتر بصحته ولا يدري ان الموت يوتي فجاءة وان استبعد ذلك
فان المرض ياتي فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر وعلم
ان الموت ليس له وقت مخصوص من صيف وشتاء وربيع وخريف
وليل ونهار ولا هو مقيد بسن مخصوص من شاب او شيخ او كهل
او غيره لعظم ذلك واستعد للموت واعلم ان الناس متفاوتون عنده صح
في طول الامل تفاوتا كثيرا فمنهم من يؤمل البقاء الى زمان
الهرم ومنهم من لا ينقطع امله بحال ومنهم من هو قصير الامل
فروي

فروي عن ابي عثمان النهدي انه قال بلغت ثلاثين ومائة سنة
وما من شيء الا وقد عرفت فيه النقصان الا املي فانه كما هو وحكي
في قصر الامل ان امرأة حبيب ابي محمد قالت كان يقول لي تقي
ابا محمد ان مت اليوم فارسلي الى فلان يغسلني ويفعل كذا وكذا
وافعلي واصنعي كذا فقيل لها اراى رؤيا قالت هكذا يقول كل
يوم وعن ابراهيم بن سبط قال قال ابو زرعة لاقولن لك
قولا ما قلته لاحد سواك ما خرجت من المسجد منذ عشرين
سنة فحدثتني نفسي ان ارجع اليه وقيل لبعضهم الا تغسل
قميصك قال الامر اعجل من ذلك وعن محمد بن ثوبة قال اقام
معروف الصلاة ثم قال لي تقدم فقلت اني ان صليت
بكم هذه الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف انت تحدث
نفسك انك تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل
فانه يمنع خير العمل فهذه احوال الزهاد في قصر الامل وكلما قصر
الامل جاد العمل لانه يقدر انه يموت اليوم فيستعد استعداد ميت
فاذا امسى شكر الله تعالى على السلامة وقدر انه يموت الليلة فيبادر
الى العمل وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة اليه ففي صحيح
البخاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وعنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك
قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال

عمر رضي الله عنه التودة في كل شيء خير الا ما كان من امر الاخرة وكان
الحسن يقول عجبا لقوم امروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحبس
اولهم في انتظار اخرهم وهم قعود يلعبون وقال سحيم مولى
بني تميم جلست الى عبد الله بن عبد الله فاوجز في صلاته ثم
اقبل علي وقال ارحني بحاجتك فاني ابادر فقلت وما تبادر
قال ملك الموت وكان يصلي كل يوم الف ركعة وكانوا يبادرون
بالاعمال الصالحة غاية ما يمكن فكان ابن عمر يقوم من الليل
فيتوضا ويصلي ثم يغفا اغفا الطير ثم يقوم فيتوضا ويصلي
ثم يغفا اغفا الطير ثم يقوم فيتوضا ويصلي ثم يغفا اغفا
الطير ثم يقوم ويصلي يفعل ذلك مرارا وكان عمر بن هاني
يسبح في كل يوم مائة الف تسبيحة وقال ابو بكر بن عياش
لولده يا بني اياك ان تعصي الله تعالى في هذه الغرفة فاني
قد ختمت فيها القران ثمانية عشر الف ختمة انتهى كلام ابن
الجوزي وفي العاقبة للامام الحافظ عبد الحق قال ويروى
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا قلت بلى يا رسول الله
قال فاخذ بيدي واتى واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها
رؤس وعظام وخرق بالية وعذرات فقال يا ابا هريرة هذه
الرؤس كانت تحرص حرصكم وتؤمل كآمالكم ثم هي اليوم عظام
ولا جلد عليها ثم هي صائرة ترابا وهي العذرات الوان اطعمتهم
اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت

والناس

والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم
اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي
كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الموت
فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا روينا هذا الحديث من
طريق انس بن موسى فاعلم ان طول الامل داء عضال ومرض
مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه وصعب علاجه ولا فارقه
داء ولا نفع فيه دواء واعجز الاطبا واعيا الالبا وقد ورد في ذم طول
الامل وفي الحرص على العمل والترغيب فيه ما في بعضه الكفاية وما
باقل منه يوصل الى المقصود مع اعانة الله تعالى قال الله تعالى
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال
عليه السلام لا يزال قلب ابن ادم شابا في اثنتين حب الدنيا
وطول الامل ذكره البخاري ومسلم وغيرهما وذكر ابو بكر بن ابي
شيبة في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا فقال هذا الاجل وخط في وسطه
خطا وقال هذا الانسان وخط في عرضه بعني جانبه خطوطا وقال
هذه الاعراض وخط خطا خارجا وقال هذا الامل قال فالاعراض
تنهشه وعينه الى الامل يرنو عليه السلام ان الانسان قد
احاط به اجله وانه دائر بحيث ما توجه لقيه وان محن الدنيا
وفتنتها تعترضه وتتلقاه وتستقبله وتنهشه وهو مع
ذلك بعيد الامل مصروف النظر اليه ويروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم اطلع ذات يوم على الناس فقال الا تستحيون قالوا



وماذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا
تدركون **ويروى** عن ابي سعيد الخدري انه قال اشترى اسامة
ابن زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة بن زيد المشتري
الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت
عيني الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى تقبض روحي ولا
طعمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت
ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى
والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين **وعن**
ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم بالتراب
فاقول يا رسول الله ان الماء قريب منك فيقول ما ادري لعلي
لا ابلغه ذكره الحارث ابن ابي اسامة في مسنده **ويروى** عنه عليه
السلام انه قال نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك
اخرها بالبخل والامل وخطب علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال
الا وان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت
واذنت باطلاع الا وان المضمار اليوم والسباق غدا الا وان السبقة
الجنة والغاية النار الا وانكم في ايام مهل من ورائه اجل يحثه عجل فمن
عمل في ايام مهلة قبل حضور اجله نفعه عمله ولم يضره امله
ومن لم يعمل في ايام مهلة قبل حضور اجله ضره امله وساء عمله
وقال سلمان الفارسي ثلاث اعجبتني حتى اضحكتني وثلاث
احزنتني حتى ابكتني اما الثلاث الاول فمؤمل دنيا والموت

يطلبه

يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه ولا يدري
اساخط عليه رب العالمين ام راض عنه **واما** الثلاث اللواتي
احزنتني ففراق النبي صلى الله عليه وسلم وفراق الاحبة اصحابه
والوقوف بين يدي الله عز وجل ولا ادري ايؤمر بي الى الجنة
او الى النار **ويروى** عن ابي الدردا انه قام على درج جامع دمشق
فقال يا اهل دمشق الا تسمعون من اخ لكم ناصح ان من كان قبلكم
كانوا يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا ويؤملون بعيدا فاصبح
جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا هذه عاد قد ملات البلاد اهلا
وخيلا ورجالا فمن يشتري اليوم مني تركتهم بدرهمين وخطب
عمر بن عبد العزيز يوما فقال ان لكل سفر زادا فتزودوا التقوى
في سفركم من الدنيا الى الاخرة وكونوا كمن عاين ما اعد الله له من ثوابه
وعقابه ولا يطولن عليكم الامل فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم
فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا
يمسي بعد صباحه وبين ذلك خطفات المنايا وهجمات الموت
وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من امن
اهوال يوم القيامة واما من لا يداوي جرحا الا اصابه جرح من
ناحية اخرى كيف يفرح انكم قد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم
لانكدرت او الجبال لذابت او الارض لتشققت اما تعلمون انه
ليس الا الجنة والنار منزل وانكم صائرون الى احداهما قلت
وفي معناه **شعر**

وكيف تنام العين وهي قريرة ... ولم تدر في اي المحلين تنزل

وانشدوا ايضا

اما والله لو علم الانام ۔ لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا لما لو ابصرته ۔ عيون قلوبهم صاحوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر ۔ وتوبيخ واهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال ۔ فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن اذا امرنا او زجرنا ۔ كاهل الكهف ايقاظ نيام

قال عبد الحق ويروى عن عبد الله بن عمر قال بينا نحن
نصلح خصا لنا اذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا
فقلنا يا رسول الله قد وهى فنحن نصلحه فقال ما ارى الامر الا اعجل
من ذلك ذكره الترمذي قال عبد الحق رحمه الله واعلم ان طول
الامل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني ويخلد الى الارض
ويميل الى الهوى وهذا امر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى
بيان كما ان قصر الامل يبعث على العمل ويحث على المسابقة وسأضرب
لك في ذلك مثلا ملك من الملوك كتب الى رجل يقول له افعل
كذا وكذا وانظر في كذا وكذا واصلح كذا وكذا وانتظر رسولي فلانا
فاني انما بعثته اليك ليأتيني بك واياك ثم اياك ان يأتيك
الا وقد فرغت من اشغالك وتخلصت من اعمالك ونظرت
في ذلك واخذت ما تحتاج اليه في سفرك والا احللت بك عقابي
وانزلت عليك سخطي وامرته ان يأتيني بك مغلولة يداك
مقيدة رجلاك مشمتا بك اعداك مسحوبا على وجهك الى
دار هواني وما اعددته لمن عصاني وان هو وجدك قد فرغت

من

من اعمالك وقضيت جميع اشغالك اتاني بك مكرما مرفها
الى دار رضاي وكرامتي وما اعددته لمن امتثل امري وعمل بطاعتي
واحذر ان يخدعك فلان وفلان عن امتثال امري والاشتغال
بعملي وكتب الى رجل اخر بمثل ذلك فاما الرجل الاول فقال هذا
كتاب الملك جاءني يأمرني فيه بكذا وكذا وذكر لي ان رسوله يأتيني
ليحملني اليه واذا لا اقضي حتى يأتيني رسوله ولعل رسوله
لا يأتيني الى خمسين سنة او اكثر فانا على مهلة وسانظر فيما
امرني به فيما بعد ولم يقع الكتاب منه بذلك الموقع ولم ينزله
من نفسه بتلك المنزلة وقال والله لقد اتى كتابه الى غيري كثير
مثل ما اتاني به ولم يأتهم رسوله الا بعد السنين الكثيرة والمدد
الطويلة وانا واحد منهم ولعل رسوله سيتأخر عني كما تأخر عنهم
وحمل الغالب على ظنه ان رسوله لا يأتيه الا بعد خمسين سنة
كما ظن او الى اكثر ثم اقبل على اشتغال نفسه بما لا يحتاج اليه
وبما كان نهاه عنه وترك اوامر الملك والشغل الذي كلفه النظر
اليه وكلما دخلت سنة قال انا في هذه السنة مشغول وسانظر
في السنة المقبلة والمسافة امامي والمهل بعيد فبينما هو كذلك
في تسويفه واغتراره اذ جاءه رسول الملك فكسر بابه وهتك
ستره وحجابه وحصل معه في بيته وقال اجب الملك فقال
الرجل والله لقد جاءني كتابه يأمرني فيه باعمال اعملها واشغال
انظر فيها وما قضيت منها شغلا وما عملت منها عملا الى الان
فقال له الرسول ويلك وما الذي ابطأ بك عنها وما حبسك

عن الاشتغال بها والنظر فيها قال لم اكن اظن انك تاتيني
في هذا الوقت فقال له ويلك ومن اين لك هذا الظن ومن
اخبرك به ومن اعلمك اني لا اتيك الا في الوقت الذي تظن قال
ظننت وطمعت وسولت لي نفسي وخدعني الشيطان وغرني
قال الم يحذرك الملك في كتابه وامرك ان لا تسمع من الشيطان
قال بلى والله لقد فعل ولقد حذرني في كتابه ولكني خدعت
فانخدعت وفتنت فافتتنت وارتبت في وقت مجيئك فغرني
بصري فتربصت فقال له ويلك غرك الغرور وخدعك الخادع
فيم واجب الملك لا ام لك فقال ناشدتك بحق الملك الا
ما تركتني حتى انظر فيما امرني به الملك او فيما تيسر منه حتى لا اقدم
عليه في جملة المفرطين وعصابة المقصرين وهذا مال قد كنت
جمعته لنفسي واعددته لمونة زماني فاتركني حتى اخذ منه زادا
اتزوده المتزود ليس فيه ما فقال له ان تركتك كنت عاصيا
مثلك ثم دفعه دفعة القاه على وجهه ثم جمع يديه الى عنقه
وانطلق به يجره من خلفه خزيان ندمان حيران عطشان
وهو ينشد بلسان الحال

لاتحزني اذا القيت حزينا … حل خطبي فدتكم ان يهونا
ضاق صدري بحمل بعض احتمالي … فاسكبوا بي بحيث التي المنونا
نزلت هتكن جوف فوادي … وهموم قطعن مني الوتينا
خنت عهد المليك قولا وفعلا … واتخذت الخلاف شرعا ودينا
عشت في الحياة كي شرا … فاجتنيت العقاب منه فنونا

ليتني

[illegible]

ليتني لم اكن وابن لمثلي … ظالم نفسه بان لا يكونا
يا خليلي ولا خليل لي اليوم … سوى حسرة تديم الانينا
بح الرجوع وانقضت الليالي … وخلوا بغبنه المغبونا
فابك واندم عسى بكاك مفيدا … او فدعني وعصبة يبكونا

واما الاخر الذي كتب اليه الملك بمثل ما كتب الى هذا فانه اخذ
كتاب الملك وقبله وقراه وتصفحه وتدبره وقال اري الملك
قد كتب الي بان اعمل له كذا وكذا ومن اين سبقت لي هذه السابقة
عند الملك ومن ذا الذي انزلني منه بهذه المنزلة ومن ذا الذي
عني به عنده حتى جعلني من خلاصه والقائمين بامره والناظرين
في اعماله والله ان هذه لسعادة عظيمة وعناية جسيمة فالحمد
لله رب العالمين ثم نظر في الكتاب فقال واسمع الملك قال لي
في كتابه وانتظر رسولي فاني سابعثه لك بغتة ليأتيني بك فاراه
لم يحد لي الوقت الذي يبعثه فيه ولا سماه لي ولعلي لا افرغ من قراءة
كتابه الا ورسوله قد اتاني ونزل علي والله لا قدمت شغلا على
شغل الملك ولا نظرت في شيء الا بعد فراغي مما امرني به الملك واعد
زادا اتزوده ومركوبا اركبه اذا جاءني رسوله وحملني اليه فتروض
له وحمل فقال له لمن هذه السادعة كلها وفيم هذه المبادرة
كلها فقال له ويحك اما ترى كتاب الملك بما جاءني اما تسمع
ما فيه اما تؤمن به اما تصدقه قال بلى سمعت وامنت وصدقت
ولكنه لم يقل لك فيه ان رسوله ياتيك اليوم ولا غدا ولا وقتا
معلوما معينا ولكنه سياتيك وقد جاء كتابه الى فلان بمثل

ما جاك وقد بقي منتظر الرسوله اكثر من سبعين سنة ما جاه وفلان
جاءه بعد ثمانين سنة وفلان اتاه بعد مائة واكثر وفلان
كاد ان لا ياتيه وانت واحد من المرسل اليهم فما هذه العجلة
والاسراع فقال له ويحك اما ترى ان فلانا جاءه كتاب الملك
بمثل هذا وجاءه رسوله ان يجي الكتاب وفلان كذلك وفلان
جاءه بعد سنة واقل واكثر فقال صدقت ولكني لا انظر الى
هولاء خاصة وانظر الى الذي قلت لكن ممن قد تاخر عنهم مجي
الرسول فقال دعني يا هذا فقد شغلتني والله اني لاخاف ان
ياتيني الرسول وانا اكلمك ثم اقبل على ما امره به الملك فامتثل
واشتغل بما يجب ان يشتغل به واعد الزاد لسفره واخذ الاهبة
لطريقه وجعل ينتظر الرسول ان ياتيه واقبل يمينا وشمالا ينظر
من اين ياتيه ومن اين يقبل عليه فبينما هو كذلك واذا برسول
الملك قد اتاه فقال اجب الملك فقال نعم قال الساعة قال
وفرغت مما امرك وعملت ما يصلح لك ان تعمله قال نعم قال فانطلق
معه الى الملك فخلع عليه خلع الاولياء وكساه كسوة الاصفياء
واعطاه مركوبا يليق به ويتجمل بمثله فانطلق في حبور وسرور
وهو ينشد ويقول بلسان الحال شعر

هنيئا لي بغبطتي وسروري ٭ مجد ربان يهناه مثلي
ربحت صفقتي وزكى سعيي ٭ وارتقى للاله قولي وفعلي
كيف لي ان اعبر اليوم عني ٭ بمقال يبين وصف محلي
ضاقت الكتب ان تضم حديثي ٭ بل تلاشت عن بعض ما انا املي

قد

قد تكلفت المعنى وزدت عليها ٭ وتحليت بالمسرات كلي
ليت قومي يعلمون بما الله ٭ من نعمة علي وفضل
طاب عيشي وقربه قراري ٭ وتقلبت بين ماء وظل
انا هو ذا حقيقة ام سواي ٭ قد رولي فقد تدله عقلي

قوله وكان ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا
اصبحت فلا تنتظر المسا وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك
لموتك رواه البخاري هذا اشارة الى يقظة قلب الصحابة
وما كانوا عليه من حسن التلقي والفهم عن نبينا عليه السلام
علم ابن عمر المنور القلب ان النبي صلى الله عليه وسلم انما قصد
بهذا تقصير الامل والمبادرة بحسن العمل انتصب ابن عمر واعطا
لنفسه ولغيره فقال اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت
فلا تنتظر المسا وخذ من صحتك لمرضك اي اغتنم صحتك واعمل
فيها عملا صالحا قبل ان تشتغل بالمرض كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ثم
قال ومن حياتك لموتك اي اعمل في حياتك عملا ينفعك بعد
موتك فان الموت ينقطع به العمل الا ما استثناه الشارع صلوات
الله عليه وقد روي من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا
او هرما مفندا او مرضا مفسدا او موتا مجهزا او الدجال شر غايب
ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر

يا هذا الدنيا دار نفاد لا محل اخلاد ٭ ومركب عبور لا منزل حبور

وسريع انفصام لاموطن دوام قال الله تعالى انما مثل الحياة
الدنيا كما انزلناه من السما الى قوله تعالى لقوم يتفكرون
ومقصود المثل ان الله تعالى ضربه للدنيا الفانية فشبهها
بمطر نزل من السما فاختلط به نبات الارض اي التفّ النبات
بالمطر وكثر مما ياكل الناس من الحبوب وغيرها والانعام
من المرعي حتى اذا تمت زينة الارض اتاها القضا بالهلاك
فصارت محصودة لا شي فيها كان لم تغن ومقصود المثل ان
سالكي الدنيا اذا جمع ماله وتم مراده سلب احد الرفيقين اما
الدنيا عن المالك او المالك عن الدنيا قال ابن الجوزي في
منتخبه وفي الحكمة في تشبيه الدنيا بالما عشرة اقوال احدها وصدهو
ان الما بالطبع يجري ولا يستقر وكذلك الدنيا لا تستقر
منا احد لا م او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع الثاني
ان قليل الما يكفي وكثيره يهلك وكذلك الدنيا قليلها يكفي
وكثيرها يلهي الثالث ان الما اذا طال حبسه تغير وفسد
واستحال في حق متناوله سما وكذلك الدنيا لممسكها بلا وا ذي
الرابع ان الما اذا اسقي الشجر ابان عن جواهرها باظهار ثمرها
وكذلك الدنيا تبرز جواهر الرجال من كريم وسخي يسخوا ولئيم
يبخل الخامس ان الما يستر عيب الارض والمال يستر عيوب
الرجال السادس ان المطر لا ياتي بحول محتال كذلك الدنيا
لا تجلب بغير الاقدار السابع ان الانسان لا يقدر على دفع المطر
كذلك لا يقدر رد ما قسم له من الدنيا الثامن ان الزرع يفسد
على نحو

اذا كثر عليه الما كذلك القلب يفسد بالمال اذا تكاثر التاسع
ان الما يطهر الانجاس وكذلك التصدق بالمال يزيل الاوساخ
العاشر ان الما اذا اجتمع حال كمال ان الدنيا اذا تمت مرت
ثم قال الدنيا خراب واخرب منها قلب من يعمرها
شعر
هي الدنيا تقول بمل فيها • حذار حذار من بطشي وفتكي •
فلا يغرركم مني ابتسام • فقولي مضحك والفعل مبكي •

وما احسن ما قال القايل

ان لله عبادا فطنا • طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا •
نظروا فيها فلما علموا • انها ليست لحي وطنا •
جعلوها لجة واتخذوا • صالح الاعمال فيها سفنا •

وروي الترمذي وصححه لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقي منها كافرا شربة ما وفي حديث اخر الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وفي منهاج ابن الجوزي
وروي ابو موسي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من احب اخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته
واثروا ما يبقي على ما يفني وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز
اما بعد فالدنيا دار ظعن ليست بدار مقام وانما انزل اليها
ادم عقوبة فاحذرها يا امير المومنين فان الزاد منها تركها
والغني فيها فقرها تذل من اعزها وتفقر من جمعها كالسم
ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فاحذر هذه الدار الغرارة الختالة
الخداعة وكن اسر ما يكون فيها احذر ما تكون لها سرورها

مشوب بالحزن وصفوها مشوب بالكدر فلو كان الخالق لم يخبر
عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت قد ايقظت النايم
ونبهت الغافل فكيف وقد جا من الله عز وجل عنها زاجر وفيها
واعظ فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن ولا نظر اليها منذ
خلقها ولقد عرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزاينها
لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها كره ان
يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع مليكه زواها الله عن
الصالحين اختيارا وبسطها لاعدايه اغترارا فيظن المغرور بها
المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله تعالى بمحمد صلى
الله عليه وسلم حين شد على بطنه الحجر والله ما احد من الناس
بسط له في الدنيا فلم يخف ان يكون قد مكر به فيها الا كان قد
نقص عقله وعجز رايه وما امسك عن عبد فلم يظن انه قد خير له
فيها الا كان قد نقص عقله وعجز رايه وقال مالك ابن دينار
اتقوا السحار فانها تسحر قلوب العلما يعني الدنيا وقال
يونس بن عبيد ما شبهت الدنيا الا كرجل نام فراى في منامه
ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك انتبه ومثل هذا قولهم
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والمعنى انهم ينتبهون بالموت
وليس في ايديهم شي مما ركنوا اليه وفرحوا به قيل ان عيسى عليه
السلام راى الدنيا في صورة عجوز هتما عليها من كل زينة فقال
لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك
او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى بوسا

لازواجك

لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف
تهلكيهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يوتى بالدنيا يوم القيامة
على صورة عجوز شمطا زرقا انيابها بادية مشوهة فتشرف
على الخلايق فيقال هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من
معرفة هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها وبها
تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم
تقذف في جهنم فتنادي يا رب اين اتباعي واشياعي فيقول الحقوا بها
اتباعها واشياعها وعن ابي العلا رحمه الله تعالى قال رايت
في النوم عجوزا كبيرة عليها من كل زينة والناس عكوف عليها
متعجبون ينظرون اليها فقلت لها من انت ويلك قالت
اما تعرفني قلت لا قالت فانا الدنيا فقلت اعوذ بالله من
شرك قالت ان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم
وما احسن ما انشد بعضهم في هذا المعنى

النار اخر دينار نطقت به • والهم اخر الدرهم الجاري •
والمرء ما دام مشغوفا بحبهما • معذب القلب بين الهم والنار

هذا ص

قال ابن الجوزي واعلم ان احوالك ثلاث حالة لم تكن فيها
شيا وهي قبل وجودك وحالة اخرى وهي من ساعة موتك الى
ما لا نهاية له في البقا السرمدي فان لنفسك وجودا بعد
خروجها من بدنك اما في الجنة او النار وهو الخلود الدايم
وبين هاتين الحالتين حالة متوسطة وهي ايام حياتك في الدنيا

فانظر الى مقدار ذلك وانسبه الى الحالتين تعلم انه اقل من طرفة عين
في مقدار عمر الدنيا ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم
يبال كيف نقضت ايامه في ضر وضيق او سعة ورفاهية ولهذا لم
يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة ولا قصبة على
قصبة وقال ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل
تحت شجرة ثم راح وتركها **وقال** عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثل واضح فان الحياة الدنيا معبر
الى الاخرة والمهد هو الركن الاول على اول القنطرة واللحد هو الركن
الثاني على اخر القنطرة ومن الناس من قطع نصف القنطرة ومن
الناس من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة
وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد من العبور فمن وقف يبني
على القنطرة ويزينها وهو يستحث للعبور عليها فهو في غاية
الجهل والحمق وقيل مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما
ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله **وروي** عن الحسن رحمه
الله قال بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه
انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبرا حتى
اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر
وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة
فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رجل في حلة يقطر راسه
فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب
فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء علام انتم قالوا على ما ترى قال

الى صحو

ارايتم

ارايتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك
شيئا قال اعطوني عهودكم ومواثيقكم قال فاعطوه عهودهم ومواثيقهم
قال فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال
فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء
الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليس كرياضكم
فقال اكثر القوم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لا نجده ولا
نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة قليلة الم تعطوا هذا
الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه وقد صدقكم في اول
حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره قال فراح فيمن اتبعه وتخلف
بقيتهم فقدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل

الحديث الحادي والاربعون

عن ابي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه
تبعا لما جئت به هذا الحديث اصل كبير من اصول الدين وقاعدة
جليلة من قواعد الشرع وحله على سبيل الاختصار هو ما قال
ابو حازم رضي الله عنه قال شيئان هما خير الدنيا والاخرة
اذا عملت بهما تكفلت لك بالجنة ولا اطول عليك قيل
وما هما قال تحمل ما تكره اذا احبه الله وتترك ما تحب اذا
كرهه الله انتهى ذكره عنه في سير السلف وجملة الامر ان
النفس اذا هويت شيئا فاعرضه على الشرع فان وافق فاعمله
على انه شرع لا على انه هوى كرجل نظر امراة جميلة فهوي

زواجها فليتزوج بها على ان هذا احيا للسنة او اقامة للمرضية ان
كان النكاح في حقه فرضا فيدخل تحت قوله عليه السلام فمن كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله لانه هجر ما نهاه الله عنه من الزنا
وفعل ما امر به الشرع وان تزوج بها على الهوى ولم ينو اقامة
السنة ولا شيا من الشرعيات كان داخلا تحت قوله عليه السلام
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر
اليه واعلم انه قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الهوى
اله يعبد في الارض ثم تلى افرايت من اتخذ الهه هواه قال الله
سبحانه واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي الماوى وعن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول المجاهد من جاهد نفسه والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله عز وجل وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس الشديد من غلب الناس ولكن الشديد من غلب نفسه
وانشد ابو الفضل الهاشمي

واني وصبري عنك والشوق نار * توقد في الاحشا ايه توقد
لك الحاتم الممنوع برد شرابه * ومصطبر للقتل من كف معتد
وراكب هول وهو يعلم ما الذي * يجي به في غنقه اليوم او غد
فهل هو الا ان اموت صبابة * وشوقا ولم يغلب هواك تجلدي

وعن عبد الصمد بن المعدل

ان العيون اذا شكى من رجل * فعلق بالقلب ما لا تفعل الاسل
وليس بالبطل الماشي الى بطل * في الحرب يحمل احيانا وتنتقل

بلغ مقابلته

لكنه

لكنه من قوي قلبا اذا رشقت * فيه العيون فذاك الفارس البطل
وعن وهب ابن منبه قال قالت امراة العزيز ليوسف عليه السلام
ادخل معي القيطون قال ان القيطون لا يسترني من ربي قال ابراهيم
ابن الجنيد سمعت شيخا يكنى ابا عبد الرحمن قال خرجت في بعض
الليالي المظلمة واذا انا بجارية كانها علم فراودتها عن نفسها قالت
ويلك اما كان لك زاجر من عقل اذا لم يكن لك ناه من دين قلت
انه والله ما يرانا الا الكواكب قالت فاين مكوكبها قال الاصمعي
وحبل يقول انا امرء باع جنة عرضها كعرض السموات والارض
بفتر ما بين رجليك لقليل البصر بالمساحة واعلم انه قد ورد في
ذم اتباع الهوى احاديث ذكرها الامام الحافظ ابو بكر الخرايطي في
كتاب اعتلال القلوب بسنده عن ابي امامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السما اله يعبد اعظم عند الله من
هوى متبع واسند عن ابي برزة الاسلمي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم
وفروجكم ومضلات الهوى واسند عن ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اتدرون ما اكثر ما يدخل
الناس النار قالوا الله ورسوله اعلم قال الاجوفان الفرج والفم
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعن اسما بنت
عميس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد
عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سهى

[illegible]

ولهي ونسي المقابر والبلا بئس العبد عبد بغى وعتى ونسي المبتدي
والمنتهي بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله
هذا ما نقلته من كتاب اعلال القلوب وهذه الاحاديث وان
كانت مشهورة مسندة في غير هذا الكتاب لكننا استشهدنا بها على
عجل وما احسن ما قال بعضهم لسائل عن العشق فقال قلوب
خلت عن محبة الله فسلط الله عليها محبة غيره فاورثها شقا
لا سعادة فيه وذلا لا عز معه وهوانا لا كرامة فيه وانشدوا

وما في الارض اشقى من محب • وان وجد الهوى عذب المذاق
تراه باكيا في كل حين • مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم • ويبكي ان دنوا خوف الفراق

وقال بعضهم الهوى هو الهوان ازيلت منه النون وقال عبد
المحسن الصوري

وكان ابتدا الهوى مجونا • فلما تمكن امسى جنونا
وكنت اظن الهوى هينا • فلاقيت منه عذابا مهينا

والحاصل الهوى اصل كل بلية وفيه ذل كل نفس ابية وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه فسر الامام
احمد بان يتعرض من البلا لما لا يطيق شعر

الحب اول ما يكون مجانة • تاتي به وتسوقه الاقدار
حتى اذا ركب الفتى لجج الهوى • جاءت امور لا تطاق كبار
واذا نظرت الى المحب عرفته • وبدت عليه من الهوى آثار
قل ما بدا لك ان تقول فانما • ساق القضا الى الفتى المقدار

واعلم

واعلم انه ما وقعت معصية تما من كفر فما دونه الا واصلها اتباع الهوى
ولهذا قال ابو حازم قاتل هواك اشد مما تقاتل عدوك وقال لرجل
انك رجل مسدد فقال ما لي لا اسدد وقد رصد لي اربعة عشر
عدوا اما اربعة فشيطان يفتنني ومؤمن يحسدني وكافر يقاتلني
ومنافق يبغضني واما العشرة فالجوع والعطش والعري والحر
والبرد والهرم والمرض والفقر والموت والنار ولا اطيقهن الا
بسلاح ولا اجد لهن سلاحا افضل من التقوى انتهى ذكره
عنه في سير السلف فاساس الهدى اجتناب الهوى والهوى هو
البلية العظمى وكذلك الشيطان والنفس والدنيا وانشدوا

اني بليت باربع ما سلطوا • الا لعظم بليتي وشقاي
ابليس والدنيا ونفسي والهوى • كيف الخلاص وكلهم اعدائي

قال العلما ان كفر الكافر ومعصية العاصي انما نشاء من اتباع الهوى
فاما كفر الكافر فقد علم ما له من الخلود في النيران مع حرمان الجنان
ومنع النظر الى وجه الرحمن واما المعاصي فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم المقيم على الزنا كعابد وثن وقال شارب الخمر كعابد وثن
وقال اربعة يمسون في سخط الله ويصبحون في غضبه فان تعدى
الهوى الى اتيان ذات المحارم فتلك المصيبة العظمى وعن عمرو
ابن شعيب عن ابيه عاص قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة من اتى ذات محرم وآفات المحرمات في الدنيا كثيرة ولهذا
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والزنا فان فيه
ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما اللواتي في الدنيا

فذهاب البها ودوام الفقر وقصر العمر واما اللواتي في الاخرة فسخط الرب
وسوء الحساب ودخول النار وروي عن سعد عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اللهم اني اعوذ بك من فتنة النسا واعوذ بك
من عذاب القبر وقيل في قول الله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به قال هي الغلمة وعن ابن عباس قال لو لم يكن كفر من مضى الا من
قبل النسا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تركت على امتي بعدي
اضر من النسا على الرجال وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معشر النسا ما رايت من ناقصات عقل ودين
اذهب بعقول ذوي الالباب منكن وعن ابن الزبير قال قام
عمر بن الخطاب رضي الله عنه على باب الجابية فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام فينا كمقامي فيكم ثم قال الا لا يخلون رجل
بامراة فان ثالثهما الشيطان واعلم ان النظر الى الصورة الجميلة
داعي عظيم من دواعي الهوى وهاوٍ بصاحبه في اودية الردى فقتيله
لا يودى واسيره لا يفدى قال المتنبي

عيني اساءت بدري في الهوى ۞ فابكوا قتيلا بعضه قاتله

وقال اخر

يا ناظرا ما اقلعت لحظاته ۞ حتى تشحط بينهن قتيلا

وقال اخر

عاتبت طرفي لما ۞ رايت جسمي نحيلا
فقال طرفي لقلبي ۞ قد كنت انت الدليلا
وقال قلبي لطرفي ۞ بل كنت انت الرسولا

فقلت

فقلت كنا جميعا ۞ تركتماني قتيلا

وعن حذيفة ابن اليماني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النظر الى المراة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركه خوف الله
اثابه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وعن الاصمعي قال رايت
جارية بالطواف كانها مهاة رمل فجعلت انظر اليها واملا عيني
من محاسنها فقالت يا هذا ما شانك قلت وما عليك من النظر
فانشدت تقول ۞ وكنت متى ارسلت طرفك رايدا ۞ لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر ۞ عليه ولا عن بعضه انت صابر
وبالجملة فالمعاصي كلها متولدة عن اتباع الهوى وقد اخبر الذي
لا ينطق عن الهوى ان احدنا لا يكون مؤمنا حتى يكون هواه
تبعا لما جاء به وقد قال الله تعالى في هذا المعنى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما وكان سبب نزولها ما هو ثابت في الصحيح ان
رجلا خاصم الزبير في اخراج الحرة فقضى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير
بالحق المحض فغضب الانصاري وقال يا رسول الله ان كان
ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية فاقسم
الله بربوبيته انه لا يؤمن عبد حتى يكون بحال لا يجد في نفسه
ضيقا ولا شكا بما قضى عليه به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعتقد اعتقادا جازما ان ذلك هو الحق المحض وينقاد له كرهته
النفوس ام احبته رضيت به ام سخطته كان في ذلك هواها

فتنبه ايها الغافل واذكر ايها العاقل فليس الا الرضى والتسليم لاحكام
الرؤف الرحيم قال الحكيم الترمذي في تفسيره فاذا كان هذا في شان
الرسول هكذا فكيف يكون في اقضية الله تعالى على عبده من
المكاره فلا تخلو النفس من هرب وضيق ومكروه ولكن يسلم
تسليما وانما يصير هذا الضيق كفرا اذا قبله القلب من النفس
فاما اذا ضاقت النفس وكرهت امرا فاكرهها القلب على ذلك
ولم يتابعها ورد عليها ذلك ومضى لامر الله فهو صابر والذي
لا يحتاج الى رد ولا تضيق نفسه فهو صديق قد راض نفسه
وفهمها وماتت شهواته فهو راض من المكاره او قلت كما قال ابن
مسعود يا حبذا المكروهان الفقر والموت وكما قال احبه الي احب الى الله شعر

ان كان جيران الفضا ❊ رضوا بقتلي رضا
والله ماكنت لما ❊ يرضى الحبيب مبغضا
انا لهم عبد وما ❊ للعبد ان يعترضا

فتقتضو مقام الربوبية القهر لمقام العبودية والحكم عليها
بما يشا وعلى مقام العبودية التسليم لاحكام الربوبية وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم
الخيرة من امرهم ومن يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا
وربك يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله
وتعالى عما يشركون دل بصريح العبارة ومضمون الاشارة ان
الذي له اختيار مع الله فهو مشرك برايه في الاختيار فالكيس
الماهر من انقاد لاحكام القادر القاهر فان معارضة العليل

طيبة

طيبة توجب تعذيبه فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المتكلم
عن الله والتسليم لاحكامه تسليم لاحكام الله وجعل هواك
تبعا لما جاء به سبب عظيم في الوصول الى الله قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله من يطع الرسول فقد اطاع الله فكن
دائما تحت لواء السنة تحظى بدخول الجنة واياك والانحراف
عنها فتهلك مع الهالكين قال صلى الله عليه وسلم وتفترق
امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قالوا من هي
يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي قال الترمذي حسن
غريب رواه ابو داوود وفيه وانه سيخرج من امتي اقوام
تجاري بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى
منه عضو ولا مفصل الا دخله وقال ابن المبارك عن ابي كعب
قال عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله
ابدا وقال ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في
نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات
عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن تلك الشجرة
ورقها وان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في سبيل
الله وسنته فانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا دا
ان يكون على منهاج الانبيا وسنتهم وقال ابن مسعود الاقتصاد د
في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وعن ابن عباس في النظر

الى الرجل من اهل السنة يدعوا الى السنة وينهى عن البدعة عبادة
وقال ابو العالية عليكم بالامر الاول الذي كانوا عليه قبل
ان يفترقوا فقال لعاصم فحدثت به الحسن فقال قد نصحك الله
وصدقك وقال الاوزاعي اصبر نفسك على السنة وقف حيث
وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك
الصالح فانه يسعك ما يسعهم وقال سفيان لا يستقيم
قول الا بعمل ولا يستقيم قول وعمل الا بنية ولا يستقيم قول ولا
عمل ونية الا بموافقة السنة وقال الجنيد بن محمد الطرق كلها
مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر الرسول واتبع سنته ولزم طريقته
فان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ومعظم هذه الاثار مذكورة
في كتاب الطبري وبعضها في منهج العباد للقرطبي فالسنة
رحمك الله هي الدين ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة
وحده والائمة انما هم وسائط بيننا وبينه فنحن مقتدون برسول
الله صلى الله عليه وسلم لا بغيره ولا يحل في عقيدتنا اذا علمنا ان
احدا خالفه كائنا من كان ان نتبع ذلك المخالف ومن
الاداب الشرعية التي لا يجوز الاخلال بها الا بعارض قول
سيد الانام بقول احد من علماء الاسلام كما انشد حافظ السنة
الشيخ شمس الدين الذهبي حيث قال

العلم قال الله ثم رسوله * انص والاجماع فاجهد فيه *
وحذار من نصب الخلاف جهالة * بين الرسول وبين راي فقيه *

فالسنة رحمك الله لواء الاسلام وواسطة عقد النظام

اماتنا الله عليها وعلى الاسلام امين

الحديث الثاني والاربعون

عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني
غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت
ذنوبك عنان السما ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن
ادم لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا
لاتيتك بقرابها مغفرة رواه الترمذي وقال حديث حسن
انس رضي الله عنه تقدمت ترجمته والكلام على اداب الدعا
تقدم مستوفى عند الكلام على قوله ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر الحديث والرجا هو تعلق القلب بامر مرغوب فيه
وقال ابن قيم الجوزية في شرح المنازل الرجا حاد يحدو القلب
الى الله تعالى والدار الاخرة ويطيب لها السير وقيل هو الاستبشار ر
بجود فضل الرب والارتياح لمطالعة كرمه وقيل هو الثقة
بجود الرب انتهى وقال ابن الجوزي في منهاج الرجا ارتياح لانتظار ر
ما هو محبوب عنده ولكنه لا بد لذلك المتوقع من سبب حاصل
فان لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفا سمي تمنيا
لانه انتظار من غير سبب ثم قال وقد علم ارباب القلوب
ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر
فيه والطاعات جارية مجرى تنقية الارض وتطهيرها ومجرى
حفر الانهار وسياقة الماء اليها وان القلب المستغرق بالدنيا

كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة هو يوم الحصاد
ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو الا زرع من بذر الايمان
وقل ان ينفع ايمان من خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو
البذر في الارض السبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة
برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا
جيدا غير مسوس ولا عفن ثم ساق اليها الماء في اوقات الحاجة
ونقى الارض من الشوك والحشيش وما يفسد الزرع ثم
جلس ينتظر من فضل الله تعالى رفع الصواعق والآفات
المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته فهذا يسمى انتظاره رجاء واما
من بذر في ارض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل اليها الماء ولا يتعهدها
اصلا ثم انتظر الحصاد فهذا يسمى انتظاره حمقا وغرورا
لا رجاء فان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ
ينتظر مياه الامطار سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء
انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت اسبابه الداخلة تحت
اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس الى اختياره وهو فضل الله
سبحانه بصرف الموانع المفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان
وسقاه ماء الطاعات وطهر القلب من شوك الاخلاق
الردية وانتظر من فضل الله سبحانه تثبيته على ذلك الى الموت
وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره الى ذلك
رجاء محمودا باعثا على المواظبة على الطاعات والقيام
بمقتضى الايمان الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده

بماء

هدها

بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق
وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة كان ذلك حمقا
وغرورا قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وقال معروف الكرخي رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان
وحمق ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله المعنى اولئك
الذين يستحقون ان يرجوا ولم يرد به تخصيص وجود الرجاء
لان غيرهم ايضا قد يرجو اذلك من فضل الله تعالى ومن فضيلة
الرجاء ما ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وفي رواية
اخرى فليظن ظان ما شاء وفي حديث اخر من رواية مسلم لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى والظن هو ترجح احد
الطرفين على الاخر يعني ان ترجح عنده اني ارحمه فاني ارحمه
وان ترجح عنده اني اعذبه فانا عند ظنه فالراجي لله يظن
به خيرا والقانط من رحمة الله يظن به سوءا فلهذا اعظم الشرع
القنوط وجعله من الكبائر قال القرطبي في تذكرته وروي
عن ابن عمر انه قال عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه
حسن الظن بالله تعالى فمن مات منكم وهو يحسن الظن
بالله دخل الجنة مدلا وقال عبد الله بن مسعود والذي
لا اله غيره لا يحسن احد الظن بالله الا اعطاه الله ظنه

وذلك ان الخير بيد وذكر ابن المبارك عن ابن عباس قال اذا رايتم
بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به واذا كان
حيا فخوفوه وعن ابراهيم كانوا يستحبون ان يلقنوا العبد
محاسن عمله عند الموت حتى يحسن ظنه بربه عز وجل وقال ثابت
البناني كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه امه وهي
تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا قال يا اماه ان لي
ربا كثير المعروف واني لارجوا اليوم ان لا يعدمني بعض معروفه
وقال عمر بن ابي ذر يوما في كلامه وعنده ابن ابي داود
وابو حنيفة انعذبنا وفي اجوافنا التوحيد لا اراك تفعل اللهم اغفر
لمن لم يزل على مثل حال السحرة في الساعات التي غفرت لهم فانهم
قالوا امنا برب العالمين فقال ابو حنيفة رحمك الله القصص
بعدك حرام اه ذكره القرطبي ولي من ابيات في هذا المعنى
حاشاك حاشاك يا مولى الجميل ويا هادي السبيل ومن للخلق يرشد لي
ان تجعل الكامل التوحيد مقترنا بالكامل الكفر مكرا وزين في قرن
وهي قصيدة ستاتي ان شا الله تعالى في اخر هذا الشرح قال
ابن الجوزي في منهاجه اعلم ان اسباب الرجا منها ما هو من طريق
الاعتبار ومنها ما هو من طريق الاخبار اما الاعتبار فهو ان
تتامل جميع ما ذكرناه من اصناف النعم في كتاب الشكر فاذا علم
لطايف الله تعالى بعباده في الدنيا فليرج لطفه به في الاخرة
فان مدبر الدارين واحد واما استقرا الايات فقل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر

الذنوب

الذنوب جميعا والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ومن الاخبار ما روى ابو
سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابليس
لعنه الله قال لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي
بني ادم ما دامت الارواح فيهم فقال الله عز وجل فبعزتي وجلالي
لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب
الله بكم ولجا بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم رواه مسلم
وفي الصحيحين سددوا وقاربوا وابشروا فانه لن يدخل الجنة
احدا عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله منه برحمته وفي الصحيحين لما ذكر بعث النار قال ابشروا فان
من ياجوج وماجوج تسع ماية وتسعة وتسعين وواحدا منكم
فقال الناس الله اكبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني
لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة والله اني لارجوا ان تكونوا ثلث
اهل الجنة والله اني لارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبر
الناس فقال ما انتم يومئذ في الناس الا كالشعرة البيضا في الثور
الاسود او كالشعرة السودا في الثور الاسود وقال ابن مسعود الابيض صح
والله ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر
وروي ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام فلم
يضفه وقال ان اسلمت اضفتك فاوحى الله تعالى عليه يا ابراهيم
منذ تسعين سنة اطعمه على كفره فتسعى ابراهيم خلفه فرده واخبره

بالحال فيجب من لطفها الله تعالى فاسلم وقال الامام عبد
الجليل القصري في شعب الايمان ما ملخصه ان العبد فيما اعطاه
الله من الايمان الذي لو اجتمع الخلق كلهم على ان يدخلوه قلب
عبد لم يقدروا على ذلك وصرف عنه من الكفر وكرهه اليه
وذلك من رحمة الله تعالى به واستمرار ذلك له من عظيم
لطف الله تعالى به ثم بعد ذلك في تسخير الله تعالى
لجماعة من المسلمين يقومون بمصالحه حياً ثم اذا مات
قاموا بتغسيله وتكفينه وقاموا على اقدامهم شافعين له ثم
تنظر في قيام الناس محشورين لرب العالمين في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فترى المتولي لذلك هو الرؤف
الرحيم الكريم الحليم ولا شك انه خير له في المحاسبة من كل
احد ولو كان المحاسب له والداه وارحم الناس به لانه سبحانه
عند المحاسبة كريم سمح يتجاوز الاثراه يامر بالسمح والعفو
والصفح لعباده فيما بينهم ويثني عليهم بفعل ذلك افتراه
يكون كما اوربه من المخالفين تعالى وجل عن ذلك فانه اكرم
الاكرمين الاتراه كيف اثنى على صديقه يوسف عليه السلام
حين اخرجه اخوته على صغر سنه والصغير مرحوم ففرقوا بينه
وبين ابيه وامشوه على قدميه حافيا حافيا وابكوه واجاعوه
واعطشوه ثم القوه في ظلمات الجب ثم باعوه على عتاقة
وجهه وحسن صورته وحرية نفسه بالبخس اليسير واخذوا
منه اياه وعرضوه الى السجن والفتن ثم لما ظفر بهم واعترفوا

بين

بين يديه قال لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فازال عن
قلوبهم بقوله اليوم خجلة الحيا من افعالهم القبيحة وحسبة
العتاب باقواله السمحة المليحة ثم زادهم بقوله يغفر الله
لكم فرفع عنهم لومة اللائمين ثم زادهم بيانا اخر بقوله وهو ارحم
الراحمين اي هو ارحم بكم مني فهذا افضل عبد من عباده المحسنين
مع ما صح وثبت من شفقة المصطفى المختار محمد صلى الله عليه
وسلم في تلك المواطن كلها بامته افتراه يرد خائبا على سعة
جاهه وقبول شفاعته وهو القائل الصادق المصدوق
امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة عذابها في الدنيا
الزلازل والفتن وهو عليه السلام رحمة صرف كما قال تعالى الصلاة صح
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد امر الله تعالى بالاستغفا
لامته فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اياه يامره بما
لا يريد ان يفعل او يامره بالاستغفار فلا يغفر لهم وقد صح استغفا
لهم وشفاعته التي اخباها لهم الى يوم القيامة وكذلك
ابراهيم الخليل ذو جاه عند الجليل قد استغفر لهم من قبله وهو صح
فقال رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
وامة محمد ابناؤه واحباؤه واتباعه على دينه الحنيفي وكذلك
نوح عليه السلام في قوله وللمؤمنين والمؤمنات وقال عليه
السلام شفاعتي لاهل الكباير من امتي اتروها للمتقين
المصطفين انما هي للمتلطخين والمتلوثين فاذا نظر الراجي
بايمانه الى يوم القيامة واهوالها وشدايدها وراى من المحاسب

فيها ومن الشافع وان رجلا واحدا من امته يوم القيامة يشفع
في عدد ربيعة ومضر هذا رجل واحد كريم فكيف بجملة الاوتاد
والابدال الشفعا الرحا على كثرتهم من اول الاسلام الى يوم
المعاد مثل الصديق الرحيم والفاروق الكريم وعثمان
الحليم وعلي العليم وبقية العشرة العدول وابنا فاطمة البتول
واهل السابقة المهاجرين والانصار وخيار التابعين والمطهرات
المكرمات امهات المومنين وساير العلما العمال الاوليا الى
يوم الدين وورد في الصحابة رضي الله عنهم ان ابا بكر يعطى باب
الجنة فيقال له ادخل من شئت برحمة الله وخفف ميزان من
شئت بعدل الله ويعطى الميزان لعمر فيقال له ثقل ميزان من
شئت برحمة الله وخفف ميزان من شئت بعدل الله ويعطى
الصراط لعثمان فيقال جوز من شئت برحمة الله واترك
من شئت بعدل الله ويعطى الحوض لعلي فيقال له اسق من شئت
برحمة الله واترك من شئت بعدل فهذه الاربعة مواطن (الله صح)
هي اعظم مواطن القيامة فاعطيت الاربعة لعظم جاههم
وهناك تظهر شفاعتهم في محبيهم وورد في فاطمة الزهرا
انها رضي الله عنها انما سميت فاطمة من اجل انها فطمت محبيها
من النار وهكذا امهات المومنين كيف تكون رقتهن على المحبين
لهن البارين بهن الراضين عليهن جميعا والمصلين عليهن
مني ما ذكروهن وكيف تكون قلوبهن على اولادهن ولا يخفى
على ذي عقل شفقة الام على ولدها وفداه بنفسها فهكذا

منفعة

منفعة الرجال والنسا (والنساء صح) الرجال من هذه الامة حتى يطمع من رحمة
الله وفضله ما لا يخطر على بال والكل من عند الله الكريم
وورد ان الكعبة تحشر يوم القيامة كحكم العروس المجلاة والحجاج
متمسكون باذيالها فتقول لمحمد صلى الله عليه وسلم سانك
يا بايي امتك كميتك الحجاج فتسير بهم الى الجنة وهم متعلقون
بها واعظم من ذلك كله ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يقامون
في المحشر مقام الشهود العدول على من سواهم من الامم والعدل
المقبول بينهما حنه مكرم غيرهما ان مع ما ثبت في القران والسنة
ان الله يجزي بالحسنة عشر الى سبعماية الى ما لا يحصى والله
يضاعف لمن يشا ويجازي بالسية مثلها ان اخذ بها او يعفو او يصفح
ان هذا لهو الفضل المبين والرجا المتعين واذا نظرت
الى اسمه المحسن علمت انه يفيض فيض الاحسان والى اسمه
المنعم والغفار والستار والحليم والعفو والكريم علمت فيضانها
على هذا الوجود وهو القايل سبحانه يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فاسالوني فاعطيت
كل واحد مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط
اذا دخل البحر وذلك اني واجد ماجد عطاي كلام وعذابي
كلام انما امري لشي اذا اردته ان اقول له كن فيكون وفي الحديث
(كل رحمة صح) ان الله عز وجل خلق مائة رحمة كل منها طباق ما بين السما والارض
فانزل منها رحمة واحدة في الارض فيها تعطف الوالدة على ولدها
والطير على فراخه حتى ان الدابة لترفع حافرها عن ولدها خشية ان

نصيبه وامسك عنده تسعًا وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة
اضاف اليها هذه الرحمة فيصيرها مائة ثم يرحم بها عباده

قيل انهذه المائة رحمة هي مقتضى اسمه الرحمن الرحيم
وكل رحمة منها تملاء الوجود كما تملا البحر بمايه والجو بهوايه فكيف
بسائر الاسما ما علم منها وما لم يعلم الا نسمع الى قول حملة العرش
والحافين به والروحانيين ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما
اتراهم يعنون بقولهم وسعت سعة الظرفية الجسمانية
حاشاهم من ذلك بل يعنون الاسعة الصفات والاخلاق
مثل الصفح والعفو والحلم والسمح والعطف والرحمة وغير ذلك
من صفاته الرضوانية والجنانية والرحمانية وقد روي عن
معاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنه وكان حليما انه قال يوما
لجلسائه اني لآنف ان يكون في الوجود سفه لا يسعه حلمي ولذلك
كان يوذى في وجهه ولا ينتصر لنفسه وهو في رتبة الملك على قدرة
على الانتصار فاذا كان عبد ضعيف مخلوق يقول هذا مع ان
صفته مخلوقة ضعيفة مثله فما ظنك بمن صفاته على سعة
عظمته وهي غير مكتسبة ولا مخلوقة ولا يلحقه في ذاته مشقة
الغضب فيزيلها بكظم الغيظ ولا يعصى كرها فيزيل الاكراه
بتعذيب من اكرهه كما ورد في الصحيح عن الله عز وجل يا عبادي
انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني
فالباري لا يضر بالمعصية ولا ينفع بالطاعة فطالبته
الملايكة الحافون بلطيف التملق والدعا والتواضع والاخبات

في

في قولهم ربنا بمقتضى صفة الرحمة التي لابد لها ان تفعل مقتضاها
في الوجود وهو صدور الرحمة عن الرحمن الرحيم وبمقتضى اسمه الغفور
فقالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الى اخر المعنى لاسيما
وهو الرحمن الرحيم وهذان الاسمان يدلان على كثرة رحمته
وعظيم سعتها لان فعيلا في اللغة للتكثير ورحمن الذي
هو على وزن فعلان بناؤه ابلغ شي في هذا المعنى لانه لا يقال
غضبان الا لمن امتلا غضبا ولا سكران الا لمن امتلا سكرا
وعطشان الا لمن امتلا عطشا ورحمان مخصوص بالباري
فهو يدل على سعة ذاته وعظمتها وكذلك صفة العفو والحلم
وجميع الصفات الحسنى اهـ وقد نقل عن يحيى بن معاذ انه
كان يقول الهي لو اتاني الخبر عنك انك غير قابل دعاي ولا راحم
بكاي ما تركت سوالك اين يذهب الذليل الا الى العزيز واين
يذهب الفقير الا الى الغني يا هذا الندم توبة ومن سرته حسنته
وساته سيئة فهو المومن فاذا اذنب العبد ذنبا ثم دعا الله
تعالى بندم ورجاه بخضوع كان ذلك استقالة من الذنب
فهو توبة تعقبها مغفرة الله له والتوبة من جميع الذنوب واجبة
قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ومن استغفرني وهو يعلم
اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي رواه البيهقي
عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل خ والله
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة م انه ليغان

على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة ولو لم تذنبوا لذهب
الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
وقال ابن عمر انا كنا لنعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي انك
انت التواب الرحيم رواه الاربعة وابن حبان في صحيحه وقال
الترمذي حسن صحيح وهذا لفظ ابي داود وعند الترمذي
والنسائي وابن ماجه انك انت التواب الغفور د ت من قال
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلاث مرات
غفر له وان كان فر من الزحف قال الحاكم صحيح على شرطهما د ن مج
من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم
فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ما منكم من يعمل ذنبا الا وقف
الملك الموكل باحصاء ذنوبه ثلاث ساعات فان استغفر الله
من ذنبه ذلك في شيء من تلك الساعات لم يوقفه عليه ولم
يعذب يوم القيامة رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وفي
المستدرك الندم توبة وان الله يحب الاعتذار اليه وفي
بعض الآثار ان العبد اذا اذنب فقال يا رب هذا قضاؤك
وانت قدرته علي وانت حكمت علي وانت كتبت علي فيقول
الله تعالى وانت عملت وانت جنيت اردت وانت اجتهدت وانت حر
وانا اعاقبك عليه واذا قال يا رب انا اخطأت وانا اعتديت
وانا فعلت يقول الله عز وجل انا قدرت عليك وقضيت
وكتبت وانا اغفر لك واذا عمل حسنة فقال يا رب انا عملتها
بلغ مقابلته

وانا

وقف لله تعالى بالجامع الازهر

وانا تصدقت وانا صليت وانا اطعمت يقول الله وانا اعنتك
وانا وفقتك واذا قال يا رب انت اعنتني وانت وفقتني وانت
مننت علي يقول الله تعالى وانت عملتها وانت اردتها وانت
كسبتها فاذا اذنب العبد المؤمن الخائف المذنب انكسر
قلبه كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء ولا يكون
لغير الذنب لا تحصل بجوع ولا رياضة ولا حب مجرد وانما
ينكسر القلب بين يدي ربه كسرة تامة وقد احاطت به من
جميع جهاته والقته بين يدي الله تعالى صريعا ذليلا خاشعا
كحال العبد خائف آبق من سيده فاخذ واحضر بين يدي سيده
ولم يجد من ينجيه من سطوته ولم يجد منه بدا ولا عنه غنى ولا منه
مهربا وعلم ان حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه ونجاته في رضاه
عنه وقد علم احاطة سيده بتفاصيل جناياته هذا مع حبه لسيده
وشدة حاجته اليه وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده وذله فيجتمع
من هذه الاحوال كسرة وذلة خضوع ما انفعها للعبد وما
اجزل عايدها عليه وما اعظم جبره بها وما اقربه بها من سيده
فليس شيء احب الى سيده من هذه الكسرة والخضوع والتذلل
والاخبات والانطراح بين يديه والاستسلام له فلله ما احلى
قوله في هذه الحالة اسالك بعزتك وذلي اليك الا ما رحمتني اسالك
بقوتك وضعفي اليك وبغناك عني وفقري اليك هذه ناصيتي
الكاذبة الخاطئة بين يديك عبيدك سواي كثير وليس لي سيد
سواك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك اسالك مسالة المسكين

وابتهل اليك ابتهال الخاضع الذليل وادعوك دعا الخايف الضرير
سوال من خضعت لك رقبته ورغم لك انفه وفاضت لك
عيناه وذل لك قلبه

شعر

يا من الوذ به فيما اومله . ومن اعوذ به فيما احاذره .
لا يجبر الناس عظما انت كاسره . ولا يهيضون عظما انت جابره

فهذا وامثاله من اثار التوبة المقبولة فمن لم يجد ذلك
في قلبه فليتهم توبته وليرجع الى تصحيحها فما اصعب التوبة
الصحيحة بالحقيقة وما اسهلها باللسان والدعوى وما عالج
الصديقون شيا اشد عليهم من التوبة الخالصة الصادقة
فانكسار قلب المذنب لربه سبب عظيم من اسباب الخير فاقرب
ما يكون الرب لعبده اعظم ما يكون العبد منكسرا له كما في الاثر
الاسرايلي يا رب اين اجدك قال عند المنكسرة قلوبهم من اجلي
ولاجل هذا اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد لانه مقام
ذل وانكسار بين يدي الله عز وجل وتامل قوله صلى الله عليه
وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى انه يقول يوم القيامة
ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف اطعمك
وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه
اما لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ابن ادم استسقيتك
فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين
قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما لو سقيته لوجدت
ذلك عندي ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك

وانت

وانت رب العالمين قال ان عبدي فلانا مرض فلم تعده
اما لو عدته لوجدتني عنده فقال في عيادة المريض لوجدتني
عنده وقال في الاطعام والاستسقا لوجدت ذلك عندي
ففرق بينهما فان المريض مكسور القلب ولو كان ما كان
فلا بد من ان يكسره المرض فاذا كان مومنا قد انكسر قلبه
بالمرض كان الله عنده وهذا والله اعلم هو السر في استجابة
دعوة الثلاثة المظلوم والمسافر والصايم للكسرة التي في
قلب كل واحد منهم فان غربة المسافر وكسرته مما يجدها العبد
في نفسه وكذلك الصوم فانه يكسر سورة النفس السبعية
الحيوانية ويذلها والقصد ان سعة الخير والفضل والعطايا
انما تنزل في ميدان الانكسار والعاصي التايب من ذلك
نصيب وافر ولهذا قال بعض السلف قد يعمل العبد الذنب
فيدخل به الجنة ويعمل الطاعة فيدخل بها النار قالوا وكيف
ذلك قال يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه ان قام وان
قعد وان مشى كلما ذكره احدث له توبة واستغفارا وندما
فيكون ذلك سبب نجاته ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه
ان قام وان قعد وان مشى كلما ذكرها اورثته عجبا وكبرا ومنة
فيكون سبب هلاكه فيكون هذا الذنب الذي اقترنت
به التوبة والاستغفار انفع لهذا المذنب من كثير من طاعات
يقترن بها العجب والاستكبار ويكون ابتلاوه بالذنب بمنزلة
شرب الدواء ليستخرج به الدا العضال كما قيل بلسان الحال

في قصة ادم عليه السلام يا ادم ما اهبطتك من الجنة الا لتنوك
الي في الصعود وما اخرجتك منها نفيا لك عنها ما اخرجتك
الا لتعود والنشد

ان جري بيننا وبينك عتب • او تناءت منا ومنك الديار
فالوداد الذي عهدت مقيم • والعثار الذي اصبحت جبار

ولسان حال ابينا ادم عليه السلام يقول

ولو لا من القلب بعودة • فان تمني قربكم بسبب عن قرب
وما عشت بعد البعد الا انني • اذا اشتقت زوراكم نظرت الي قلبي

يا ادم امر تذل به الينا احب الينا من طاعة تدل بها علينا
يا ادم انين المذنبين احب الينا من تسبيح المدلين وعن
بعض العباد انه كان يطوف ليلة ويسال ربه في الطواف ان
يعصمه من معصيته ثم غلبته عيناه فنام فسمع قايلا يقول انت
تسالني العصمة وكل عبادي يسالوني العصمة فاذا عصمتهم
فعلي من اجود بمغفرتي وعفوي وعلي من اتوب واين كرمي وعفوي
ومغفرتي وفضلي يا ابن ادم اذا امنت بي ولم تشرك بي شيا
اقمت حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمدي ويستغفرون لك
وانت على فراشك خاتمة خير لمن وفقه الله تعالي
بعد المعصية لتوبة مقرونة بالاستغفار فذلك الذي حطت
عنه الاثقال والاوزار ومن ذهب يتلاعب بالدين ويستغفر
الاستغفار المجرد الذي هو توبة الكذابين وهو مصر على المعاصي
والذنوب غير تايب منها العلام الغيوب فذلك الذي مني نفسه

وضعها

وضعها واوثق نفسه في المهالك وما ارتجعها فاجتهد في توبة
نصوح ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين واكثر من
الحسنات ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكري للذاكرين
واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قال جامعه محمد بن
احمد السعودي اسعده الله تعالي في الدارين وجعله من خير
الفريقين قد انتهى ما فتح به من التعليق على كتاب الاربعين
للشيخ الامام محيي الدين وقد اودع ما لا يحصى من الفوايد السنية
والايات الالهية والاحاديث النبوية والاثار المرضية والحكايات
النقلية والمسايل الفقهية والاداب اللغوية والنكت
الحديثية والحقايق الصوفية والاسرار القدسية وكيف لا
وهو مستخرج من كلام من اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم
وانا رب الظلم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد
وعظم وقد كنت نظمت قصيدة تضرع قديما فاحببت
ان اذكرها هنا لتكون خاتمته بالتضرع والاستكانة فقد
ذكر جماعة من السلف عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالي
ان جماعة على بابه ليسمعوا الحديث فاطلع لهم راسه من كوة
وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلاة
عليكم بالطواف ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان
بكاء وتضرع واستكانة ودعا كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ
لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
فيا ايقاظ الافهام ويا ذوي النهي والاحلام الا تنظرون الي هذا

الكلام الحق في يقظة ام في منام اذا كان هذا يقوله الفضيل في زمانه
الذي زاد عليه السماية عام فما ظنكم بمن عاش حتى ادرك هذه
الايام والله لولم يتداركنا مولانا برحمته والاهلكنا والسلام

وهذه القصيدة التي اشرنا اليها

يا خالق الخلق يا ذا الفضل والمنن * يا واسع الطول بعدي عنك يقلقني
يا رازق الدود والنمل الضعيف ومن * يثني عليه بلسان السر والعلن
انت العليم بما اخفيه من الم * في داخل الجوف يؤذيني ويحزنني
اني اتيتك بالتوحيد اخلصه * ونورك الصادق المكنون يحفظني
اعوذ بالجود واللطف الجميل ويا * الحلم الجزيل وبالالاء والمنن
من ان اصير بدار الخزي ممتهنا * معذبا وجحيم النار تحرقني
حاشاك حاشاك يا مولى الجميل ويا * هادي السبيل ومن للحق ارشدني
ان تجعل الكامل التوحيد مقترنا * بالكامل الكفر بل وزني في قرن
يا وتر يا فرد يا قدوس يا احد * يا دايم الملك يا ذخري ويا سكني
اني اناديك يا رب وقد مليت * جوارحي بالمعاصي وهي تفضحني
واصبحت في العصيان منغمسا * وقد عرى طاعتي وهنا على وهن
حالي يبكي قلوب الناظرين له * فالله يلطف بي لطفا يفرجني
ان ارتحالي بلا تقوى ولا عمل * وما تزودت غير القطن والكفن
يا رب فاغفر بفضل منك ما اجترحت * جوارحي من خطايا السر والعلن
وامنن علي بعفو ثم مغفرة * فانت مولى عظيم العفو والمنن
اني اؤمل ان القاك يا صمد * بحسن ظني وظني فيك حسن بي
ذنبي العظيم اذا افضى الى حتفي * عسى بفضلك يا ذا العرش ترحمني

من

من المغرب اذ امسى بحجرته * وفارق الاهل والخلان والوطن
الا الكريم العظيم العفو يجبره * من بعد كسر مضى في سالف الزمن
شفاعة منه ارجوها واسالها * ممن اتى امرا بالفرض والسنن
عساي آمن في يوم الحساب بها * من الذنوب وان النار تحجبني
صلى عليه الهي كلما هتفت * حمامة فوق اعواد من الغصن
والال والصحب والاتباع اجمعهم * ما هبت الريح واجنا زنة على السفن
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا الى
يوم الدين وافق الفراغ من كتابة هذا الاسم
الشريف يوم الخميس المبارك خمسة وعشرين
من شهر الحجة الحرام من شهور سنة ١٢٧
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم
امين
تم

بلغ مقابلة